

محمد الزين السوي

العصود

٢٠

المغرب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمام

أصحاب

الإغنيين السوسيين

وهو بقية (التسم الحانس) من الكتاب .

والمذكورون في هذا الجزء :

القائد الناجم الاخصاصى

القائد المدنى الاخصاصى

القائد الحسن البشيرانى المجاطى

مبارك أبو الطعام الرخاوى المجاطى

أمغار محمد العلوى المجاطى

على ندبوهوش العلوى المجاطى

الحسين الايد كورانى العلوى المجاطى

أحمد أوبخيس الموسوى المجاطى

الحسن ازكوك الموسوى المجاطى

القائد الحاج احمد التامانارتى

القائد الناجم الاخصاصى

نحو 1284 هـ حى

هذه شخصية عصامية غربية ، ممن رضعوا لبان سوسية من قبائل الاطلس الصغير ، نشأ فى بيئة لا تعلم بمثل المجد الذى جلبها شرفا وعظمة ثم يعلم بهما أبناء بيئة كثيرين من أرباب الامارة . واصحاب اليد العليا . والكلمة النافذة . والرأى الاصيل .

ان الفلاسفة الذين يجولون فى علم الاجتماع ، ويجهلون ان يردوا كل شىء الى اصل خاص ، وأن ينسبوا كل ماثرة الى ما لا تنتج عنه الا الماثر ، وان يجعلوا لكل شىء كيفما كان سببا خاصا ، لا أدرى كيف يقفون بنظراتهم تلك ازا، هذه الشخصية التى نشأت فى اليتيم والفقر ، وفى الأمية وفى مسارح الغنم ثم لم يدر عليها الفلك الا قليلا حتى صار صاحبها من ابطال الجندية المقاديم ، الذين لا يعرفون أن الموت يرصد للاحياء ، ثم كان قائدا محتكا سياسيا كانما يقرأ المستقبل من خلال سحف رقيق ثم خاض طموال حياته كلها من المعارك العلاحنة ما تشيب لهوله الولدان ، ويكره معه غابر الحياة ، ثم رأيناه لا يزال يعيش الحرب فى كهولته كما كان يعيشها فى شببته ، فيطير اليها كلما سمع هيمة ، الى ان جلله الشيب بين الصلوف ؛ وتحت بوارق السيوف ، ثم لم يهدأ حتى لم يجد بعد معتركا بعد سبعين سنة من عمره ، ثم هو بعد ما استوفى الثانية والتسعين يجلس اليك جلوس الشاب اللقن الذى يستحضر كل ما مر به ، فلا ينسى موقفا ولا شخصا ولا حديثا كانما فى صدره مسجل (مانتيفونون) عتيد ، لا يفادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، ثم أنه ليس الا من أبناء حام ، ولكنه فى اخلاقه من خير أبناء سام ، فكانما على لسانه تكلم سحيم عبد بنى الحسحاس اذ قال :

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما او اسود اللون انى أبيض الخلق

فلاّذ سر هى اىها القارى، لتقرا صفحة رائعة مملوءة بالبطولة النادرة ،
 طافحة بالانسانية ، وبنواد الحوادث . متموجة بكل ما تتموج به حياة
 المغامرين الذين لا يبالون اسقطوا على الموت أم سقط ألمات عليهم ، ثم تذكر
 اخيرا قولة خالد بن الوليد رضى الله عنه اذ قال : ما فى موضع شبر الا
 وفيه ضربة بسيف ، أو طعنة برمح . ثم ها انذا اموت على فراشى كالغزاة ؛
 فلا نامت أعين الجناء ، لا نامت أعين الجناء .

نسبه وأسرته

هو الناجم بن مبارك بن مسعود ، ومسعود هذا حفيد عبد كان معتقا
 لاسرة اد' جئسول' من اىنت' بنو ياسين من قبيلة الاخصاص التى يعبد
 موقعها عن تيزنيت بنحو عشرين كيلومترا ، صار اولاده يعرفون بالعتقاء ؛
 وكان ولاؤهم لهؤلاء السادة الجلوليين ، وقد مات العبد المعتق اصالة فى
 مكة ، وكانت حرب بين اسياده وبين اذ بنود وهاج ؛ فكان هؤلاء العبيد
 المعتقون هم الذين كانوا يقومون بكل ما تحتاج اليه هذه الحرب من مهاجمة
 ومدافعة وخدمة ، فلما آنسوا من خصومهم ضعفا حملوا عليهم يوما على غرة
 فاتوا عليهم ، ثم ذهب هؤلاء المعتقون الى الشرق وقد تابوا وتنسكوا ؛ فبقوا
 هناك حتى ماتوا فى مكة ، فبقى اولادهم وراءهم فى الاخصاص مع سادتهم؛ فنشأوا
 بينهم على حسن العهد ، ثم لما قسم سادتهم المال بينهم أعطوهم الثلث من جميع
 الاملاك ، فعلى ذلك نشأ الاحفاد الذين منهم مسعود جد المترجم وقد مات
 أيضا فى مكة اذ التحق بها كايه وجده ، وقد أدرك صاحبنا من أعمامه بلعيدا
 ومحمدا - فتحا - وسالما ، وقد كان لمبارك والده شأن كبير بين السود
 الذين كانوا يجتمعون كل سنة . لاحتفالاتهم التى لا يفونها ، فكان هو
 يرأسهم ، فيكون عمدتهم فى كل تلك القبائل المجاورة الى وادى نون ، وقد
 مات مبارك عام 1295 هـ . وقد كان يعتنى بالدردية ، فيقرب فى كفيه صنجى
 الحديد (1) اللذين يضرب بهما السود عادة على دقات طبولهم (2) فى سطحهم
 حين يلعبون ألعابهم الخاصة ، وحين يشنون الحانهم بانغامهم الخاصة .
 فيصلون فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ويذكرون صاحبه (بلالا) بما هو
 أهله، لان بلالا الصحابى هو بطل القداسة عند هؤلاء السود السوسيين .
 واما والدته فاسمها الزهراء بنت صائبنا ، وهى من معتقين ايضا ،
 ويسمون اد الرابنس ، وقد كانت هذه الاسرة الراضية مشهورة بين

(1) صفيحجان من حديد متقابلتان يقارب شكلهما شكل قدم الرجل ،
 فتربطان بخيط من أسفلهما ، ويلقى أعلى احدهما بالابهام وأعلى الاخرى-
 بالنسيابة والوسطى فتتقارعان على نغم الاناشيد ودقات الطبول .
 (2) طبل عظيم يسمى : كاتكا .

رؤساء الاخصاص ، ولها اتصال بالرئيس سيدى الحسين بن الهاشم ،
 يعسوب نحلة تاكوزولت فى العهد الماضى . وآخرهم الفقير على الذى مات
 امام ايلغ يوم حاصر المجايطون سيدى الحسين الحصار المشهور عام 1302 هـ .
 وفى ذلك اليوم ايضا مات مبارك بن صائب خال المترجم ، فقد اهوى مع
 سيده لاقترام ايلغ بين المحاصرين فسقطا معا ، وقد كان اشجع الناس ،
 لا يصطلي بناره ، وليستحضر الفارى ، شجاعة هذا الخال فى كل ما سياتى
 من شجاعة ابن اخته ، فان العرق نزاع . فبذلك نجد ما ربما يكون كتصديق
 للاخلاق المتوارثة ولكن من أين ورث السابق .

منشأه

قال : اول ما اعفل ان ابى ذهب بى الى الكتاب فى قرية اِدْ بِنلقاسم ،
 وليست بمسقط راسى ، لان القرية التى ولدت فيها هى قرية اِدْ جنول
 التى تجاور تلك ، ثم بتشديد الاستاذ المعلم على لم ابطى فى القراءة حتى
 اننى لا اتهجئ ولا اكتب ، وتان الاستاذ عمد الى يوما فعلقنى فى (الزواركا)
 وهى عبارة عن جبل يعلق طرفاه بالسقف فيحمل التلميذ حتى تشابك براجم
 اصابع يديه فى وسط الخيل اشتباكا لا يمكن أن ينحل متى ارخى الجسم
 المعلق ، ثم يعمد المعلم الى التلميذ المعلق المسكين الذى تجول رجلاه فى
 الهواء فينزل عليه بالسوط حتى يروى منه غضبه ، وقد يؤتى عند بعض
 غلاظ الاكباد من المعلمين بنار فتوقد تحت المعلق ، ويجعل فيها بعض الملح
 فيتفرقع تحت جسم المسكين ، فيكون بين التعليق والسوط وشرر الملح فى
 اعظم عذاب ، قال المترجم : ذلك ما فعله بى الاستاذ القاسى فهربت من الكتاب
 الى اطلال ازا ، قرينتنا ، فانخست فيها عن اهلى وكل الناس ثلاثة أيام ،
 ففتش عنى والداى فى كل مكان ، الى أن اهتدت امى الى تلك الاطلال ؛
 فوجدتنى كدت اموت جوعا ، فحلفت على أن لا اعود الى الكتاب ؛ ثم بقيت
 فى دار اهلى اشتغل بأشغالهم ، فالتقط حبات الهرجان (اركان) وارعى
 احيانا غنما لسادة ام امى ، فاندفع الى الدُّب ذات يوم ولم اكن رايته من
 قبل ، فجعل يهاجمنى ويكشر عن انيابه ، فخفت وتركت له الغنم وفررت ؛
 فقتل منها ثلاثة ، فصرت من ذلك اليوم لا ارعى منفردا . بل اختلط مع
 الاء احتياطا ، وقد جاءنا اللصوص مرة لياخذوا اغنامنا . فناموا فصادفتهم
 فنبهت اصحابى الرعاء اليهم فاقمنا الصراخ نحو اهاليينا ، فاصرخونا فى
 الحين . فهرب اللصوص ، ونجت الغنم .

فى دار القائد دحمان

قال : ثم جاءت مسغبة عام 1295 هـ . التى يضرب بها المثل فى سوس ،
 ثم اعقبته اخرى عام 1299 هـ ايضا ، وقد مات والداى معا فبقيت يتيما

وحيدا ، فصرت اتقلب مع الدهر ، فذهب بعض اقاربي الى دار القائد دحمان في وادي نون فذهبت معه ، فبقيت هناك عدة سنوات كأحد خدم زوجة القائد خنائة بنت عمر بن ابراهيم ، وجاريتها مريم التي تسرى بها القائد اخيرا ، وقد كنت عندهما بمكانة ، لحسن ادبي معهما (ودحمان اذ ذاك لما يكن قائدا) .

في سوق النخاسة

قال : وفي يوم من الايام وسوس الى عبد لشخص يسمى محمدا من آل يبورك أن اتسوق معه سوق الخميس في (تيغمزات) من قبيلة ازا قاضن لشترى منها تمرا نربح فيه لانه هناك رخيص وفي بلدنا غال ، وبعد أن غادرنا السوق ذهب بي رفيقي الى دار انسان تقدينا عنده ، فبقيت عندهم وانا لا ادري ما يراد بي ، فاذا به قد باعني لاناس ؛ فحاصروني هنالك الى الليل ، فاتوا ببعير اركبوني عليه تحت جناح الظلام ، ثم ان هذا السلي اشتراني باعني هو الآخر الى آخر من اهل تازارواالت ، وهكذا وقع على البيع مرتين في ليلة واحدة ، فأسرى بي الى محل يسمى (فاصك) فبقيت مع التازارواالتى الذى اشتراني اخيرا فى دار رجل غائب ، فاذا بصاحبى اخذ يفتش بيوت الدار ليسرق ما عسى أن يكون فيها ، فاغتصمت غفلته عنى ، فطلعت الى السطح وقد ارتفع النهار ، فاذا جدار الدار قصير ؛ فقفزت الى حائط المسجد المجاور للدار ، فاذا انفلاست (رؤساء البلد) قد انتدوا في المسجد ، فسألوني عن نفسى فاخبرتهم بانى عبد للقائد دحمان، واخبرتهم بأن الذى سرقنى مختبئ في تلك الدار ، فذهبوا اليه فاتوا به واعتقلوه ، وبحثوا عن صاحب الدار لينظر ماذا اخذ له التازارواالتى ؛ ثم ردوني الى القائد دحمان فاعطاهم شيئا كمكافاة لهم ، فبقيت هناك نحو اربع سنين ثم تسوقت موسم سيدى احمد بن موسى بتازروالت نحو سنة 1298 ، فرايت فيه الفقيه سيدى محمد بن العربى الادوزى وسيدى على بن احمد الالفى ، فزرت منهما ودعوا لى بخير، وكان الاخير منهما فى زى الصوفية فقيرا متجردا فى مرقعته .

في دار القائد بوهيا

ثم ظهر لى أن اغادر دار القائد دحمان ، فرجعت الى اهل ؛ ثم اتصلت بالقائد بوهيا (ابراهيم) الذى هو قائد قبيلتنا اينت بوياسين ، فصرت اقوم بعمل المعتاد كمسخر ، فبقيت عنده نحو سنة ؛ وذلك نحو عام 1300 هـ . ثم لما اراد القائد ان يسافر الى مراكش سفرتة الاولى بعد أن تولى القيادة عام 1299 هـ . عرض على أن اصحبه ؛ وقد عرفت العربية الدارجة لانفعم بها مع اهل المدن ، لان القائد لا يعرفها لا هو ولا من معه من كبراء القبيلة كعل

الرئيسي ، وعنبلاذ (عبد الله) بن حمو صهر القائد : وابراهيم من آل بلقاسم ، وعنبلاذ (عبد الله) بن موسى : وكانوا كلهم يمشون راجلين : لا مركوب لهم ، حتى القائد نفسه : ولم يتوصلوا بعد من السلطان بالخييل : وما معهم الا ناقة حملوا عليها امتعتهم ، وقد اتصل بنا في الطريق رجل من الشرفاء فصرت احسن اليه بما تيسر من الخبز على آراة اصحابي لذلك ، فوقع من هذا الشريف ان سرق ما كان القائد خبانه من الكسوة التي كساه اياها السلطان على العادة يوم ولاء القيادة 1299 هـ . وهي قفطان وفرجية وجبة وشاشية ، ولما وصلنا صهريج البقرة اغتسل القائد واراد ان يلبس تلك الكسوة فاذا بها قد سرقت ، فلأمنى القائد على أنني كنت احسن الى ذلك الذي سرقها .

ولما دخلنا مراكش ومررنا بجامع الفناء ، اشترينا الخبز المراكشي المصنوع من القمح واشترينا معه الزيت لتتغدى بهما ، فصار القائد ومن معه يقبلون بين أيديهم ذلك الخبز ويتعجبون من ليونته وصفاء منظره ، لانهم لا يعرفون من قبل الا خبز الشعير الاسمر او خبز الذرة ، وقل في بلادنا من يعرف خبز القمح في غير بعض الدور المثرية: ثم سألنا عن مكان نزول القواد البعمرانيين ، فقيل لنا انهم بدار الصابون ، فقصدناهم فوجدنا القائد محمدا الجراري ، والقائد احمد بن همتو الخلفي البعمراني ، فجاءهما الغداء من دار المخزن ، وكان الذي يدفع الطعام عن المخزن هو المحتسب مولاي عبد الله السوارت (بمعنى المفايح لقب بذلك) ، والطعام المعتاد هو الاسفنج والسمن والعسل صباحا ، وطواجن اللحم المتعددة وطباسيل الكسكس باللحم للغداء ، ومثل ذلك للعشاء ، وكانت تلك هي العادة الدائمة لاضيف الحكومة ، ثم طلع القواد الى دار المخزن في اليوم الثاني ، وقد اركب القائد الجراري اصحابنا هؤلاء على بغاله ، فقيد القائد نفسه عند الحكومة بأنه ورد هو واصحابه وان له ست عشرة بغلة ينتفع بذلك لئلا ينظر اليه بعين الاحتقار ، مع ائنه من اجراء البحث عما يدعي اصدق هو ام كذب ، فصار العلف ياتيه على ذلك القدر كل يوم من عند المخزن من الشعير ، ونفدت له الدار لنزوله والمثونة على العادة فكنت اطلع انا وصاحب للقائد فناخذ العلف من بعض اهراء الحكومة ، ونبيعه وناتي الى القائد بالثمن ، وقد كان على راسي خصلتان من الشعير ، كل خصلة على فود ، فكان الخزان الواقف على توزيع الزرع من المرّس (محل المطاير) يناديني : يا صاحب قرون المعزة خذ ، وربما قممى على غيرى لاستئناسه بما يخاطبني به .

قال : وذات يوم صادفت الشريف الذي رافقنا في السفر . وسرق كسوة القائد فلاطفته حتى ادخلته الى الدار التي نحن فيها . واغلقت عليه الباب بالقفل ، خادعته كما خادعنى ، وهذه بتلك والبادى اظلم : فبقى

محتسبا حتى جاء أصحابي . فارينهم اياه . فنورا أن يفتكوا به ضربا :
 فاذا بالذي يابينا بموائد اطعام اشار بعد ان عرف القضية بان نحيله على
 عريف الشرفاء (المزوار) ، اذ هو الذي له النظر في شئون كل شريف :
 من قبل المخزن ، فرفعناه اليه فحكم عليه بان يرد الكسوة فردها كما هي :
 ثم عاقبه بما ظهر له .

الافلات من الاسترقاق ثانية

قال : وفي ليلة عيد المولد الذي جاء القواد ليحضروا فيه مع السلطان
 على العادة ، ذهب بي أصحابي أنا وعبد آخر كانوا اشتروه قبل أن نأتي من
 سوسر ، فاشتروا لنا كسوة ، ولم أكن ادري من قبل ما يراد بنا ؛ الا أنني
 استفتت أخيرا في صبيحة العيد . والمومن لا يلدغ من جحر مرتين ، وقد جاء
 الاعوان ليذهبوا بالقواد الى دار المخزن ، اذ العادة ان ياتوا الى محل نزول
 كل قائد فيصعدون به الى دار المخزن يوم الملاقاة ، فلبس العبد الكسوة التي
 اشترت له ، وبقيت انا على حالتي وعلى زبي لم أغير منه شيئا، بل أخذت
 الثوب الخلق الذي كان على العبد قبل أن يلبس كسوته الجديدة ، فجعلته
 نحى، لما نوبته من التلمص، ثم سار بنا الاعوان؛ فوصلوا الى سوق النجارين
 ولما سامتوا بنا سوق أهل تاكتموت (حيث طريق السثمثارين اليوم) تسربت
 الى سوق التاكتموتين متسللا فتفقدني أصحابي فانكشيت في الثوب الخلق
 وتلويت فيه أمام دكان من دكاكين الصاغة ، فوقف أصحابي يمعنون في طلبي،
 فنار فيهم الاعوان واستحثوهم على المشي الى دار المخزن ، فتركوا التفتيش
 عنى مرغمين ، فرجعت الى الدار ، فلما عاد أصحابي من ملاقات السلطان ؛
 جعلوا يلوموننى على فقدى من بينهم ، فقلت لهم انكم أنتم الذين أتلفتمونى
 فى الطريق ، فلم أدر ما أصنع سوى أن رجعت الى الدار كما ترون ، وهكذا
 افلتت من الاسترقاق مرة ثانية ، أما صاحبي فانهم قد اهدوه الى السلطان ،
 فذهبت حتى شاهدته بين عبيد صغار حول نافورة ماء فى ساحة دار المخزن .

ملاقات القائد بالسلطان

دخل القائد لدى السلطان فى جملة القواد الذين مروا بين يديه على
 العادة المعلومة ، ولما خرج نفذ له الفرس كسائر القواد ؛ اذ العادة أن كل من
 تعين قائدا يعطيه المخزن فرسا وكسوة تامة ، فاما الكسوة فقد توصل بها فى
 سوس يوم عين عام 1299 هـ . واما الفرس فلم يتوصل به الا اليوم ، كما
 خرج للفقهاء القواد الذين صاحبوهم بغلة مسرجة وكسوة بيضاء برداء (حانك)
 وسلهام سكرى ابيض ، وقد كان مع كل قائد فقيهه ليصل به ويكتب عنه،
 وهى عادة مقررة ، فمنهم العلامة الشهير سيدى أحمد بن ابراهيم الساحلى
 وقد كان مع القائد ابراهيم بن سعيد ، وكذلك كان معه الفقيه سيدى الحسن

بن بلعيد الرسى - من مرس ايت باعمران - . ومنهم الفقيه سيدى الحسن الشريف ، وقد كان مع القائد الحسن بن عليّات الاصبونيّاوى، وكان هؤلاء الثلاثة كلهم قضاة وقد توصوا ايضا باخية ينزلون فيها . كما اعطى القواد قساطيط مقببة . وهذه كلها عوائد منبوعة من قديم اجنبى يدهم سوسا بتجارته

خرج فى المجل المعروف بارتكسيس فى قبيلة اصبونيّا انكليزى يسمى ("كارتيت") باذن مبارك بن احمد من اذ ياكو من قبيلة اصبونيّا، وكان الذى عرفه به هو رجل سباعى يسمى مولاي احمد ، يسكن بالشياطمة . فاتصل ما بينه وبين الانجليزى فى السويّرة ، ثم وصل بينه وبين مبارك ابن احمد، وكان لهذا الاخير ظهور وشفوف بشجاعته فى قبيلته . وكان يعاكس القائد الرسمى باصبونيّا وهو القائد الحسن بن عليّات ، فجاء مولاي الكبير اخو مولاي على الذى تضاف اليه عرصة مولاي على الكائنة بزاء مسجد الكتبية بهراكش من عند السلطان . ومعه القائد محمد بن الطاهر الدليهى، يحملان امر السلطان بان تنهض القبائل من هاسة وبغيلة ومجاطة وما وراءها الى ايت بعمران ، فنزل القائد محمد بن الطاهر ازاء ذلك الانجليزى فى (ارتكسيس) حيث اقبل عليه اهل تلك النواحي لاجداده لهم كل ما يريدونه الناس من ارز وحبوب ، خصوصا والوقت وقت مجاعة ، فصار القائد ابن الطاهر يمعن النظر فيما عسى ان يفعل مع قبيلة اصبونيّا، وقد اجتمعت القبائل المذكورة فنزلت فى (مسستى) مع الشريف مولاي الكبير ، ولم يتقدم الى (ارتكسيس) الا القائد ابن الطاهر ، ثم داور الكلام مع القائد الحسن قائد اصبونيّا فيمن له عقل حصيف وتدير ممن يجندون فى قبيلة اصبونيّا من اعيانها ، فذعت له عبد السلام الحربلى . فبعث اليه القائد ابن الطاهر . فاتي فجعل يختبره ويطلب منه ان يبين له اوصاف اعيان القبيلة، فلما توصل منه بما اراد اكرمه بهدايا جميلة، ثم طلب منه ان يسرب اليه كل واحد من هؤلاء الاعيان على حدة ، فكان كلما ورد عليه واحد منهم يؤنسه ويلاطفه ثم يكرمه بالمال ، ولما اتصل بهم كلهم طلب من القائد الرسمى الحسن بن عليّات ان ياتي هو وكل هؤلاء الرؤساء الى محله ، فلما اجتمعوا عنده نادى اصحابه فوقفوا امام المحل الذى هم مجتمعون فيه مصطفين على العادة ، فلما طعم الناس وشربوا امر القائد ابن الطاهر بصندوق . فاخرج منه ظهر من السلطان ، فبندق (رجم مع رفع الصوت بقول : الله يبارك فى عمر سيدى) الاعوان احتراما للظهير على العادة لافتح ، ثم صار يقرؤه عليهم ؛ فاذا فيه ان السلطان يسلم على اهل القبيلة، ويطلب منهم ان يمعنوا التامل فيما صنعوه ؛ وانه ما اتى به الى سوس اخيرا عام 1299 هـ . الا ابعاد الاربين عن هذه الناحية ، ثم لم يرجع حتى قتمه فاخرجتم اليكم الانجليزى النصرانى وانتم

مسلمون وفيكم حرارة الايمان ، وذلك مما لا ينبغي في الدين ولا في السياسة
ولا في الطاعة لملك البلاد . ثم دعا لهم السلطان في آخر الظهير دعا، حارا
ان قاموا واخرجوا الاجنبى من بين ظهرانهم .

فلما قرى عليهم الظهير فاتجهم القائد محمد بن الطاهر الدليمى فى تنفيذ
ما فى الظهير ثم دفع لهم مالا مجموعا يفرقونه بينهم، فاجابوا كلهم بالتبرى،
من النصرانى ؛ واعلنوا أنهم عند امر السلطان ، ثم تكفل كل واحد منهم أن
يرد من عسى أن يدافع عن النصرانى من رعاى الناس ، ثم بعد ذلك استدعى
القائد ابن الطاهر النصرانى ، وجعل يلاطفه ويقول له باذن من نزلت هنا ؟
أعندك كتاب من سلطان البلاد ؟ فانك فتحت بهذه المتاجرة بابا لا يتفق مع
العهود بين الدول من أن المتاجرة لا تفتح بين دولة وأخرى الا باتفاق سابق ،
فلم يجد الانجليزى ما يجيب به ، وطلب من القائد أن يوجهه ثلاثة ايام ، وفى
الثالث عزم أن يهرب فى زورق الى سفينته التى لا تزال مرسية فى نحر
البحر هناك ، ولكن الحراسة كانت فى هذه الايام الثلاثة محدقة بالانجليزى
تراقب ما عسى أن يصنع ، ثم فى هذا اليوم الثالث بكر العلامة الجليل سيدى
الحسين بن عبد الله ، والفقيه سيدى على بن همو الى القائد محمد بن الطاهر
وطلبا منه أن يعجل بالقاء القبض على الانجليزى قبل أن تتم مؤامرة يحوكها
فى الخفاء الحبيب بن بيتروك الذى يعرف أنه اصل كل بلية هناك ، فكثيرا
ما يمد يده الى الاجانب على عكس أمر أخيه القائد دحمان الذى لا يتفك ينصح
للبلاد وللملك ، فان الحبيب هذا لما رأى أن الانجليزى محاصر من قبل هذا
القائد ، أخذ فى السر يستنهض الحمقى من اهل القبائل ، ويقول لهم :
انما هذا رزق مسوق اليكم . فاحرصوا على أن لا يفلت من ايديكم ، لئتمكن
بهذا الدس والخديعة من ابقاء النصرانى فى محله ، فصادف الحال أن رمحت
بفلة انسان الفقيه سيدى على بن همو فى ذلك اليوم فكسرت يده ، فقال
القائد محمد بن الطاهر : حسنا اننا معشر اولاد دليم نتفائل خيرا بالدم ،
فقوموا واسرجوا ، فاعتقلوا الانجليزى ونصرانيا آخر كان معه مع الترجمان ،
بعد ما كادوا يفلتون الى سفينتهم ، وقد قاربوا أن يضعوا ارجلهم فى القارب
ليحملهم اليها : فلهبت بهم خيل تغذ بهم الى دار القائد الحسن بن عليّات ،
وبقيت خيل أخرى أكثر من تلك فى المحل الذى اعتقلوا فيه ، حتى وصل
الداهبون الى دار القائد الحسن ، والقائد محمد بن الطاهر فى الخيل المتاخرة
يسال هل وصلوا اولا ، فلما عرف أنهم وصلوا ألقع من هناك فتبعهم .

فى وشك الاسترقاتى ثالثا

قال : المترجم : كنا نزلنا مع القائد بنوهيا فى (مستنى) فى هذا الوقت،
فامرنى القائد ذات ليلة أن اذهب مع رجل لآتى من عنده بملح ، فهجس

في نفسي ما كان ، ومن الهواجس ما يصدق ، وتوقعت اني مبيع له : ثم اصخت باذني فاذا بالفائد يقول للرجل سرا ، رد اليه بالك فانه (حرامي) لتلا يقلت منك ايضا ، فانه دخال حراج كالزئبق لا يكاد يقبض عليه ، فادركت صدق ما هجس في نفسي ، فافلت منه عموما فالتجأت الى محل الشريف مولاي الكبير ليلا ، فطلبت من صاحبه ملافاته ، فاعتذر بانه الآن نائم : فحكيت له انني مظلوم وانني حر وان ظلمة باعوني ظلما، فهربت ملتجئا الى حرم الشريف فلم يجد بدا من أن يأمرني بالاختفاء تحت برادع (اكف) فقال الشريف امام خيانه ، فهناك اختبأت الى الصباح ، فلما استيقظ الشريف سلمت عليه وقصصت عليه الخبر .

عند القائد محمد بن الطاهر

قال: فارسلني الشريف الى القائد محمد بن الطاهر الدليمي ، اذ لا يقدر هو ان يقع بينه وبين القائد بوهيا شننان من اجل ، فصادف ذلك ان ورد الى (مستى) الر اعقال الانجليزي، ففرقت حينئذ تلك القبائل التي كانت تجمعت وقد قضى الله غرض الحكومة فبت مع القائد ابن الطاهر الليلة الاولى معه (بياد) هوساكتنا ومن هناك خرجنا معه ، فاردفني احد اصحابه على بقله ، فرأسي على ابن الرايس الاخصاصي المتقدم الذكر . ، فأجرى فرسه حتى حاذاني وأنا لا ألقى اليه بالا ، فاخطفني وكان قويا ، فجعلني وراء قربوس فرسه الذي يجري اطلاقا بملء فروجه ، فلما أهمن في الجرى وقد أمن من جهتي ، تسللت انسا أيضا بدوري من ورائه . والفرس لا يزال في غلواء انطلاقه ، فسلمني الله في تلك السقطة. فقامت سالما . فجريت حتى ابتعدت ، فجعلت أمشي متتبعا اثر القائد ابن الطاهر ، فجاء اصحاب القائد بوهيا يطلبونني منه ، فقام القائد في اصحابي الاخصاصيين - وأنا اشاتهم - يخاصمهم على حرصهم على بيعي ، مع انني حر ، فایسوا مني من ذلك اليوم ، فبتنا مع القائد ابن الطاهر في دار القائد بوغزي السريفي البخاري . وقد كان السلطان تركه هناك عام 1299 هـ اعانة دائمة للقائد ابراهيم بن سعيد . ومعه من الجند ثمانون ، كان مرابطا في المحل المسمى (بنو تاكمارين) ازاء دار القائد ابراهيم بن سعيد ، ومن هناك الى (بنو نعمان) ثم الى (تيزنيت) ومعهم التاجر الانجليزي واصحابه معتقلين ثم الى قرية (أقانسو) في (ماسة) عند شريف يسمى مولاي اسماعيل . وقد تولى القيادة عام 1299 هـ ، ثم الى القائد ابراهيم الدليمي في قرية (تي القائد) فمكثنا عنده اربعة ايام ، ولعبت الخيل امام القائد ابن الطاهر، فرحابه، وقد وجدنا عنده حماما في طبقة عليا في الدار ، فاستنجم فيه ابن الطاهر، ثم الى (انتركان) في (كسيسة) عند القائد الحاج احمد الكسيمي ، وكان النزول في الفساطيط خارج القرية ، ومع ابن الطاهر نحو ثلاثين فرسانا. وكلهم

سجعمان ، ومعنا القائد الحسن بن عليّات ورؤساء قبيلة إصنبوتيا ، والفاضى سيدى الحسين ، وكانت الغاية أن يصلوا الى السلطان ليكرمهم على تنفيذ اوامره ، فجاى الحاج احمد الى ابن الطاهر ولامه على نزوه فى الساسيط ، وعدم دخوله الى الدار ، ثم تلقاه بكل تكرمه ، ولعبت الخيل فرحابه : ثم لما استقر المجلس بين القاندين استخرج ابن الطاهر رسالة ملكية جاء فيها أن يسلم الانجليزى ومن معه الى القائد الحاج احمد الكسىمى ان يوصل اليه . فقال له هذا هو الناجر الانجليزى أضعه الآن فى يدك ، فتوصل به الحاج أحمد وذهب به الى (السويرة) ، ثم انتقلنا من هناك الى (ماسكينة) عند القائد موماد قائدها ، وهناك التقينا بمحلة مخزنية هى الاولى من نوعها - الادالة - جاءت حامسة لترابط فى آيت بمران ، بعد التى ذكرنا انها مع القائد أبى عزرة السرىفى البخارى ، وفى هذه المحلة (الحملة العسكرية) القائد العربى بن حمو البخارى ، ومعه جنده من عبيد البخارى ، والقائد الحسن الثكنانى ومعه جنده ، وهذان من قواد الارحاه . ومعهما القائد القرشى النورىكى ، والقائد الحسن السكسىوى : والقائد المحجوب الكتولى ، ومع هؤلاء خيل ورجل من قبائلهم ممن ليسوا من الجند النظامى ، فذهب الجميع الى أن نزلوا فى (خميس آيت بوبكر) بايت باعمران ، وذلك قبل أن تبنى القصبه فى (آيت إخلف) إذ لم تبين الا بعد عام 1303 هـ ، اثر السفارة الثانية لمولاي الحسن ، فقد اشترى المخزن مكانها فبنيت فيه بأمر السلطان .

قال : ثم ذهبنا فى طريق (أمسنكروض) فبتنا فى زاوية سيدى عبد الله بن عمر ، ثم فى (تاركانتة نايت منوسى) عند الشيخ امروش ، وقد كان المتوكى المتولى اذ ذاك هو القائد مسعود ، فكانت هذه الناحية كلها من ايلاته ، ثم فى (ايمينتاتوت) ثم فى (مزوصة) ثم فى (وادى نفيس) ثم دخلنا (مراكش) فهناك ذهب الشريف مولاي الكبير وابن الطاهر بأهل إصنبوتيا الى السلطان فأكرمهم واحتفل بهم ، فقد ألبسهم ووجهلهم على الخيل بسروج جديدة ، كما اعطاهم مالا ، فرجعوا شاكرين .

اقول : تلك هى سياسة السلطان المولى الحسن رحمه الله ، فأنت ترى هذه القبيلة التى خرقت سجاج الحكومة فثاوت اليها اجنبيا من جنسية متوئبة للاستعمار تحسبه تاجرا ، ولم تدرك ماذا يختبئ وراءه من الاعيب السياسة ، ثم انحلت العقدة من اصلها احسن حل . بيد أمثال القائد محمد بن الطاهر اللدق اللطيف ، ثم اغدقت الحكومة على هؤلاء ما اغدقت مما أنساهم العصيان ، وحل لهم الطاعة ، فهل نعتبر نحن بهذه السياسة فى عهد استقلالنا الجديد الذى ما يزال فى حاجة الى التدعيم والتثبيت لتندرك كيف توكل الكتف؟ فان مشاكل عهدنا هذا اعظم من مشاكل عهد المولى الحسن قدس الله روحه ، ونحن الآن أحوج الى السياسة والمسماحة أكثر مما يحتاج اليهما من كانوا يعيشون فى

ذلك العهد ، اكتب هذا في 25 نونبر 1958 م . وانا ارى ما ارى من الريف وغيره .

فى مراکش

كانت دار القائد محمد بن الطاهر فى درب بعرضة أو زوال بباب دكالة ، فكان مترجما مسخرا عنده ، يزاول الاوانى بين يديه وخصوصا اوانى الاتى ، يجلوها ويهيوها على العادة ، ولم يبق هناك القائد ابن الطاهر الا سنة أشهر ثم خرجوا .

فى مرافقة السلطان

تهدياً مولاي الحسن الى سفر فى الغرب ، فصاحبه القائد ابن الطاهر وفى صحبته صاحبنا ، فلما وصل السلطان الى (قصبة آيت الربيع) بتادلة أرسل ابن الطاهر الى آيت ويثرا ليتوصل من هناك بمال للدولة ، فصار يدور على القبائل قبيلة ينزلون عليها على العادة من أن من ينزل على مغرم مخزنى يكون له أيضا حظ يسمى المبيطة . يكتب له بقدرها فى رسالة الاستغرام ، قال : وكان من جملة الضيافة عند هؤلاء أن يذبح لكل فرس شاة ، قال : فبقينا هناك 44 يوما ، فلما اتمنا جمع المغارم رجعنا من عندهم فاذا بهم تبعونا بالبارود بمجرد ما أخلينا بلادهم من قواتنا ، فرجعنا الى (قصبة آيت الربيع) حيث لا يزال السلطان نازلا ، ثم نهض بنا الى (وادى كرو) حيث نزل بنا أيضا 45 يوما ، وهناك وقعت واقعة ينبغي أن تسجل . قال : بينما القائد ابن الطاهر نائم فى القسطاط قائلة يوم ، وانا اشتغل بتهىء الصينية (طبق الاتى) بالكؤوس والبراد وأغلى الماء ، اذا بثلاثة فرسان على اقدمهم سمة العزة ، على فرسه سرج ممتاز براق ، فوقفوا على . وسألونى عن القائد ، وقالوا اننا نريد أن نتلقى به ولا بد ، فادخلتهم فسطاطا على حدة ، ثم ولجت على القائد فى مضجعه ، فأيقظته . فاستيقظ غضبان يقول : او لا اجد راحة منكم ؟ فقلت له ان ها هنا من يتطلب لقياك بكل الحاح ، وبينت له أن هؤلاء بلا ريب من علية الناس ، فخرج اليهم مجردا ، فاذا بالفرسان هم القائد محمد بن حمو الزياتانى وصاحب له ، جاء بهما احد اصحاب القائد ابن الطاهر . وكان فى زياتن فى جيش كان مبعوثا كحامية مخزنية هناك ؛ فطلب منه القائد محمد بن حمو أن يصحبه الى القائد محمد بن الطاهر . ليراه اولاً . لثقت به ، ولذلك فبمجرد ما رآه القائد محمد بن الطاهر بادره قائلا: أنت هذا يا فلان ؟ فقال له نعم . ومعنى القائد محمد بن حمو ، فتلقى ابن الطاهر ذلك بدهش كبير ، ثم امره بادخال القائد محمد بن حمو وصاحبه بسرعة ، وتلقى القائد محمد بن حمو بكل اجلال ، فقدمت اليهم الصينية والحلويات

في الحين ، فاذا بانسان معروف بأنه يتجنس للسلطان يسمى القائد سالما
عشعاش ، وكان ازل من اعتنى بلبس الجباب المخططة بين رجال المخزن ، وكان
المعروف في لباسهم هو البياض ، وكان يتكرر في تلك الجباب لثلا يتنبه له من
لم يكن يعرفه من قبل ، وقد رأى الفرسان داخلين . فدخل عليهم القساط
وسأل عنهم ، فلما علم من هم اعتراه دهش ، كما كان اعترى القائد ابن الطاهر
من قنوم محمد بن حمو بنفسه ، اذ كان المظنون بهذا القائد الزياتاني الطائر
الصيت ان لا يقدم على التذوم على السلطان بعد ان تباعد عنه كثيرا . ثم أسرع
القائد سالم عشعاش الى السلطان ، وكان لا يمنع من الدخول عليه ، فتوصل
اليه الخبير فارس السلطان في الحين يأمر القائد بن الطاهر ان يتبها ، وأن
يصحب معه الفرسان اليه ، وقد جلس لهم السلطان مجلسا خاصا ، قال الحامي :
فلما اذصلهم القائد ابن الطاهر الى السلطان نعى عنهم ، فاختلى السلطان
بالقائد محمد بن حمو ، وقد اعتنى به ، واجلسه مجلس القريين ؛ فقالا ما قالا
ثم خرج في الحين ، نوجدنا فدعيانا الطعام باستعجال من الدجاج واللحوم ،
فاذا به سائر في الحين ، ولم يطعم شيئا ، وكانت نقطة الاستغراب والسرور
في هذه القضية ان السلطان كان يتوجس سرا من جميع البرابر منذ قضية
مولاي سرور الذي فتك به هؤلاء ، ولذلك كان يظن ان محمد بن حمو لن يقدم
عليه ، ولذلك فرح به لما جاءه اليوم مستسلما .

وقد استتبعت هذه القضية واقعة اخرى مما يجرى مثله كثيرا اذ ذاك في
البلطات الملكية ، فيذهب المفندرون والمخلصون ضحية له ، وذلك ان القائد
ابن الطاهر لما ساقته له الاقدار ان يكون دخول القائد محمد بن حمو لدى
السلطان على يده ، غار منه الوزراء والحجاب ، فقد ثارت نائرة ولدى الجامعي
والحاجب احمد بن موسى وقائد المشور ابن العلام ، ولاموا كلهم القائد ابن
الطاهر على كونه لم يعلهم قبل الملاقاة . ولم يحك لهم ما وقع ، فاسروها في
نفوسهم ، وجعلوا يتحينون له فرصة يبعونه فيها عن السلطان ، ولذلك
اقترحوا ان يكون هو الذي يبعث لاطفاء نائرة اناس يقطعون الطريق في
(عكراش) بين مدينة الرباط و قبيلة زعيتر ، فذهب الى تلك الناحية
باصحابه ، ومن جملتهم المترجم ، وذلك بعد ان اوقع السلطان باهل (قلعة السماعلة)
وقد حضرها المترجم مع القائد ابن الطاهر ، فذكر ان السلطان ظن ثابتا وحده
في الواقعة بعد ان هرب الوزراء ، وقد وقعت الواقعة في النجد اولا ، اذ خرج
اليهم من في القلعة بعد ما استداروا بها ، فهلك من الفريقين كثير ، وكان
بين على أمنهاوش وبين من هنا جبل متصل ، ثم صار السلطان يتبعهم في
زعير وفي الجبال ازاء زعير بدلالة شرفاء يعرفون بالباركيين ، فافتنص منهم
ما تيسر اقتناصه ، وهنا فارق ابن الطاهر ومن معه السلطان في ملتجح
رمضان ، فذهبوا الى (عكراش) حيث قضيت المهمة ، ثم اتصلوا به في

الحاجب ، ثم عيّنوا معه فى مكناس ، وهناك أرسل السلطان اهل الحوزة الى بلادهم ، فرجع عنه القائد ابن الطاهر بينهم ، لانه حوزى وقائد رسمى على اولاد دليم ، ومن عادة الحكومة اذ ذاك ان لا يغادر القواد قبائلهم كثيرا .

صاحبنا فى آيت بعمران

قال : ظلت تلك الغضبة الماضية تحز فى نفوس الوزراء ومن اليهم ، حتى اوعزوا الى السلطان ان يذهب ابن الطاهر وجنده كحامية (اداة) فى آيت بعمران ، فذهب معه صاحبنا ؛ ثم اتصل بهم السلطان حين زار سوس للمرة الثانية عام 1303 هـ . فكان هناك هو ومحمد بن القرشى الوردى الذى خلف ابيه بعد ما مات هناك . وكان القرشى هذا اول من مات هناك من القواد ، ثم مات بعده القائد الحسن السكسوى ، ثم القائد محمد ابن الطاهر صاحب المترجم ، وقد توفى نحو عام 1308 هـ . ثم القائد ابراهيم الشركى ، ثم القائد العربى بن حمو البخارى ، ماتوا كلهم قبل موت مولاى الحسن الذى كان فى مختتم عام 1311 هـ . الا ما كان من القائد العربى فانه ما مات الا بعد عام 1311 هـ . وقد خلف القائد محمد بن الطاهر اخوه يحيى فى قيادته وفى مكانه هناك ، بعد موته .

فى التجارة

اراد صاحبنا ان يبدل حياته بعد موت القائد محمد بن الطاهر ، فاخذ يتجر فى العطرية ، فذهب عطارا الى تسوق موسم المولود فى (آسا) فربح فى تجارته ربعا نشطه للمضى الى الامام ، فصار يتعاطى التجارة الى ان ذهب فيها الى (شنكيط) متهيئا بالزى الصحراوى ، وقد اطلق شعره . وجرر ذبوله . وتبختر فى (الفراويل) السوداء المفتوحة الجانبين من الكتف الى العقب ، ثم رجع من هناك بجمال ، فوافق مرجعه عيد الاضحى عام 1311 هـ . فاجتهد ان يصل القائد يحيى بن الطاهر صبيحة العيد ليصلى معه حيث كان نازلا مع القواد فى القلعة المخزنية هناك ، فوجدهم قد صلوا ، فاذا بخير موت السلطان مولاى الحسن قد ورد ، واول من اتى به انسان يسمى عيسى الزفاسى يسكن فى (آسرنر) وكان يكاتب تاجرا اجنيا فى السويرة ، فوصل ذلك الى الحكومة ، فامرت الناس فى بلده ان يكفوه لثلا يعيد قصة ذلك (التاجر) الانجليزى ثانيا ، فقام اليه الناس فحاصروه ، فافلت من بينهم . فذهب ليتصل بالسلطان ليعتذر اليه ، فالتقى بخير وفاته فى (ايمينتانوت) فرجع بسرعة بذلك ، فقامت قيامة القواد ، فعمد محمد بن القرشى الى متاعه يرحله الى صهره ابن بومهدى الهوارى ، واما القائد يحيى فقد بقى فى مكانه غير خائف من احد ، قال كنت لما رايت الناس يتورون على قوادهم قلت له : انك

لست كهؤلاء. القواد ، فلم تاخذ بفرما من احد ، وانت صاحب السلطان :
والناس لا يقاومون السلطان وانما يقاومون قواده الذين انتهبوا اموالهم قال :
فاتبعنى قبلى فى مكانه . فلم يهجه أحد ، ثم وصل الخبر الى سوس بقيام
القواد فى الحوز ضد القواد اجمعين ، فذهب المترجم مع بعض اعوان القائد
يحيا الى قبيلة اولاد دليم بالحوز ليدافعوا عن اهلهم الشراذمة ، وقد اصبح
القائد الناجم منذ اتصاله بالدليميين شراديا يجرى فى مجارى رياحهم ، فلم
يعرف بعد الا بالنسبة اليهم ، قال : فكانت الحرب مسترسلة بيننا وبين
الرحامنة ، لان قبائل الكيش (تصحيف كلمة الجيش) حكومية ، والرحامنة
وامثالهم ثائرون على الحكومة ، حتى اجتمعت كل القبائل على (اولاد دليم)
فذهمت الى خيامهم ليلا ، فقتلوا من قتلوا ، ثم فر الباقون من المدهمين : قال :
فلما بوادى (تانسيفت) تزداد دياحه فصرنا نقطع النساء والجرحى ، فلما
عبرنا ولم نكد ، خلصنا الى بسيط (المنارة) بمراكش ، وفيها الباشا عبالس
ابن داود ، وفى (القصبه) الباشا ويده ، فقتلوا لنا الكتان للباس : كما
اعطونا ما نجعل منه الفساطيط للسكنى ، وصاروا يدفعون لنا الخبز والزيت
ليتقوت بهما الراحلون الجالون عن ديارهم ، فصار كل من لا دار له يسكن فى
الفساطيط ما بين دار البارود الى (سيدى ميمون) حوالى (الكتبية) فجاءت
الرحامنة بقضها رضىها ، فاستدارت بمراكش وقد قرب عيد الاضحى عام
1312 هـ . ولم يبق له الا نحو اسبوع ، فصاروا ينادون اهل مراكش ويصيحونهم
بانهم سيقون محاصرين ولن يدفع عن صبي لا يزال يرضع اصابعه ، يعنون مولاي عبد
العزيز ، قال : وكان المتولى القائد عبد الملك قد هرب من البروج الر وفلة
السلطان هو وعبالس بن داود هذا الذى هو باشا مراكش الآن ، فقام المتوكى
الى محاربة جيرانه من القواد ، فهدم دار القائد سعيد الشياظمى ، ودار القائد
مولاي عبد الله السباعى ، ودار احمد بن مبارك الحاحى ، ثم جاء بجيشه الى
مراكش لتقوية المحصورين فيها ، فنزل بداره وجعل يحارب الرحامنة ، قال :
وقبل يوم العيد بثلاثة ايام ، خرجنا الى الرحامنة ، فواتنا الفرصة فيهم
لهزمناهم هزيمة منكرة تبججتنا بها ديارهم واستبجنا اموالهم ، فغنمنا منهم
كثيرا من الغنم والبهائم ، حتى بيعت عندنا بادنى رخص فى المدينة ، فتنلسنا
من تضييقهم بنا ، فصارت القبائل ترد علينا وتنضم الى جانبنا ، وتقدم
(التمركييات) اى الذبائح التى تقطع عراقيبها (وهى عبارة عن
تقديم هدايا الاستسلام ، وتكون عادة بقرا او جمالا يلذبحها المستسلمون امام
الغالبين) .

قال : كان السلطان مولاي الحسن بعد ما رجع من تافيلالت قد اعتقل ابنه
مولاي محمد وكتبه وجعله فى قصبه مراكش ، وقد كان ظهر منه ما استوجب ذلك

ثم عزله عن ولاية العهد ، ورشح لها ولده المدلل مولاي عبد العزيز ، فقدمه في جيش اهامه الى الرباط ، ثم خرج بعده ، فما وصل تادلة حتى مات في البروج ، فبايعه هناك احمد بن موسى ومن لف لفه ، فنزل معه في الرباط ؛ وقد كان سبق اليها قبل وفاة ابيه . قال : بقي احمد مع السلطان في الرباط لا يدري اين يتوجه ، فبعث الى الباشا حمو بمكناس يطلب منه ان يحتال في حل العقدة ، وقد كان هذا الباشا حمو ارسل بعد وفاة المولى الحسن نالي رؤساء البربر على اختلاف قبائلهم . بقصد اخذ الامان لنفسه وليستولى للحكومة ، فنزلوا عليه ما شاء الله ، وهو يدبر عليهم الاكرامات ويخلع عليهم الخلل ويرتجهم على الخيل ، ثم قال لهم اريد منكم عقد الاخوة بيني وبينكم ، فتعاطوا العمانم على ذلك ، وذلك علامة التحالف عند البربر ثم ودعهم على ان يحضروا عنده متى توقف عليهم ، وقد كان اولاد الجامعي محمد الصغير العلاف ، والمقصود بالعلاف وزير العسكر والنقبات على الجند اى ما يقرب مما يسمى اليوم بوزير الحربية - والحاج المعطى الذى هو الوزير الاكبر ، او ما يسمى اليوم بالصدر او رئيس الحكومة ، قد وقعت منهما مؤامرة على احمد بن موسى والسلطان دولاى عبد العزيز ، وذلك انهما امرا بعض فواد العسكر ان يفتكوا بهما عند صلاة الجمعة ، فذهب القائد عبد السلام بن الراضى الحسناوى ، وكان من دخل في المؤامرة ، ليلا الى دار احمد بن موسى ، فطلب منه ملاقاته ؛ فوجد عبدا يسمى بنا الساهل من اخصاء عبيده ، فاعتذر له عن الملاقاة بان سيده نانم ، فالح عليه في ذلك الحاحا ، فتحايل العبد بمساعدة الجوارى حتى اوقف احمد بن موسى ، فانضى اليه بالمؤامرة ، وبأ نولدي الجامعي قد دفعا مالا لفلان وفلان ولى انا نفسى لفتك بك وبالسُلطان عند صلاة الجمعة ، فجزاه خيرا وصرفه ، فخرج احمد في الخين ، لان الليلة ليلة الجمعة ؛ فوصل دار المخزن ، (ايدظ من ايدظ ؛ وبعث الى كل القواد العسكريين ومن بينهم القواد النصارون ، فامرهم عن اذن السلطان ان يردعوا مطالبهم كلها في الخين ، والمطالب هي ما يتوقفون عليه هم وجندهم من خيل وبغال وسلاح وفساطيط ، لانهم سيذهبون في مامورية مخزنية الآن ، فطلب كل واحد ما شاء ، ثم زاد هو من عنده مالا فرقه عليهم جميعا كعطية ، ثم بعث الى الشريف مولاي بوبكر من بنى عمومة السلطان ، وهو الذى كان السلطان دائما يرسله ليذبح على اضرحة الصالحين ، فعينه شريف المحلة (والعادة ان يكون مع الرئيس المسئول في كل جيش ابير من امراء العائلة الملكية . او شريف آخر من غيرها) والى القائد محمد بن بنوشستا بن البغدادى المشهور رئيسا للمحلة فامر الكل عن اذن السلطان ان يخرجوا في الجيش الى (بتقوية) في الريف . لانهم كانوا يعتقدون على الناس هناك حتى ثارت بهم زوبعة بين المغرب واسبانيا ثم امر ان يخرج الجميع في الليلة ، وان يقطعوا قبل طلوع الفجر وادى ابي

رقرق ، وأن يسافروا من الضفة الأخرى قبل الاسفار ، ثم بعث الى الباشا
حمو ليستعمل حيلته في اخراجه مع السلطان ومعهم الى مكناس ، فاستقدم
الباشا اصحابه البربر ، فرح بهم ، ثم أعلم أحمد بن موسى ليتيها ، ثم صاحبهم
الى الرباط ، فنزلوا على الحكومة بكل اكرام ، فأخضت عليهم الخيرات ثم بعد
اسباع سافر السلطان الى (مكناس) فوصل سالما في خلافة البربر ، وهناك
ودعهم .

ثم لما عزم أحمد بن موسى على اعتقال ولدى الجامعي بعد عزلهما عن
الوزارات ، أمر الباشا حمو بذلك فدهمهما هذا ليلا . وهما لا يزالان في الفراش ،
فقيدا وحملتا الى (تطوان) مسجونين .

قال : ثم بعد حين دخل السلطان الى (فاس) فكان أول ما فعله أحمد بن
موسى ان اعتقل المهدي المنابي ، ومحمد أنقلوس الحاحي ، والجيلانسي
الزهروني الذي صار بعد ذلك الثائر أبا حمارة ، وكثيرا من عبيد الشريف
مولاي عمر ، والسبب في ذلك ان مولاي عمر هذا كان له حرص على ان يتولى
بعد ابيه مولاي الحسن . وكان عالما هفترا معتزا بنفسه ، فلما بوع مولاي عبد
العزیز ، وطلع أهل فاس بالوفد ، ومعهم النساء يتبعن الوفد مزغردات على
العادة ، لينهوا الى الخليفة السلطاني الفرح بالسلطان الجديد ، غضب مولاي
عمر في نفسه حين لم يعين هو سلطانا فأمر اصحابه وعبيده ان يحملوا على
الوفد بالضرب والتكيل ، فقابلوه بالهراوى والاحجار ، ولذلك جازاهم أحمد
ابن موسى بما فعلوا الجزاء الاوفى ، وذن بين الفاعلين لذلك من تقدم اعتقالهم ،
وأما مولاي عمر فقد ضاق به الحال حتى مات وشيكا .

في قيادة الجند

كان لترجمنا هذا في المعارك التي دارت حول مراکش جولات عظيمة مذكورة
تعجب منها الحاضرون ، وتعجب منها الساعدون ، حتى لا يسمع الا أن
بوشنتوف (أى صاحب الوفرة) هو الرجل العظيم الشجاع الذى لا يهاب
الموت ، وقد كان شعر راس صاحبنا لا يزال موفورا كشعور الصحراويين
المرسلة ، فكانت تلك المعارك وما حواليا من دعايات له رؤسائه مما أظفار
سمعته في الشجاعة وحسن الاخلاق ، وقد أعجب به الباشا عباس بن
داود ، والباشا ويبة باشا قصبه مراکش ، وهما رئيساه اذ ذاك ؛ ولذلك ما
كادت هذه الحرب تهدأ حتى تنادى الباشوان وأمثالهما بان الناجم يجب ان لا
يفرط فيه ، ولا بد ان يتولى على جند يقوده بشجاعة ، ومن امثال العامة
الماثورة أن مائة جعل تقودها عقرب كلها عقارب ، وان مائة عقرب يقودها جعل
كلها جعلان ، ولمضرب هذا المثل قال هذان الباشوان ما قالوا لما اعلنا ان مثل
هذا لا ينبغي ان يخرج من المخزن ، وان مثله من يقود الناس في المعارك ،
ثم اظهرت الايام ان القائد الناجم أقدر رجل على قيادة الناس في المصارك

قال : فطلبوا منى أن أكون قائد رضى أى فيلق ، فاييت وهدمت رجلا آخر
يسمى القائد محمداً مؤبداً ، وأكون أنا رديفاً له ، ثم صرنا اولاً نجمع
طابورا يبلغ نحو خمسمائة ، ثم بعد ذلك صرت أنا القائد .

فى ملاقاتة السلطان

قال : ثم بلغنا اعلام برسول خاص (هو عبد من عبيد السلطان يسمى
القائد بلخير الحمري قائد العبيد) ، أن يخرج كل القواد أمثال ، كالقائد
عمر المراكشى والقائد ولد الحاج المعطى التادلاوى ، والقائد عبيد اليمورى ،
والقائد الحسن اليمورى ، والقائد أحمد المجاطى ، والقائد المحجوب المطاعى ؛
والقائد الحاج على البعهرانى ، والقائد الحاج أحمد الزنكى الهنتيفى ، والقائد
أحمد بن كَبُور الزمرانى ، والقائد خليفة الزمرانى ، وكلهم قواد ارحاء ؛ وقد
اعلموا بأن يتلقوا السلطان القادم فى مشرع الشعير، لكن لم يكن الجند كله
مسلحاً عند هؤلاء القواد ، الا جندى أنا فانه مسلح التسليح التام ، وماذلك
الا لان الثقة فى وفى جندى تاماً ، بخلاف غيرنا من جنود القبائل لانهم يخلون
السلاح ويفرون الى قبائلهم به .

قال : ثم خرجنا كلنا فتلاقينا مع السلطان هناك، وقد قطعنا بلاد الرحامنة
التي كنا وطانها وعيدنا بغنمها بدل الكلاب والهررة التي توعدنا اهلها
بالتعبيد بها فى العيد الذى تقدم ذكره . فبتنا مع السلطان وراء مشرع
الشعير فى الشاوية ، ثم امرنا أن نسير امام المحلة (الجيش) فعبرنا وادى
ام الربيع قبلها . وقد كان عبد الحميد قائد الرحامنة مع السلطان فى فاس ،
ثم جاء معه الآن ، ثم امرت الرحامنة أن يعطوا المهونين اولاً ، فياتى الفارس
فيؤخذ فرسه وسلاحه الى مخزن السلاح ، ثم يذهب به هو الى السلسلة ،
حتى وصلوا منات ، وكان الذى يرأس هذه الفتنة الرحمانية الطاهر بن سليمان
ملتجئاً الى مشهد سيدى على بن ابراهيم بتادلة، فحجى به هو فى الامان تحت غطاء
السيد، ثم اعتقل وجعل فى القفص على جمل اعرج ليطوفوا به ، قال : وكنت
وقفت امام الجمل ، فلم يكذب حتى جاءت الاحجار من كل جهة ، وقد كان
سيفى فى يدي فضربت به راس الجمل فبرك ، فقال قائل ان الناجم هو اول
من رمى الجمل بالحجر ، وقد كان الوزير انكر ان يكون الجمل قد ضرب
بالحجارة ، فوقفت أنا مكاني ، وبعد ساعة جاء من قال لى ان نحو عشرين
عونا يبحثون عنك عند مفسكر اصحابك ، وقد اتهمت بكدا وكدا ، فلويت
راسى تحت ذيل ثوبى فانخست ازاء المعسكر الى العشى ، فذهبت الى اصحابى
وقد انطفت الجلود ، ونسى ذلك ، وكان الذى يعين الطاهر بن سليمان دحان
الصنهاجى ، وحموشا من منات وقد هرب الثانى ، واما الاول وهو دحان
الصنهاجى فقد اعتقل وطيف به فى المحلة ، ثم مات فى الحين فوق حمار

بالحجر الذى يرمى به ، ثم فرقت فيالق الجيش ثمانية على اطراف كل قبيلة الرحامنة ، قال : فذهبت انا والقائد عبد السلام بن الراضى ، والقائد ابن الفكاح ، والقائد صالح الزمرانى ، والقائد خليفة المطامى ، نحن خمستنا بجنودنا زادنا الوزير على الحاج ابن عيسى ولد الباشا حمو ، الذى معه القائد ولد الصولى ، والقائد العربى الزهرانى ، والقائد عبد السلام بن الشكراء ؛ والكل مرابط على راس العين فى بلد البرابيش ، والفرق السبع الاخرى نزلت كل واحدة منها فى محل عين لها ، وهكذا اديرت الجيوش بكل ارض الرحامنة ، وفى يوم هين زحمت هذه الجيوش من كل ناحية ، فالتهمت كل ما فى الرحامنة ، فقتل من قتل ، واسر من اسر ؛ ونهب ما نهب . حتى تلاقت فى وسطها ، فثابت بثالاف من المسجونين فى السلاسل ، فيصبح الاموات فيها كل يوم ، وقد كانت تجر بالجيوش نحو مراكش ، فلا تسال عما وقع اذ ذاك للرحامنة ، قال : ثم من وسط الرحامنة الى (زاوية ابن ساسى) وقد انهمرت الامطار ، فبقينا حتى دخلت سلاسل المساجين الى (مراكش) وقد رايت سلاسل نصف من فيها اموات يجرحهم من لا يزالون احياء ، ثم فى مراكش يعزل الاموات فيدفنون ، ويذهب بالاحياء الى الدفن فى السجون ، ثم دخل السلطان الى مراكش فى عهد شديد الامطار ، حتى اننا قبل ان نقلع من زاوية ابن ساسى لا نجد ضربا لاولاد الاخبية ما لم نصادف سدا تاصلت جلوره .

فى الجيش الى سوس

رايت ما صنعه الباشا حمو فى تأييد احمد بن موسى فى سياسته ، وانه هو الذى اجاره من الرباط الى مكناس ، وانه هو الذى تولى اعتقال اعدائه الجامعيين ، ولكنه جزاه جزاء سنمار ، ففعل به كما يقال فى المثل العامى : ان طلعت بسلم فاكسره لئلا يطلع اليك به غيرك ، فقد راي قوته وحنكته وحسن حيلته ، فزعزعه من مكناس . وارسله كالمغنى الى تارودانت ، فى جيش فيه الشريف مولاي عثمان بن محمد بن عبد الرحمان ، ومعه محمد بن سليمان (والد سفيرنا فى العراق الآن السيد الفاطمى بن محمد بن سليمان) قال : فاعلمتنى الحكومة ان اتها بجندي لاذهب معه ، انا والقائد عبد السلام ابن الراضى ، والقائد البشير بن السنح الشركى ، والقائد صالح الزمرانى ؛ والقائد مولاي عمر المراكشى ، والقائد ولد الحاج المعطى التادلاوى ، قال : خرجنا معه من مراكش ، فنزلنا فى (مزوضة) ثم فى (ايمنتانوت) ثم فى (اركانة ايت منوسى) ثم فى (امنسكروض) ثم فى (اكافاي) ثم الى (اثنين اولاد تينمة) فى هواة ، ثم فى (دار هاشم) القريبة ، وكان الوقت وقت مسغبة شديدة ، قال سرق فرسان من امام قسقاط الشريف مولاي عثمان ، وكان السارقون من جندي انا ، فباعوهما فى هشتوكمة ، ثم استدعانى

الباشا حمو يوما فسألني من السارقون فقلت له انهم من جند السلطان فقال وهم تحت يد من ؟ فقلت انهم تحت يد من وضعهم السلطان في يده ، فقال : لا بد ان يلقوا في السلسلة ، حتى ياتي قواد مناتهم ، فلم اجد له لسان ؛ فقلت له ان المجرمين قبضوا عندك ولا يمكن ان تزر وازرة وزر اخرى، فكنت كلما اراه يقول لي ان اصحابك لا يطلقون البنته حتى يحضر قواد مناتهم ، فاقول له لا والله لا اعمد الى اناس براء في ايديهم سلاح الحكومة فاجعلهم في سجن يضيعون فيه فتضيع امانة الحكومة من السلاح في ايديهم ، قال : وكان الباشا حمو لا يتم تمييزه احيانا، وقد عرفت منه ذلك في اول اتصالى به ، ثم ابتدأت المهاجمة ضد الجيش من جهة هشتوكة ، فاغار بعضهم على خيل لنا في (ادميمه) ثم تابعت المهاجمات فثارت هواره ، فقامت في اثر الخيل التي اغبر عليها فركبت في اصحابي فرددناها ، فلرح الباشا حمو بفلعتى وخرج الى في ردا ، ابيض بزوى يتلقانى ويهنئنى على ذلك، فاقترحت عليه اطلاق سراح اصحابي فاطلقهم ، وقد كان المهدي المتوكي خليفة القائد المتوكي نازلا بجيشه فسي (تاركانت تايئت موسى) فاتي اليوم فصادف هذه المداعسة امامه، وقد نوى ان يصالح بين الباشا حمو وبين خصومه ، قال المترجم : فسمعته يقول وقد رأى الرصاص يندلع : آتينا لنخيط دربلة هؤلاء ، فاذا بهم يزيمونها تمزيقا . ثم بلغنا ان هشتوكة وهواره قد جاشوا علينا متوافقين ، فباتوا فرقا فرقا في القرى حوالينا ، فارسل الى الباشا حمو قائلا : الآن نريدك ، فلكل ميدانه وهذا ميدانك انت ، فقلت لست انا وحدي هنا ، فقال عندنا كثيرون . ولكنك انت انت في المعامع ، فقلت له على شرط ان تامر كل القواد ان ياتي كل واحد منهم باربعين من اصحابه ، من اهل الفر والكر - هذه عبارته - وان ياتي اصحاب الابواق والطبول كلهم معنا ، فلما اجتمعوا تقدمتهم الى القرى التي فيها المتربصون بنا ، فلما توسطناها وسط الليل والناس غارقون في نومهم امرت اصحاب الطبول والابواق . فنفخوا وضربوا نفخة وضربة ممتزجتين ، فاهتزت الارض والقرى بمن فيها ، فانزعج النائمون انزعاج المشوهدين ، فلم ينظر منهم الغادي الرائع ، وصاروا يتسللون كالارانب . ونحن ننظر اليهم وهم فارون ، فرجعت عند السحر ، فوجدت الباشا حمو واقفا . وقد توحشا على عادته في التبكير بالوضوء . في الاسحار ، فقال هل تم الغرض ؟ فقلت له نزع الله الشوكة بلا دم - هذه عبارته - فقال هل انت متوضى ؟ فتوضات ثم صلينا الصبح معه ، والله دره من محافظ على اوقات الصلاة لا يعرف في ادائها الثاني او الهويني .

قال : ثم تحولنا عن منزلنا الى دار ولد بنوعكاد ، فترلنا فيها ونحن زها ، الفين ، ثم صار الهشتوكيون والهواريون يتقون علينا، حتى صاروا يعقدون مجامعهم امام عينئنه ثم يهرون بنا فيقولون: الا تجمعون عنا يا هؤلاء البخاريون

فما يطعمكم ؟ ويسبون ، ولا يسمون الباشا حمو الا الامة الوتعاء ، وذات يوم نزل شاب من أصحابنا الى ذرة في الوادي . فقطع منها شيئا . وقد اضر به الجوع ، فجا ، بعض المجتمعين في المجمع اذامنا من الهواريين ، فضربوه ضربا مبرحا ، فقلت من ايديهم ، فلاقاه خليفة لي . فسأله عما عراه . فاجبره بالخبر . فلم يصبر فاطلق هو ومن معه الرصاص على المجمع ، فثار كل المجتمعين نحو جيشنا ، وصاروا يلقون علينا الرصاص ، فثار الجنود يعاربونهم ، فجمعت انا اصحابي واخذنا نشرب الاتاي في فسطاطنا ، فاذا بصاحب الباشا قد جاء . لينا فقال ما تصنعون انتم ؟ فقلت له انك ترانا مجتمعين ، وجاءت رصاصة امامنا حفظنا الله منها . وانما قلت له ذلك لاني اعلم ان بعضهم سيقول للباشا ان اصحابي هم الذين اثاروا الخصوم ، ورغما عن كون ذلك هو الواقع فاني لا اريد ان اتحمل المسؤولية ، ثم اشتلت الحرب فاهرت اصحابي بالركوب ، فاستدرنا وراء الخصوم ، فحملنا عليهم من نحو ظهورهم حملة شعواء . تشتتوا بها شذر مندر ، ثم في الصباح المبكر اديجت الى (المنيزلة) ودار ابن ضاللي واولاد سعيد ، ودواوير اخرى ، فالتقينا بذلك درسا مفيدا على الهواريين ، فعرفوا حينئذ مع من هم ، ثم صاروا ياتوننا تائبين (مفركين) ثم انتقلنا الى اولاد سعيد ، ثم الى (نارودانت) وقد كان الحاج ابن عيسى ولد الباشا خليفة لابيها فيها بمجرد ما حل في هواره ، وقد تقدم قبله خليفة عنه الى هذه المدينة ، فكنا نجتمع في الاغديفة عند ولد الباشا في (قصبه) نارودانت ثم ارسل الباشا ولده هذا الى (سكتانة) في بعض جيشه ليجمع منها المغارم الحكومية ، وذلك بعد ما تمهدت له قبائل رأس الوادي من هواره الى (أولوز) فيفرض المغارم كما يشاء ، فيلم كل شيء مما يدفعه له الناس من الخيل والبغال وغيرها ، وقد كان الجيش الذي مع ولد الباشا عتيبا قويا ، ثم خرج الباشا بعد ولده فنزل في (اولاد يحيى) بجيشه الكبير الذي فيه الشريف مولاي عثمان والامناء ، قال : ثم من هناك الى (اولاد برحيل) بعد ما زرنا (مشهد) سيدي عباد السوسي في (تامازنت) واذا ذلك تعين حيلة بن ميس شيخا على اخوانه اولاد برحيل ، وكذلك الحاج علي بن حماد من سكان ناحية (البريوكة) من اولاد ابن عيسى باولاد يحيى عليهم ، ومن هناك الى (اداو كمناضي) وقد كان القائد العربي الضارضوري وخليفته هارين الى الكنتافي ، والسلي تولى في محلهم خال لهم بطين - كما وصفه الخاكي - هو الذي وجدناه في (اداو كمناضي) .

قال : وكان قواد الارحاء الذين معنا يخرجون الى القبائل فيجمعون المغارم ، ويلفوزون بالبيئات ، وقد ينزل القائد فلا يقوم الا بخمسمائة ريال فاشتر او اقل على حسب مقامه ، وعلى مقدار غيبته . وعلى قدر المال الذي يجمعه من المغارم . ولما وصلنتي النوبة ذهب جنودي واصحابي الى (هوزيو) وارسلت

معهم خليفتي واعوانى الخصوصيين، وكان من عادة القواد ان لا يذهبوا بانفسهم وانما يبعثون خلفاهم ، وقد كان الكتافى يتطلب الهوزيوين من الوزير احمد بن موسى صوره ، وقد كان موسى والده وقف حتى صالح والد الكتافى مع السلطان مولاي الحسن ، فاهدى له محمد الكتافى بنته فزوجها موسى من ولده احمد فكانت له بذلك مصاهرة مع الكتافيين ، فنقل له الوزير احمد هذه القبيلة ، فلما جاء الظهير بذلك صادف الحال ان اصحابى هناك يجمعون ما يجمعون ، فاوعد الى الهوزيوين ان يأمروا اصحابى بالانتقال ، فان ابوا يعاربونهم ، قال : فانفض الهوزيويون الجلبون عنهم الاعوان من الجبل ، فكتب الى اصحابى بذلك ، فاجبرت الباشا ، فامرنى ان اذهب بنفسى وانظر ما فى ذلك سياسة وحكمة ، فلما وصلت اهل السهل من القبيلة ، نادانى احدهم الى ناحية انفرادى فيها . فاخبرنى بالحقيقة ، فعلمت ان امر هذه القبيلة اصبح بمقتضى ذلك الظهير فى يد الكتافى ، واذا بالجلبين ياتون بالثبات لمداقتنا ، فامرت باسراج الحيل وجمع المتاع ، ثم استدعتنى القبيلة مجتمعة ، فوصلت اليها ، فقال لى قائل منهم : ايها القائد اننا راعينا اصحابك ووفيناهم مبياتهم ومبته العون من ريال الى خمسة لكل ليلة على القرية او على الفخذ جمعا ، وقد رايت ان العام مجذب ، فنحب منك ان تطلع عنا الآن بفضلك ، فقلت لهم حبا وكرامة ، ودعوت لهم بخير ، ثم اقلت باصحابى فلم اكد افارقهم حتى دهمت مئات اخرى من الجلبين تتادينا ان اجمعوا شراو يعطكم يعنون السلاطيط ، فلايتهم حتى خرجت من بينهم وابتعدت ، فاذا بالامطار تنصب علينا ولم تزل علينا كذلك حتى وصلنا معسكر الباشا ليلا ، فقصدت فسطاطه ، فلما عرف من انا ، امر ان ادخل عليه راكبا فرسى . وان لا انزل الا امامه لعلمه بانى مبتل بالمطر ، فلما مثلت بين يديه سألنى الاباس فقلت له لابس وقتك الحمد ، ثم امرنى ان اذهب الى محل الى الفد ، فرجعت عنه وانا اسمه يقول : غدرنى احمد غدرنى احمد ، بعد الوزير احمد بن موسى الذى نبذه الى سوس . ويزل منه القاتل ويعطها لغيره .

فى سكتانة

ثم ان ولد الباشا الذى فى سكتانة ضعف امره، وانقطعت عنه المواد ، وثارت حوالبه الاوج ، وقد فر عنه كثيرون ممن كانوا معه ، فاستدعى الباشا صاحبنا هذا وطلب منه ان يذهب ليشد عضد ولده ، فامتنع امتناعا قاطعا : انكم لا تستدعوننى الا اخيرا ، مع اننى ما كنت الا واحدا من قواد الارجح ، ولكنكم دائما تؤخرونى ، فقد ارسلتم فلانا وفلانا وفلانا الى محلات استفادوا منها اموالا ، واما انا فلا تستدعوننى الا اخيرا كما استدعيتونى فى الامس القريب الى محل جبل لم البث ان طردت منه ، فمتى دارت التوبة فوصلتنى

فها أنذا موجود ، قال : فلما استعصيت عليه ، طلب من الشريف مولاي عثمان ان يطلب منى ذلك ، فلم يصرح لى الشريف بشيء الا انه ارسلنى الى الباشا لما وقفت امامه ، فلما بلغت الباشا ازددت امتناعا معيدا ما قلته آنفا كان لسان حاله يقول :

واذا تكون كرهية ادعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جنذب

هذا وجدكم الصغار بعينه لام لى ان كان ذاك ولا اب

ثم ان الباشا لم يياس ، وعاود طلب الشريف مولاي عثمان ان يكلمنى ، فاذ ذاك الح على الشريف ، واعانه وزيره ابن سليمان ، فبعد لاي لبيت الطلب مشترطا ان اعطى كل ما اريد ، فلما قبلت سألنى الباشا عن كل مطالبى ، فطلبت الجباب الغلاظ للجدد لان الوقت وقت برد ، والاحدية ، وتعويض نعالها اذا انخرقت (الملخ) وتجديد الفساطيط والامتعة واحوات السفر كلها ، فتم لى كل ذلك بعد ما جاء الجميع من (تارودانت) بعد ايام ، ثم زدت على ذلك ان يعطى جندى مؤنة 45 يوما اقضيها كلها ناضة يبنى ، ولما نلت كل ما طلبت استدعيت جندى وقلت لهم: يا اخوانى وجواشنى ودروعى ، اننا ذاهبون اليوم فى مهمة مغزنية لا مناص منها ، وقد دافعت لئلا نذهب، ولكننى غلبت على امرى، ثم قلت لهم بمجرد ما تقطع الوادى فلکم ان تجردوا كل من تصادفونه من القبائل العاصية ، ولكم ان تركيبوا كل بهيمة تصادفونها من اهلها ، الا اننى لا آمرکم بقتل احد ، ثم خرجنا لطیننا فبتنا فى (تخلیت) بانند اوزال ، فوجدنا المئونة كلها حاضرة عند ابراهيم بن ابراهيم الاندازالى ، ثم فسى (دلو تاوريرت) بايالة الشيخ عبد الله من سكتانة ، فلم يبيتنا خير بيات فامرت باعتقال كل من حضر . وتجريدهم من ثيابهم وخنجرهم . لان مئونتهم ضئيلة جدا . كأنهم يسخرون منا ، وقد فرقت فيها الدجاجة الواحدة على انان مع خبزة ارق من ورقة ، ثم لم اطلقهم حتى ادبتهم تاديبا لم ينسوه ، وقد قممت انا بنفسى بضيافة رؤساء جاوا مع تلك المئونة الضئيلة ، وقد بينت لهم لما تشكوا من اعتقال اصحابهم سبب ذلك.والفعله التى اتوا منها ، وقلت لهم : اهكلدا يقابل اصحاب السلطان وخدمه؟وقد حاولوا ان يخوفونا بالتجمهر على ثنابا الجبال ورؤوس الكدى ليلا ، فتخوف من عاقبة ذلك بعض اصحابى وجعلوا يلوموننى على اعتقالهم ، فقلت له ان عندنا ثمانين من اخوانهم . فليفعلوا ما شاؤوا « ثم بعد ان راونا لا تمشى علينا الخيل . ولا نستخدى للتهديد ، تابوا فجاؤوا بالاكباش والسمن والتبن والشعير للبهائم ، ثم لم نطلقهم حتى وصلنا محلة ولد الباشا ، ليكونوا رهائن فى ايدينا . وضمانة لوصولنا بسلامة ، فقال لى الشيخ عبد الله لما وصلنا ، وقد وجدته عند ولد الباشا : ماذا فعلت بقبيلتى يا فلان . مع اننى ناصح دائما ، فاسأل عنى ولد الباشا ، فقلت له ابربعين ديكا يمان جند السلطان ؟ فقال لا فقلت له لثم حينئذ

فبيلتك لا نحن ، ثم ماننا ولد الباشا ببقرتين وحملين من السكر ، وفي الغد
عزما على السفر والرجوع بكل ما في المحلة . وما في يد ولد الباشا من
الكثير الوثير من الزعفران والبغال والعييد والزرابي ، ثم تقدمنا الشيخ عبد
الله ، والشيخ التازولتسي ، فمررنا اولاً (باينتاون) فخرج اهلها خائفين
وقد قدموا ثلاث بقرات ، فقبلت منهم ، ولم يهاجوا ، لانهم ليسوا مقصودنا ، ثم
زدنا حتى وصلنا قرية (ديوووزور) وهناك محل يسمى (ايفيل نولو) فيه
ثالر عاص رفع راية العصيان على الحكومة وهو مقصودنا ، فاذا باناس فارين
خرجوا من داره ، فصرنا نضربهم بالرصاص ونضربوننا ، ثم تمكنا من الاحاطة
بالدار التي هي مقصودنا . فنزلنا حواليتها ، وحاربنا حتى اقتحمناها بعد ما
ضربنا الابراج بالقنابر . فصاب اصحاب المدفع واحدا بعد واحد برصاص
من في الدار ، وقد حفظني الله ذلك اليوم مرتين : مرة وأنا على فرسي وقد تقطع
حزام سرجه ورميت باربع رصاصات فتخطنتي ، والاخرى رميت بفرده رحي
من سطح الدار وأنا ازاء حائطها . فاصيب بعض رأسي ، ثم لما عرفت انه انما
هو جرح خفيف لويت عليه عمامتى ، ثم نعب بعض الهوارين حائط الدار .
فوافق هرى التين ، فاوقد فيه النار ، فاذا صار المحاصرون يطلبون
الامان ، ولكن لم ينج الارب الدار والباقون ماتوا ، ثم لم يوف له ولد الباشا
بالامان حين رآنى مجروحاً تحت داره . فأمر بقتله ظلماً وعلواناً ، ثم طلع
الينا الباشا في جيشه ، فسرنا حتى وصلنا معه الى (زناكة) وكانت من
ايالة القائد المدنى الاكلوى ، فهناك ادى عن زناكة مغارمها ، واذا ذلك تمهدت
كل القبائل فاستبحرت المغارم ، ثم رجعت الحملة الى (آولوز) وقد كان
الكتنافى نزل في (هووزيو) بجيشه ، وقد ساق امامه كل ايلاته من اهل
(وادى نفيس) و (آيت : سمنك) و (آوتائين) فنزل مع جيش الباشا
حمو ، ولكنه لم يكد يستقر ويأخذ مغرماً او مغرمين من هووزيو حتى ثارت
عليه ، وقد زحف يوماً اليها فلم يصادف نجاحاً ، مع أن من معه غير
قليلين ، والنصر لا يكون في الحرب الا باستماتة . قال : ثم وقع بينى وبين
بعض القواد هناك شنتان تجاذبنا فيه السباب ، وقد علم كل من هناك أن ذلك
القائد هو الظالم ، وانما انت أن اتحمل الظلم ، فصادف ذلك ان وردت
رسالة لاطلع من سوس مع قواد آخرين ، فاستدعانى الشريف مولا عثمان
فقرا على الرسالة ، ثم سألنى الباشا حمو عما اتوقف عليه في سفرى ،
فذكرت له خمس بغال فاعطانيها وأمرنى أن ادفعها لولده الحاج احمد الساكن
في (عرصة اوزال) بمراكش حيث توجد دارى . وقد كنت اشتريتها قبل
ذلك الوقت .

هذا ، وقد ذكر ان من جملة من في جيش الباشا حمو (اتسوكا) خليفة
القائد سعيد الكيلوى ، ثم لما هاجم الهشتوكيون والهواريون الباشا حمو طلب

من الحكومة مددا ، فأمرت القائد سعيد الكيلنولى أن يهبط الى (سوس) باخوانه ، فلما وصل (أكادير) تلاقى مع الذين انهزموا من (تابوخناينكتنا) من قواد سوس الجنوبية ، فطلبوا منه أن يذهب معهم الى جهتهم ليستعينوا به فقال لهم لا تطلبوا منى ذلك، ولكن اطلبوه من السلطان ، فكتبوا اليه فأسعفهم، وكان الذين انهزموا من هناك ثلثة صفره فيها الشريف مولاي عبد السلام الملقب (الباكرن) قال انه من احفاد مولاي سليمان ، ومعهم قواد الجنوب السوسيون ، ومعهم القائد ابن يطو الشركى، وكان غنيا مشهورا فى قبيلة اولاد جامع ، يحرث بنحو مائة زوج ، ومعهم الامين العربى العبلى الكاتب ، والقائد خليفة الزمرانى مع القائد الحسن اليمورى، والقائد رحال بن التونسى الرحمانى.

رجوعه الى مراكش

قال : سافرت من تارودانت انا والقائد ولد الحاج المعطى التادلاوى، والقائد مولاي عمر المراكشى ، والقائد بوعلام الزمرانى ، قال : فلما قاربنا مراكش ، تلقانا رسول فامرنا أن نأتى نحن قواد الارحاء سابقين . وان تتركنا وراءنا من معنا حتى يصلوا ، فوصلنا دار العلاف (اى ما يقرب بما يسمى اليوم بوزير الحربية) السيد سعيد بن موسى ، فأرسل معنا صاحبه السيد ابن عيسى . فمثلنا بين يدى الوزير الكبير احمد بن موسى ، فأمرنا أن نجلس امامه فى القبة التى يجلس فيها ، وهى مكتظة بالكتاب عن يمينه وشماله على العادة، وكل واحد مكب على شقله فى صموت وهدوء ، كأنهم لا يتحركون ، فجلسنا امام مكتبه . وقد رددنا سيوفنا الى وراء ، ومقابضها ازاء أذرعنا على العادة التى يقعد بها القواد امام الوزير ، قال : فظل يسألنا عن اسمائنا ، فسكت الذين معى مندهشين ، فبادرت انا أجيبه عن كل واحد ، حتى سألنى عن اسمى ، فقلت له الناجم بالله ببارك فى عمر سيدى ، فأنجل حين سمع اسمى . فأعاد السؤال فأجيبته ثانيا بمثل جوابى ، فتناول ورقة فيها اسمى على ما يظهر ، ثم سألنى ثالثا ، فأثار الحاحه فى السؤال اهتمام الحاضرين، فرايت وجوه السيد عباس الفاسى - وهو جالس عن يساره ومولاي الطاهر البلفيضى ، وهو جالس عن يمينه ، تعلوها صفره ، كأنما يتوجسان ان يلمر بنا للتكليل ، ثم أمرنا بالخروج ، فلم يزد على ذلك ، ثم رجعنا الى السيد سعيد وزيرنا ، فأمرنا ان نجلس فى المحل الذى يجلس فيه عادة قواد الارحاء، فى دار المخزن على زريبة ، ثم أمرنا ان ندفن كل ما عندنا من السلاح ، وكل ما تحت ايدينا من الدواب والجند ، وما فعلوا ذلك بنا وبجميع قواد الارحاء الا للاتهام باننا لا نقوم كلنا بالمهمة المنهطة بنا، فلا نمشا بجموعنا دورا جدنا فى العسكرية ، وغالب القواد منا حياء حضر بوزن لا يعرفون ما يصنعون ، فأرادوا ان ينقوا الجندية بذلك ، فأضافوا جندنا الى طوأس اخرى ، وسلبونا من تلك

القيادة ثم ضمنى انا سى سعيد اليه ، فاكون انا والسيد محمد الكباص فى موتبه . فنركب معه دائما ولا نفارقه ، فيقضى بنا اغراضه الخاصة يعثنا اليها، وقد آنست منه انه يعتمد على كثيرا فى مهماته ، لانى احسن التأديب معه كما ألقته من صفرى مع سادتى ورؤسائى .

فى رحلة أخرى الى سوس

قال : جمع من الشاوية جند وظفته الحكومة على الناس يبلغ زهاء ثلاثة الاف ، فبعثه الوزير سى سعيد معى لاوصله الى القائد سعيد الكيلولى بترنيت ، فذهبت انا والقائد بلخير الحمري ، والامين الذى فى يده النفقات هو السيد عبد الله الايكيدرى الحاحى الزلطنى ، وكان معى اربعة من أصحابى على خيولهم ، ومع القائد بلخير اربعون من عبيده ومعنا شريف صاحبه معى لله يسمى سيدى محمدا الاسماعيل ، وقد كان نازلا عند الشريف سيدى محمد بن الرشيد القاطن فى القصبه ، لاوصله الى تيزنيت لقرض له فيها، وهو شريف عليه لوائح الخير ، قال : فلما اوصلنا الجند الى الكيلولى ، دفعناه له عددا امام الذين حضروا من القواد السوسيين وغيرهم ، وقد جلسوا كلهم لعرض هذا الجند ، وكان مع الكيلولى من قواد الارحاء ، القائد ابن الفكالك ، والقائد علال ابن الحسن الرحمانى ، والقائد عبد الله المهارسى الحاحى ، والقائد عصر بن المصوب الزمرانى ، قال : وجدنا الجيش الكيلولى يقوده الحاج احمد الكيلولى الى جزولة ، بوجان، وقد اجتمع كل الوليتيين (اداوليتيند) عليه وحصنوا الجبال بذلك السورالشهير المستدير بتلك النواحي والمسمى هناك بـضرتاس- قال : ففى حضرة القائد سعيد كنا نتغدى ونتعشى دائما ، بعد ما أنزلنا فى دار القائد العربى بن حمو البخارى وقد اخلاها لما انزلته الحكومة فى ايت بعمران لخلاف بينه وبين الكيلولى ، فنحن فيها الآن مع القائد بلخير ، قال : وفى عشية مر بنا عبد رايت الزيد الابيض على طرف سرج فرسه متبلدا ، ورايت وجهه متقلصة سفاهه . ومتغيرة سحنته ، فقلت بجليسى ان لهذا العبد لنا ، ثم لم يكده يدخل الى دار القائد حتى سمعنا ثلاث صرخات عالية موية، فقلت بجليسى اسمعت ؟ ثم بعثنا من كشف لنا الخبر ، فاذا بالهزيمة وقعت فى جيش الكيلولى ، وان الرئيس الحاج احمد قد أصيب فى الحرب وان الحسين ابن الصالح ، التكنزيرى ، والقائد احمد بن سعيد قائد الرحي الحاحى ، وأمنالهم من كبراء حاحة قتلوا ، فرجعنا الى منزلنا ، وفى الليل سمعنا جلبة الحوافر الكثيرة مرت بدارنا وهى واقعة على ظهر الطريق لمن يخرجون الى خارج المدينة ، فتقيل لى انها لجيش للقائد سعيد فقد ذهب الى محل المعركة لينظر كنه الواقع، فطلبت من القائد بلخير ان نذهب معا فى اتباع القائد . لانه لا يتبقى لنا ان نتخلف عن مثل هذا ، ونحن حاضرون ، فتأبى ما شاء الله ، فلما

رأى منى الجند ، أمر ان تسخن له طواجين ، وكان اكولا نهما . فالبهم منها :
 ثم خرجنا حتى لحقنا القائد فى محل المعركة ، اذاء (تاساوتت تندر يس)
 فى بعقيلة ، قال : اوجنتم ايضا وانتم اصحاب سيدنا ؟ فلمته على ان لم
 يعلمنا ، فقال : لا اريد ان ازعجكم فى الليل ، وفد وجدناه واقفا وامامه
 فى الجبل البعقيليون يصيحون به ، وقد حملوا جثث الموتى الحاحين فترسوا
 بها ، وفد عملوا اليها يطعمونها حتى ما تركوا فيها مسلكا لتنجر ، ثم صار القائد
 يفرق (القرطاس) فاخذنا منه لاصحابنا ، فرأيت القائد كأنه جاء ليتفرج ، فقلت له
 ايها القائد : اما ان تباشر الحرب مع هؤلاء واما ان ترجع ، فلان هذا الوقوف
 ليس من سياسة الحرب ، ثم نويت ان احمل مع فرسان اخترتهم من الحاحين
 فقال لى قائل : ان هؤلاء الجلبين لا يضربون الا فى الراس او فى الكبد ،
 ثم شننت غارة على اشببار (الترس) لهم ، فاذا به قد خلا ممن كانوا فيه ،
 ثم جاء القائد الطاهر ابلاغ ، فقال له القائد سعيد : اهنا ما يليق بكم
 فقد جئناكم انتم معشر اللواد السوسيين ، فاذا بكم ترون اخواننا يمزقون
 هكذا بايدي اخوانكم ثم لا تحركون ساكنا ؟ فقال له القائد الطاهر : انى
 كنت سبقت لاخوانك حتى دخلنا وسط بعقيلة ، فوصلوا الى (تيفمي) فامتلات
 ايديهم بالفنائم ، فاردوا ان يرجعوا فى طريقهم ، فدللتهم على طريق (تاماشست)
 الامن لكل من يسلكه ، فالدين واقونى فسلكوه نجوا . ولم يصب احد منهم
 بجرح ، واما الخليفة الحاج احمد فقد خالفنى وسلك الطريق الآخر الضيقة ، فقد
 له الاعداء فتمكنوا من اسابته هو ومن معه ، ثم التفت انا الى القائد الطاهر
 فقلت له : اليس هنا من يحترمون فيانون من عند هؤلاء بهذه الجثث ، فقال بلى
 عندنا علماء ومرابطون يحترمون ، فارسل الى الفقيه سيدى محمد بن العربى
 الادوزى وآخرين ، فضموا ان يسلسوا الجثث من القوم ، ثم قال ان اردتم
 دفنناها فى (تاماشست) وان اردتم الاتيان بها اليكم انينا بها فامر القائد
 ان يوتى بها ، فبعثنا عشرين بغلة فيحمل على كل بغلة ثلاث جثث او اربع ،
 فدلفت فى (وجان) قال : ثم رجعنا الى (وجان) فرأينا المجروح الحاج
 احمد جالسا . وفى يده خرقة صر فيها قطرانا وشيئا آخر . فسخنها على نار
 فى معجر فيضعها على الجرح فى جبهته ، ثم لا يكاد يمسه الجرح حتى يشور
 قائما ، فخرجت فقلت لصاحبى ان هذا قد أصيب فى دماغه ، فكانك به
 ميتا ، فلم نكد نصل تزيت حتى مات .

قال : ثم كتب الى القائد سعيد الاجوبة عن الرسائل التى آتيت بها ، بعدما
 استعجلنى القائد سعيد بلخير الى الذهاب ، فرجعنا وقد انعم علينا القائد بهال
 كثير ، فكان من جملة ما اعطى لصاحبى خمسمائة ريال وجملين واربعين
 كبشا وثيابا وبغورا سودانيا ، الا أنه قليل الادب فلم يقع ، فكتب القائد
 سعيد بغلة ادبه معه الى الحكومة . فسلبته كل ذلك ، ثم كتبت انا رسالة

الى سى سعيد وزير الحربية بينت له فيها امر الهزيمة كما هي ، فبعثها على يد رسول خاص اعطيته عشرين ريالاً فذهب يطوى الليل والنهار حتى اوصلها ، فذهب بها سى سعيد الى اخيه احمد بن موسى ، فساله عن له هذا الاعتناء ، فذكرنى له ، فازددت بذلك عنده شفوفاً ، ثم مررنا بخليفة القائد سعيد فى (نمانار) بالحاجة. وهو مبارك الكيكتولى فى طريقنا ، فاعطى كذلك للقائد بلخير ثلاثمائة ريال ، ولكن اين من يشكر ؟ ثم وصلنا الى مراکش بسلام وقد غنمت الخير الكثير الذى افاضه على القائد سعيد الكيكتولى لحسن ادبى معه، والادب تنز لا يفنى ابداً .

فى مراکش أيضاً

قال : لازمت سنى سعيد حتى مات قريبا من هذا الوقت ، ثم اخاه ادريس الذى قام مقامه ، وقد كان حاجبا للسلطان من قبل ، ولم يعطى ان مات ايضا ، قال ويشاع ان اطباء هؤلاء هم الذين قضوا هكذا عليهم نكابة بالامة ، لانهم هم الذين ابغوا فيها الرمق بعد موت المولى الحسن ، وقد كان الاطباء من المانية واسبانية وانكلترة ، ولكن المتهمون هم الانكليزيون وحدهم ، ثم بعد ادريس لم ينسب الوزير احمد ان مات هو الآخر بعد مرض غير طويل ، قال : حضرت دفنه ، ودخلت قبة مولاي على الشريف مع الداخلين ، وقد كان فيها السلطان فمن دونه ، فرأيت المنابهي قد ازال نعله وجعلها وراءه ، فتناولتها بيدي ونفستها وجعلتها تحت ابطى ، فآراد صاحب له ان يزيلها منسى ، فراجعته الكلام ، فالتفت المنابهي ، فلما علم سبب المراجعة ، وعلم ان ذلك لتعظيمي له لما يجمعنا من النسبة الى الشراودة ، قال لصاحبه دع الرجل ، ثم اخذت انا برجلي احمد بن موسى عند انزاله القبر ، واخذ الشريف علوى بجهة راسه ، قال : وكان احمد جد هذا الوزير يسمى احمد الاتاى ، وهو مهري من هواة بسوس ، قال وكان المنابهي مقربا عند هذا الوزير محظيا عنده كانه روحه ، وقد جعله عاملا كبيرا على قبائل شتى ، وينوب عنه فى ملاقات الناس العظام ، وبعد ثلاثة ايام من موت احمد صار المنابهي يظهر ظهورا بينا ، فاذا به سمي وزيرا للحربية ، وسمى غريط الذى كان وزيرا للخارجية وزيرا اكبر ، ثم اتصل المنابهي بالسيد حمان كاتب احمد بن موسى ، فاخذ منه الكناش الكبير . واعطاه لعبد الكريم بن سليمان يعاونه زبير السلاوى ، وقد كان هذا امينا ، واليه تضاف دار زبير المشهورة الآن بعمارة رياض الزيتون بمراكش ، ومعهم عبد الوهاب التازى ، فجعلهم امناء ، ثم صار يخلى دار احمد ابن موسى مما فيها ، وقد كان احمد اعطى مفاتيح الخزائن لمن يوصلها الى السلطان لما احس بالموت ، وكان عباس ولده صغيرا ، ولم يزل المنابهي ينقل من دار الوزير احمد بن موسى الى دار المخزن ، والى داره هو (كما شاع وذاع)

وظهر اثر هذا الاحتلاس من تثرة الاموال اللى صار يبدها بلا حساب ، ولم يزل ينقل من دار الوزير احمد حتى لم يبق فيها شىء ، وقد كان احاج المختار بن عبد الله بن احمد جعله الوزير احمد بن موسى معه ، فلما مات طرده المناهبي ، وكان عالما جليلا ، فذهب به الى تافيلالت هو وكل افراد اسرة آل احمد بن موسى .

وقد وقع اثر ذلك ان عباس بن داود باشا مراکش دخل على المناهبي فاستدعى الطاس فغسل يديه بالصابون ومسحهما بالمنديل ، فقال له المناهبي : لماذا غسلت يديك ولم تاكل بهما شيئا ؟ فقال له : اننى غسلت يدى من دارى ومن دارك ومن دار المخزن منذ آتيتنا بغريط الفاسى الوزير الاكبر ، فانه سيفضى على الجميع ، فاسرها المناهبي فى نفسه ، ثم بلغ ذلك غريطا ، فبعث ذات ليلة الى عباس ليطلع الى السلطان ، فصحب معه خنشة فيها خمسمائة من اللويز ، فاذا به اعتقل ، ونقل فى الحين الى تيزنيت ، وتان فيها القائد محمد انفلوس ، فوجده الرسول فى (اينت بومريم) بمجناط ، فسلكوا اليه طريق (تازاروا آلت) فطلعوا الى القائد فامرهم برد المسجون الى تيزنيت ، فادخل السجن ، فاذا ذلك فقط حل حزامه فانتشر منه ذلك اللويز ، فبقى هناك الى ان سرح ، فراجع الباشوية قليلا ، ثم كان فى فاس ، ثم فى طنجة حيث توفي عام 1326 هـ .

فى الجندية أيضا

قال : بسبب معرفتى بالمناهبي طلبت منه فى فجر ظهوره بعد موت احمد بن موسى ، ان ارجع الى الجندية وأكون ايضا قائد رحي ، فانسع على بذلك ، فصرت ادخل الجند على يدى من جديد ، قال : والعادة اذ ذاك ان يعطى قائدمن القواد الاذن ، ثم يتطلب من يتجند معه ، ويحسب على الحكومة جميع من معه من الجنود ، وكذلك فعلت الى ان وصل ما عندى من الجنود سبع عشرة مائة ، قال : ثم اشتغل غريط بالمناهبي وغيره ، فتسبب عن ذلك ان ذهب المناهبي الى انكلترا ، كما ذهب عبد الكريم بن سليمان والكباص الى فرنسا ، ثم تولى ابن الشكرا الزمرانى وزارة الحربية بعد المناهبي ، قال : وكنت نزلت بجندى فى قصبه الحاج مننو الكائنة حول جامع الفنا ، وهى مستندة الى عرصة ابن القرن ، قال : وفى عشية كنت جالسا مع بعض من اعتدت مجالستهم لقصاء العشايا فى المحادثة ، فاذا برسلى المناهبي قد ابلغونى انه يطلب ان ارسل اليه خنزيرين كان أحد القواد الذين سبقونى هناك تركهما صغيرين ثم كبيرا ، فقامت لمحاولة قبضهما ، ولكن لم نقبضهما الا بالحيله والاقتناص وجعلناهما على بصل ، فدخلت بهما دارا كان المناهبي يجلس فيها ، وبينه وبين دار السلطان باب يدخل عليه منه متى شاء ، لما بينهما من المصافاة ، قال فدخلت على المناهبي .

فاذا بالسلطان مولاي عبد العزيز معه ، فاطلعا على الخنزيرين سلوفيين يجريان عليهما ، وهما يتغلان وراء شباك يمنع عنهما وصول الخنزيرين الشرسين ، فينبعانهما مع السلوفيين فيتفرجان على نظاردهما في ساحة واسعة ، حتى قتل السلوقيان الخنزيرين ، وكذلك يفعل السلطان في غالب اوقاته لمبا لصغره ، واصغار معلورون :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل السباب فلا ترى في الليل الا الحراقيات نعلو في السماء فتتراءها العيون، تنملي، بالمسوع على الملك الصغير اللعوب، وقد تان للمناهي يد طولي في هذه الالاعيب التي عدت سحبا دتنا، حول الملك الصغير اذ ذالا ، وقد كان هذا من الاسباب الداعية الى ابعاد المناهي عن السلطان بحجة انه يفسد عقله ، ثم استقدم غريط ادريس بن يعيش الذي كان باشا في تطوان فجعله قائدا للمشور، وقد كان قبل تطوان في وجدة قائدا عليها وعلى قبائلها حتى استغنى .

قال : ثم التفت غريط الى كل من له ادنى ملبسة مع المناهي فطرده الى ان لم يبق منهم احد ، وقد منعت كل الرسائل المعنونة باسم المناهي الذي سافر الى اوربة ان تبعث اليه باسمه وبعنوانه الخاص حيثما كان ، وصدر الامر البات بالنهي عن ذلك في جميع المراسي ، وقد كان هناك مناهي آخر يسمى احمد الخراب ، تحت يده 15 مائة من الفرسان ، وثلاثة آلاف ونصف من الجند ، فطلبوا منه ان يبعثه برسائل الى المناهي في اوربة ، ومقصودهم ابعاده ، فاستجار بحرم الفزواني ، قال : فذهبت اليه فعاتبته على الخلاف للحكومة ، فاستخرجته من هناك ، وقدمته الى دار المخزن عند الشيخ التازي ، وهو أخو عمر التازي الذي كان اذ ذاك عوننا عند المناهي معلودا من المسخرين بين يديه ، ويسمى عمر الافرع عند من يلمزونه ، فأخرج اليه الرسائل ، فذهب بها الى الجديدة ، لكنه لم يسافر بها ، بل التجأ بها الى حرم أيتامغارفي دكالة ، فبقى هناك ما شاء الله ، قال : ثم ان انسانا يسمى ابن المعروفي احد قواد دكالة على الزمامرة ، أرسل رسالة الى بعض من مع المناهي ، فزج فيها بطاقة اخبره فيها بكل ما وقع لاصحابه وانهم ازيلوا كلهم ثم ابعدوا او سجنوا، فركب المناهي في الحين باخرة تجارية ، فمر بطنجة ، وقد كان فيها الكنتافي الذي كان رافقه من مراكش يوم ذهابه الى اوربة ، فبقى وراءه في طنجة ، فإرسل اليه الآن ، فركب معه من طنجة ، فلما ارست السفينة في الجديدة ، وتان الباشا فيها ابن الحمدونية ، طلع هذا الباشا الى السفينة فحاول ان ينزل عنده المناهي ضيفا ، وكان عنده امر باعتقاله ان طرق الجديدة ، فاعتذر اليه بان البحر اثر فيه ، وانه لا يقدر ان ينزل الآن ، ثم خاتله حتى نزل في وقت غفلته الى البر ، فمال الى اصحابه الذين كان تركهم يوم سافر ، وفيهم نحو خمسمائة بغلة حمل عليها اثقاله . وقد كانوا ضربوا اخبتهم خارج

المدينة مند سافر عنهم ، نأوى الى فسظاط من سساظيظهم ، نأى اليه ايضا
 الباشا ليذهب اليه الآن ، فاعتذر ايضا بأنه لا يزال مسترخيا، واكلنه سيايته
 غدا ليدخل الحمام ، فاطمان الباشا الى ذلك ، وحين ارخى الليل سدوئه ، ركب
 فيمن خف من اصحابه على عتاق الخيل ، فوجد امامه من ينتظره بغيول اخرى
 مستريحة، كان ارسل لتهيئتها في صباح ذلك اليوم، وقد تعرض له كثيرون من اودائه،
 منهم القائد بوعلى الفرجى ، فقد وجده مع أصحابه فى (سیدی ابى النور) ثم من
 هناك الى السنوية فى المنابهة، ولم يكن معه الا الكتتافى وخاصة أصحابه على خيول
 مسرعة ، ثم قدم رسولا الى بواب باب الخميس ، أحد ابواب مراشس ، وبعث
 معه الى البواب مائتى ريال للنلا يفلق الباب حتى يدخل عيال قائد مخزنى
 سيبطى ، قليلا عن وقت اقفال الباب ، فوقف البواب يرصد ، ولم يحف الباب
 اجافة نامة انما رد مصاريها ، وهكذا دخن المنابهى مراکش على غفلة من الاعين
 الراصدة وقد كان رجل فى سويقة ابن صالح ، فمر به فارسان عليهما آثار
 تلفت الانظار ، فاذا به يعرف المنابهى ، قال المترجم : كنت ذلك المساء صليت
 المغرب فى المسجد الكبير بباب دكالة عند بابه المفتح الى المدرسة القديمة ،
 انا والقائد ابن احمد أحد قواد الارحاء ، والسيد عباس بن المختار الجامعى ،
 فقال القائد ابن احمد : ان المنابهى لطخنا بالعسل وتركنا للذباب هذه عبارته
 فاننا الآن مهددون من كل ناحية ، قال : والسبب فى قوله هذا انه بعث اليه
 ليطلع الى دار المخزن فى الغد ، ويخاف ان يزال منه جنده ، وكذلك طلبوا منى
 انا ان اذهب الى (تارودانت) لاكون باشا فيها ، قال فلما خرجنا من المسجد
 جلسنا امام الباب ، فاذا بانسان استدعانى فقال لى كم تعطينى بشارة ان
 اخبرتك بغيريسرك فقلت له البشارة على قدر سببها ، فقال ان هذه البشارة
 من اعظم البشارات عندك ، ثم قال : اننى جلست الآن فى سويقة ابن صالح ،
 فمر بى فارسان أحدهما صاحبك المنابهى والآخر لا اعرفه ، قال : فكنت اثور
 من الفرح ، فأرسلت خليفة لى الى دار المنابهى ، وقد كانت عليها المراقبة من
 الحكومة ، وكان المراقب عليها هو القائد محمد العبدى مع أصحابه ، حتى
 لا يتصل بها أحد ، قلت له اذهب الى القائد العبدى ، فسلم عليه منى ، وقل
 له يسلم عليك فلان ويطلب منك ان تعطيه ما عسى ان يكون هناك من جديد
 الاخبار ، فخاف هذا الخليفة على نفسه، وقال : اتريد ان يقطع رأسى ان ذهبت
 الى دار المنابهى فابترته ان يتنكر فى شملة اعرابى وسخة ، ثم ذهب على تناقل
 منه ، فرجع الى بسرعة ، وقد خلع الشملة التى تنكر فيها وجعلها على كنفه
 وهو يجرى . فقال : ان المنابهى قد جاء ، وهو الآن عند السلطان ، وقد أمرك
 بوابه ان تاتى فى الحين ، قال : فقلت للقائد بن احمد : رح مطمئنا الى دارك،
 ثم لا تاتى الا فى العاشرة غدا ، فأفرح ونم مل- جنفك فقد طوبت همومك طيبا.
 دع المقادير تجرى فى أعينها ولا تبيستن الا خالى السبال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يفير الله من حال الى حال
ثم اننا لن نطلع مبكرين الى دار المخزن بل عند العاشرة فقط ، لئلا نظهر
بمظهر من استخفهم الفرح ، فلما دخلنا دار المخزن في الغد وجدنا المخزنية
عامرة ، فارسل الى وزير الحرب ابن الشكرا ، فطلب منى أن أرسل اليه فرسا
ويقله مسرجة ، ليأتي بعيماله من فاس ، فامتنعت واعتذرت بأن ليس عندي الآن
ما يصلح لذلك ، فأعاد على فأعدت عذرى فأغضى ، قال : وكان عيسى بن عمر
العبدى مسجوناً بعد ذهاب المناهبي . وقد كان من أصحابه ، ثم اطلق سراحه
في هذه الليلة نفسها ، فاذا به جاء معه في موكبه ، فلما قرب الموكب قمت
اليه فسلمت عليه ، فلأمنى اصحابي من القواد الذين لا يهبون بريحنا حين
سلمت عليه وحدي ، ويرون ذلك سوء ادب مع وزير الحربية وقد كان حاضراً .
ثم دخل المناهبي عند السلطان ، فاذا بالحاجب ينادى وزير الحربية ابن الشكرا ،
فدخل الى السلطان ، ثم لم يخرج الينا من الباب الذي يسامتنا ، فقد خرج
من باب آخر الى داره ، ثم ارسل الى (تازة) باشا عليها ، هذا والوزير الاكبر
غريبط جالس ينظر وكأنه غير موجود ، لأن الامر عاد كله الى يد المناهبي كما
كان قبل أن يسافر، ولا يذكر الا هو ، وهو الذي يبرم وينقض في كل شيء ،
ثم عمرت المخزنية الى ما بعد وقتها المعتاد ، ثم خرج المناهبي فقام القائد الحاج
على الباعمراني فسلم عليه ، فقال له : أحتي أنت رجعت من ماموريتك التي
أرسلتك اليها ؟ فأجابته : ان كلام المخزن ذهب بنا ، وان كلام المخزن رجع بنا ،
وما نحن الا مؤتمرون بالوامر العليا ، وقد كان مرسلنا في عهد المناهبي الى
جهة الغرب في جيشه لمامورية خاصة ، ثم بعث اليه بعد ذهاب المناهبي فرجع ،
قال : ثم جمعنا بيننا نحن اصحاب المناهبي نحو ثلاثة آلاف ريال ونصف ،
فذهبنا بها لنسلم عليه بها ، ونحمد له السلامة، لان السلام اذ ذاك على الاعيان
السلطان والوزراء لا بد فيه من المال ، حتى ان كل من اراد ان يدخل على
السلطان أو الوزير يسأل عما يسلم عليه به ، فيجعل في تقييد يعلن للسلطان
أو الوزير ، ولكل مقامه ، فليس السلام على السلطان مثلاً كالسلام على الوزراء ،
قال : ثم اننا ذهبنا اليه بجماعتنا وقد رفعنا رؤوسنا وتباهينا ، فوجدناه
يتغدى ، فقابلنا بكل تجلة ، ووجهه يطفح بشراً ، وقد استرجع مكانته بسرعة
خارقة للعادة ، واقتحم كل العراقيين فنجا منها ، وكذلك عاد المناهبي الى الوزارة
الحربية على رغم الانوف ، واعداؤه ينظرون ، فرجعت مياهه الى مجاريها .

في بني مُسْتَارَة

قال : وقفنا يوماً في هذا العهد لعرض الجند ، وكان الكباد هو العارض ،
فوقعت بيني وبينه مراجعة في واحد معروف من اصحابي غاب عن العرض ،
فقد قلت له ان الرجل معروف ، وهو الآن موجه لقضاء غرض لي ، فبالغ في

التصنيف على ذلك . وواجهي بكرم مر . فعلت له ابى لا اخدم بتمس ريارب
يوية تم اجمل هذه الاشانة ، وما ضرى الا ان يهتني من لا اراه فوقى بل
هو دوى ، فبخذت ذلك ندرا لظهار السائف من الخدمة كلها ، واحتججت
واتانى فود الارساء - على دلة ما نالنه يوميا وادلينا باخجج وابراهيم على
انه لا يكفينا فى التكاليف الخاصة المنوطة بنا . وبعد اخذ ورد مع الوزراء ، رجع
مرتبنا الى تهاى ريبالات يوية ، ثم ارننا ان تهيا بلسفر فى جيش تحست
قيادة حولاى عبد السلام الابراني . فلهبنا حتى بلقنا (سيدى بودومة) فى
قبيلة (بنى دستارة) بقبينا هناك ما شاء الله ، والقواد الذين معنا هم بهذا
الترتيب فى مكانتهم فى الجندية ، لان لكل واحد مقاما خاصا . فيقال فلان
ثم دلان الخ ، فالازل القائد العربى المناهبي ، ثم المترجم القائد الناجم الذى
يقص علينا لنا ، ثم القائد لولودى السرعيني ، ثم القائد صالح الزمرانى ،
ثم القائد سعيد الدماى ، ثم القائد الحسين اليمورى ، ثم القائد احمده
البيزوى ، ثم القائد بيارك الهوارى ، ثم النحق بنا القائد الحاج على البعمرانى
وليس عدا الاير اذ ذاك من يستملهم النظام الخاص الذى اتانا به المناهبي
فيما اتى به من التنظيمات الاوربية ، وكان من هذه التنظيمات ان تجمع اموال
الرعية تقسيطا على الاشجار ورؤوس الغنم وتسل ذى روح وعلى المزروعات
بالخروس ، وعلى الرؤوس ، على العادة التى سار عليها الامر بعد الاحتلال ،
ورقعت محاولة تنظيم جميع الجند على تلك القواعد .

قال : وقد كان فى هذا الجيش الذى كنا فيه ، القائد عبد الملك المتوكى ،
والقائد اج الجيلانى لدناتى ، فقدمنا ، لا فاريحا من هذه الخدمة فى هذه
الناحية ترجما بعد ان كانا معنا ما شاء الله ، ثم توجه القائد العربى المذكور
الى (بنى مزركلدة) فانهمز فيها ، فالحقونى به ، فهزمناهم حتى وصلنا
مشهد (سيدى انزغارى) فارصيت جندى باحترام مقام السيد وما اليه ، ثم
جاء المنهزون بهديهم تائبين ، ثم رجعت الى (بنى مستتارة) ثم جاءنا الامر
ان ننتقل الى (وزان) فافاض علينا الشرناء كل خير مدة ستة ايام ، ثم الى
مدينة (القصر) الكبير ، ومن هناك اعطيت لنا ثياب ملفية ، وبقينا فى
القصر ثلاثة ايام ، ثم ارننا بالرجوع ، وكان السلطان اذ ذاك قد انتقل من
مراكش الى فاس ، فالتحقنا به فى فاس .

فى حروب أبى حمارة

قال : فى هذا العهد كان يطرق اذاننا فيما ينداوله الناس ، ان انسانا
خرج فى بلاد الحياينة دعه بركة عظيمة ، وهو الجيلانى الزرهونى الذى كان
مخزنيا عند دولاى عمر ثم سجن ما شاء الله كما تقدم ، كما كان ايضا عوننا
عند واد ابنا محمد الشركى ، ومنشاه من اولاد يوسف بجبل زرهون ، وقد

فيل لنا إذ ذاك انه حلف ان يكون اميرا بعد ما اصبح المناهبي وزيرا
(كما يقال : انه رمد على المناهبي فلم ياذن لملاقاته . فقال لمن كان المناهبي
وزيرا لا يوتن انا اميرا)

قال : ويتداول كثيرون ان المناهبي ومحمد انفلوس الحاحي دفين تيزنيت ،
والجيلاني الزرهوني هنا . حين اجتمعوا في السجن كما سبق ذكره ، كانوا
يستخرجون بانزيرجة ما هو مستقبل كل واحد منهم ، فيقول محمد انفلوس
انه سيكون كبيرا متبوعا ، ويقول المناهبي انه سيكون وزيرا ، ويقول له
الجيلاني الزرهوني هذا اننى ساكون ملكا وافسد عليك وزارتك، ونسمع كذلك
ان هذا الثائر زار المناهبي في مراكش بعد خروجهم من السجن ، فترفع عنه
المناهبي لقب هذا وعزم على ما عزم عليه من الثورة ، وانه زار فاسا وصلى
صلاة جمعة مع مولاي عبد العزيز ثم خرج على حمارة من فاس الى القبائل ،
ولذلك يسمى ابا حمارة ، هكذا كان الناس يتحكون اذ ذاك ،

قال ثم لما وصلنا فاسا نزلنا بمحلتنا في ظهر المهراس ، فوجدنا امامنا (ابا
حمارة) بتمكنا في تازة ، ببيع فيها ، ويصلى به الناس يخطبون به فسي
الجمع ، وقد فرطت الحكومة في امره بادي، ذى بله حتى انتشر بسرعة ، وكان
اساس دعوته انه يحكى انه مولاي محمد ابن السلطان مولاي الحسن الذى
كان ابوه غضب عليه (كما سبق ان ذكرناه) واول ما ابتدا به امره فيما
سمعنا انه اشترى سبعة ثيران سود ذبحتها كلها في مشهد سيد ومحمد
ابن الحسن الذى يقام له موسم بقبيلة الحياينة قرب فاس ، وقد كان جال
كثيرا في تلك الناحية حتى عرف كل كبار اهلها ، كما كان في كثير من
مدن المغرب والجزائر ، ينتحل التموف والمخاريق ، وقد صبح في يده السحر
فيبهر به من حضر عنده ، وبعد ما ذبح تلك الثيران جلس ازاء الموسم وقد
امتلا بالناس فصار يبكي ويقول للناس الملتفين حوله : ارايتم ما وقع في دارنا
التي استولى عليها الصمالي . فاقاهوا فيها اخي الصغير عبد العزيز المولع
بالاعيب وهم ذكورا وانانا ؟ ثم يعطى لكل من حضر اليه اللوز الكثير . ولا
يلرى الناس من اين ياتيه في اول امره - القول : ياتيه من صنوق فرنسة
التي اثارته فيما يقال - قال المترجم : فيسلب عقول الناس ، فقام بعض
غيانة والحياينة بمبايعته ، فازكبه على فرس واعطوه فسطاطا ، ثم توجهوا
به مع ابن التف حوله الى تازة ، بعد ما فرغها الحاج عبد السلام الزمراني
المعروف بابن السكراء ، وقد اغلق الباب دونه ذلك اليوم . فبات في قبة
امام البلب مبنية على بعض الصالحين ، وفي الفد دخل المدينة فصار الناس
يلتفون حوله بسرعة . والحكومة بهرضة عنه ، ثم توجه بمن التفتوا حوله الى
فاس ، فارسل الخزن جشما يلاقيه . وعليه مولاي الكبير ابن السلطان مولاي
الحسن ، وخيه القائد البشير بن المناح ، والقائد الفاسي ، والقائد يرعى

السباعي قائد الرحي ، والقائد محمد بن العربي بن حمو البخاري ، والقائد الجيلاني الشراذي ، فنزلت هذه المحلة في بلاد (الهبارجة) في الحياينة . ف وقعت الحرب بينها وبين جيش التائر فظهر عليها ظهورا داء ، ثم انهزم ، ولكن هزيمته لم تكن تامة ، وقد جرح القائد يرعى اذ ذاك . فأرسل مولاي الكبير والقواد الذين معه الى الحكومة يطلبون النجدة بالدفاع ، قال : فاستدعاني المناهبي فطلب مني ان اذهب بالدافع ، فان من في المحلة يقولون ان التائر التجأ بعد انهزامة الى قلعة ، فاحتاجوا الى ما يهددها عليه ، فاقترحت ان اختار من يذهب معي ، وذلك بعد ان ذكر لي هو من لا ارضاهم لميدان الحرب من القواد الذين لا يصلحون الا في حين الاستعراض ، فلبى طلبي ، فذهبت بالقائد صالح الزمراني وحده كعماون لي لشجاعته ، فاستدعى المناهبي عمر التازي الذي اصبح بعد ذلك الحاج عمر التازي والذي كنا نعرفه من قبل بعمر الاقرع(1)، وهومن أعوان المناهبي الذين يقفون له على مئونة داره . فاشتري له من السوق ما يتوقف عليه ، فأره ان يشتري للجنود خمسة الاف خبزة وتينا وتمر ، قال : ثم لم اذهب الا بنحو مائة وخمسين مع مدفع واحد . فسافرنا في الحين ، فلما وصلنا (بنى سادن) نزل علينا مطر كثير ، فاطر ذلك في بعض دن معنا فقدمت من هي الى المعسكر ، وتأخرت انا مع المدفع خوفا عليه ، فبت معه في الحلاء تحت الامطار ، ثم اتصلنا بالمحلة صباحا ، فدعينا بالمدفع الى تلك القاعة ، فاذا بها ليست سوى أكواخ وباب نقوس ، فقد درت بالمكان وتحققت كلب من اخبروا بانه قلعة محصنة وطلبوا ما طلبوا ، (حتى ابو حمارة فانه ليس في المكان ،) بل هو في (تازة) ثم نزلنا في (دار الدبان) حيث تضاربنا مع غيابة والتسول والبرانس ، وقد انخرطت قبائل كثيرة زيادة على هذه في بيعة التائر بسرعة ، حتى عمت ايالته كل تلك القبائل يدينا وشمالا ، وقد استفز الناس بالنعرة الدينية التي تصور اقواله على مجورها ، قال : وكانوا يعيروننا باننا نصارى كر ونيثون - نسبة الى الكروني النصراني الانجليزي الكبير على الجنود - ثم كتبت الحكومة الى انا ان اعود الى فاس ، ثم خطر للمناهبي ان يرجع مع السلطان الى مراكش وقد قال له مولاي عبد السلام الامراني : لا عليكم في هذا التائر النهار . فاني ساندته نسفا بالمحلة التي كنت ذهبت بها الى (بنى مستارة) فلذلك عين الامراني كبير كل الجيش المحارب للتائر ، قال : فكنا معه ، فذهب بنا حتى نزلنا على جيش مولاي الكبير ، والامراني هو المفوض له رسميا في الجميع ، قال : وكان ابن الشكراء الزمراني الذي فر من تازة لما دخلها (ابو حمارة) قد نزل بفاس وبين للحكومة قوة ابي حمارة ، وان كل القبائل قد اخلصت له بسرعة ، فاما سمع السلطان والمناهبي ذلك تاخرا عن السفر الى الحوز ، بعد ما كان السلطان عازما على الرجوع الى مكانه المجيب اليه مراكش البهجة .

(٢) لولا امانة النقل لعدت الكلمة لانني لا احب مثل هذا في الناس الا اضطرارا .

حيث الفما الف مند صباحه الباكر ، ثم صار الامرائى النازل فى (اوطابنوعبان) يخالط اصوصا دن نناك القبائل وسداذاها ويستميلهم بنمال ، فاطمعهو فى ان تنقلب نناك القبائل على ابنى حمارة متى كان الزحف ، قال : فداول الامرائى ذلك مع القائد صانج ، والقائد الحاج على البعمرانى والقائد الماودى ، وتركنى انا عمدا فلم يحضرنى ، لاننى كثيرا ما اقول لهم ان للحرب وسياستها لرجالا ، فظن اننى لا اسلس لما يقول دن افن الراى الذى يبديه ، وفى الصباح امر بالنعبنة والزحف ، فوقف الاهرائى فى دووقف الاستعراض ، فصرنا نمر به طابورا طابورا ، وقد كان السحاب يكفهه ، وابتدا الرذاذ ، فامرت جندى ان لا يغيرا الرادى وان يقفوا دونه ، فعبرت انا وحدى كما عبر كل الناس من الجنود غير جندى ، فاذا بالمابرين قد انهزوا امام العدو بكل سهولة كالارانب امام السلاقى ، فوقعت الواقعة فى لحظة واحدة ، فانهزم الجميع ، ولو كان هناك دن يتدبرهم لما وقفوا الا فى فاس ، وقد كان الامرائى منتكلا على ما بينه وبين دن يكذبون عليه دن اولئك اللصوص الفتاك ، فقد طمع ان ينصروه كما وعدوه . فاذا بهم قد خذلوه خذلانا فاضعا فى وقت الزحف ، قال : فقلت للحاج : بنى ارايتم ما اداكم اليه راىكم المادون ؟ فما نحن اولاء لا تقوم لنا قائمة منذ الان امام هؤلاء ، فقد هنتا فى اعينهم هوانا لا عز بعده ، قال : ثم تاخرنا عن معسكرنا مسحين متجادين ، وقد تجرات علينا القبائل ، فنزلنا فى (كعدة الارانب) من الحيانة ، ثم صارت المحلات تتوارد على محلتنا ، فقد جاء عيسى بن عمر بمحلته ، ومولاي عبد السلام الوزانى وجيشه ، وسيدى محمد الامرائى بمن معه ، وهو اخو مولاي عبد السلام ، وعباس المناهى اخو الوزير بمحلته قال : فما اثر الجوش بلا فائدة ، ثم زحف النائر يوما اخر ، فلم تكد الحرب تشتعل حتى كان كبار المحلات اول من هرب من المعركة ، كمولاي عبد السلام الامرائى ودولاي الكبير ابن دولاي الحسن ، ومولاي عبد السلام الوزانى ، هكذا هرب هؤلاء الشرفاء اولاء ، قال : وكنت فى الطليعة احارب مع بعض المشجعان ، فلما رجعت وقت المغرب ، وجدت رؤساء المحلة قد خلت منهم مراكزهم ، وكذلك الضعفة الرعايد من القواد ، فلم يبق الا القائد صالح والقائد اولودى ، قال : فطلبا بنى ان نذهب بذلك اثر المنهزمين ، وقد كان اليوم يوم رمضان ، فبقيت القساطيط قائمة مدفوعة بالخيرات والاثاث والمتاع والقرطاس . كل ذلك فيها دمراكم ، وقد كانت خمسمائة بقلة كما وصلتنا من فاس محملة بكل شىء ، فتركنا كل ذلك لقمة سائفة فى يد العدو ، ولم يبق اخيرا الا انا فى اصحاب لى قليلين نحو سبعة ، هذا مع ان العدو لا يزال بعيدا عنا بعدا ما ، فانما ينتظر ان نفرغ له المحلة ليدخلها ، ثم دهمت القبائل التى معنا المحسوبة بن جانبنا وجيوشنا تجمع من عنادنا ما قدرت عليه بنورها اغتناما للفرصة . قبل ان يستأثر دونها العدو بذلك . ولما شم

الذيب في المدينة ، صار الكل ذئبا ، - هذه عبارته - قال : كنت يوم ذاك مجروحا ، دركب احد اصحابي على بغلتي . وكان لي عليها مال ، فكان دليلى ، فاذا ببعباس احى الوزير وقد بقى معه اثنان فقط من اصحابه ، وكذلك الطيب ابن عيسى بن عمر ومعه ابن دحان الذى اشتهر بعد ذلك فى تيزنييت ، وقد كان من المستبعد ان تنتصر ، لان شرفانا الثلاثة يتنافسون ، ويدعى كل واحد منهم انه رئيس المحلة ، حتى انهم فى عشايا رمضان يطلق كل واحد منهم عند المغرب مدفعه ، فتسمع ثلاثة مدافع ، قال : فلما اشرفنا على فاس انسنا نارا بعيلة فى الاوق ، فاذا بها نيران محلة جده بها محمد بن بوشتا ابن البغدادي هيئت لفتينا ، فاذا بها قد انهزمت ايضا بالسماع فقط لما سمعت بانهزامنا ، فلوقلت النار فى اكواخ كانت قد اتخذتها لنزولها ، فلما راي رفقائى تلك النار اندهشوا ، فقلت لهم : الواجب علينا ان نقف هنا فى وسط هذا الليل الخالك حتى يطلع النهار ، فنعرف من يقاتلنا ومن نقاتله ، فابوا على ، فبقيت انا مع اصحابي الاخضاء . وقد الح على ذلك الجرح ، واما رفقاؤنا الآخرون فقد ساروا فاذا بهم فى وسط جيش كبير جاء من الحوز تحت قيادة القائد المدني الاكلوى ومعه اخوه الحاج التهامي . وقد تخلف القائد عبد الملك المتوكي عن هذه الحرب . ولم يحضرها البتة مع قواد الحوز ، فأمر المدني باولئك المنهزمين فادخلوا عليه . فاتاهم بالحريرة وبالنار ليصطلوا حتى انتعشوا ، ثم ذكرونى له . وقالوا انه تخلف وراءنا ، ولم أتحرك انا من مكاني حتى طلع النهار ، فسرت امامي . فلما وصلت هذا الجيش استقبلني اصحاب القائد المدني وادخلوني عليه ، فوجدته كانما كان ينتظرني ، فاجلسني ازاءه ، واتانى بأدوية جرحي ، وقد كان وردت معه حاحة واهل الدير ومسفيوة من الحوز ومتوكة تحت امر خليفة غير قائدهم ، وكانوا كثيرين ، وبينما انا عنده اذا بكبار جيشه دخلوا عليه ، فتصاحبوا به : ان قم بنا نهرب فان الناس كلهم قد هربوا، وماذا تنتظر بنا بعد؟ فان كل من امامنا قد هرب الى فاس - وكان منزله ذلك تحت (القنصرة) وهى كدية ازاء (سادن) - فقال لهم : اسرجوا الخيل وأوكفوا البغال ، واجمعوا المتاع ، ولكن لا تعلقوا الفساطيط ، فقلت له : ايها القائد لا يستمع لجنك هؤلاء ، فيجب عليك الثبات ، فان ما تركناه للعدو وراءنا سيسفله عدة ايام ، والضباع متى وجدت الفريسة لا تشتغل الا بها حتى تنفضى ثم تتطاب غيرها ، - هذه عبارته - فاعجبه كلامي ، فقال لي ما العمل اذن ؟ فقلت له ارسل الى الحكومة واستاذننا فيما تفعل ، فارسل رسالة الى الوزير يخبره بالواقع واستاذنه فيما يفعل ، فجاء الامر بان يتأخر الى فاس ، وكان الذى ذهب بالرسالة الفقيه ناصر الاكلوى ، وهو خال المناهبي ، فهو سبط الاكلويين ، ولكن هؤلاء لسوا من اسرة القائد المدني وانما تزوجت امة هناك عرضا ، وهى ابنة رجل مناهبي لاشان له ، قال :

ثم وصلنا دار المخزن ، فنزلنا بالامر أيضا في (ظهر المهراس) فأخرجت الينا فساطيل جديدة ، سلاح جديد ، وكل ما يحتاج اليه الجيش ، وقد ضاع الجند كثيرا في الهزيمة بأيدي القبائل ، فذهب سلاح المخزن الكثير . فلما تم الاستعداد ، نزلنا في المحل المسمى بـ(المظافي) قرب وادي فاس ، وفي وسطنا فسطاط المناهبي نفسه ، وهناك اجتمع جميع من حضر ، فلما غنم الثائر كل ما تركناه ضرى علينا ، فدب الى فاس ، فنترحزح متأخرين عن منازلنا خوفا من مهاجمة الثوار ، فقد نزل الثائر في (ثلاثاء، النخيلة) فبكرنا اليه يوما تحت قيادة المناهبي ، وهو شجاع جري ، فنظم الجيش ، فجعل عيسى بن عمر والمدني الاكلوي ورعى السباعي ومن معهم في المسيرة ، وثلاثة طوابير مقدمة ، وعمر اليوسي ومن دعه من البرابرة في الميمنة ، ثم هاجم الجيش الثوار مهاجمة صادقة ، فلم تكن الا لحظة حتى انهزموا هزيمة منكرة ، وقد وقع البربر على كل ما غنمه منا الثوار قبل اليوم ، فهرب الثائر مجفلا ، قال فتبعناه وزدنا قدما ، فنهز بجث جنودنا الذي كان هلك منا منذ ايام ، حتى نزلنا (عين القرع) في الحياينة ، فاستدعاني المناهبي انا والقائد صالح . والقائد الحسين البعمراني ، فأمر أن نكون دبابدب (جمع ديدبلن وهو الرقيب) في الطليعة دائما ، فكنا نحن ودجلة من الشراردة أول من يصدم لو اغار على الجيش مغير ، ثم أن الثائر ذهب الى (عين مديونة) من صنهاجة مع من التفوا حوله ، فصار يتعهدهم بالتمائم ، ويصيحهم بأن يحتاطوا دائها، وجعل أهم كلمة السر(سالم) ثم أنه بيت دجلة الشراردة لئلا فتهبها وذهب بالمدفع الذي فيها ، ولم يهاجم غيرها ، قال : حتى نحن الذين كنا ازاء هذه المحلة لم يهجمنا ، فبقينا في موضعنا خوف الدسيسة وراءنا لو ترحزحنا عن مكاننا لنعينهم ، وقد ادركنا أن للرجل مكاييد ودسائس حربية فصرنا نتحزز منها .

قال : وفي الصباح المبكر ، قامت المحلة فتبعت الثائر فأخرجناه من (عين مديونة) فافتكنا الاسرى الذين كان اعتقلهم في الليلة الماضية من الشراردة، كما استرددنا المدفع الذي استولى عليه أيضا ، ثم رجعنا الى محلنا الذي كنا فيه ، فبقينا فيه أياما ، فرجعنا الى (فاس) حتى عيد الاضحى ، قال : ثم رجع الجيش كله مع المناهبي ، فرابطنا في بلاد سمرارة بهجل يقال له (البقل) ومن هناك الى فاس البالي ، فانشبنا البارود مع قبائل جباله حتى مهدناها ، ففرهوا بما وظف عليهم ، وقد كان قائد المشور ادريس بن يعيش مع المناهبي في هذه الحركة ، وقد بقينا هناك نحو شهر ونصف ، ونحن في جمع كل ما يراد من قبائل هذه النواحي .

قال : ثم كتب الى المناهبي من دار المخزن بأن ما هو فيه هو ومن معه من الاشتغال بقبائل جباله تغريبها ، واختلاف عائلاتهم بينهم وبين فاس كأنهم يتنزهون لا تريده الحكومة ولا تحبه ، إن المقصود هو الصمود الى (أبي حمارة)

حتى يوتى عليه ، فان على المخزن في كل دطاح شمس مائة وخمسين الفريال .
افتذهب هذه الاذوال في الاشتغال بجباله التي لا ينتفع منها المخزن دائما
بأى شىء ؟ وورقات كئاش خراجها دائما بيضاء ، قال : فقمنا عن جبالة لاجل
ذلك ، فاذا بقبيلة منهم تعرضت لنا فحاربناها ، فجرحت هناك الجرح الثالث
فى عرى ، ولم تتجاوز جرحانى خمسة فى حروبي كلها مدة حياتى ، ثم
ذهبتا قلدا والثئر (أبو حمارة) مول وجهه شطر (وجدة) ، فقد احتاجا
وخطب له فيها ، وانما نلقى القبائل التي تهب مع ربيحه فنحاربها الى أن
وصلنا (تازة) التي انتزعناها من غياثة فاحتلناها احتلالا وقع فيه بعض
حيف على الملاح وبعض المسلمين على ما هو معلوم من عبث الجند الفيسر
المجبوط ، فمكثنا فيها كثيرا ، وقد كان شريف يسمى سيدى المدنى السملالى
يكراهه (أبو حمارة) كما يكراهه هو أيضا فانتهب داره وزاويته ، فأوى الى
المخزن ، فكان معنا حتى فى وجدة ، فهو الذى حث المناهبي على أن نحتل
قصبه (مسنولة) وهي وسط هواره فعانة ، أو هواره الحجر - الشك منه - .
فان الثائر اذا احتلها قبلنا سيتمكن فى هذه الجهات ، فانتهب المناهبي قواد
الشراردة لاحتلالها ، وهم القائد الحبيب الشرادى ، والقائد الحافظ ، والقائد
ابن ادريس ، والقائد ولد السيد مولود ، والقائد عمر ، ومعهم القائد محمد
ابن اليربى بن حمو البخارى ، والقائد السفيانى ، والقائد المالكي ، وقائد
الحاط ، والقائد صالح الزهرانى ، وعلى رئاستهم الشريف المذكور سيدى
المدنى ، قال : فاستدعانى انا ليرسلنى معهم فاعتذرت بالجرح الذى أصابنى
فزم على ، فقلت له : أتريد أن أتكلم معك بالحقيقة ؟ فقال : لا بأس ، قل .
فقلت له وهو يتكىء على مخدة له هاميل فى مقعدته ، الا تزال تستحضر ما
كتب اليك به من دار المخزن بأن المتصود منك هو أن تذهب قلدا حتى
تقضى على (أبى حمارة) ؟ وهل ذهابنا الى هذه القصبه هو ذهابنا الى (أبى
حمارة) الذى هو الآن فى محل آخر ؟ ثم انك قدت من القبائل ما قدت ،
فالواجب عليك أن تحافظ على من معك من أولاد القبائل حتى تردهم سالمين ،
ثم ان الراى السديد فى مثل هذه الحالة هو أن تخلى (تازة) وتلك سورها
لانك لا تقدر على المحافظة عليها حتى لا يحتلها أبو حمارة ثانية ، كما لا تقدر أن
تخرجه منها حتى احتلها ثانية ، ثم بعد ما تدرك سورها ترجع الى السلطان
والى من معه من ارباب الكلام (لا من ارباب الحسام) فتطلب أن يخرج السلطان
ليراه الناس فيؤمنون بان ساطانهم اوجود ، وليس بخيالى كما يذيعه الثائر
بين الناس حتى صدقود ، ويخرج كذلك من لا يعرفون ما تلاقه أنت ، ومن
معك فى هذه المعارك ، ليدوقوا حظهم من برازة الحرب ، ثم ان خرج السلطان
فان الناس سينقادون اليه بلا ريب ، وان لم يخرج فقد قمت بواجبك ، وحافظت

على من معك حتى رددتهم سالمين ، قال : فامعن في بعيتيه مليا متأملا فيما قلت ، فاذا بالفائد عمر اليوسى يناديني يا فلان : ان المحلة قد قامت واصحابك لا يزالون جالسين وانت لا تزال هناك ، فطلب منى المناهبي ان اذتر دطالبي . فقلت له بغضب لامطلوب عندي ، فتبعته الاوامر ، فتهيانا فذهبنا مع الدهابين ، قال : فاما وصلنا تلك القصة ، وجدناها عامرة ببعض من يجاورونها ، فذهب سيدي المدني فلأطف من وقفوا ازاءها . ففتحوا لنا الابواب فاحتللتناها ، وقد كان طلب منى مالا يعطيه لهم ، فقلت له : انت هو كبير الجيش فان كان عندك رصيد لمثل هذا فانفق منه ، اما انا فليس عندي الا القنابر والرصاص ، فولى عنى عابسا باسرا .

قال : ثم ان المناهبي مكث بعدنا في تازة سبعة عشر يوما ، ثم في ليلة اعلم خيلا من بني عوهته ، فلم يصبح الا مسافرا الى فاس ، فلما وصل اقترح على السلطان ان يخرج ليراه القبائل ، فاذا بغريط وامثاله وسوسوا للسلطان وراهه بانه ترك الجيش في تازة وجاء ، يطلب منك الخروج فيأى جيش تخرج الآن في عين الناس ان اردت ان تخرج ؟ فاصاخ لهم السلطان فاجاب المناهبي بمثل ذلك الجواب ، فارسل هذا الى الشريف مولاى الطيب الوزانى ، وكان البرابر واهل المغرب ينتصون لهذا الشريف ، فقال له : اريد منك ان تعلم القبائل لثانتي الينا بخيلها ورجلها بريالين للفارس وريال للراجل ، عن كل يوم ، ولهم السلاح الجديد نعطيه لهم بدل سلاحهم المعناد ، فاجتمع بذلك كثيرون فخرج بهم السلطان من فاس مع المناهبي . فنزلوا في (اوطابوعبان) وقد كان محل نجوى المناهبي في تازة عيسى بن عمر ، وادريس بن يعيش ، والطيب الكنتانى ، وعمر اليوسى ، ومحمد الكنتارى ، الا انه لم يشاورهم يوم غادر تازة .

ثم ان (ابا حمارة) الذى عرفنا انه في جهة (وجدة) صار يلب الى جهة (تازة) من جديد في هذا العهد . بعد ما ظن انه مهد تلك الناحية ، فلما وصل ملوية بلغنا الخبر نحن الذين في قسبة (دسنول) انه في محل يسمى (مئلوتو) فاجتمعنا نحن القواد الذين في القسبة ، فاقترح الشريف سيدي المدني ان يذهب جنده منا على البغال التي معنا بكرا . اربعين ريالا لكل بغلة ، وعلى كل بغلة ، جنديان ، ليعارض الثائر هناك ، قبل ان يصل ، ولم يكن المحل الذى هو نازل فيه بعيدا عن القسبة كثيرا ، فلما ذكروا لى ذلك اعتلوت بانسى مجروح ، وبان من دعى لا يفيدون فى ذلك ، ثم اعلنت معارضتى فى ذلك المقترح ، فانفخ ذلك بما قلت ، قال : ثم بينما احلق راسى يوما امام القسبة اذا بمن اخبرنى ان خيل الثائر قريبة منا ، يقول انها تهاجمنا قبل ان استتم حلق راسى ، فقمنا فكان الهالك من العدو اكثر من الهارب ، وفى الغد حمل علينا ايضا الثائر نفسه ، فاردنا ان ننداش الى تلك القسبة فاذا بابها مسدود

بأمر القائد محمد بن العربي بن حمو صيانة لها في زعمه ، فبتراكم الناس
امام الباب وهم يداومون مصاربعها، وهناك سقط فرس القائد مبارك الكيلوثي
ومعنا القائد عمر السكتناني ، فصرنا ندافع العدو امام الباب ، وكذلك بعد
ما دخلنا مقتمحين ، وقد تركنا المدفع امام الباب بعد دخولنا ، فيتربص بنا
العدو المنكمش وسط الوادي ، فصرنا نستقيث بمن في (تازة) بالرسائل التي
نلقها في الظلام وراء السور للرسول ، فلم يقفنا أحد ، حتى أن خيلا نحو
ستمائة من هواره فحامة ، اصحاب هذه الارض ، وقفوا يتفرجون علينا ولم
يعينوا احدا من الطرفين ، وقد كان دخل معنا القائد حلو الورائني ، فلما
راى البارود قويا ذهب الى الرئيس المدني فقال له اننى سأخرج ، وقد خامرته
الرب ووطن ان هناك مقبرتنا اجمعين. فجا، الى الشريف سيدى المدني يستشيرنى
في ذلك ، فقلت ان شاء أن يذهب فليذهب الى حيث ألقت رحلها ام قشعم ،
فطلب منى الا يعطيه له لعله بهذا ، فانكرت عليه من ذلك كما انكرت عليه
في مثله من قبل ، ثم فتحنا الباب فخرج القائد الرعيد خانفا يتربص ، فما
ابتعد قليلا من الباب حتى وقف ، فتمعجت انا حين تركه الثائر واصحابه فلا
يطلقون عليه الرصاص ، فامرت بعض اصحابي فخرجوا فنظروا ، فلذا بالثائر
واصحابه لا انيس منهم الا من ماتوا ، ثم تبين ان الثائر كان مجروحا فعمله
اصحابه . وفروا به الى قبيلة البرانس ، فارنا اذ ذاك بغروج البهائم لترد
الماء ، فتنفسنا تنفس الحياة ، وفي الغد جات محلة تازة باعلام عظيمة ،
كفابة النخيل ، قال : فقلت لهم ان الثائر مجروح وهو نازل هناك ، فان
أردتم أن نزحف اليه زحفنا . فقالوا انما جئناكم بلخيرة البندقيات بسبب
رسائلكم التي واليتموها الينا ، فقلت لهم امس الدابر هو يوم العاربة لا
هذا اليوم الذى لا حرب فيه ، ثم ان (أبا حمارة) لما رأى هو واصحابه الجيوش،
وقد كانوا نزله به فى (الشميحنة) اهر فنزل من هنالك الى (عين القرع)
فوق (مكناسة الكبيرة) ثم ارسل طابور قبيلة خمزة تحت امره قائدهم ،
وطابور القائد يرعى السباعي الى (مكناسة الكبيرة) فاحتلوها ، فهم تحت
منزل الثائر وهو فوقهم ، وفى الليل طرقتهم جيشه ، فهلك كثير من جيش
يرعى ، وهرب هو فى ثلاثة من اصحابه ، كما هلك جميع الحمريين ولم يبق
منهم أحد ، فغنم منهم العدو سلاحا كثيرا ، وقد كان عدد الجميع خمسمائة،
فاذ ذاك انتعش (ابو حمارة) ثانيا بما غنمه من هؤلاء ، وقد برى من جرحه،
فصارت القبائل تاتيه ايضا ، وفى ذلك المعزل وصل الى الثائر عبد الملك بن
عبد القادر بن محيي الدين من الجزائر ، فيتعاون معه ، وقد كان عبد الملك هذا
عارفا بادارة الحرب على ما بلغنا ، فصارت الحروب تترى فى هذا العهد بين
المخزن وبين الثائر ، وهى سجلال بينهما ، هذا والسلطان لا يزال فى محله،
ولا لمبت كل حش باتى من عنده ان نهزم ، وقد صمد الثائر للمقاتلة بحيله

ودساسه قبل خيله رجله ، فل : ثم ان من في (نازة) من كبار الجيوش تاملوا ردهم على الافلاج عنها الى محلة السلطان من غير من معهم من الجند فاذا بالقبائل تزلت عليهم في (وادى الحضرة) نهلك منهم كثيرون. فوصل من نجا الى محلة السلطان ، وحوصر من بقي في (نازة) حصارا افاقا والحواف ، فهلك فيها كثير من الالف الخيل والبغال والجمال ، فعادت صولة التأثير جدعة ، هذا ونحن لا نزال في قصبتنا في (مسول) قال : فاعلنا الامان لكل من يصل اليها من القبائل المجاورة لنفوز بالمبايعة في البضائع معها ، ولما آتسوا الامان اقبلوا علينا فبيع بهم واشترى بالقلء الفاحش ، حتى اننا نشترى صاعا من شعير بأربعين ريالاً احيانا ، والفاقة الدخان بربع ريال ، واما ما بين نازة وفاس فان الحصار ممكن فيه ، والسبل مقطوعة ، حتى لا يمر الا من له قوة تجيزه ، فقد اتى المدني الاكلوى مع اخيه التهامي من فاس بماله مخزني الى نازة ، فعورضوا في (وادى الحضرة) فدافعوا عن انفسهم وعن المال المخزني المحمول على خصمائه بغلة ، فلم يجيزوه الا بمشقة ومقاتلة شديدة ، وقد جرح هناك القائد المدني ، وبسبب جرحه تخلف عن القواد الذين غادروا نازة فارين الى محلة السلطان كما ذكرنا ، فكان هذا المال هو الذي نفع من في نازة ومن معنا في تلك القصة، وقد كان التهامي اذ ذاك يتردد مع اخيه القائد المدني .

قال : فبقي الامر كذلك ازيد من سنة، لا يصل اليها شيء من فاس الا بقوة، او بجيلة . كما فعل المناهي مرة ، اذا استدعى البرابر وطلب منهم ان يوصلوا بالكرام مئونة الى من في (نازة) وفي قصة (مسول) التي نحن فيها ، فعلا امامهم الاواني الفخية وبكعب الفزال واهمالهما ، فلما ناموا على ان يبكروا الى السفر عمد الى الضرورات من ذلك ففتحها وملاها بالمال الا ما يجعله في اعاليها من ذلك سترا وتقليطا ، فلما اصبحوا حملوا ذلك على انه طعام ، فوصلوه الى اماكنه هم لا يشعرون، فنفع الله به ايضا مدة ، وبهذه الطريقة يرض علينا احيانا ما ينفع غلنا بعض النفع .

قال : ثم جاء الامر بان نرتحل من (القصة) ومن (نازة) فان قدرنا ان نقطع من هناك الى (فاس) فعلنا ، والا فلنذهب الى (وجدة) حيث ستلقينا السفن لتحملنا الى المراسي الاخرى ، فاخترنا ان نتوجه الى وجهة (وجدة) وهكذا امضينا ما امضينا في مكاننا هذا ، وقد تيسر لنا بعض المعاش ، على حين ان من في (نازة) لا يزالون دائما في ضيق ، ثم اتنا لم نجد ما نحمل عليه الاثقال . لما عزمنا على الارتحال ، فقد ماتت الهائت التي كانت عندنا كلها بالجمء لعدم التبن او الكلا ، فصرنا نوقد النار في المتاع الذي معنا اسبوعين . وتلك عادة الحرب ، تقضى بالفساد ما يخاف ان ينتفع به العدو . وقد غادرنا هناك كثيرا من السلاح الذي لم تسمح نفوسنا بان نفسده بأيدينا ، ثم وصل اليها من في (نازة) فانهما حين انتعشوا بما جلوده عندنا من الحبوب ، ثم

أقلعنا معهم ، فحملنا اعباء القتال بين تلك القبائل ، وقد نظمنا سيرنا ميمنة وميسرة وساقية ومقدمة ، قال : ومعنا القائد المدني الاكلوي واخوه التهامي ، والقائد يرعى ، والقائد صالح ، وهؤلاء وأنا هم الساقية ، وبيننا المدافع الى ما بقي في الحياة من الدواب التي تحملها ، فسرنا هكذا منزلة منزلة بنوذة وتحرز ، حتى وصلنا بلاد الاحلاف ، فانتهب الجند الذي في المندسة سلاح (وادي زا) فانكرنا عليه ذلك ، ولكن ما العمل مع الجند الجائع العريان ؟ وقد وجد الجند اللذرة كما افركت في الحقول هناك ، فصاروا يشوونها وياكلون ، وقد بقينا هناك ثمانية عشر يوما ننظر حمادة البوزكاوي ، وآن مصاهرا للسلطان مولاي الحسن بينته . ولم يتبع هو (أبا حمارة) لذلك ، فانظرناه فلم يات ، فقلعنا ، فلاقتنا حرب من بعض شذاذ القبائل امامنا ، فكنت انا والتهامي الاكلوي نرجع الى المهاجمين فنردهم وحدنا - ثم اتنى على شجاعة التهامي وثباته - الى أن وصلنا (عيون سيدي ملوك) قال وهناك ورد علينا السيد عبد الرحمان بن عبد الصادق باشا طنجة ، مع احمد بن كروم البخاري الذي كان باشا في (وجدة) وفي القد جاء ولد حمادة البوزكاري الينا عوض أبيه ، وبعد مكثنا هناك ما شاء الله ذهبنا الى (وجدة) التي افلتت قبلنا من يد (أبي حمارة) وقد رجع اليها باشاها المذكور ، فبقينا ننتظر هناك ما شاء الله ، فاذا بالامور تنقلب في الحكومة ، وقد سقط نجم المناهبي ، وكان عمر التازي يتولى كبر ذلك مع أنه ولي نعمته ، فجازاه كما نرى ، واعانه عليه الكباص وغريط وعبد الكريم بن سليمان ، فاتفق الكل عليه ، فغادر يوم عيد فاسا تحت مطر منهي . فقصد (طنجة) . وقد كان محميا بحماية الانكليز ، فكان ذلك آخر عهد بالحكم العزيزي ، فتولى عمر التازي المالية ، فاذا ذلك تمزق السلف الذي تسلفه المغرب كما هو مشهور ، وما يوم حليلة بسر .

قال : ابطانا في وجدة ، فكان يتسرب الينا أن كل من فيه رائحة المناهبي تنصب الشباك حوله ، ونحن هنا منهم ، ولذلك لا يهتم بنا ، بل حتى المئونة تقطع عنا كثيرا ، حتى كنا في ضيق شديد ، وربما لا يعيش بعضنا الا بالخزوز ، هذا زيادة على الحرب التي نلقاها صباح مساء من أصحاب ابي حمارة .

قال : ومن الوقائع التي وقعت انا دعه ، وقعة (ماجربقنة) ، فقد انهزم فيها عسكرينا ، وقتل منا جيش التائر ست عشرة مائة ، وقطع منا من الرؤوس ما حمل على اربعين بغلة ، واخذ من الاسرى مئات ، فارسل الجميع مع ثلاثين فارسا الى محله ، فرأى القافلة رجل يزاسني يسمى عيسى ، فتعرض لها ، فردد قاندها ، ثم آخر ، فهرب الباقون ، فسأل الاسرى من هم ، فلما عرفهم اطلقهم كلهم ، ، فكان انتصارا غريبا برجل واحد ، قال : وكان التائر ينوي أن يعلق تلك الرؤوس على الديوانة التي في يده ، وهي المجاورة

(الميلية)، وكان يستغابوا باخذ دخلها الى آخر ايامه ، ولم نستطع ان نحول بينه وبينها .

قال : كان ابو حمارة خطب بنت البوزكاوى المذكور ، فلم يمكن له الا ان يخطبه فيها ، فلما زفت اليه ردها قائلا انما غرضى فى بنت ولدك السيد محمد الجميلة ، اقتعظون لمولاي الحسن ما يريد لما زوجتموه وتعطوننى أنا ما امره ؟ فقال له : ان مولاي الحسن أرسل من اخنار له ، فارسل أنت ايضا الينا بن وزيارتك ودمن تتق بهن من عريفاتك ليخترن لك ، فارسلهم وكانوا نحو سبعين ، قال : وقد كان البوزكاوى أرسل الينا سرا ان نرسل اليوم الفلانى مائة بغلة مع ثمنونها وثمانون من معها ، ثم ان اصحاب ابى حمارة جاءوا فاضاف الوزراء منهم ، وفرق غيرهم على اخوانه ، ثم جهل بينه وبينهم امامة ، ثم صار يستدعى الوزراء فى العشية وقد أخرج لهم الكسوة ، فيامر كل واحد ان يستحم أولا ، فكل من ادخل الى الحمام يذبح هناك ، ثم أعلن لاقوانه الامارة التى نأمر معهم عليها ، فذبحوا أيضا كل من عندهم ، فحمل انقاله على بهائمهم وبيهائمهم وعلى البهائم التى وردت اليه من عندنا ، فسم الدست بذلك على ابى حمارة .

قال : فتلقيناه ومن معه ، وفرجنا بهم واتينا بهم الى (وجدة)، ثم اغار ابو حمارة على تلك القبيلة فمك بها .

قال : ثم جاءنا احمد الركينة التطواني الذى تعين حاجبا للسلطان اخيرا ، وقد بعث بهال عظيم من فاس ، وقد سبق الينا العلم بما جاء به فينا ، فبعد ايام طلب منا ان نلبى دعوته . وان تهيأ لعرض الجند عليه ، هذا وقد تناجيت أنا والحاج على ، والقائد صالح ، واحمد الخراب ، والمدنى الاكلوى ، فيما نحن نقدمون عليه ، وقد راودنى بعض اهلى از أفرطفى المدنى الاكلوى . وان لا أقف دونه لاننى شرادى وهو كلارى ، فابيت أنفة، ثم خرجنا الى سيدى عيسى خارج المدينة ، وهناك ضرب الركينة فساطيطه ، واتينا بجنودنا كما طلب ، والمقصود ان يعتقل المدنى الاكلوى كما فهمناه بما وصلنا ، فلما جلسنا كلنا أخرج رسالة فيها ان كل من فى وجدة يذعب مع الركينة ، ويبقى الناجم والحاج على واحمد الخراب والقائد صالح ، فقال له القائد صالح اننا ما جعلنا قط حامية فى أى محل ، بل نحن جيش الكر والفر ، وانما يكون حامية من كان مستضعفا من الرجال ، ثم قمنا بنا فامرنا ابواقنا فاطلقت صرخات زاعقة ، وذهبنا عنه وتركناه اذل الناس .

قال : ثم صرنا لا نذهب الى دار الحكومة التى يحتلها ، وندير الحرس بدار المدنى خوفا عليه ، ويكون معه يرعى . وان كنا نعرف ان يرعى غدار ، حتى اننا ان اراد المدنى الحمام نجرسه فى الازقة وفى الحمام نفسه ، ولا نفارقه حتى يرجع ، وكل ذلك مراعاة لكون الاكلويين احوال المنابهي ولى نعمتنا .

قال : فلم نزل في حرب مع ابي حنيفة سنين ، والحرب بيننا وبينه سجلاء ، حتى ايس بن احتلال (رجة) فذهب الى (سلوان) ثم اعطى المدني مائة الف ريال لعمر التازي ، فسرح الى فاس ، ثم الى دره ، فذهب من عندنا ، وتان مروره على الجزائر ، وفي تلك السفارة وصل الاسلاك مع فرنسة ، ثم كان ما كان بعد ذلك مما يعرفه التاريخ . .

قال : كان المدني ويرعى قبيلي الدين غير مصونين في اخلاصهما ، يعرف ذلك كل من عاشرهما اثنا - هذه عبارته . وعليه عهدها .

قال : تان ابو حمارة حمل (وجدة) بما شاء الله ، حتى انجلى عنها لما بلغه خبر احتلالنا لتازة ، فورد علينا فوقع بيننا وبينه ما درناه ، فوجدنا نحن في وجدة احمد بن سرتوم وعبد الرحمن بن عبد الصديق ، ولم نجد فيها واحة للناظر ، وانما الذي لا يزال يهذب بريجه بعض القبائل هنا وهناك ، وهي التي لا تزال نجارها ، على أن القبائل لا تجارب عنه وانما تجارب دفاعا عن مالها الذي تخاف أن يبتزها الجيش منها ، فلا ريب أن ما فعله الجيش يوم دخل تازة باليهود وبعض المسلمين ، وما فعله أيضا بالملاح السدي ذكرنا بهبه في (وادي زان) يشير شعور الناس بالخوف ، وذلك زيادة على المغارم المحزنية (الفرايض) ، ثم ان احمد الركينة لم يات لي (وجدة) الا احيرا بعد ما كنا فيها ما شاء الله ، ثم بعد ، سافر القائد المدني الى الجزائر بعد أن ذهب قبله أحوه انتهى الذي ذهب بسلاح كثير . كان هو وأخوه يشتريانه من الجند لما جاع ، بقينا نحن في وجدة ما بقينا . حتى جاءنا أيضا ابو حمارة ، وقد عرفنا نحن السموكه في حلقه . فحاربناه ما شاء الله (عين) انصافا) بن بنى يازة سنين ، وفي (وادي بدير) حيث انهزمت امامه . وكنت أنا وبراء القواد بولد بالايدي ، وقد ضرب ترسي بكنت اسقط من فوقه ، لولا اصحاب لي اعانوني حتى علوت فرسا آخر ، وقد استمرت هذه الحرب التي كانت سجلاء من عام 1321 هـ الى 1325 هـ . وقد انكسرت رجلا القائد الحاج على البعهراني أخرا في احدي المهادك ، فهناك بقي بذلك ، وقد دهم التائر (عيون سيدي ملوك) بعد ما نسف السور ، فقتل من كان فيها بعد ما حاصرهم ما شاء الله ، وما أكثر الوقائع هناك ، ولكن لكونها تشابهه لا يستطاع ضبطها (من الحاشي) ، ولذلك اختصرناها ، قال : وقد كدنا نهلك كلنا في بعضها ، فاولا ان انسانا اقصى الينا بان بنى بترتاسن سيزحفون الينا ، فانخلدنا الاحتياط لقضي علينا ، لانهم لما زحفوا الينا وجونا مرتحلين .

قال : ثم جاءنا الاهر بان نقلع من (وجدة) الى (الريف) يوم انقطع ابو حمارة الى الريف ، ولم ندر سبب هذا الاهر الا بعد حين ، خرجنا متوجهين لما امرنا به ، فنزلنا في (وادي ماوية) وبعد ثلاثة ايام احتلت فرنسة مدينة (وجدة) ، فعرفنا ان هذا هو السبب ، وكان هذا الاحتلال بعد وقعة الطيب

(موشان) الشهيرة بمراكش ، وقد خرج اهل وجدة مرحبين بالحملة الفرنسية، كأنهم لا يعرفون أنها فاتحة احتلال عام لكل البلاد ، فخرج معهم الحاج علي على بقلته برعما ، لكونه وحيدا بينهم ، وهو كما تماثل من شفا. رجليه ، فيقدر ان يمشی عليهما بعكازين ، وحين كان الناس يحيون رئيس الجيش الداهم لم يرفع اذاج على يده للتحية ، فنادى هذا الرئيس الباشا احمد ابن كروم . فسأله عن هذا الذي لم يحي كما يقضيه الادب. فقال له انه من بقة الجيش الذي كان مرابطا هنا ، فجاء ترجمان فترب على الحاج علي ، فاطرق هذا براسه ولم يجبه . فاذا كان جواب الاحمق السكوت فكيف لا يكون السكوت جواب من لا تومن بوادره من الطفافة ، ثم دخل داره ، فاذا ببعض من هم مع الفرنسيين قد وغلوا عليه فانتهبوها ، فبقى هناك الى حين فقيرا وقيرا

قال : ثم صرنا بعد نزولنا في (ملوية) نتطلع من الكدى ومن ثانيا الجبال وشعفها نحو الريف ، حتى عرفنا الطرق اليه والشعاب فركبنا يوما بفرساننا، وقد تركنا ائقالتنا واخبيننا وراءنا في محلها ، فولجنا في طرف الريف ازا (كبدانة) فبنينا اخصاصا اتقاء للمطر لنسكنها ، وفي كل يوم يركب طابور منا ، فيذهب حتى يتقابل مع طابور يرسله ابو حمارة ، دمننا على ذلك بلا قال ما شاء الله، قال : ونحن كثيرون أكثر من عشرة آلاف ، وهي البقية الباقية من السبعين الفا التي خرجنا بها من فاس ، وفي يوم ثار البارود بين طابورنا وطابور النائر ، فاغتننا اصحابنا ، فدهمنا محل نزوله في (مرشيكه) فغنمنا منه ما غنمنا ، وكان هناك يتوصل من فرنسة واسبانية بما يريد ، فيقيم هناك سوقا لقبائله داستحوذنا على كل ما في معسكره فرجعنا به ، فبنينا الاخبية التي غنمناها منه، وفي يوم زحف ايننا ايضا من منزله الجديد الذي ينزله هنالك ، واما محله الخاص فهو (سلوان) ازا. الناصور ، وكان قصبة مخزنية فاحتلها واتخذها دارا ، وهي حصينة ، قال : ولم ارها وانما وصفت لي ، قال : ثم لما عرفنا مسالك الريف وطالت فيه اقامتنا ، ارتحلنا باخبيننا وناعننا وكل ائقالتنا من ملوية الى غيرها، ثم زحف ايننا ايضا فدحرناه ، ولكننا لا نتمكن من القضاء عليه ، وانما نترك منه قتل تقطع رؤوسهم ، ثم تقدم جيشنا فنزلنا في (مرشيكه) نفسها ، ازا. (الجزيرة) في سيف البحر الابيض ، ثم صار يلم ايضا جيشا آخر ، وهو يتوصل بالسلح التام وبالمدافع وبالمتونة وبالمال الكثير من اصحابه فرنسة واسبانيا كما كان يقال ، فكان يعيش هو ومن معه في سعة ، واما جيشنا ففى شظف عيش ، فلا تقنات الا بالسنايل نقتطفها من الزرع فتشويها ونلتهمها ، وكان الوقت وقت افراك الزرع ، فلما اجتمعت له القبائل بحزمه وعزمه واخافة الناس حتى انه قتل في يوم واحد سبعين من الطلبة أنكروا عليه ، يجمعهم

خمسة وخمسة ويوقفهم امام المدفع ويطلقه عليهم ، قال : بكر الينا يوما مع الفجر زاحفا فقمنا اليه ، فظلت الحرب بيننا وبينه الى ما بعد المغرب ، وقد حزننا من معه باكثر من ثلاثين الفا خيلا ورجلا ، وقد التفت هذا اليوم حوله كل من انضاف اليه من غيائة الى الريف ، فوقف اليوم بنفسه يقدم القبائل ، ويعين الفرسان ، ويتبين مواقع الضعف من بين اصحابه . فيرسل اليها من يسدها ، فلما نزل الظلام ، وانقطعت الحرب بيننا وبينه ، وقد توافقنا النهار كله ، ظننا انه لا يزال مرابطا علينا ، فحفظنا ان يهاجمنا في الليل ، فدسستنا الى جهته من رجع ، فاخبرنا بانه لا اثر له ، وانما صار وجه الارض حوالى موقفه مكسوا كله بالقتلى والجرحى ، والحيل الميتة والمنكسرة ، قال : فذهبت الى صاحب ذخيرة الحرب فسألته عن الباقي في الخزانة ، فقال : ان اليوم اتى على كل ما عندنا ، فكنت اعطى الى كل من اتى الى بلا حساب ، لانه لم يكن فى امكاني الا ذلك ، فلم يبق الا ستة عشر صندوقا . قال : فدهشت وقد علمت ان (القرطاس) لم يطلق كله على الاعداء ، بل خبي ، بعضه عند الجند ليعمونه من الفد للقبائل ليتوصلوا منهم بما يقتاتون به ، لان الضيق والفاقة قد بلغا بهم الغاية ، وقد انقطعت عنا المؤونة من ازمان ، وقد تمر ثمانية اشهر فلا نتوصل الا بمؤونة شهر ، وقد نعطى عن هذا الشهر اكياسا من السميد يحسب علينا فى ثمنها كل ما سنتقاضاه ، فيريد احدنا ان يبيعها ليقضى بئمنها بعض اغراضه ، فيشتريها منه نفس من دفعها اليه بنصف ما حسبها به عليه ، وربما يردها علينا هى نفسها فى حساب آخر بضعف ما اخذها به منا ، وهكذا ذواليك ، قال فاستخرجنا تلك الصناديق الباقية من القرطاس ، فاستدعينا القواد ، وسألنا كل واحد عما مات من خيله ورجله ، فلما قيدنا ما قال كل واحد منهم ، امرنا بحفر الخنادق حول المحلة ووضعنا متارس وراءها تحصينا لموقعها ، ثم عمدنا الى التقييد لئرساله الى كبير محلتنا عبد الرحمان بن عبد الصادق الذى اوى الى (مليبية) فيتصل بنا بواسطة اخوانه الريفيين المتحاشين اليه يترددون بيننا وبينه بالفلاك ، فلما هيأنا للدفاع عن المحلة اوصيت كبار الجند ان لا يفرطوا فى الدفاع ان رجع اليهم النائر غدا ، فان لم يجدوا مناصا فالجزيرة المنقطعة عن البروهى وراءهم يتحاشون اليها ، قال : فدخلت انا فى القارب الذى يقوده الريفيون اصحاب عبد الرحمان بن عبد الصادق فكنت انا هو الرسول ، فلما قاربنا مايلىبة ليلانا انا الحرس من الاسبان ، فاجبناهم باننا قادمون على رئيسنا ابن عبد الصادق ، وطلبنا منهم ان يستاذنوا لنا ، فاذن لنا بالدخول الى المرسى ، فدخلت على الرئيس فوجدته نائما ، وكان توجهنا فى الليلة التى وليت يوم الحرب ، فايقظناه من النوم ، وقد عرف من انا ، فخرج الى وهو حاسر وله اذنان طويلتان تبينتهما فى الليل على ضوء القمر ، فقلت له لا كلام قبل

ان توصلنى بطنجة . لا يرق اليها بما أتيت من اجله ، فاملت البرقية بخير ما وقع لنا فى المعركة ، من موت ما هلك لنا من الخيل والرجل ، وأنه لا قرطاس ولا مئونة عندنا ، فقد زحف الينا الدائر بنفسه ، فقاومناه النهار كله ، فامنا أن نقيثونا والا فوداعا بينكم وبين جيشكم هذا ، ثم جاء الجواب فى الحين بأن السفيتين المخزنتين اللتين تسميان (المعدنوس) و(الجبل الكبير) موجودتان الآن فى مرسى طنجة ، وسيوسق عليهما فى الحين كل ما طلبتموه ، زيادة على ثلاثة طوابير أخرى من الجند ، فسياتيكم الجميع فى الحين ، فكونوا رجالا كما يراد منكم ، فان عليكم وحدكم الاعتماد فى مقاومة الثوار .

قال : وهناك سفينة أخرى نالكة تمام سفن المخزن الموجودة عنده اذ ذاك تسمى (التريكى)

قال : فلم آكل ولم أشرب ، وسرت اقىء كل ما فى بطنى بنائير هواء البحر ، حتى جاءنى الجواب فكتبت رسالة مع الريفين بذلك ، فذهبوا بها فبكروا عند اصحابنا فى المحلة ، ثم بعد صلاة الصبح استلقيت نائما من الاعياء ، فظلمت ثم يت هناك، وفى اليوم التالى شاهدت السفيتين امام (مليلىة) فرتبت احدهما ، فأتيت اصحابى ، بكل ما طلبناه ، واما المئونة فلم تصلنا الا مئونة خمسة ايام فقط دراهم ، ولكننا فرحنا بالقرطاس ليتمكن لنا الدفاع عن انفسنا لئلا ياخذنا العدو باليد ، قال : ثم قطعنا ضحل الماء الذى يعبر به الى الجزيرة فبقينا فيها الاخبية ، فامنا فيها أن يبيتنا العدو ، وقد كان الكائر استولى هناك على المحل الذى تعشر فيه السلع - الديوانة - فاردنا ان نحول بينه وبينه بعملة منا على محلها ، ولكنه دافع عنها دفاع المستميت ، فقتعنا من الغنيمة بالايب ، ثم صادت اجوبة الرسائل التى نواكها بطلب المئونة من الحكومة لا تتضمن الا قولها : صار بالبال ، صار بالبال ، فاين ذهب السلف الذى دخل اذ ذاك الى المغرب ؟ ام لعبت به ايدى تجار فاس وغيرهم ؟ فلا حول ولا قوة الا بالله ، قال : وهكذا بقينا فى مسغبة عظيمة حتى رقت لنا اسبانيا قبل ان نجد الرقة فى وزرائنا ، فاعطتنا دفعة مئونة شهر ، فقد دفعت لنا التبن والشعير للبهائم ، والدقيق والزيت والحوت والتهوة، ثم انما متى اردنا أن نكتال من قبيلة (بني يَزْرَئَسَن) بما تمصصه من الدراهم بمخالطة بعض القبائل نذهب بنحو الفى بقله ، مع نحو ذلك من الخيل حراسة لها ، فبقينا هناك اكثر من سنة والحرب متصلة الحلقات ، وهناك مات القائد المولودى عم القائد العربى الذى هو الآن فى عهد الاستقلال قائد للمشور الملكى ، فقطع راسه وذهب به الى (سلوان) عاصمة الكائر فعلق هناك ودارت حوله ألعاب الخيل ثمانية عشر يوما فرحا بالظفر به لكاتته عندنا ، فنوى القائد العربى المذكور مكانه ، وكانا معا تحت نفوذ القائد الناجم الذى يحكى لنا .

قال : وذات يوم وردت علينا رساله جاء فيها : الم نامركم مرة بعد مرة ان
تسحبوا من هناك وان تدخلوا الى الجزائر لتاتيكم السفن لتردكم الى داخلية
البلاد ؟ فدهشنا وتسالنا متى وردت علينا مثل هذه الرسائل بهذه الاوامر ؟
فعلمنا حينئذ ان من يلون شنون الحكومة يريدون ان يغلو الجو للتاثر لينتصر
ويعلو شأنه تنفيذا لخطه فرنسة التى تعين التاثر وتسخره لفائدتها ، فاتصلنا
نحن اذ ذاك باسبانية ، فقال لنا من نتصل به منها : ان حكومتكم قد
غارتكم ، وارادت من قبل اليوم ان تضحلوا . افلا ترون انكم امرتم ان
تخرجوا من (وجدة)اولا ، ثم لم تكادوا تغادرونها حتى احتلتها فرنسا ، وان
المثوبه قد قطعت عنكم كل هذه الاحقاب ؟ ام تكن لكم عقول تفكرون بها ؟
ثم كتبت الى الحكومه انه لا يتبعنا احد من جنودنا اذا اردنا الان ان نذهب الى
الجزائر ، كما امرنا به ، لتركب من هناك . هذا ونحن نريد ان نقف معنا
اسبانية حتى تحملانا الى حمى (مليلية) فلبت اسبانيا مطلبنا ، وهيات لنا ما
نحتاج اليه من العلائك والسفن التى حشرتها الينا حشرا ، فكنا حين سفرنا
من الجزيرة فى حالة سيئه ، وثياب خلفه فاجتمع اتباع التاثر فى ساحل البحر
يشيرون الينا ، ويسخرون منا ، شامتين ، وقد هددهم اسبانية ان هم
حركوا ساكنا ضدنا ، فانقلنا بكل امتعتنا وهن معنا ، فتلقتنا العساكر
الاسبانية فى (مليلية) ترحيبا بنا ، وقد اثنوا على شجاعتنا وتضحيتنا فى
مواقفة الثوار فى كل هذه السنين ، رغم اعراض حكومتنا عنا ، ثم دفعنا
للاسبانيين اسلحتنا بالقييد لناخذها منهم كذلك يوم نخرج من عندهم ،
فانزلونا هناك ، فى بسيط امام مدينة (مليلية) وصاروا يهونوننا كلنا مئونه
كافية بالدقيق والحوت والزيت والتبن والشعير والكل على نفقة اسبانية .
وبعد مدة جاء الامر من الحكومة ، وقد خجلت لما حل بنا من الضياع لولا
اسبانية ، بان يدخل الجند من (مليلية) الى الايالة المغربية ، فتانى البواخر
فتحمل الجند شيئا فشيئا ، فنذهب به الى (الرباط)حيث مولاي عبد العزيز ،
بعد سفره من فاس ، وقد اراد ان يستعين بجنودنا فى زحفه الى مراکش ،
فذهب الجميع حتى لم يبق من القواد الا انا ، والقائد صالح ، والقائد محمد
ابن الجيلانى ، والقائد الحسين البعمرانى ، والقائد بريك . وعيالهم واصحابهم
الخصوصيون ، والجميع نحو السبعين ، والسبب فى تاخرهم انهم يسمعون
بانهم متبوعون من قبل فرنسة ، وانها بمرصد لهم ، لحنقها عليهم من
وقوفهم فى سبيل التاثر بوحماره الذى تعينه هى ، وتشجعه على ثورته على
الحكومة المغربية ، سعيا فى تمزيق وحدة البلاد ، ولذلك اضطررنا الى الالتجاء
الى اسبانية ولم نرد ان نفارق منطقة نفوذها . اذ هى التى لنا فيها وحدها
الامان ، فلذهبنا الى حاكم (مليلية) بعد ذهاب جيشنا كله ، فقصصنا عليه
خبرنا واعلمناه باننا مستجيرون بهم ، فاستشار حكومته ، فاجيب بالموافقة.

فرحب بنا واحتفل ومانتنا وانزلنا كما ينزل الكبار الملحوظون الى ان يظهر لنا ما نريد ، فكذلك بقينا هناك ، ونحن الذين كنا من بين قواد الجيش على فكرة واحدة وشعور ممتزج ، خلافا للقواد الآخرين الذاهين .

قال : هذا وكان امر قيام مولاي عبد الحفيظ يصلنا مجملا ، ولم نستبن بعد حقيقة الامر عنه ، بل كان القائد المدني الاكلوي يكتبنا أن نتسرب الى الحوز ، بل اوعز الى بعض الريفين ان يقفوا معنا حتى تملص مما نحن فيه ، قال : ولكننا لا نريد ان نضيع الامانة التي في أيدينا من الجند والسلاح ، بتفرض أيدينا مما نحن فيه بدون تأمل ولا تعقل ، وذلك ما يقتضيه منا الشرف العسكري ، ولذلك صبرنا حتى ادينا الامانة التي هي احسن ، ثم اخترنا السلامة من ذلك الجو المعتكر ، حتى تبين لنا الحيط الابيض من الحيط الاسود ، ففعلنا ما فعلنا ، فصرنا هكذا ملتجئين حفظا لشرفنا العسكري والشخصي .

قال ثم لما بايعت غالب الخواضر السلطان الجديد مولاي عبد الحفيظ ، واتفق الناس عليه ، صرنا نتأمل في امرنا فعولنا حينئذ أن ندخل فيما دخل فيه الناس ، فاكترينا سفينة انجليزية على حسابنا ، فذهبنا الى رئيس (ميلية) فافضينا اليه بهملنا ، بعد ما قابلنا بكل جميل واحتفال تام على عادته ، ثم ودعنا ، فأرسل الى حارس المرسى أن يتقاضى عنا فيخلى المرسى وقت خروجنا لئلا يوخد بأية مسئولية ، فأدخلنا في السفينة ما معنا من العيال ومن الخيل ومن المتاع ، وقلعنا الى سواحل المدن الداخلية .

على وشك الاعتقال في آسفى

قال : سافرت بنا السفينة ، وكنا نقصد آسفى التي كان بلغنا أنها دخلت في ايالة السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ الذي عرف بغيرته على الاسلام وكراهة فرنسة علوتنا ، حتى اذا سامتنا هذه المدينة ، وقد انقضت ضبابة غرتنا حتى تجاوزناها وكان الاقدار تحدرنا منها ، فرجعنا اليها ، فاذا بقارب اتصل بسفينتنا ، فقال لي اصحابي اذهب أنت اولا حتى تتلقى مع باشا المدينة ولد عيسى بن عمر صاحبك ، لتهدى لنا عنده النزول ، فلما نزلت من سلم السفينة ووصلني القارب قلت لسائقه ، كيف الباشا ولد عيسى بن عمر ؟ فقال لي واين ذلك الباشا ؟ فقد غادرنا منذ اسبوع ، وقد صارت آسفى فرنسية اذ احتلها جيش مولاي عبد العزيز ، وطرد منها اصحاب مولاي عبد الحفيظ ، وقد جرى اليها بذلك العسكر - وأشار اليه امام المرسى - ، وهذا الباشا الجديد وهو ابن عيسى العبدى ، ظالم جبار يضرب ويسجن ويلذ اللفل في عين كل من ينكل بهم ممن فيهم غيرة على الاسلام ، قال : فتركته يتكلم من غير ان اجيبه الا بكلام حسن ، وحصلت الله على ان ساق الى من اطلعنى على الحقيقة ، فرددت رجلى من طرف القارب بعد ما اهويت بها اليه لانزل فيه الى المدينة ، وعزمت على الرجوع الى مكاني فاذا باحد اصحابنا ينزل

من السلم ، فقال لى : اريد ان اذهب معك الى المدينة ، فقلت له اننى نسيت
شيئا امام صاحب القارب ، فطلع فتبعته فحكيت لاصحابى ما سمعت ، واعلمتهم
بان القائد ابن عيسى الذى تركنا فى (مليبية) هو الباشا هنا ، ومعه جنده
ذلك ، وارينهم عسكرا متهيئا امام المرسى ، وبينما نحن واقفون اذا ببارجة
فرنسية وقفت ازاءنا فى تلك اللحظة ، فاذا بها كانت تقتفى آثارنا من
(مليبية) ، ولكنها لم تصادفنا فى البحر ، فصارت تبادل الاشارات مع من فى
اسفلى من اصحاب القنصلية الفرنسية ، ولا ريب ان خبر مقصدنا قد تسرب
الى اسفلى ، فلذلك تهيئا ذلك العسكر لاعتقالنا ، ثم راودنا صاحب
سفينتنا الانكليزية ان يرجع بنا الى مأمنا ، فابى علينا كل الاباء ، وقد
خاف لما توجس من حولنا ما عسى ان يمس به ، فاذا برجل جاء فى فلوكة ،
فطلع الينا فاستدعانى فاسر الى سلام الباشا ابن عيسى ، وطلبه منى على
وجه الاخوة ان ارجع وان لا اورطه هو واهل اسفلى ، قائلا : ان كل من هنا
من جندك ، وانهم متى راوك فسيقفون بازائك ويقتلوننى ، فتشور الفتنة فى
المدينة ، فلا يعلم الا الله ما سيقع ، قال : فقلت له رد عليه السلام ، وابلغه
انى ذاهب الى حال سبيلى ، ولكن لماذا بقى هو ازاء النصارى ضد المسلمين؟
ولماذا يبيع آخرته بدينه ؟ ثم جاء ايضا انكليزى على قارب وطلع الينا ، فسأل
رئيس السفينة من هو ؟ ومن هؤلاء ؟ فاخبره انه انكليزى وان السفينة
انكليزية ، وان هؤلاء قد حملهم من مليبية الى هنا باجرة ، وانهم مضمونون
عنده ، فصار يخاصمه ويقول له : ألم تر البارجة الفرنسية تقف ازاءك ؟
ألم تر المدافع موجهة الى سفينتك ؟ أما تخاف ان ترمى سفينتك بالقنابر ؟
فلماذا لم ترفع الراية الانكليزية ؟ فرفعها ، فامن بذلك على نفسه وعلى
سفينته ، فاذا ذلك اكثرينا من عنده ايضا على ان يردنا الى جبل طارق ،
فرجعنا اليه ، قال : وهكذا كان ستر الله وحفظه وتوفيقه علينا حجابا ، ومن
حفظه الله فانه لا يخاف ، ثم بعد وصولنا الى جبل طارق اتفقنا معه ايضا على
ان يردنا الى مليبية حيث كان لنا الامان التام تحت ظل اسبانية .

فى اسبانية ثم فى مليبية

قال : كنا خيرنا اصحابنا وهم نحو اربعين ان يذهب كل واحد منهم الى
حيث يشاء من البلدان ، فادبو مفارقتنا الا واحدا هو الذى ذهب ، فقبلناهم
وحسبناهم من عيالنا ، فذهبوا على تلك السفينة مع العيال الى مليبية فبقوا
على نفقتنا كما كنا معهم من قبل ، ثم ركبنا نحن مركبا بخاريا آخر ونحن ثمانية
الى الجزيرة الخضراء ، ومن هناك ذهبنا فى القطار الى مالقة ، حيث بقينا اياما ،
فاصاب القائد صالحا مرض ، ثم برى منه قريبا ، وكان الفصل فصل الصيف ،
قال وكنت ابكر الى سيف البحر ، فاتلقى برجال من بنى ورياغل يترددون

بالتجارة الى مالقة ، فبعطوننى خبر مولاي عبد الحفيظ . وانه دخل فاسا ،
وكان دخوله اليها عام 1326 هـ .

قال : ثم رأينا حوائنا في النزول جواسيس يحومون حولنا ، ثم اتصل
بنا احدهم وأفضى الينا بان الحكومة الاسبانية التي تتبعنا بعيونها قد عرفتنا ،
واننا عندها بمكانة ، ثم ابلغنا ان حاكم المدينة سيستدعينا وقت كذا ، ثم
استدعانا الحاكم فعلا وقد ارسل الينا المركوبات ، فأبلغنا ترحيب حكومته بنا ،
ثم سافرنا الى مقر الحكومة بعد استئذانها ، فاتصلنا في (مدريد) برجال الحكومة
فرحبوا بنا ، ثم ردونا الى مليية ، وقد افرغوا جهودهم في ايناسنا نحن واولادنا
وكل من معنا ، فنزلنا في اللور التي كنا فيها من قبل ، ثم استدعانا حاكم
مليية صاحبنا الاول ، فتأسف كثيرا على ما وقع لنا في آسفى ، وقال : انه
لم يكن يعلم بالانقلاب الذى وقع هناك الا بعد سفرنا بكثير ، ثم قال : ان
فرنسة عاتبة عليه كثيرا لما فعله معنا ، واخيرا رجب بنا واخبرنا بان حكومته
ايست علينا كثيرا .

فى تطوان

قال : صارت اخبار مولاي عبد الحفيظ تتوارد علينا من كل ناحية ، وان
تطوان دخلت في ايالته ، فاستدعينا القائد بريكا مع رجل آخر كان تاجرا
في مليية ، فطلبنا منهما ان يذهبا حتى ينزلا في سبتة ، فودعناهما على ان
يرقا الينا بردوز اتفقنا عليها ، فان وجدا تطوان كما سمعنا أبرقا بكلمة
(الرخاء) ، والا فبكلمة (الفلاء) فأبرقا بالرخاء ففرحنا ، وفي العشى طلبنا
عند الحاكم فحكي لنا له معنى البرقية ، فضحك من حيلتنا ، ثم بعث الى حاكم
معه ، فاعطاه البرقية ، ثم بين له معنى الرخاء فاعجب ايضا بذلك ، فقالا
معا : هكذا ينبغي ان يكون من يعرفون كيف يدبرون الامور ، قال : ثم
فاوضناه في الالتحاق بتطوان ، فوافق على ذلك ، وقال : انه لا ينبغي ان
تعملوا كما عملتم فى المرة الاولى ، فاذهبوا بانفسكم اولا ، ودعو عميالكم
ومتاعكم هنا ، فان ارسيتم فعلى انا ان اوصل اليكم عميالكم واصحابكم ومتاعكم ،
فاخبرناه باننا قد هيانا بالكراء فلوكة توصلنا الى (تطوان) فاعزز الى حارس
المرسى ان لا يحضر لخروجنا كما سبق له ان فعل فى المرة الاولى ، ثم ودعنا
بكل احتفاء .

قال : ركبنا عشيمة فما اصبحنا الا فى (مريتيل) حيث مرسى (تطوان) فلم
نجد فى المرسى الا كوخين فقط ، ولا بناء فيه ، فجلسنا فى ظل احد
الكوخين ، واستخرجنا سلاحنا فنظفناه ، وقد كنا لويناها فى الاخبية ، كما
هيانا فطورنا ، ثم كتبنا الى الباشا القائد عبد السلام بن الحسين البخارى الذى
ارسله مولاي عبد الحفيظ باشا الى هذه المدينة .

قال : فلما تقلص عنا الظل ازاء الكوخ قمت لاريق الماء ، فاذا بانسان وقف على وقال لى : ان الشمس قد وصلتكم ، وفى هذا الكوخ الآخر محل مفروش وظل ظليل ، فذهبت معه ، فدخلت المحل ، فاذا بفراش حسن وطعام مهيب ، ثم اجلت بصرى فى انجانه ، فاذا بسلاح كثير جديد نحو ستين بندقية اوربية (منابيه) وهذا نوع من البنادق الانجليزية جاء على يد الوزير المناهيه فصار يضاف اليه ، فسألته عن اصحاب السلاح ، فذكر أنهم لا ياتون الا كل عشية ، ثم يركبون فى الفلانك عشرة عشرة ومعهم رئيسهم فيبيتون يدورون على ما يجاور المرسى من البحر ، وقد اوصوا ان لا يفلت منهم اناس ينتظرون ورودهم ربما يطرقون المحل ليلا ، فان أمكن اسرهم فذاك ، والا فيقتلون بالرصاص ، سمعت ذلك ففهمت المقصود ، ثم غيرت مجرى الحديث ، فخرجت معه ، فاستدعيت القائد صالحا فاعاد نفس السؤال على رب الكوخ لما رأى السلاح ، فسمع نفس الجواب ، ولكنه لم يملك نفسه ، فجعل يقول هذا هو جزاؤنا من اخواننا المغاربة ، وقد ضحينا بانفسنا امام هجوم الثوار الذين ما آثارهم الا الاعداء ، فدهش صاحب الكوخ وكاد يذرب ، ثم قال : الحمد لله الذى انقذكم ، قال : وقد كانت هذه التوصية من قبل فى عهد اصحاب مولاي عبد العزيز الذين كانت تسيهم فرنسة ، فينصبون لنا ولائنا الفخاخ ، اما وقد انقلبت الصحيفة ، وجاء عهد السلطان الجديد ، وذهب تأثير فرنسة ، فقد عاد الينا الامان والله الحمد ثم لم نلبث ان جاءت بقال مسرجة من عند الباشا فركبناها ، فدخلنا تطوان قال : فوجدنا سفراء مولاي حفيظ كما رجعوا من (برلين) وهم : السيد محمد بن عزوز ، والهاشمى بن السيد عيسى بن عمر العبدى ، ومكوار وبنيس ، فقامت بنا وبهم تطوان اكراما واحتفالا واحتفا . فقل : ان تكون هناك دار كبيرة لم تكرم فيها ، وقد كان للسيد عبد القادر الرزىنى الشفوف فى ذلك على الجميع ، وقد كان (الفدان) له ، ولا تزال تجرى حلباتنا مع اولاده كل يوم فيه وكانت له مودة مع المناهيه ، فهو الذى اهدى لاولاده هذه الخيل ، وقد انزلونا فى دار عشعاش ، ثم التحق بنا كل من فى ملبية ، وقد وفى حاكم ملبية بوعد ، فسكن كل واحد منا فى دار اكرامها .

قال : ثم جاءنا الحاج مبارك اخو القائد الحاج على البعمرانى الذى تركناه ، فى وجدة بخهسة وثمانين بقة ، مع رسالة سلطانية لتطلع عليها الى فاس ، ثم اعقب ذلك الامر بان يبقى فى تطوان ، وان ندخل الجنود على يدنا كما كانت عادتنا من قبل ، فاعطيت لنا الاخبية والسلاح ، ثم امرنا ان نكون تحت طاعة الريسونى والمهدى المناهيه .

فى جباله

قال : ثم امرنا ان نخرج من تطوان ، وان ننزل فى (بوصفيحة) فلما كنا فى

هذا المكان كتبنا الى المهدي نقول له : ناهر مولاي أحمد الريسوني ان يرسل
الينا من اياته الاشياخ وذن قدر عليهم من الرجال والفرسان ليرابطوا معنا ،
فان هن معنا الآن قليلون ، ولا يزال من يضمون الينا دون القدر المطلوب ،
وبعد ذلك صار كل من سمع بنا من جندنا القديم ، ياتي فينخرط معنا من
جديد ، ثم تتابع الجيليون يردون في كل يوم ، حتى اصبحنا جيشا كبيرا ، ثم
انقلنا الى محل يسمى (الفتيديق) ثم الى (نزالة الطلبة) .

ثم بينما انا جالس هناك على (فرتالة) امام خبائي ، اذ تراهي لي رجل انكرته
عيني ، فارسلت اليه اساله فادعي انه شركي ، ثم زاد من تليفات كلامه ما
اثار مني الريبة حوله ، ثم صرفته عنى فرجع الى مقعده ، فاذا بانسان ملثم
وقف ازائي فحسر اللثام عن وجهه فاذا به شخص اعرفه يسمى أحمد . كان
فارقنا لما كنا بوجدة ، ثم حكى انه صار جاسوسا عند الفرنسيين منذ فارقنا ،
وانه يتبعنا الآن كما يتبع غيرنا من قبل ، فادركت ان الاخر مثله ، فشكرت
اليه ما أفضى به الى ، ثم امرت بعض اصحابي ان يذهب به الى خباء الطعام
ليطعمه ، ثم استدعيت الآخر فاستجوبته فابى ان يقر بأى شىء ، فامرته
بالماعون (ماعون الجلد) فمده الجند فصارت الاسواط تختلف عليه حتى اغمى
عليه ، فصببنا عليه الماء البارد حتى أفاق ، فراجعناه جلدا مبرحا ، وهو
مصمم على ان لا يصارحنا بالحقيقة ، فامرته ان يلوى في تليس ثم تجعل حلقات
الحديد في ركبتيه ، فيعلق بها في شجرة ، ثم امرته بحراسته لئلا يقتله
الجيليون ، ثم لم نطلقه الا عند رحيلنا ، ثم جاء صاحبه أحمد ، فقال ان هذا
صاحبى ، وأنا معه دائما في التجسس ، وأنا نائب الى الله ، ثم صاحبنا فتحسنت
حاله .

في العقبة الحمراء

قال : ثم وصلتنا رسالة رسمية ان نجتهد في احتلال العقبة الحمراء قبل
ان يحتلها جيش فرنسي يتجه اليها ، قال : فميزنا اهل جباله فساروا في
طريق على حدة تحت رئاسة ابن أخت الريسوني ، وقد قل فيهم الفرسان ،
وسرنا نحن في طريق آخر ، فتواعدنا العقبة ، فاذا بهم سبقونا ، فوجدناهم
قد كادوا ياتون على جيش الفرنسيين وليس فيه الا المغاربة ، وما فيهم من
الفرنسيين الا بعض الرؤساء ، فصاروا كلما قبض واحد منهم يقول : انا
اخوكم ، او انا كنت جنديا عندكم ، وما أضر بي الا الجوع ، فأسرع القتل
في بعضهم نحو ثمانية عشر رجلا ، ثم نهينا عن القتل ، فانتهب كل ما في
الجيش الفرنسي ، ثم مال الناس الى كل ما في القرى جوار طنجة ، من النعمى
فلم يبقوا منها شىء ، ثم آتتنا رسالة المناهبي يقول : ان ما نهبه جيشنا
غالبه للمحميين الاجانب ، فصدنا ذلك عن ان نستمتع بما في ايدينا من

ذلك ، فرددنا كل القنائم الا ما سبق اليه الجند من الغنم فذبحه فاكله ، قال :
ثم اقام لنا المناهبي والريسونى حفلة فى المحل المعروف بالقهاوى طفحت
بالخيرات ، فصار المناهبي يقدرنا واحدا واحدا الى الريسونى ودموعه تتساقط
تذكرا للعهود القديمة معنا ، فأكرمنا بمال ، ثم امرنا المناهبي ان تكون تحت
طاعة الريسونى . فقطن معنا ، ثم بايعت العرائش واصيلا للسلطان الجديد .

فى الاثنين بسيدى اليمانى

قال : بينما نحن جالسون عشية اذا بالمناهبي وقف علينا بقلته وحده ،
فانزلناه فصرنا نهيى ، له ما امكنا مما تحسن طبخه ، فاذا به اكتفى بيئض
وحليب وسكر ، ثم امرنا نحن الفرسان بالركوب معه ، فركبنا فمررنا
بالريسونى فاذا به على بقلته وامامه نحو مائتين من رجال جبالة كانهم فهود
او غزلان خفة وقوة ، فكانت بغال المناهبي تمشى مشيا عجيبا بالهملجة
السريعة المستمرة ، ونحن وراءها فى جرى الخيل ، واولئك الشبان الجيليون
يقفزون امام البغال كانهم لا يعيون ولا يحسون فى الجرى باى لقب ، وسلاحهم فى ايديهم
كانهم لا يحسون له ثقلا مع جريهم المتتابع ، فسرنا حتى وصلنا بعد نحو
مسيرة يوم معسكرا بسيدى اليمانى ، يرأسه ولد لمولاي عبد السلام الامرانى ،
ومعه قواد ، وهم جيش كثيف رابط هناك باذن السلطان الجديد ، فنزلنا
عندهم ، فاذا بطلقات الرصاص تدوى فى الفضاء ، فقال لنا المناهبي : الحقوا
مولاي احمد الريسونى ، فذهبنا مسرعين فوجدناه قد اعتقل القائد بوسلهم
الريمقى الخلطى ، والملال ابن اخيه ، ثم اراد ان يعتقل خليفة له اسمه العيتور
فدافع عن نفسه بالرصاص الذى سمعناه ، ثم اعجزهم هربا ، ولم ندر السبب
الذى اعتقل من اجله الريسونى القائد الريمقى ، مع ان هذا قائد كبير . وهو
قائد الخياط ، وقد اتى بقبيلته فرابط بها مع ابن عبد السلام الامرانى ، ثم
اخذ النهب فى متاع الريمقى ، فانتبهنا بين المنتهين ما قدرنا عليه ، ثم دفع
لنا الريسونى اسيريه لتوصلهما اليه فى (طنجة) ، ثم اطلقنا بعد نحو
اسبوعين فقط ، لان الريمقى كان تحت الحماية الالمانية . والمحميون اذ ذاك
لا ينالهم اذى ضرر حتى اذا نالهم فسرعان ما يزول .

فى وادى الدجاج

قال : تحولنا الى وادى الدجاج ، وهو غير بعيد من طنجة ، فرابطنا هناك
بجيشنا ، ثم لم نبطىء فوصلتني رسالة من ادريس مثنو ، يطلب منى ان
القاء وهو مارا ازاءنا وقد اتى من آسفى الى طنجة ، فهيانا الطعام ، فاذا به
قد وصل لما متع النهار ، فقلت له : اننى ما اتى بى من اسبانية الا اثنا
س معنا ان سيدك هذا - يعنى مولاي عبد الحفيظ - ما قام الا غيرة على الدين

والدفاع عن كيان الامة ، فالآن ابلغه سلامي وقل له : لا يدعنا هنا بعد اليوم ، وليبعث الينا لتطلع عنده ، هذا ملخص ما قلناه .

ثم ان المناهبي صار يتأهب للذهاب الى فاس ، ثم بدا له لسر لا اعرفه ، وامله خاف من الجو الذي تعيش فيه فاس اذ ذاك ، وفي يوم ارسل المناهبي الى القواد الذين معي فوصلوه ، فامرهم ان يذهبوا الى محمد الكباص وهو اذ ذاك في طنجة ، بعد ما كان وزيراً للحربية اثر المناهبي زماً ، واما أنا فلم اذهب معهم ، فطلب منهم ان يقدموا مطالبهم لانهم سيذهبون الى فاس ، فقيدوا له مطالبهم فسأل عنى فاعتذر اليه بانى فى وعكة ، فلما افطرت فى الغد، بكرت الى المناهبي ، فسألته عما طرأ فقال ان الامر جاء لنذهبوا الى فاس .

قال : فقلت للمناهبي لما اخبرنى بورود الامر بذهابنا الى فاس : ما هذا الحال الذى أنت عليه ؟ افى كل يوم تدقنا الى مهاو عميقة ؟ فالى متى تتركنا يتصرف فينا غيرك ؟ فاننا قد نقبل الدل لك ولامثالك ، ولكن كيف نقبل الدل لاذلاء اخرين (كأنه ينظر بذلك الى قول الشاعر :

واذا لم يكن من الدل بد فائق بالذل ان لقيت الكبارا

ليس بالذل ان تجل كيسرا انما الدل ان تجل الصغارا)

فقال : اصبر فانك ستراهم جميعا هنا اذلاء مثل - يعنى سيعزلون كلهم ويقطنون مثله فى طنجة - فقلت له : أوكلما انتهب واحد منكم أموال المسلمين ياتى الى طنجة فيقاسم الكفار ما فى يده ؟ فقال : انك أيها الناجم لوقوح ، فقلت له طالما نصحتك للاخوة الشراعية التى بيننا و أنت لا تصدقنى ، اتقتحمى عنك لكونى أسود ؟ أو لكونى فقيراً مملقاً ؟ أو لكونى قويداً بسيطاً ؟ فقال الحنين هو الذى يرث ، - هذه عبارته ، - وذلك مثل عامى مغزاه ان الصالح هو الذى يرث الارض ، وذلك مأخوذ من الآية الكريمة «ان الارض يرثها عبادى الصالحون» ، والمقصود بالمثل العامى ان الذى يراف بالناس ويتحمل اذاهم ويتواضع لهم هو الذى سيفوز فى النهاية ، كأنما يقول له ان تحملت اذانا فانت الذى ستبقى بعدنا ، قال : ثم ذهبت الى الكباص فلما دخلت عليه قال : اين كنت أمس ؟ فقد كمت اظن ان اول من يفرح بى هو انت ، فانك رفيقى فى خدمة السيد سعيد بن موسى ، فقلت له : الا تزال تستحضر ما كنت كتبت به فى رسالة الينا كجواب حين هناناك يوم عينت وزيراً للحربية بعد المناهبي ، ثم تناولت الرسالة عينها - وقد كمت حياتها - فاريته اياها ، وفيها بعد ان ذكر انه توصل بثلاثة آلاف ريالنا :

(لا تعودوا لمتاها ابدًا ، لا تعودوا لمثلها ابدًا) ، فقال : انما كان مقصودى الرافة بكم ، وانتم الذين تستحقون الاعانة اذ ذاك ، فقلت له من لا يفرح باحسان اخوانه ، فانه فى الحقيقة لا يفرح بهم ، وهذه هى المخزنية ، وهذا هو ادبها ، فهل نفهم ممن لا يريد احساننا الا أنه لا يريدنا ؟ فقال : حقا ،

انك لمخزني صميم ، ثم اظهر الفرح بي فهش وبش ، فقدمت اليه مطالبتي كلها باقتراحه ، هذا وقد استقدمنا نحن على يد المناهبي اخانا المصاب في رجليه الحاج على البعمراني من وجدة ، فكان معنا من جديد ، لكنه بلا جند ، ولا يمشي الا بعكازتين لعطب رجليه .

الى فاس

قال : ثم ذهبنا بجندنا الذي جددناه تجديدنا الى فاس ، وقد استحدثت عندها التنظيم الجديد بالمشى بقدم واحد صفا صفا ، وانخفة في الحركات ، والموسيقى الحديثة والابواق والانفاز وما الى ذلك من كثير من الاسماء والالقباب، كان جندي اذ ذاك نحو خمسمائة فقط ، وصعدت مئونة القائد من ثمانية ريالات الى عشرة في اليوم ، ومئونة الجندي من نصف بسيطة الى ربع ريال . قال وبمجرد وصولنا الى باب الساكنمة (احد ابواب فاس) ارسل القائد الحسين دوابه لترد الماء ، فاذا ببربر قد وقعوا عليها فساقوها امامنا ، وقد وجدناهم ضروا هنالك على الفارات ، فتبعناهم في الحين فانترعناها منهم وراء وادي النجاء .

ثم لا قانا السلطان بمجرد ورودنا في باب البوجات ، فرحب بنا ومنانا كل خير ، وقد وقف ازاءه صاحبه ونجيه ادريس مثنو ، ومجبوب خادمه الاخر لما كان يجادنا ، فقلت له بعد ما استتم كلامه معنا ، : يا سيدنا ، ان المصائب التي مرت بنا لا يعلمها الا الله وحده ، فقد عشنا سنين في مسغبة حتى لا ناكل الا الخبز ، ومثينا راجلين يوم ماتت دوابنا جوعا حتى نقتب ارجلنا ، وقد انقطعت عنا المئونة سنين فلا نراها الا اماما ، ثم نحن في كل ذلك صابرون محتسبون افعالنا لوجه الله، ولم نخرج قط عن الاوامر السلطانية التي ترد علينا ، فقد حاربنا في السهل والجبل ، وتحاربنا مع ابي حمارة في كل محل طرقة ، وما استطاع لا هو ولا غيره ان ينال من سلاح دولتكم ومن مدافعها ما يمكنه ان يباهي به ، وقد غدر كثيرون ممن في الجيوش ولكن لم يستطع احد ان يزعم اننا خسنا قط للمخزن عهدا ، او نقضنا وعدا ، او اننا آخرننا قط امام عدو للدولة ، فالآن ها نحن اولاء بين ايديكم يا سيدنا، فلا يسهمن فينا سيدنا تلام الخسدة والمنافسين ، فان كثيرين من المتاجرين في اللحم والاعراض ممن لا يرقبون في امثالنا الا ولازمة من ابناء فاس وغيرهم قد اطلتوا فينا الالسنة يوم كنا نحارب في الميدان ، فكنا بين نارين : نار العدو امامنا ، ونار الكاذبين والمرجفين وراءنا ، ولولا تسيمة الله لنا وتوفيقه لكنا بدورنا ممن نفضوا ايديهم من داركم هذه ، ولكن نحمد الله تعالى على ان احيانا في طاعتها ، وجعلنا من جنودها ، الى ان توجهنا سلطنتكم السعيدة الموفقة ان شاء الله ، فقال السلطان : والله لا ترون مني الا كل خير ان شاء

الله فاربعوا على نفوسكم ، فقد عرفت منكم كل شيء ، فليياس كل من توسوس له نفسه حواليكم ادنى همس ، فاطمنوا وزيدوا في الخدمة ، قال : وقد كان السيد العباس الفاسى واقفا حين كنت اقول ذلك للسلطان ، وكان بينه وبين الكباش صحبة . حتى ليقال انه متيناعم ، والله اعلم ، فخطت أن يكتب فينا الكباش على يده بما يسمونا ، وقد كان سيدي العباس الفاسى خليفة الوزير المدني الاكلوى لما رجع الى مراكش ، فهو الذى يزاول كثيرا من الامور كالوزير الاخير ، قال : ثم رجعت القهقرى على العادة فيهن يفتلون من بين يدى السلطان . ذلوا واونه اذارهم ، ثم نزلت من قبة زجاجة فيها كانت الملاقة .

ثم ذهبنا الى وزير الحربية - العلاف - وهو محمد بن القائد المدني الاكلوى ، فحينئذ التحية العسكرية ، لانه الآن رئيسنا الرسمى ، وفى اليوم الثانى جمعنا بيننا نحو خمس عشرة اائة ريال ، فسلمنا عليه بها ، وقد ظهر لنا من الهامجة انها لم تقنعه ، فقد رفعها بيده ثم وضعها كأنه استخلفها ، وهو لا يزال غرا صغيرا . ثم ذهبنا الى عمر اعلى الاكلوى ، وقد كان المدني تركه ازاء ولده هذا لياخذ بيده ، وهو الذى يستدعيه السلطان كلما اراد شيئا من محمد بن المدني ، وقد كان عمر هذا مربى عند القائد محمد ولد طيبينت (لقب باسم لطائر كالعصفور احمر الجسم يميل عنقه الى الزرقة يالف المساجد والمنازل منتشر فى الحوز وسوس ولا يتخطى وادى أم الربيع وهو من الطيور الضعيفة المستصغرة الشان) ، والد القائد المدني ، فلما دخلنا عليه لاقانا بشاشة ، مع أننا لم نأته الا بستمائة ريال ، ولم يفعل بها بيده كما فعل مخدومه محمد ولد المدني الاكلوى ، بل قال اعلرونا فما نحن الا بدويون ، وأنتم اهل المخزن والادب والراى ، فمسي أن تروا منا ما لا تقبله تقولكم أو تذكره عيونكم ، فارشيدونا ونبهونا ، فما نحن هنا الا خدم للسلطان ، فعرفت أن الرجل عاقل .

قال : ثم اهرنا نحن قواد الارحاء أن نربط فى وسط المحلة - المعسكر - ثم ارسل الينا السلطان ، فوجدنا عنده سعيد بن البغدادى باشا فاس الجديد ، اخو القائد محمد بن البغدادى الشهير ، وذاك ابن حرة وهذا الباشا ابن امة ، وادريس مننو والعبد الذى اسمه رزوق ، وهو عبد للسلطان ، ومحبوب ، فخرج السلطان الى خارج مجامسه الخاص ، فوقف فيه ، وهناك من قواد الشراردة انا معهم ، وقد اصطف القواد امامه .

فى أيت يوسى

قال : فامرنا السلطان ان نصبح قبيلة أيت يوسى بغارة ملحاح ، لتقضى عليها ، وحشنا على قضاء الفرض كما ينبغى ، فبندقنا له وقد اعلنا

السمع والطاعة ، ثم صرنا نمر به واحدا واحدا باذنه ، نقبل يديه واحدة فواحدة ، وكان هو يودع في يد كل واحد منا غلافا فيه لوزيات من الذهب نحو 25 ، ثم خرجنا لطيننا مستبشرين بهذه الحرب الجديدة على عادة الجندي القح ، فاذا بابن البغدادى الاسود ذهب فى صبيحة اليوم المهود مع القواد اصحابى سابقين الى ناحية من ايت يوسى ، ومعهم رزوق بوهو ، وتركنى انا : وخرأ عمدا مع قواد الشراردة ، لنذهب الى ناحية اخرى ، الا اننا سبقناهم الى ناحيتنا . فلنا المقصود ، فقد طرقتنا ايت يوسى فى الليل وهم لا يزالون فى مضاجعهم ، فقصينا على دن وقعنا عليهم قضاء مبرما ، وقد كان المحل الذى ترك لنا هو الذى تظن به المسقة الفادحة ، ولذلك تركوه لنا كيادا وختلا . ولكن الله خيب ظنهم ، فلما أصبح الصباح ، طلع السلطان الى برج يسمى الفيل فى دار المخزن ، فصار ينظر بالمنظار الاقرب ، فترأى له سواد مقبل من ناحية ايت يوسى ، فظن الجيش منهزما ، فارسل الخيل تباعا لترجع بالاخبار ، فاذا بجندنا قد رجع بالبقر والغنم والخيل والبغال والمتاع ، فيسأل الرسل من أى جند انتم ؟ فلا يسمعون الا جند الناجم ، فرجعت اليه الرسل بخبرنا . فعلم اننا نحن الذين قضينا الغرض كما ينبغي ، ثم نزلنا ازاء السور فاذا بالآخرين لم ياتوا الا بالقليل من المتاع الذى لا يعد شيئا ، قال : وكان ابن البغدادى هذا الاسود حاضرا معنا فى وجدة ، وكان اذ ذلك كبيرا على المحلة ، فزحفنا هناك يوما الى بنى يازناسن ، فنزلنا فى (عيون الصفاء) والوقت صيف ، فكان يامرنا باحراق السدر ، فتكرر منه ذلك فى الهواجر ، بسيط ائتقاد ، فيامرنا باحراق السدر ، فتكرر منه ذلك فى الهواجر ، فتهاك خيلنا بالحرارة ، فقل يوم لا تترك فيه هناك فرسا او فرسين ، وفى يوم ذهبنا الى هناك ايضا ، فلحقنى وقال : الست بعمى ؟ فانا لست بعمى ، فاجبته جوابا بسيطا ، ثم قلت له ما هذا العمل ، فان خيلنا فى هلاك كل يوم فى حمارة الهواجر ؟ فان كان الغرض احراق السدر فقط ، فلنات فى العشمايا وفى اوقات البرودة بهناوبة ، وان كان المقصود شيئا آخر فما هو ؟ فقال لى ان المقصود اظهار القوة للعدو ، لكنه لما اغار علينا بنو يزناسن : كاد هو يهلك مع الهالكين ، فكان ذلك هو السبب حتى فسد ما بينى وبينه ، فلا احبه ولا يحبنى ، وقد وقع لى ايضا معه مثل ذلك فى زحف آخر فى (وادى برديل) حيث كان ابو حمارة لا يزال يحاربنا يوم قتل القائد الرتلطنى الاحى والقائد على السادنى ، والقائد ابن الجريف ، وكثيرون امثالهم . فقد كان اليوم عصيبا علينا ، فقد كدنا نؤخذ باليد لولا فرارنا من العدو الذى هاجمنا على غرة ، ول ذلك من ابن البغدادى هذا المنحوس ، ولذلك لا يقربنى ولا اقربه ، ولاسيما حين نوى ان يعتقل هناك بعض القواد ظلما ودوانا ، فعارضته ، فترقتنا ابيع تفرق من ذلك اليوم .

قال : ثم امر السلطان ان نرجع ايضا الى ايت يوسى ، فنزلنا فى (مزدغ الجرف) ازا، مشهد سيدى الحسن اليوسى ، وكبير الجيش هو محبوب خال مولاي الكبير ولد مولاي الحسن ، قال : فلم نزل هناك حتى اذعن اليوسيون كهم واتطوا المارم المخزنية ، والعسكر الذى وظف عليهم ، ثم نزلنا ايضا فى (كيكو) ، هنالك ، وكان السلطان جهز اذ ذاك جيشا آخر تحت رئاسة القائد بوخبرة، وفيه القائد الطيب ولد عيسى بن عمر والقائد العربى بن عيسى بن عمر ، واخوه ، والقائد عبد الله الرحمانى ، والقائد عنو الذى كان القائد ابراهيم الخاحى الساكن وقتئذ بسلا كجندى تحته ، فخرجوا الى بلاد بنى مطير ، واذا ذاك امر كل من كانوا فى (كيكو) ان يرجعوا الى فاس بسرعة ، فرجعوا ، قال : فاذا بنا لقينا احد قواد ايت يوسى وفى يده المدفع الكبير نهبه من الجيش المنهوب فى بنى مطير ، فنزعناه منه ، وتعجبنا لى كونه يطعم ان يخفى المدفع الكبير عن العيون، كما يحكى عمى يسرق الصومعة دون ان يفكر فى حفر بئر يخبؤها فيه .

فى بنى مطير

ثم اننا امرنا ان نذهب الى بنى مطير لناخذ بشار الجيش المنهزم المنهوب ، وقد جهزنا السلطان بكل ما نحتاج اليه خير تجهيز ، قال : فاذا بالمدنى الاولى اقبل من مراکش ، مع المتوكى ، ويرعى السباعى ، وقد انقادا الى مولاي عبد الحفيظ ، بعد ما كانا يدافعان عن السلطان السابق اخيه مولاي عبد العزيز فى حروب كثيرة وقعت فى الحوز ، وقد أعطى المدنى العهد للمتوكى عن السلطان ، فجاء به الآن فى جيش كبير . يقصدان الى فاس ، ولكن رأى المدنى ان يأتى الينا نحن أولا ، فسبق الى المدنى بعض الاسلاويين الذين يتزعمون ، وهو المسمى اكرار عبد الرحمان ، فافضى اليه بما افضى عنا ، قال له : ان قوادا جاءوا بعدك ، فاستولوا على ناصية الحكومة ، فصاروا يحترقوننا نحن الاسلاويين ، فلم نعد نساوى شيئا امامهم ، قال : فاعلمنا القائد المدنى بانه سيرجع علينا قبل ان يصل الى فاس ، فتهيانا لملاقاته . كما هو الواجب على امثالنا لامثاله ، فلما جاء رأى ما لم يكن فى حسابته من جند منظم كثير ، تحت قواد محنكين ، وهم رجال آخرون غير من كانوا يتبصبصون له . ومن يعرف انهم لا يحنون الرؤوس امامه ، وقد كنا هيانا لنزوله هو عند رئيس المحلة محبوب ، واما رفاقؤه فينقسمون على قواد الطوابير ، لكنه لم ينزل عند محبوب ، بل ذهب عند ابن عمه عبد الرحمان اكرار، ذلك الذى وشى اليه عنا بما وشى ، قال المترجم: ثم ارسل الى ، وقد عرف القارى، ما تقدم من الصحبة بيننا ، فوجدته مع المتوكى ، فاتاهر ما كان معهودا منه من حلالة اللسان . وحسن اللقى ، وطلاقة الحيا،

ولطافة المسألة ، وهي عادة له ولاخيه الحاج التهامي . ثم قال : منذ الآن لا ترفعوا قدما من مكانكم هذا الى الامام ، فهنا يجد سير جيشكم فلا توغولوا ، فسأرسل انيكم القائد المختار الكمداني المطيري ، وقد كان صديقه ، فانخذوه مستشارا متبوعا ، وسنذهب نحن الى هذا الرجل - يعنى السلطان - لآرى من أين هذه الجيوش التي تنتهب كل يوم ، فالتفت اليه القائد المتوكي قائلا : اهذا هو القائد الناجم الذي تبنى عليه ؟ فقال المدني : هذا هو فلان الذي من نعته وصفته هذا وكذا ، فأطال في الاوصاف الحسنة ما شاء ، فقال المتوكي : انك عزيز لدى ابووزير ماحوظ ، يملا بذكرك مجالسه : فلا يزال يذرك فيها بكل احتوتة حسنه ، قال المنرجم : ثم فارقتها فخرجت مما هما فيه ، ووجدت بل رداء الوزير قد دخلوا عند اصحابنا فواد الطواوير الا اذا كان من اتوبيين والسباعيين ومهمم يرعى ، قال فعنبت على يرعى الذي كنت صاحبه من قديم ، فقلت له الا تعرف اخييتي ؟ الا تعرف اصحابي ؟ فيما منعك أن نذهب توا انت وكل دن معك اليها ؟ فقال كانه يداعبني : اننا ثارون وما ايننا الا باهن ، فمن ذا الذي يقبل أن ينزل عنده الثانرون على اسلطان ؟ فقلت له انا الذي أقبلكم ، وأريدكم تيفما كنتم ؛ ثم ادخلت الجميع الى اخييتي ، ثم دلت ليرعى : استدع لك على انفراد كبراء متوكة للبلوس معك ، فاستدعاهم الى محل خاص وبقي غيرهم في محلات أخرى ، فطعم الجميع طعاما كافيا ، وقد كنت هيأت كل شىء من الطواجين والشواء والادسكسو ، ثم لما هيأت لهم كل ما يتوقفون عليه ، ونظمت اطعامهم كما ينبغي ، اسرعت حتى تلاقيت مع محبوب ، فأخبرته بما قال الوزير المدني الانلاوى من ندم اتقدم الى بنى مطير ، فقال اذن ما هو العمل ؟ فقلت له العمل ان نكتب الآن للسلطان أن يرسل لنا رسالة توبىخ يقول فيها : (اننى اوسلتكم اتقضوا غرض المخزن ، لا أن تجلسوا وتمنعوا هناك ؛ فزيدوا قدما فى الحين حتى يتم الغرض) فأرسلنا رسولا لم بيتالافى فاس ، ثم لم يصبح الصباح حتى ورد الجواب بذلك الاقتراح ، فاجتمعنا على قراءة الرسالة كائنى انا ومحبوب مفاجئان بها ، وفيها ازعاجنا للتقدم بالجيش فى الحين الى بنى مطير ، وأن لا نقف حتى نصل الى الحاجب ، فهناك نقف ، قال : فلما تبججنا بلد بنى مطير ، اذا بهم ساقوا ما ساقوا من خيلهم ورجلهم كثيرا اداقعتنا ، فداعسناهم مداعسة شديدة حتى هزمتهم هزيمة منكرة ، فأمضنا فيهم ، ففروا امامنا ، فاستفتقت وانتبهت الى ما سبق ان عرفته من كون البربر يحتالون فى مدارباتهم ، فرددت جندى الى السوراء . وأبقيت الفرسان فقط فى مواجهة العدو ، فلم اكمد أرسى الجند فى المناريس المحصنة . حتى رجعت الهزيمة على جيشنا ، فانهزم كل من فيه ، حتى وصلوا الى جندى الذي كنت أرسيت به فى المناريس ، فوافهم حتى انحصرت

الهزيمة ، ولولا ما فعلته لفضى علينا جميعا القضا، المبرم ذلك اليوم، ثم ادرك الليل بنى مطير فرجعوا عنا ، وفي الصباح تلاقينا معهم أيضا ملاقة تكافات فيها الكفتان ، وفي اليوم الثالث ظهرنا عليهم فصاروا يطلبون المهادنة ، فتلاقينا انا وآخر مهي ، وقد خرج منهم كذلك اثنان ، فتبادلنا العمانم ، ثم اعلنا بيعة السلطان ، فقلنا لهم ان بكرت اينا هديتكم فان كلامكم مقبول والا فلا ، وفي الصباح جاء تلاميذهم وثلاثة ثيران ، ثم طلبنا منهم أن يذهبوا الى السلطان بفاس ، فذهبوا بخمسة ثيران مع تلاميذهم ، فقبلهم السلطان وضيغهم وكساهم ، ثم طلعنا نحن الى الحاجب ، فاستقررنا هناك ، فاستولى الجيش على كل ما فيه، وجعلنا نحمل الواح الارز التي وجدناها هناك بكثرة، فاذا ذاك صاروا يفرهون المقارم المغزنية ، ويعطون المسكر الموظف عليهم بين القبائل ، قال : ثم جاء اينا وزير الحربية محمد بن المدني الاكلاوى -الغلاف- فنزل معنا لانه رئيسنا الرسمي ، وقد اراد ابوه أن يتمكن فينا بواسطته .

مع أبي حمارة ثانيا

قال : في هذه الايام ولى ابو حمارة ايضا وجهته شطر فاس ، ، وقد استرد قوته وضرى على الحروب ، وتكون له جيش يلازمه في تنقلاته ، وضبط أموره ، واوى اليه شجعان يخلصون له ، فنزل في (عين القرع) وامامه عبد مشهور في حروبه يسمى الجيلاني صاحب الوضوء ، وكان اولاً عبداً لولاي عرفة عم السلطان - وهو والد محمد بن عرفة الذي وضعه الفرنسيون والاتلاوى على العرش أيام الازمة المغربية - فهرب منه والتحق بابي حمارة ، فوجده شجاعاً، فصار يقدمه بين يديه ، لان ناصيته محفوظة، ورايته منصوره، فما توجه في حرب الا انتصر انتصارا باهرا حتى صار ذكره ملء الافواه ، وحدثت المجالس ، وكان جيش عظيم من الحوز فيه القائد العيادي ، وعبد الملك المتوكي ، والقائد خبثان وأمثالهم من كبار الحوزيين ، يقاتلون ههنا العبد. فلم يقدروا منه على شيء، وكانت المعارك تنور بين بنى سادن وبين الحيانة . وفي جوار تلك النواحي ، فلما أعياهم امره ، أرسل السلطان من الجيش النازل في الحاجب من يشد عضد ذلك الجيش ويغيثه ويعينه في مهمته ، فذهب القائد محمد بن الجيلاني السريغيني ، والقائد صالح ، والقائد الحسين البعمراني ، والقائد ابراهيم بوعودة المرابطي الرحمانى ، والقائد عبد الرحمان اكرار الاكلاوى، قال : فبقيت أنا بعدهم مع الحاج احمد الكريسي، والقائد محمد بن سعيد الفاسي الشراذى، والقائد سعيد اللمناني ، بين الباقيين من قواد جيشنا، فمثل أولئك امام السلطان . فندبهم أن يلتحقوا بجيش الحوز المحارب لابي حمارة ، والوزير المدنى جالس ، فالتفت اولئك القواد الى السلطان فطلبوا منه أن يلحق بهم القائد الناجم -يعنونى- فوعدهم بذلك،

ثم كساهم كسوة جيدة ، وحملهم على خيول عناق ، فلما جلس الوزير في مكتبه ، ذهب اليه القواد ليسلموا عليه ، فلامهم على أن طلبوا التحاقى بهم من الساطان ، فاعتذروا له بأنهم ما فعلوا ذلك الا (رحمة بولد له راوه يبكى شوقا الى ابيه ، فارادوا ان يدخل فاسا ليراه ولده) - وهى كذبة مكشوفة لفقوها - ثم كتب الى احدثهم بما وقع ، لكنى لم اذهب معهم ، ثم التحقوا بجيشهم فالتقوا مع ذلك العبد ، فهيا الله لهم ان هزموه بعد ما جرح ، ولولا جرحه ما انهزم ، ثم انتهوا دمسكره عند (حجر الكحيله) من (وادي سبو) ، فتقدم اليهم ابو حدارة بنفسه ، فالتقوا في بلد بنى وريتاغل ، فوقعت ملحمة عظيمة استمرت فيها الفريقان ، فظفروا عليه وانتهبوا ما معه ، واعتقلوا كثيرا من اصحابه ، فكانت حادثة عظيمة على ابي حمارة في الوقت الذى ظن فيه ان امره قد تمكن ، وقد استمرت الحرب الى الليل ، فاستدار الجيش بالتائر الثابت في موقفه ، ولم يرد ان يفر هو ومن معه ، وفى وسط الليل انسبل من اخصار وقد حمل عبده المجروح ، ثم تبعه الجيش الى واد يسمى (اوضير) فوقعت هناك ثانيا معركة اخرى تواقف فيها الفريقان ايضا منلازئين مستمتين ، قال : ثم جاءنا الكلام نحن ان ننتقل من (الحاجب) فامرنا انا واصحابي القواد الباقين ان نذهب الى ذلك الجيش لننضم اليه في مقابلة التائر ، فبتنا في (اخناوف) وفى الصباح وصلنا الى الجيش ، فذهبت انا الى كبير العسكر محبوب ، فصار يقول لى مياها : يا بنى الناجم ، هذه راية ابي حمارة ، وهذه موسيقاه ، وهذه كنوزه ، قد استحوذت انا بنفسى عليها كلها ، ورأيت اأجار الذهب الصامت الذى كان يحمله معه فى جوالق البغال حيثها ذهب ، كما كان يفعل بكل ما عنده ، يفعل ذلك من الخزم الذى حنكه به الدهر ، وقد ألف ان لا يستقر فى محل خاص ، فيريد ان لا يترك وراءه ما يلتفت اليه ، قل : فقلت لمحبوب واين ابو حمارة الآن ؟ فقال انه مات وضربه الله ، وانقضى امره ، وذهب مع الداهبين ، فقلت له : اذن وداعا ، قلت له ذلك لما رأيت من غروره وثرثرته وتبجحجه بما فعله غيره من الشجعان ، واما هو فلا يقدر ان يفلى القمل فى ثوبه - هذه عبارته - فهو لم يلق من الرجل وحيله ما ذقته منه انا ، فخرجت من عنده ، فوجدت بعض اصحابنا لما بينوا الاخبية بالاطناب والاسباب فامرت بخيل وبخييل بعض اصحابنا ، وبكثير من البغال ، فعملت على كل بقل جنديين ، فقمنا لاتباع ابي حمارة ، لاننى اوقن باننا اذا لم ننتهز هذه الفرصة فسرعان ما ينتفش ، فتمادينا امانا ، فوجدنا الوادى الذى وقعت فيه المعركة مضرجا كله بالدم ، ومفروشا بجثث الناس وجيف الخيل ، وقد اتنن جوه اتنانا لا يطاق ، فسدنا أنوفنا حتى تجاوزناه ، فوصلنا قبيلة بنى ذروال ، فاذا بزواية الشيخ سيدى عبد الرحمان الدرقاوى حيث مشهد مولاي الطيب ، وقد كنت عرفت

مولاي عبد الرحمان قبل اليوم ، وعرفني ، وقال يا فلان : اريد ان تكون زاويتي في امان ، فقلت له يا سيدي عليك وعلى زاويتك وعلى كل من معك امان الله ، ثم سألته عن ابي حمارة فقال انه لا يزال حيا ، وأنه بات امس في (خولان) وقد ضيفه بنو زروال هناك ، فاعتقل منهم أناسا ، فثاروا عليه بالبارود ، فخرج فارا من بينهم ، ثم لا ادرى أين ذهب ، فاستدعيت من كتب لي رسالة الى السلطان ذكرت فيها الواقع ، وانسى الآن وراء ابي حمارة ذاهب ، وطلبت منه ان يتبعني الجيش ، وان ينزل قريبا مني ، وان يرسل الى ما اتوقف عليه من المدفع وبعض جند آخر ، ثم طلبت من الشيخ ما أسد به رمقي ورمق من معي ، لاننا لم نذق الطعام منذ صباح الامس ، وكنا ثلاثمائة ونصفا من الخيل ، وأما الرجال الذين على البغال فنحو أربعمائة ، ومعنا مدفعان على البغال ، فهيا لنا الشيخ ما هيا ، وما كان أكثر ما هيا لنا الشيخ من الخبز واللحم والدجاج والكسكسو ، ثم سرنا قلما بعد ما دعا لنا الشيخ ، نسأل عن ابي حمارة كل من نصادفه ، فقيل لنا انه في بلاد (بنى قيس) فصمدنا الى تلك الناحية ، فنزلنا في محل هناك يسمى (الاربعاء) وقيل لنا انه في مشهد يسمى المدفون فيه (مولاي عمران) وانه صار من جديد يرسل الى القبائل يستنهضها ثانيا لمناصرته ، وللدفاع الجيوش التي ستستبيح ديارهم ان تلكوا عن نصرته ، وعن الدفاع عنه وصار يجد في الدعاية التي يعرف كيف يصوغها ولا يياس ، قال : فجدنا اينا اهل جباله خائفين على انفسهم ، فنقول لهم لا غرض لنا الا ابو حمارة وحده ، فلا يخافن أحد ، ثم جاء الجيش الذي طلبته من السلطان حتى نزل قريبا منا ، فطلع الى من كل طاوور حفظ واثر ، وجاءتني المدافع ، فبقيت هناك نحو اسبوع ، ونحن نستيقن امر الرجل لتتحقق أين هو ، والثاني في الحروب قبل انتسابها هما يجمع الرأي ، ويهيئ للانتصار ، ولا يهلع للحروب الا المكثيث (كما قال عمر بن الخطاب) واذ ذاك كان القائد عبد الرحمان اكرار الاكلاوي يسأل عن غنم شيئا من ابي حمارة له بال. يلفت الانتظار ، فلذكر له أن رجلا غنم بغلة عليها جاريتان جميلتان بارعتان فاتتتان رائعتان ، فارسل من انتزع الجاريتين من غنمهما ، فاتي بهما على تلك البغلة نفسها ، فجاءني صاحب الجاريتين حتى وقف أمامي ، فقال لي : هل أنت تكذب ؟ فقلت له حاشا ، وفي اي شيء كذبت عليك ؟ فقال : انك ذكرت لنا ان مقصودكم هو ابو حمارة وحده ، وانا غنمت منه جاريتين فترعتموهما مني ، مع أن كل من غنم شيئا فهو له ، فكيف أظلم وتنتزع مني غنمتي ؟ فقلت له : ومن الذي انتزعهما منك؟ فلذكر أن رجلا من المعسكر هو الذي انتزعهما مني بالقوة ، فارسلت من يبحث لي عن ذلك ، فعاد الى الرسول بما فعله عبد الرحمان اكرار صاحبنا الواشي ، فارسلت من

انتزعها منه بالقوة ايضا مع البغلة ، ولا أبالي بما عسى ان يكون ، فانانى
اكرار هذا يقول : انهما جاريتان جميلتان تصلحان للوزير الاكلوى ، واما
هذا الجبل فماذا يصنع بهما ؟ فقلت ألم يشبع الوزير الاكلوى من رائعات
الجوارى وعنده المئات منهن؟ فغضب مما فعلت وقلت واعد ان يوصل الخبر الى
وزيره ، ولكنى ما باليت بأى واحد منهما فى سبيل القيام بالواجب ، ثم
بلغنى أن رجلا يسمى ابن الخمسية كان متبوعا فى قومه ولا يسألونه عن أى
سبب اذا استفزهم حرب ، قد اتصل بأبى حمارة . فصار يتردد عليه طمعا
فيما يصله من مال منه ، فعرفت أن الامر جد ، وانه يجب ان تبادر بالضربة
الاخيرة ، وعند ظهر يوم سمعت صراخ الفجار والابواق من الجهة التى فيها
ملجا ابى حمارة ، فاذا بجيشه ينبعث من جديد امامنا متموجا يزحف الينا ،
فقلت لجندنا ولكل من معنا : تهنئوا وانتظموا وكان الوقت وقت الغداء فى
انبوادى ، فنصبنا المدافع والرشاشات لظننا ان التائر سيهاجم جيشنا ، وقد
كانت مساحة بسيط متسع من واد عميق بيننا وبينه ، قال : وقد كنت
منعدا مع جيشى الخاص عن الجيش الذى جانا به محبوب جوابا عن رسالتى
التى كتبها الى السلطان ، فوقفت أنظر ، ثم علمت بعد ذلك أن التائر قال
لن معه : اننى لا اقصد تلك الشردمة التى مع الناجم ، بل اذهب صامدا الى
الجيش الكبير ، يظهر بذلك لمن معه انه على قمة امره ، وأنه لا يزال يملك
مفاداة الحرب ، فتنبكنا وسار على طريق بنى مزككندة ، فأقلعنا وحملنا ما
معنا وسايرناه الى الجهة التى يقصدها . فسرنا معه موازين ، حتى سقط
علينا الليل ، فبات فى بنى مزككندة ، وبتنا فى بنى زردوال ، فقمنا
قبله وسبقناه الى جيشنا ، فقلت لرئيسه محبوب قم لترى ابا حمارة الذى
زعمت انه ذهب مع الذهبين ، فها هو ذا يزحف اليكم ، فكنت اول من اعلمهم
به ، لانهم لا علم عندهم بزحفه شان امثال محبوب الذى لا يعرف الخزم ، فقام
القائد أبو خبزة ومن معه كالقائد مبارك الدليمى ، والقائد عنو البهرانى ،
والقائد عبد الله الرحمانى ، والقائد الحبيب باقا الفطواكى الاسلامى الام
(وقد كانت امه يهودية فاسلمت) فلاقوا الزحف وكان اليوم يوم سبت ، فلم
يزيدوا على أن نعاطوا الرصاص بينهم وبينه من غير أن يتلاحموا تلاحم الحروب
فلم يروا منه ولم ير منهم ما يجدى ، قال : وفى اليوم الثانى تهاى الجيش
كله ، ما معى ، وما مع الرئيس محبوب ، وما مع غيرنا من القواد ، فتلاقينا
مع التائر فى موقعة عظيمة انهزم فيها - بعد استماتة - انهزاما شنيعا ،
فنهبنا قبيلة بنى مزككندة وكل ما وجدناه امامنا ، فولى عن التائر اذ ذاك
كل من معه فتركوه منفردا ، فرجعنا نحن عن المنهزمين عند نزول الليل ،
فثاب التائر الى محله فى مشهد (مولاي عمران) ولم يتبعه احد ، لا منا ولا
من كانوا معه ، وقد تفرق عنه حتى أصحابه الاخصاء. وقد كان العبد المجروح

قد مات . فمات معه الدليل الاخير من بخته ، قال وفي اثناء الليل جاء رجل من جبالة يسأل عنى ، فسل على خبائى ، فقال : اريد ان اتلقى مع القائد الناجم ، قال : فاعلمت به ، فامرت بادخاله ، فرايته فى ضوء السراج ، فاذا هو صاحب الجاريتين اللتين انتزعتهما من عبد الرحمان اكراد الاكلوى ، فقال : انك قد احسنت الى ذلك اليوم . واسديت الى معروف ، والاحسان يملك الانسان وقد جئت اجزيك احسانا باحسان ، و اردت لك ان تعوز وحسدك شرفا لا يشاركك فيه احد من هؤلاء القواد ، وان ابن الحمسية الذى كان يناصر ابا حمارة قد ولى عنه بعد ما قتل اصحابه . وجرح كثيرون من قبيلته ، فلم يبق عند الرجل الآن الا اهله فقط ، وليست معه اية قوة تدافع عنه ، فبادر اليه الآن ليكون لك وحدك شرف القاء القبض عليه ، فانك اهل لكل شرف ، فيها اليه بسرعة قبل ان يفلت منك ، فاني تركته وليس معه من الخيل الا خمس وسبعون فرسا ، تركها له فرسانها وقد هربوا عنه ، وقد ادخل سروجها البراقة المذهبة الى مشهد مولاي عمران ، فقم واسرع ، ولا تنس فى حياتك ان اسداء المعروف لا ينسأه الرجال اهل جبالة الاحرار ، فقامت فى الحين فايقظت اصحابى من القواد ، القائد سعيد الدصناتى والقائد محمد بن سعيد القرقرى ، فذهبنا ثلاثتنا مع جنود انتقيناهم من بقية جنودنا الثلاثة ، فلم نختر الا من نعلم منهم الرجولة والمغامرة والبسالة ، وقد كان جندي اذ ذاك يصل الى 1200 وربما بلغ جند القائد سعيد 800 ، اما ما عند القائد محمد بن سعيد فيبلغ 3000 ، فذهبنا من غير ان يعلم رئيس الجيش محبوب بنى شىء ، فتقدمنا ذلك الرجل الجبل يهدينا الطريق ، فسبقت انا بالفرسان ، وتبعنا المشاة مع المدافع ومعهم القائد محمد بن سعيد ، فهاجمت اولا الجهة التى فيها مشهد مولاي عمران ، فوجدت المكان كما وصفه لنا دليلنا ، فقد وجدت فيه الخيل مصطفة وحدها دون ركابها حول المشهد ، فلم نكد تقرب من المشهد عند طلوع الشمس حتى اطلقت علينا ثلاث طلقات من المشهد ، عرفنا بعد ذلك ان الذين اطلقوها هم ثلاثة عبيد صفار ، هم وحدهم من بقى لابي حمارة ، فسقط احد افراسنا ، فتحزونا وتنحننا ، ثم خرجت عجوز من المشهد تصرخ فينا وتقول : ما تريدون من بلادنا ؟ فقلت لها لا نريد الا ابا حمارة وحده ، فقالت انه قد خرج آنفا وليس هنا ، فتجاوزنا المشهد قليلا ، فراينا تساقط الرجال علينا من القرى التى تجاور تلك الناحية ، فتراكموا على مقربة منا مبتعدين ، يتصايحون بنا قائلين : (نحن بالله وبالشرع معكم يا اصحاب السلطان) وقد علاهم الخوف من الجيش ، فقلت لهم وقد رفعت عقب البندقية وانا اسير اليهم - وتلك علامة المسالة - : اخرجوا الينا منكم من نكلم معهم ، وعليكم الامان التام ، فاننا لا نطلب الا طلبه السلطان ابا حمارة الفتان ، فقيل لنا : انكم تركتموه وراءكم فى المشهد ، فقد اختبأ فيه عنكم ، فرجعنا

فدهمنا المشهد ، ولما اردنا ان ندخل اليه من الباب ، اطلق علينا اولئك الغلمان النار فقتل واحد منا ، فاذا باصحابي انتشلوني بأيديهم من امام الباب وهم يقولون : كانك لا تريد دائما الا ان تموت ، فأبعنوني عنه ، فرغنا الى ناحية اخرى فاقترحمنا المكان واوقدنا حوله النار ، وقد كان غير مقبو كالعادة ، وانما هو مسقف بأعواد فوق الجدران المرفوعة ، ثم على الاعواد تراب ، فشبت النار في السقف ، فلما اشتد الدخان على ابي حمارة اندلق من المحل ، فانقضضنا عليه، فكنت انا اول من لمست يده ، ومعى القائد العربي الذى هو الآن قائد المشور فى القصر الملكى حرسه الله ، ومعنا القائد البخارى من قواد جندى ، فنزعنا منه الخنجر اولاً من تحت ابطه ، والمسدس ، والتمانك المخططة بخيوط الذهب الحقيقى وهى الخفان اللذان يلبسهما الفارس ، فأدخلت يدى لانظر هل على جسده ما يقال لنا من التمانم ، فلم أجد شيئاً ، ثم أخرجناه، فاذا بالجند قد دهموا علينا ينتهبون كل ما فى بناية المشهد ، وليس فى المكان من الناس الا نساؤه وجواريه وخدمه ، والبناية متسعة تسع عشرات من الناس . وقد كان جيشنا وصلنا اذ ذاك بقضه وقضيضه ، فكان كل من وصلنا يضع على الثائر يده ويقول: يا ناچم، هل انا الذى قبضت ابا حمارة؟ فاقول له نعم يا سيدى ، انت الذى قبضته ، ادارى الناس بذلك لئلا يغلبونى عليه فيقتلونه ، وقد ازدحم علينا الناس حتى صار مرفوعا فوق الاكتاف ، واصحابى يدافعون عنه ، فكاد يخنق ، وقد اضر به العطش ، فصار ينادى يا ناچم اغثنى بشربة ماء ، فقد كدت اموت عطشا، فالتفت الى القائد العربى هذا الذى فى القصر الملكى الآن ، فأمرته ان ياتيه بالماء ، فأتى بقلعة ماء لا باس بها ، فأعلاها يصب الماء فى فيه ، فمن الماء ما يصل فاه ، ومنه ما يسيل على اكتاف الناس المتراحمين ، ثم أمرت جنديا معى ان ياتى ببغلة ، فوقف معى القائد محمد بن الجيلانى - وقد بلغ منى الاعياء مبلغا عظيما - فأركبناه عليها ، واردفنا وراءه القائد البخارى ، وهو رجل من اصحابى معروف ، ولا يزال اولاده الى الآن فى الحرس الملكى ، فتمكن منه ، وهو ماسور مربوط اليدين وراءه ، فقلت له اذهب بالرجل وحافظ عليه ، ونكبه وسط الجيش ، وباعده من المعسكر خوف ان يقتله الناس ، فذهب به ، ثم استسجعت القائد محمد بن سعيد ، فأمرته ان يذهب به مع اصحابى ليدافعوا عنه بقوتهم ، ثم استسجيت بعد ان اطمأنت على الرجل بثقات اصحابى ، فاذا بى قد اغمى على فوقف على الشراردة ، واتوا بالسعتر والبصل ، حتى تماثلت واسترجعت عقلى ، فتبعمت اثر اصحابى وانا على فرسى ، فوجدتهم فى خلا . وقد ابتعدوا عن الجيش كما أمرتهم به ، فصار بعضنا يهني البعض بالسلامة ، ثم جعلنا (ابا حمارة) وسطنا طوال تلك الليلة ، فبننا معه فى مراجعة الحديث ، نند عليه بما كان يفعله بنا منذ سبع سنين ، فكنت انا الذى احادثه كثيرا فى ذلك

والقواد الذين باتوا معنا في تلك الليلة حوله هم القائد صالح ، والقائد محمد ابن الجيلاني السرخيني ، والقائد الحسين البعمراني ، والقائد بوعودة الرحماني والقائد عبد الكريم ولد بنا محمد الشركي ، والقائد محمد بن البغدادي الابيض الشهير، باشا فاس بعد عهد مولاي عبد الحفيظ ، والقائد ادريس الجويشى الاوديسى ، والقائد الحافظ الدليمي ، والقائد عمارة الشراذى ، والقائد الحبيب الشراذى، والقائد ابن ادريس الشراذى، والقائد محمد القريضي المستارى الجبل ، هؤلاء هم الذين استداروا بأبى حمارة تلك الليلة ، مع اصحابنا ، وقد اطلقت يديه لراحته ، فلما اكرت عليه بالتنديد والتشريب وعمله في السحر والشعوذة التي يفر بها السذج التفت الى القائد عبد الكريم فقال له : قل لصاحب الركب هذا - يعني - يسكت عنى ، فقال له انه ليس بصاحب الركب ، بل هو الشجاع الذى تعرفه بمواقفه معك ، ثم التفت الى انا فقال : اقرأت كتاب (مشارك الانوار) ؟ فاجبته بانى اى لا اقرأ ولا اكتب ، فقال : ولماذا تصدع راسى وانت لم تقرأ حتى كتاب (مشارك الانوار)؟ ثم قال : ان كل ما رايتك جار على وفق الاقدار ، لانى انا الذى تركت بلاد السيب ، وجمت الى بلاد الزبيب يعنى ترك محل الخيل - والسبب شعر الخيل عند الناس - كبلاد اَنَكَاذَ وامثالها حيث الفرسان الشجعان ، واتيت الى بلاد الجبن التى لا يعرف اهلها الا ان ييبسوا الزبيب . ولا معرفة لهم بالحروب والاقدام . فهلكت عندهم ، ثم تكلم القائد محمد المستارى فقال له : انك معتقل الآن فى بلاد الزبيب التى احتقرتها ، فقال له : من اين انت يا هذا ؟ فقال له اننى من جباله هذه ، فالتفت اليه ابو حمارة بالحماليق المحمرة كما يوتى لنا فى الظلام ، واهد اليه بصره مليا ، فمد يده الى ما وراء راسه . كانه يتناول شيئا من (قنبه) - وهو غطاء الرأس من الجبة او السلام- فاهوى بيده اليمنى كانما ينثر شيئا منها على ظهر ابهام يده اليسرى ، ثم اهوى بانفه الى ما فوق ابهام اليد اليسرى. كانه يستنشقه، ويحاكى بذلك فعل مستنشق مسحوق التبغ (التنفيحة) ، ثم قال : انكم يا بنى جباله لا تعجبوننى الا حين تتناولون (الكوزة) ، يعنى وعاء التنفيحة ، فتستنشقون مما فيها ، واما الرجولة فاين انتم منها ؟ فمئلك يا ابن كذا وكذا - يسبه سبا فاحشا - لا يتكلم امام سادته ، ثم التفت الى القائد عبد الكريم فقال له : اما دارك انت فنعم الدار ، وليس عندى فيها ما يقال ، وقد سبق فيما تقدم ان ابا حمارة هذا كان فى اول امره عوناً عند آل عبد الكريم هذا . قبل ان يكون عند مولاي عمر ، ثم قال له : القائد الحافظ كلاما ، فسأل عنه ، فلما عرف من هو ؟ قال له او نظن ايها الابرص اننى اجهل من انتم ايها البخلاء. حتى لا يجد الضيف عندكم الا اللدشيشمة السوداء مع اللبن الحامض المنتن الذى تاباه حتى الكلاب؟ ثم صار يسأل عن كل واحد من الحاضرين على حدة ، فلما ذكرنا له القائد

بوعودة قال : هذا ابوعودة . وانا ابو حمارة . فانه ياتى بابى جميل . ثم التفت الى والى الجالسين اجمعين ، فقال : تبا لكم يا اشباه الرجال فمتى كنتم رجالا فى عين الناس وثلتم السمعة بين أقرانكم ؟ فبمن اكتنزتم ما اكتنزتم من الاموال والمتاع والحيل والبالغ ؟ او لست انا هو السبب فى كل ذلك ؟ فبفضلى ظهرتم وصرتم تتوصلون من خزانة اللولة بالثبونة . وبكل ما تقدمون فيه مطالبكم ؟ فهلا امرى اليوم قد انقضى ، وستذهبون اليوم الى حيث تقبعون وتتقمعون فتلودون الذباب وتهوون ، (1) فأين رجولتكم وشهامتكم ومجادتكم يا ابناء الكرازة والبخل والنح واللؤم ؟ فلو كان فيكم عرق ينبض بالرجولة لما تركتهونى بينكم هكذا ارتعد من شدة البرد واتم تنظرون ، فززع القائد ادريس الأدينى سلهاما رقيقا فدفعه اليه ، فرماه اليه بكل انفة وقال : ابهذا الرقيق الشفا فيبرد البرد القارص ، ثم همس أحد أعوانى فى اذنى بان عنده بردة غليظة ان لاقت به ، فذكرت ذلك لابي حمارة ، فقال ايتونى ولو بالجلس ، فان البرد قد بلغ منى مبلغا عظيما ، فأتيناه بها فالتف فيها ، ثم جمعنا طرفيها تحت ذقنه بشوكة ، وهكذا أمضينا معه جل الليلة ، وفى الصباح التحقنا بجيشنا . وبرئيسه محبوب ، ثم أردت أن اتأدب مع هذا الرئيس . فدخلت عليه بالمعتقل معتولا ، فرحب بنا ، فنطق القائد بوعودة قائلا : لولا انا أغثناكم أمام مشهد مولاي عمران لما نجحتم فقلت له مغضبا : لمثل ذلك الموقف يريد الانسان اخوانه ، ثم بعد قليل اعاد مثل ذلك الكلام ثانيا ، ثم اعاده ثالثا ، فقلت زمام ارادتى من يدي . فلم املك ان رفعت يدي فلطمت بوعودة هذا لكمة طنانة ، ثم قمت فوضعت يدي على مسدسى ، فثار من فى القبة يحول بينى وبينه ، فاذا بابى حمارة نادى بين الجالسين بصوت عال : اهدوا فانا أفصل بينكم ، ثم قال ما هذا البهتان على الناجم ؟ ثم التفت الى ابي عودة . فقال له فى أية معركة اغثت القائد الناجم ؟ فقد كنت احاربه يوم كان معى ما احارب به ، واما هذا اليوم فلم يكن معى الا اهلى وحدهم فى المشهد، فما اوقع الكذاب الذى يكذب والناس كلهم يعلمون أن ما يقوله كذب ، ان صاحبي هو الناجم وحده أعينته بينكم جميعا ، قال المترجم : ثم قمت وانا لا ازال أفور غيظا . وقلت لمحبوب : انما أردت أن أتأدب معك بمجئى هذا اليك بصفة كونك رئيسا للجيش ، فأتيتك به كما ترى ، والا فعند السلطان رسائلك التى كنت قلت فيها ان ابا حمارة ذهب مع الداهيين ، فما أنذا ذاهب بأسيرى الى السلطان ، فان أردت أن تذهب فقم معى ، فخرجنا بالرجل ومعه ولد له صغير ابن نحو ست سنين يسمى خليلا ، (وقد تبناه الحاج احمد الكريسي بعد ذلك) ثم كبنااه وجعلناه

(1) قبح القنفذ : ادخل رأسه فى جلده . وتقمع الانسان : جلس وحده .

والذباب جمع ذباب . وهو من الانسان : هز رأسه من التماس .

على بغلة ، ووراءه القائد الذى يردف قبل وراه ، وهو حاسر ليس على راسه شىء ، وعليه وفرة ، فبتنا ذلك اليوم فى (شراكة) وفى اليوم الثانى اصبحنا فى (لمطة) وابو حمارة يقول لى اريد كسوة ، فاقول له : انسى بعثت الى السلطان ليرسلها اليك، وفى لمطة اتينا بالفطور، فطلبت منه أن ياكل فقال: كيف آكل وأولاد اليهود ينظرون الى ؟ يقول ذلك لان كل من مررنا به ياتى ليراه متمجبا ، ثم ادرت برودا (حوالك) حول أشجار زيانين فى المكان الذى نزلنا فيه ، فقربت اليه طواجين ودلاحا وعنبا ، فلم يتناول الا بعض الدلاح . وانما اكل ابنه ، ثم قمنا متوجهين الى فاس ، فتلقانا جمل بعث الينا من عند السلطان وعليه قفص ، فقال لى الرسول: أيها القائد اسمع كلام السلطان، فانه يهرك أن تجعل الاسير فى هذا القفص ليدخل الى فاس على تلك الحالة، ثم التفت الى يقول : أيها الغدار ويا كذا ويا كذا يسب ويشتم بأقبح الفاظ السب والشتيم . اهذه هى الكسوة التى قلت ان السلطان سيرسلها الى ؟ فبندقت له ملاطفة وتهكما ، لان مقصوده أن يشير غضب أحدنا ليقته فيستريح فلذلك وسعت له صدرى . والتت له القول ، ثم انه أنزله البخاريون الفلاط الاكباد ، فسلسلوه وطوقوه بالاغلال ، حتى لا يكاد يتحرك بثقل الحديد ، ثم جعلوه فى القفص ، ثم ربطوا القفص على الجمل . ثم توصلت أنا بزمام البعير . وبذلك جاء الامر من السلطان ، ليعلن للناس انى انا الذى اعتقلته ، فلما دخلنا المدينة صار اهل فاس يتلقوننا زرافات ووحدانا . ليروا أبى حمارة ، فلم تبق مخدرة فما دونها ذلك النهار الا خرجت ، وقد بلغ كراء البغال مائة ريال ، وكان يوما مشهودا ، فمشيت بالجمل حتى دخلت دار المخزن حيث المشور ، فوجدت السلطان جالسا ، وحوله الوزراء ، فابركت الجمل بين يدى السلطان ، ثم تقدمت فبندقت على العادة ، وسلمت الى يده الادانة كما توصلت بها من (مولاي عمران) ثم وضعت امامه ما كنت اخذته من الاسير : الخنجر والمسدس والتمايك - الحفين - وصرة فيها طوابعه التى كان يطبع بها رسائله ، فتناول السلطان بيده صرة الطوابع ، وهى خشية صغيرة من الملف، فأخرج منها الطابع الكبير وجعل يقرأ ما كتب فيه ، ثم التفت الى أبى حمارة بالكلام الشديد حين يزعم فى ذلك الطابع انه مولاي محمد ابن مولاي الحسن . فصار يثرىب عليه بشدة . فصار ابو حمارة يتكلم بغمغة لا يفهم السلطان معناها ، فنادانى يا ناجم يا ناجم . وامرنى ان اتقدم الى ابى حمارة . لاسمع ما يريد ان يقوله فى غمغمته ، فاقتربت منه . وأذنت اذنى منه . فقال لى : اهنا هو حفيظ ؟ وكناه بكنية قبيحة ، فقلت له انت تعرف ، ثم سألتى عن الوزراء ، فأشار الى المدنى الاكلاوى وسماه (بنو ووهران) اى صاحب الشفاه الغليظة ، ثم قال : لقد خلت دار المخزن حين يصلها مثل هذا ، ثم اشار الى القائد عبد الملك المتوكى ، فقال ومن ذلك الاعور ؟ فقلت

له انت تعرف ، ثم اشار الى عيسى بن عمر . فقال هذا صاحب الدناب -
يعنى انه يالف صيدها - فقلت له انت تعرف ، ثم اشار الى ابن البغدادي
الاسود ، والى الكريسي ، والى بوخبزة ، وادريس بن بوشتي ، وكلهم سود
بجر البطون ، فقال من هذه العريفات المنتفحات البطون . كأنهن حبال - فما
الذي سيلبن ؟ فاقول له في الجميع انت تعرف ، فلما ابطأت عن السلطان
ناداني فقال ، ما يقول ولد الحرام ، فقلت له . وقد حرفت الكلم عن مواضعه :
انه يا سيدي يتشكى من الجوع . ويريد ما يسد به رمقه ، قال : ثم دفع
الي السلطان المسدس والخنجر والحفين ، اعطاني ذلك على قاعدة من قتل قبيلة
فله سلبه ، فاخذتها ، ثم امر ان ينزل أبو حمارة من ففصه الذي اغلق
عليه ، فادخله البخاريون من باب الى دويرة سجن فيها ، ثم تفرقت المخزنية ،
ثم خرجنا فآخذ الوزير المدني الاكلوي بيدي ، فصرنا كلما خطونا خطوة
يلتفت الي ويقول لي : يا ناجم تعديت ، كرر ذلك مرارا ، فاقول له انا تائب
الى الله يا سيدي ، ثم قلت له باي شيء تعديت يا سيدي ؟ فقال حين قبضت
هنا الرجل واتيت به ، فاجبته بانى اظن انى قمت بواجب عظيم انفع به
حكومتى وبلادى فانه تسبب في خلاء المغرب ، فقال : لا انك لم تفعل حسنا ،
فهذا الرجل الذى نحن حوله - يعنى السلطان - غدار ، وكان بودنا ان لا
نزال نراوغه بمحاربة هذا الانسان الذى اتيت به اليوم ، فقضيت علينا بما
كنا نتخذة دائما جنة تستمر وراءها ، فقلت له : ايا كان ، فاني اتوب الى
الله ، ففارقته وقد اسود في عيني . وادركت ما يضره للمملكة كلها ، وفي
الليل ارسل الي فرسا عتيقا كأنه لاطفنى لاستر ما قال ، ثم بنيت دكانة
مرتفعة في باب البوجات ، فصنع قفص آخر صغير اصفر من الاول ، فيجعل
فيه ابو حمارة ، وفي كل عشية يخرج الى ذلك المحل . فتقام عليه ألعاب
الحيل ، كما هي العادة في الافراح المخزنية ، وتضرب حول قفصه البنادير
(الدفوف) بايدي النساء الفاسيات ، قال : ثم كان ذلك آخر عهدي انا بابي
حمارة ، ثم سمعت ان السيد ادريس مئثو كان يجالسه احيانا في الدويرة
التي سجن فيها ، وفي ليلة بعد اسابيع من اعتقال هذا الثائر ، أسر القنصل
الالمانى الى السيد ادريس مئثو - وقد كان صاحبه - ان يعلم السلطان بأن
قناصل اللول سياتون غدا اليه ليطلبوا منه تسريح ابي حمارة ، فاذا ذاك
حكم السلطان بقتل ابي حمارة في تلك الليلة ، فذهب ادريس منو الذى كان
يستانس به ويمنيه بأنه سيطلق سراحه ، فخرج معه الى بستان من بساتين
دار المخزن . فصار يسايره على عادته معه في بعض الاوقات . واوصى عبدا
يسمى مباركما السوسى ان يطلق فيه المسدس من ورائه حين يتحدنان .
لكن العبد - وقد كان رعيديا - اصابه الدهش ، ثم زاد على ذلك ان الطلقة
لم تنطلق من المسدس ، فالتفت ابو حمارة بسرعة حين سمع الحركة وراه ،

فقال هذا هو الغدر ، ثم صار يشهد ، فعمد ادريس منو الى المسدس . فاطلق عليه منه رصاصات حتى مات ، ثم قطع راسه . فأتى به الى السلطان ، ثم رجع به فأحرقه هو واجتة ، وكان ذلك كله سرا لا يعرفه الا الخواص ، ثم ان هذا العبد مباركا ولى بعد هذا اليوم قيادة جند من أمثاله ، لانه كان منظورا اليه عندهم ، قال : ثم لما طلع القناصل فى الغد وطلبوا تسريحه ، اعتذر اليهم السلطان بان الحكم الشرعى قد نفذ فيه قبل اليوم ، ولو كان لا يزال حيا ما ضن به عليهم ، وهكذا ردهم بملاطفة ، قال وحين خفى ذلك عن الناس صار البعض منهم يزعم انه فر من السجن . وانه لا يزال حيا ، وادعى بعضهم انه بما له من السحر وعلم الاسماء خرج من دار المخزن بين الناس . ولم يظهر للعيون ، وقد تمكنت هذه الفكرة من بعض أصهاره حتى أبى ان يزوج بنته بعده انتظارا لرجوعه اليها ، وعن الاوربيين من أشاعوا ان السلطان رماه فى زبية اسد فافترسه ، وذلك كذب وبهتان .

يقول مؤلفه : كان السيد ادريس مننو حدثنى فاه لاذنى بما قاله الناجم ، فلا خلاف بينهما ، وقد ذكرت ما اخبر به السيد مننو فى كتاب (حول مائدة الغداء) .

وكذلك انقضى امر ابي حمارة ، بعد ما ملا المغرب حروبا نحو سبع سنين ، وكانت له نفس قوية وهمة وعزيمة ، وكم مضى من أمثاله فى التاريخ ثم جهلهم التاريخ ، وربما كان ما يحكيه لنا اليوم القائد الناجم أبسط ترجمة لبعض ما خاضه من الحروب ، ولو كان كل ما يحكيه لنا المترجم مفصلا باليوم والشهر والسنة لتم المراد ، ولكن هذا ما امكن الآن .

تعقيب

راى القارىء فيما يحكيه القائد الناجم ما يظهر منه انه مثبت متحرز اى لا يقول الا ما هو الواقع فى كل ما قصه عن ابي حمارة ، وقد راجعت ما كتبه شيخنا المؤرخ الكبير الاستاذ هولاى عبد الرحمان بن زيدان رحمه الله فى قضية ابي حمارة فى تاريخه الكبير ، فوجدت فى غالبه موافقة مع ما يحكيه صاحبنا المترجم هذا ، الا ان ما كتبه شيخنا مختصر جدا ، وما كتبه عن المترجم يكاد يوفى الموضوع حقه ، الا ان هناك بعض مخالفات فى اسماء الاماكن التى وقعت فيها تلك الحروب ، وقد سألته عن بعض امور وقع فيها الاختلاف بينه وبين من يحكى عنهم الاستاذ ابن زيدان ، فبين الحقيقة كما هى . ولا سألته عما ذكر هناك من ان الذى اعتقل ابا حمارة هو العشى - من الاعشاس قوم بالشاوية - وكان احمد بن موسى ضربهم ضربة ماحقة فى عهده ، فلما اعتقل منهم من اعتقل وقتل من قتل ، أتى بكثير من اولادهم كغلمان مسوقين بين الجند ، فكان منهم هذا الفتى ، فكان اولا جنديا فى طابور

الحاج على البعمراني ، بعد ان كان عند المحبوب المطاعي الذي كان يدفع له أهتاله من الفلمان المسيبين ليربيهم ، فلما شب فارعا كان عند الحاج على اولاً . ثم انتقل الى طابور بوعودة ، وقد اصبح جنديا سافل الاخلاق لا شان له ، قال المترجم : وقد كان هذا العشي اذ ذاك في غمار الحاضرين الكثيرين من الجند ، لكنه لم يحضر وقت اعتقال الثائر حين أنزلت اليد عليه فانتزع منه الخنجر والمسدس وما معه من خنشة الطوابع وغيرها ، ولم يحضر الا القائد العربي قائد المشور الملكي الآن ، وكل من ادعى ان العشي هو معتقل ابي حمارة في كتاب ما - يعني تاريخ الاستاذ ابن زيدان - فانما أصله من أخبره به اما كذبا أو جهلا بالحقيقة ، هذا ما قاله المترجم ، وقد ظهر الآن الحق عيانا ، وقد كنت سمعت من السيد ادريس منقول ان الذي اعتقل الرجل بيده هو الناجم ، وذكر ان ذلك مستفيض ، وها هو ذا القائد العربي قائد المشور ما زال حيا يرزق ، وقد اخبرنا بذلك عدة مرات ، كما اخبرنا به القائد ابراهيم الحاحي القاطن بسلا الآن . وقد كان اذ ذاك في ذلك الجيش ، على ان الامارة الكبرى هي ان البخاريين الذين وضعوا ابا حمارة في القفص الذي جاء من عند السلطان لذلك ، لم يفلخوا القائد الناجم على زمام البعير . وقد كان ذلك في امكانهم ، بل ردوه اليه حتى دخل به فاسا . وأبركه أمام السلطان ، وعلى كل حال فان ما ذكره استاذنا ابن زيدان في تاريخه عن العشي وانه معتقل ابي حمارة غلط محض .

في تغريم قبائل جباله

قال : لما انقضى امر ابي حمارة ، تمكنت في ادارة الامور المخزنية يد الوزير المدني الاكلاوي . وصارت القبائل تدخل في طاعة السلطان ، الا ما كان من غنيثة وبنى وراينز والريف ، قال : قصرت انا بين الذين يدورون في قبائل جباله المطيعة ، نجمع منها مغارم السلطان المتعادية ، فبقيت هناك ما شاء الله ، الى ان رجعنا الى فاس من اجل التعييد مع السلطان .

في حرب مع نكوشنت

قال : هناك بين عين مديونة والحياينة والبرانس ، توجد قبيلة نكوشنت ، وكانت ابيه لم تنفذ للحكومة بعد سقوط ابي حمارة وكانت ممن اخلصوا له ، فخرج جيش يرأسه عمر بن عندي الاكلاوي خليفة وزير الحربية محمد بن المدني الاكلاوي - العلاف - وكان من بين القواد الذين فيه عبد الرحمان اكرار الاكلاوي ، وكان قائدا على الاكلابين ، فقتل اذ ذاك فيمن قتل ، فتولى على بن صالح مكانه ، وقد كانت تلك الحرب أيضا شديدة ، ثم رجع ابن عندي ، فخرج الكريسي ، فصار رئيس الجيش . فتمادت الحروب ، وقد شاركت

نكوشت فى هذه الحرب قبائل اخرى ، كفيائة والتسول والبرانس ، ومن لف لفهم ، قال : فلم نستطع ان نغلبهم ، وفى عشية زحفوا الينا ، فتمادت الحرب الى الليل ، ثم هاجمونا ايضا مهاجمة شديدة فى اثناء الليل ، قال : فخرج على المهاجمون وانا واقف على حدة ، فقلت من هؤلاء ؟ فقالوا نحن جند القائد الناجم ، فعرفت انهم كذبوا على ، فرمينهم بالرصاص ، ثم ناديت احد اصحابى ، وكان ممسكا لفرسى وهو بعيد منى ، فقلت له ان العدو معك (اى انهم قد جاؤا) فاذا به يقول لى انهم ضربوه وذهبوا بالفرس ، فكان ذلك آخر ما نطق به ثم مات فاذ ذلك انسحبوا، وفى الصباح باكرناهم بالهجوم، فدام البارود ماشاء الله حتى غلبناهم فانهمزوا امامنا ، فعلونا عليهم منذ ذلك النهار ، ثم لم يعودوا الينا بعد ، فبقينا هناك نحو شهرين هائنين فى محل تتوالى علينا فيه النزء فيما بيننا ، اذ يستدعيانا كل قائد منا يوما فيغمرنا بما لد وطاب .

فى مناواة المدنى الاكلاوى

قال : رجعنا الى فاس فاذا بى وجدت اذامى اعجوبة وقعت فى مالى، وذلك ان لى دارا فى فاس الجديد ، جعلت فيها كل ما عندى من الاتات والصناديق والحترى ، وجميع ما اقول عنه عندى وفى ملكى ، ودارا اخرى فى فاس السفلى حوالى مشهد الشيخ التيجانى كنت اشتريتها على يد فاسى يسمى سليمان ، كنا هدمناها وبنيناها بناء متقنا بالرخام والزليج ، كما تبسلى اللور العليا فى فاس ، ثم وقع اثناء سفرى هذا ان جاء سليمان الى صاحبى الذى تركته فى الدار التى فى فاس الجديد ، فقال له سرا : انى سمعت بان السلطان سيعتقل كل القواد العسكريين الذين منهم صاحبنا الناجم ، فيجب علينا ان نحافظ على ما لصاحبنا القائد الناجم فى غيبته بكل امانة ، ونصيحة ، فأرى ان تنقل كل ما فى هذا الدار الى الدار الاخرى ، وصار يحدث صاحبى بمثل هذا الكلام ، حتى اصاح لكلامه ، واسلس له القياد ، فحولوا كل شىء سرا ، شيئا فشيئا حتى نقلوا حتى لباسى الخاص فى صندوقه بين الصناديق وفى الليلة التى سابكر فيها راجعا الى فاس ، جاء سليمان متباكيا الى صاحبى يقول له : ان الدار قد استل للصوص كل ما فيها . فلم يتركوا سبدا ولا لبدا ، فاسرع صاحبى معه ، فلما دخلوا الدار ، تأملها صاحبى فلم ير اثرا للصوص، فلما فيها نقب، ولا فى ابوابها كسر ، ثم سال الجيران فلم يخبره احد بانه آثر للصوص قال : فلما بكرت الى فاس وانزلت جندى خارج المدينة ، جاء الى صاحبى منتقع اللون ، يعلوه ما يعلو الكئيب الذى ياخذ الحزن باكظامه ، فحكى لى ما وقع ، فتفطنت الى ان سليمان الذى صنع المفاتيح على يده ، هو الذى فعل الفعلة ، وأنه صنع اذ ذاك مفاتيح اخرى على اقفال الابواب

وهو الذي كان وقف على بناء الدار ، وكذلك لا يحتاج اخراجه لما في الدار الى نهب جدار او كسر باب ، او نسلق الى سطح ، فأدركت ادراكا حقيقيا لا شك فيه انه هو الفاعل لذلك، ثم استعرت كسوة رسمية تجملت بها امام السلطان، لان الكسوة الرسمية الملفية ذهبت أيضا في صندوقها ، ثم ذهبت بهديه من دراهم الى الوزير المدني الاكلوي لياخذ لي حقي من سليمان ، فصار يماطني وكأنه يشمت بي ويفرح بكل مصيبة تنزل علي . ثم اتصلت بالقائد عبد الملك المتوكي بهدية أيضا . وقد رايتنه يجالس المدني ليحبه حنا على أخذ حقي من ذلك الفاسي ، وقد كانت العادة أن اذهب كل يوم حين تنقضى المحزنيه عند الظهر أنا والمتوكي وراء المدني الاكلوي الوزير الكبير ، حتى يصل المدوح ، حيث دار الحاج عمر التازي التي نزل فيها ، فالتفت لينا امام منزله وقد اهوى الى النزول فيودعنا ، فأذهب مع المتوكي ، الى رياض بنيس، وهو قريب من ذلك المحل ، وفيه يقطن صاحبي المتوكي ، فتتوضأ هناك ونصل الظهر ثم اذهب الى داري في فاس الجديد ، وحين رايت أن كلا الرجلين لم يهتم بقضيتي ، قيدت المهم مما سرق لي ، ولم أفيد الكسل - والله يشهد - هذه عبارته - ، فقدمت القائمة الى السلطان ، فلما جاء الوزير المدني الى مجلسه اعطاها له ، فلما قراها وراى ما فيها من ثرة الاثاث والمتاع ، قال : هؤلاء القواد وزراء بل ملوك لا مطلق قواد ، ثم صار يرى للسلطان كثرة ما في القائمة من الفراش والمتاع والحلى والاوراني المفضضة وما الى ذلك ، فقال له السلطان : وأين أضعاف اضعاف هذا من موافق القائد الناجم ؟ فقف معه غاية الوقوف حتى يسترد متاعه كله ، فأرسل الوزير المدني الى القاضي العراقي والتجار وسليمان المدعى عليه ، فاجتمعوا في القرويين ، فسألني التجار هل عندي بيعة على ما ادعيه على سليمان ؟ فقلت لهم ليست لي بيعة . ثم قصصت عليهم القصة كيف وقعت ، فأنكر سليمان أن تكون له يد في السرقة ، بل ادعى أنني استامنه دائما ، ثم سألتني القاضي أيضا مثل ذلك السؤال، فأجبتة بمثل جوابي الاول ، فقال : حينئذ ليس لك عليه الا اليمين ، حين أنكرك ، وليست لك بيعة عليه وقد صيرته آمينا.. ولم تات باية تهمة عليه من قبل ، فقلت له حينئذ يحلف عشية الجمعة عند ضريح الشيخ سيدي احمد التيجاني، ثم طلبت منه أن يعطيني رسم الدار التي كنت اشتريتها على يده ، فأتني به فقرأناه ، فاذا فيه أيضا تعريف ، فقد كنت أدبت الثمن عن جميع الدار .

وصرت أملكها كلها ، لكن وجدته كتب في الرسم أن له خمسين اثنين ، وليس لي انا الا ثلاثة أخماس ، فكان ذلك ضعفنا على ابالة ، فقال لي القاضي : وهل يمكن أن نصدقك ونتجاهل الرسم الذي كتبه العدول ؟ فعرفت أنني مغلوب ، وان حسن نيتي حين فوضت لهذا الخائن هو الذي قضى علي . فلم اجد ما اصنع معه ، وقد أدار بي كل حيلة كما يشاء ، فاتفق مع العدول على أن يزوروا ما زوروا ، فافترقنا على أن استوفى منه اليمين عشية الجمعة ، فاذا به ها

حفلة استدعى لها قواد الارحاء اصحابي . يستشفع بهم الى على ان لا احلفه ، فاجتمعوا على يلحون في أن اسامحه من الحلف ، فاستحييت وسامحته على رغم انفى . قال : فكانت كية قاسية تؤرخ وتسجل للاحفاد . عسى ان يتعظ بها امثال من البله الحسنى النية ، واني لا ازال احس صدمتها في كبدي الى الآن ، ويشهد الله انه تاذب فيما اختلق ، واني صادق فيما ادعيت ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وما لم يكن لهذه الدار فليكن لتلك الدار . - هذه عبارته - ثم بعد ذلك علمت ان السبب الذى جراً على سليمان هو انه صار يتصل ببعض اصحاب المدنى الاكلوى ، وهو الذى شجعه على تفقىرى هكذا نكايه بى ، ثم ان المدنى الاكلوى اشتغل بالسوسوسة بيننا نحن قواد الارحاء ، وعلينا عند السلطان ، فقد استدعينا نحن قواد الارحاء ذات يوم ، فتهيأنا كلنا بالجند والحيل والسلاح على العادة ، فامرنا بان نحشر كلنا فى المشور ، ثم سد علينا الباب ، فامرنا ان نخلع الكسوة العسكرية القديمة التى علينا . وان ندفع كل ما عندنا من الحيل والبغال والسلاح والمانع المخزنى ، ثم حوسبنا فى كل ما دخل ايدينا نقيده على كل واحد منا ما ربما لا يوجد عنده مما كان مفيدا علينا قبل اليوم ، وهكذا ازيل منا كل شىء ، بل طوقنا فى ذمنا اشياء اخرى ، ثم صار اصحاب المدنى يخرجون خيولنا عشرة عشرة فيفلونها فى الخلا قتلا ليمحوها من الوجود ، ثم يصون على جثتها الجير ، وذلك تله بعجة الخروج بالجندية من الانظمة القديمة . الى النظام الجديد انذى يكون الجند كلهم مشاة فيه ، فلا يركب الا الرئيس وحده ، هذا ما كان يقال لنا اذ ذاك . ولكن كنا نفهم ان مقصود الاكلوى هو اضعاف القوة المخزنية ليدرنا الفرنسيون اصحابه ما يشاءون من المغرب ، قال : وجمعنا ذات يوم هدية نذهبنا الى داره ليسمع منا ونسمع منه ، فصادفنا وقت الغداء فى داره ، ففدانا اصحابه . ولم نره هو ولا خرج الينا ، وانما ارسل الينا من داخل الدار يقول : ليس عند احد ما يقول ، فان السلطان هو الذى استرجع ماله ، وهو انذى ارحى بالتنظيم الجديد ، ثم رجعنا من عنده ، فاستدعينا مرة اخرى ، فنوقشنا الحساب مناقشة شديدة على النقيير والقمطير . مما هو مفيد علينا قبل اليوم ، فمن بقى فى ذمته شىء طوالب بادائه فى الحين ، فاجعنا امرنا على ان نقدم نحن ايضا حساب ما كلن لنا كحق ثابت من الثياب الجديدة يوم تقطع ما علينا من الثياب الرثة ، فكنا نلبس ما يزرى بنا ، وكذلك حسبنا على الدولة ما تمزق من الاخبية ، او ذهب فى الحروب ، كما قدمنا ايضا الطلب بما لا نزال نطالب به من المؤن التى لم نأخذها فى السنوات الماضية ، فلما اجتمع حساب كل هذا وهذا . ورأى المدنى ان مالنا على الحكومة اكثر واكثر . اغضى وانكف على رغم انفه ، فسحب ما كان يطلب منا ادائه فى الحين . قال : ثم ابندى ، فى التنظيم الجديد ، فاصر على ان الجند يعرض على الطبيب واحدا واحدا ، ومن

لا يرضون بذلك من اصحاب الحمايات ذهبوا الى حال سيئهم . حتى لم يبق
غالب الا من لا همة لهم . ولا يقصد الا ازجاء الوقت ، قال : فبقيت كذلك قائدا
على جند منظم من هؤلاء الذين رضوا بهذه الجندية الجديدة ، فلا يركب من
قوادهم الا أنا وخليفتي وقواد المئات (الفسيانات) ، وأما فرق الفرسان
فقائدهم القائد الحسين البعمراني ، وقد كان هو الجاسوس الخاص للمدنى
الاكلاوى ، فميزه بذلك من بيننا ، وقد كان يعرفه قبل ذلك فى جبل
الكلوواحين كان يتحارب مع ابن حليمة ، ولذلك انصل التعارف بينهما الى
الآن ، قال : ومما وقع اذ ذاك ان المسمى بنوا بريتىن الاكلاوى كان خليفته على
الشراردة . عينه عليها الوزير المدنى الاكلاوى . فكان ياخذ المكوس من
الناس فى السوق هناك ، فباعت امرأة لاحد اولاد دليم بقرة ، فطالبها اعوانه
بالمكس ، فقالت اننى زوجة لاولاد دليم . وهم من الجيش الذى لا يودى الجبايات
المخزنية ، وكل قبائل الشراردة من هذا القبيل . لا فى الحوز ولا فى غيره ،
فذهبوا بها الى المذكور ، فامر أن تجلد ، فبلغ الخبر من هناك من اولاد دليم .
ففرغوا اليها ، فثارت السوق ، فاجفل الخليفة الى فاس خانقا يرقب ، فذارت
ناثرة المدنى الاكلاوى ، فطلب منا ان نخرج الى الشراردة لنؤدبهم حتى ينسلسوا ،
فيطيعوا بعد فعلتهم هذه التى عدها المدنى عصيانا للحكومة ، فلما خرجنا امرنى
من فوقى ان اكون فى الساقفة لا فى الطليعة ، وسبب ذلك ان القائد بوعودة
الذى لطمته تلك اللطمة يوم اعتقال ابي حمارة - كما تقدم - قال للمدنى :
ان الناجم يهب دائما بريح الشراردة ، وهو مولاهم . ويعد نفسه منهم ، ولا
يؤمن أن يقلب اليوم ظهر المجن ان كان فى مقدمة الجيش ، فيجب ان يكون
فى الساقفة لا فى الطليعة ، لئلا يسبب لنا فضيحة هناك ، فوصلنا مرس
القائد الحافظ الشرادى ، فابتدأ البارود بيننا وبين الشراردة ، ثم ثارت
القبائل : شراطة ولاوداية واولاد عيسى واهل الغرب الايسر . تبعنا للشراردة
فكان ذلك هو السبب حتى بويع مولاى الزين فى مكناس بين هذه القبائل ،
فنزل فى (راس العين) فوق وادى فاس ، فحوصرنا نحن فى الشراردة ،
فيزحف من مع مولاى الزين الى من فى فاس . فنقع حروب كل يوم ، ودام
الحصار علينا هناك نحو اربعين يوما ، فخرج المدنى الاكلاوى والمتوكى وامثالهما
فى جيش الى مقاتلة مولاى الزين ، فهزهم جيشه ، ففر المدنى وكاد يوخذ
باليد . لولا القائد ابن هند الحياتى ، وكذلك المتوكى ما انجاه الا فرس قدمه
اليه محمد بن عبد الرحمان المتوكى الذى كان محتسبا بمراكش بعد ذلك ،
وأما الحاجب الكريسي فقد انجاه القائد محمد بن الجيلانى ، وقد مال به الى
جانب عن مجالات الفريقين لا يسلكه احد ، وكان هذا القائد قبل هذا اليوم
بقليل فى جيش عليه مولاى يوسف . ارسله السلطان الى الشراردة ، وهكذا

نشأت الثورة العامة علينا بسبب السياسة الخرفاء من المدني الاكلاوى واصحابه
قال : وقد كان للمدني الاكلاوى هذا مائة كلب سلوقي يصيد بها ، وقد
جعل عليها قائدا خاصا ، فكان اذا اراد ان يهين قبيلة ينزل عليها قائدا
السلاقي ، فعادت معاملة المدني الاكلاوى وسياسته بالنحس على الدولة المقربية
وعلى السلطان ، فقد هدم الجند الثابت بحجة انه يريد تجديده ، ثم اندلعت
الثورة ، فاذا الحكومة بلا جند يستطيع الدفاع عنها ، فلا قديم ولا جديد ،
فتسلسلت تلك الثورات وتوالت ، ثم لم تنه الا بالاحلال ، قال : ثم
بعث الينا . فحينما بعد ما قتل هناك فى الشراردة القائد الحسين البعمراني ،
ومع ذلك تلفانا المدني الاكلاوى لما دخلنا فاسا بوجهه البشوش المناق ، ثم
صارت محلة مولاي الزين تزحف ايتنا فى كل يوم ، فكنت لا انام فى المحلة
بل فى دارى بفاس الجديد ، وفى يوم كنا فى حرب فهزمتنا اصحاب مولاي
الزين ، فوجدت عسكريا يسلب دجروحا ، فعابته وقلت له انك خالفت
الضابط ، فلم تنهوا عن السلب ؟ فقال : ان الكلام اليوم للرئيس النصراني
وليس لكم ، فاسررتها فى نفسى ، وعلمت اين بلغ الظل فى العشى ؟ - هذه
عبارة - (وهو تعبير تقصد منه الدلالة على فوات الوقت ، لان بذرع الظل
بالاقدام يعرف انقضاء النهار او بغاؤه ، وكثيرا ما يقع ذلك لمن اخر صلاة
العصر فانا ان الوقت لا يزال ممتدا ، فصار ذلك مستعملا فيمن استيقظ من
غفلة ولات حين استيقاظ) قال : ثم امرت بالجندى الى الجلد على ان اجابنى
ذلك الجواب ، فلما جلد جلدنا مبرحا امرت به الى السلسلة حيث بقى هو
وصاحب له لقي منى مثل ذلك ثمانية ايام ، فعلت ذلك كله عمدا امام الرئيس
النصراني ، وقد نويت ان تعرض لى فى ذلك ان افتك به ، ثم افر الى الشراردة
ثم يفعل الله ما يشاء ، ولكنه لم ينس بينت شفة ، وانما صار ينظر فقط ،
ثم لم البث ان رجعت على نفسى باللائمة حين بقيت فى هذا العهد المنحوس
موظفا هنا مع المدني الاكلاوى الذى به وصلنا كل هذا الهوان .

فى قيادة الكيش بمراكش

قال : يرى الناظر ما نحن فيه الآن مع هذا المنحوس المدني الاكلاوى ، فقد
كدنا نفقد شرفنا العسكري والشخصى معه ، فتثور على نفسى فلا اجدنا صا
فيما عسى ان يخرجنى مما انا فيه ، فصرت اتأفف دائما عند السلطان من
خدمة الجندي ، فاقول له : يا سيدى : اننى كما يرى مولاي جرحت مرارا ،
واضعفت قوتى ، فلا اقدر ان اقوم بالمناورات العسكرية مع الجند الجديد ،
كما هو الواجب على كل من يقف فى مثل موقعى ، فيجيبنى بان المقصود منك
ان تكون بركة هذا الجيش ، فقد اعفيتك من كل مناورة ، ولا يطلب منك الا
ان تحضر على فرسك معهم ، فذبح امانى فقط ازاء جندك ، فلم ازل اكرر عليه
ذلك ، وألح عليه الحاحا ، حتى ليئن لى الله قلبه ، فأراد ان يعيننى باشا على

مكناس ، وعلى كل القبائل المضافة اليها كزrehون وامثاله ، ثم شاعت اخبار هذه الباشوية ، ففي يوم دخل على الرجل الصالح المجلوب مولاي عبد الملك الحشاش ، وفي يده ففة فيها فبعة - وكان غريب الاحوال - فقال لي : اشتر لي نعلين لاولادى ، فارسلت من يشتريهما له ، فقال لي : هل عينت باشا على مكناس ؟ فقلت له نعم يا سيدى ، فقال لا تكون باشا فى مكناس ، بل تكون قائدا فى الحوز ، ثم خرج .

وفى تلك الليلة اجتمع كل الاعيان الذين جاؤوا عن قواد قبائل الكيش الحوزية : المنابهة ، وأولاد دليم ، ومن اليهما من قبائل التشراردة ، فصاروا يلوموننى على اننى قبلت أن أتوظف فى مكناس . مع ان قبائل الحوز التى كان اهلها يمتنون الى وامت اليهم بالولاء هم أولى بى من غيرهم ، ثم قالوا ان الشلحين الكلاويين من الحاج النهامى الى اصفر اعوانه ، قد هتكوا عرضنا ، وانتهموا اموالنا ، وترقوا عظامنا ، وتمصصوا مخنا ، وملأوا مسامعنا بالشتم والاهانة ، افلا تزيلنا انت اليوم من هذه المذلة ، فقلت لهم : اننى سأنظر فيما قلمت ، ثم فاوضت ادريس مننو فى ذلك ، وطلبت منه أن يهيس لي الملافة مع السلطان ، فلما جلست امامه ، قدمت اليه هذا الطلب فقال : أوكيست هذه القبائل عند الاكلاوى ؟ فقلت بل ، ولكن سيدنا يعرف نفسه هؤلاء ازا ، امثال الاكلاوى ، فقال وهل تغدر انت على مقاومة الاكلاوى مع ما له من الشوكة هناك ؟ فقلت له : انفخ فى الجبل يعد ثعبانا - هذه عبارته - ثم انعم على بطلبتي فى الحين ، قال : ثم اننا أنا وادريس مننو ، لما راينا الفرصة سانحة فى زحزحة الاكلاويين عن المكانة الى تبواوها فى الدولة ، سعينا حتى توصلنا بالقيادة على زمران لصاحبنا القائد صالح ، وعلى السراغنة للقائد محمد بن الجيالى ، وعلى السويرة للقائد محمد بن سعيد القرقرى وعلى آسفى للقائد الحبيب باقتا - وهو رجل فياش متكبر - وعلى مراکش للباشا ادريس مننو نفسه - قبلها اليوم ، بعد ما كان اعرض عنها عند بيعة السلطان - وعلى القصبية ، للقائد مبارك بوخبزة ، هؤلاء كلهم توصلوا بالظهان فى يوم واحد ، قال : ثم ارسل الى القائد عبد الملك المتوكى فى اليوم الثانى ، فاكلنا وشربنا فى داره ، ثم صرف عنه اصحابه الى أن انفرد معى ، فقال : انتصب القواد بنفسك يا بئا الناجم ، كرر ذلك مرارا ، فاجبته الله يبارك فى عمر سيدى ، ان الذى ينصب القواد هو سيدنا السلطان نصره الله ، ثم اعاد ذلك فاعدت الجواب ، ثم قال : يا فلان : انك دخلت فى باب ، واردت أنا بنفسى ان تفتح لى ذلك الباب لادخل منه ايضا ، فان هذا العطار - يعنى المدنى الاكلاوى ، لان الاكلاويين مشهورون فى تلك النواحي بالدوران بالمطرية على الحمير امام ابواب الديار ، فيعير القواد الاكلاويين بذلك - قال : ان هذا العطار قد بلغ فىنا بغمزه وكزه واهانته

مبلغا عظيما ، ففي كل شهر أتزلف اليه بكل ما يمكن لي من الهدايا من كل نوع ، فكم سمن وعمل وطرف املا بها اجمال قوافل متتابعة ، فاسوقها اليه سوقا ، وكم جوار أتوصل بها من عند الذين انتصبوا لجمع بنات الناس السود ، من سوس الى الحوز أقدمها اليه ، فلا يزال ابراهيم بن صالح ازاء تيزنيت ، ومولاي أحمد من آل الشريف الهشوكي ، وابن حيدة في هوارة ، وعلى الامزالي من اداوزال ، ويحيى من أكفاي ، وابن حميدة في سهب العتروس السباعي ، والتهامي بن القرشي ازاء امينتانتوت - يتأبعون لي المتخيرات من الجوارى - وهؤلاء هم النخاسون المشهورون اذ ذاك ببيع العبيد أو من ارادوا أن يسموهم بسمة العبيد والاماء من اولاد الاحرار وبناتهم، وان لم يكونوا الا احرارا أقحاحا ، فيسربون ذلك يدا ليد ، بتبديء السلسة من يد ابراهيم بن صالح ، الى أن تنتهي الى يد التهامي بن القرشي ولا يسيرون بقوافلهم الا ليلا بحراس ، ثم من التهامي بن القرشي يكون البيع لقواد الحوز ولأثرياء الحواضر ، قال : فكنت أتملق دائما العطار بالجوارى الرائعات التي تهيئها زوجتي في (بنو أبوض) حيث دارى خير تهيئة ، بالاستحمام والترفيه حتى يكسون النضارة والبضاعة ، ثم اتخير لهن من أحاسن الكسوة والحلي ، ثم أجلوهن اليه كالعرانس ، ثم بقدر ما أتقرب اليه يهينني ، ويريد أن يتخذني كاحد أتباعه ، فقد رأيت أنت بعينك كيف يعاملني ، وينبذ طلباتي فلا يسعفني فيما أطلبه منه من حوائج الناس ، فقد تكلمت معه في قضيتك أنت حين سرق متاعك ، وكذلك في قضايا القائد ابن هند الحياتي ، والقائد الكرافس من اهل الغرب الايسر ، والقائد عقة الكيمانى المطيرى ، وهى قضايا مشهورة ، فقد تعلق بي الجميع ، وأهدوا الى ، ثم فافوته فيها كما فافوته في قضيتك أنت ، فهل قبل وساطتي ؟ أو هل قام معي قيام الرجال في قضائها ؟ بل انك رأيت ما يعاملني به كل يوم حين أتبعه كعبده ، وانت معنا الى باب داره فى اللوح ، ثم لا يزيد على أن يلتفت ليينا فيصرفنا كاننا له أتباع من شسوع نعاله ، وكذلك رأيت مجلسي معه فى دار المخزن كيف أقمى كالكلب تحت مكتبته بلا شغل ، كأننى صرت من أخس أعوانه ، فلا يزال يتعمد أن يهينني ، والآن أريد منك أن أتخلص من كل هذا الهوان كما تخلصت أنت واصحابك منه ، فقد صرتم اليوم أنداده ، وستذهبون الى قبائل كانت تحت يد أخيه التهامي ، فتتزلونها من يده ، فافتح لي يا بئنا الناجم الباب - فتح الله لك ابواب الجنة - كما فتحتة لنفسك ، فلقد سئمت المذلة وحياة الهون ، قال : تركته حتى قال كل ما يريد أن يقول بأسهاب ، فقلت له سمعا وطاعة أيها القائد الكريم ، فأننى سأجتهد لك كما أجتهد لنفسى وعلى الله الكمال ، ثم قلت له : لا باب عندى اذا ادريس منو ، وبعض جوار فى دار السلطان كانت لي بهن مواصلة

قبل اليوم ، ثم صرن محظيات اليوم عند السلطان . فالآن اطمئن ، فسنفرج الباب ، فانه يفتحه ، ثم استدعى محمد بن عبد الرحمن ، فافضى اليه بكل ما قال لي ، فقال له محمد اننا ما كنا لنصير للقطار لولاك انت ، ثم لما ذكر له المدني عبارته المتقدمة هن ان الناجم ينصب القواد ، اجابه : لا لابل ان الذى ينصبهم هو السلطان ، قال الخاكي ، عرفت ان الرجل عاقل ، ثم فارقتهما على ذلك ، فتفاوضت مع ادريس مننو فى الحيلة ، فاتصل بالسلطان ، فرجع وقال هل يمكن ان يتفرق الشلحيان ؟ يعنى المدني والمتوكسى ، لان السلطان كان يظن انهما متوافقان عليه ، قال فقلت له نعم تفرقا ، فحكيت له كل ما راج .

هذا وقد كانت سياسة السلطان اذ ذاك مرتكزة ان يقلب ظهر المجن على الاكلاويين بعد ما صح عنده انهم لا يسعون الا فى مصالح فرنسة . وفى افساد قوة الحكومة ، وهم السبب حتى ثارت هذه القبائل ، ولذلك اراد ان يزغزع ايدى الاكلاويين عن الحوز ، وان يضع فيه اصحابه الذين يعتمد عليهم ، فبدأ ينصب هؤلاء القواد ، وبعزل التهامى عن مراكش ثم ينظر بعد ذلك ما يصنعه ، مع وزيره المدني الذى كان يتربص به وباهله كلهم الفرصة منذ زمان ، ثم لما سنحت له هذه الفرصة فيهم حين تفرق المتوكسى والمدنى انتزها ، ولذلك لم يكده يفاروضه ادريس مننو فيما ذكر حتى امر بان يطلع المتوكسى صبيحة الغد للملااة الخصوصية ، قال الخاكي : فطلع المتوكسى من داره ، فلما دخل فى المشور ومعه سقى بريك بوابه ، وقد حمل معه تحت ابطيه من المال ما سيتلاقى به مع السلطان ، فذهب قدما من غير ان يعرج بمقعد الوزير ، وقد كانت عادته دائما ان يذهب توا اليه مئصبصا ، فاليوم لما وجد فسحة رفع عليه راسه ، غير مبال ، ثم دخل فى الحين للملااة ، لان السلطان كان امر ان يدخل اليه توا ، فبقى هناك معه كثيرا ، ثم لم يخرج الا عند انقضاء المخزنية فى الظهر ، فاذا ذلك قال مع السلطان كل ما يريد ، فوعده السلطان ان يرجع الى الحوز ، وان يكون هو كبير القواد هناك ، فخرج مرتفع الهامة من حينه ، وقد ادرك كل امنياته فغبر فى وجه صاحبه ، قال : ثم نهينا الى السفر ، فاذا بجند فرنسى كثير جدا ، وصل الى فاس ، وقد كان خرج من المهديا باذن السلطان ولم يلاقه احد حتى وصل الشراودة فتعاطوا معه طلفات قليلة ، ثم مر الى ان اجنل امامه جيش مولاي الزين الذى كنا ذكرنا قبل انه رابط فى رأس العين ، ثم امره السلطان ان ينزل فى دار الديبغ ، فامرنا ان نزور رئيسه قبل ان نساغر فلهبنا كلنا ، فلما هللنا بين يديه ، قال لنا : اعلموا انكم انتم القواد الاولون من عندنا الذين سيذهبون الى مهماتهم ، قال الراوى : فسكت كل من معى ، فاجبته انا : نحن قواد السلطان ارسلنا الى مهماته ، فان كان لكم كلام فيبتكم وبين السلطان ، لا

معنا نحن ، فخرجنا ، ثم بلغ ما قلناه الى السلطان فأعجبه ذلك ، ثم ارتحلنا من فاس نحو الحوز نحن القواد في اصحابنا الى أن نزلنا في مشرع الشعير ، ومعنا المتوكي ، فتلقانا القائد العيادي هناك ثم وجدت في سيدي أبي عثمان أصحابي من رؤساء قبائل الكيش ، قد هياوا لي هناك المثونة ، ثم قال لي الباشا ادريس منثو ، اسبق انت الى مراکش لتهدأ أهلها للملافة ، فزودت امامي الى المدينة ، ومعى نحو اربعين من اصحابي ، فعازيت السور الى أن دخلت في باب احمر الى القصبة ، فقصدت دار المخزن حيث الخليفة مولاي ابو بكر ، فاعلنا (التبنذقة) امام باب دار المخزن ، فأسرع أصحابه فاعلموه بي ، فدخلنا اليه ، فاعلمته بما جئنا اليه ، فأخرجت الرسالة السلطانية المكتوبة الى التهامي الاكلاوي . ليتخلى عن المدينة للباشا الجديد ، فطلبت منه أن يوصلها اليه ، فقال لا لا ومن يقدر أن يذهب بها الى ذلك الجبار ، وها انتلنا ترى الزبل يدخل على في دار المخزن ، ثم لا اجد منه اعانة لكنسه ، ثم خرجت الى أن انزلت أصحابي في فندق بباب دكالة ازاء دار لي هناك ، فسالت عن هو الخليفة الكبير على المدينة ، فذكروا لي محمد بن العباس ، فلوسلت اليه ، فطلبت منه أيضا أن يوصل الرسالة فابي معتذرا ، ثم طلبت منه أن يرسل الى مقدمي الخومات ، ليوافقوني فارسل اليهم ، فاخبرتهم بعزل الاكلاوي عن المدينة ، وأن الواجب أن يتهاؤوا لملافة الباشا الجديد صباح الغد ، وقد كنت سألتهم عن العادة في تلقى الكبار الذين يدخلون المدينة ، فقالوا يخرج الناس كلهم ، ويصطفون بالبغال والرجال من تانسيفت الى باب المدينة ، وهناك تقدم اعلام السبعة الرجال خصوصا علم سيدي ابن سليمان الجزولي ، وعلم سيدي أبي العباس قال : ثم لما علم الاكلاوي بورود رسالة عزله ، صار يتململ ، ويريد أن يهيب ما يدافع به ، لكن عمر بن عدى الاكلاوي قال له : ماذا تريد أن تصنع الآن ؟ أممراكش دارك ودار ابيك ؟ ، فانك لم تمكث فيها الا بأمر السلطان فما هو الآن يزيلها من يدك . فلأزم الطاعة ، ولا تفتح على نفسك ما يهلكك ، ثم ماذا عسى أن تصنع لا نحن ولا انت ، فالقائد الناجم قد دخل المدينة ، فاذا ذاك انخس الاكلاوي ، فترك المدينة للباشا الجديد ، قال : وفي اليوم الثاني خرجنا للملافة ، فوجدنا القائد يرعى مع اصحاب القائد المتوكي في تانسيفت ، كذلك دخل الباشا الجديد في مهرجان عظيم ، ثم قرأ الظهير في مسجد ابن يوسف ، فاستقر الامر الجديد في عهد الباشا الجديد . فطوبت بذلك صفحة الاكلاويين في الحوز الى أن تفتح يوما آخر قال : ثم خرجت الى قبائل الكيش التي هي ايبالتى حتى نظمتها ، ثم جئت لآعين الباشا منثو في القبائل التي ضمت اليه ، زيادة على باشوية مراکش ، فذهبت الى (دمنات) ، وقد كان قائدا فيها القائد علال الاكلاوي أخو التهامي والمدني الاكلاويين ، فأخلاها لما عرف أنها مسننة الى ادريس منثو ، ولكنه ما

كاد يخرج منها حتى دخلها القائد محمد - فتحا - ابلاغ ، فاخرجه منها ،
 وقد كنت قدمت امامي القائد صالحا الزمراني ، فنقب هو واصحابه في السور ،
 ففتحوا الابواب حتى اخرجوا ابلاغ ، قال فلما دخلتها ، صار السيد العباس
 التانغملتي يقول للناس : ان الناجم من قواد النصرى ، وسبب ما قال :
 هو ان الاكلاديين اطلقوا علينا الدعابة باننا ما تولينا الا بقوة اولئك النصرى
 الذين دخلوا فاسا ، يوم خرجنا منها ، وقد اعلنوا اننا تلقينا اوامرهم يوم
 زرناهم ، فبسبب ذلك صارت مضادتنا تحوم حول هذا المحور ، فقام امثال
 التانغملتي يتزعم معاربتنا كهجاهدين فينا ، ولذلك قام من قاموا على
 وانا في دمنات فصاروا يجمعون جيشا على القبائل ، ومعهم الخصال المشهور ،
 وكل قبائل الشلوح ، فبقينا في حرب معهم نحو ستة اشهر ، وقد امدنى
 القائد العيادى بمائتى فارس وخمسين ، والمتوكى بمائتى راجل وخمسين
 فارسا ، فكنا نحارب على السور ، ولم نسد الابواب ، فكلما زحفوا يرجعون
 بالموتى . فلما لم يفيدوا شيئا ، ولم يقدروا ان يحتلوا المدينة نزلوا الى
 السراغنة . فاتهبوا اولاد خلوف ، ثم زادوا الى ان وصلوا الحمادنة ، وفى
 ذلك اليوم قتل القائد اليعقوبى ، قال وبعد العصر رأينا اولئك المغيرين يرجعون
 بكثرة الغنائم ، فخرجنا اليهم ، فاجاناهم فى وجه الليل الى الهزيمة المنكرة ،
 ثم فى صبيحة اليوم الثانى خرجت المدافع وبالرشاشات وبالجند ، فتبعتهم
 الى واريضة ، فواقفنا قليلا الى ان قتل منهم . : 350 فارسا فاجفلوا اذ ذاك
 اجفال الارانب نحو جبالهم ، ثم رجعت الى دمنات ، فصارت تتوارد على الهدايا
 والتوبة من تلك القبائل المجاورة لتلك الناحية ، ثم قرب عيد الاضحى ،
 فذهبت مع الشيوخ الى مراكش ، فعيدنا مع الباشا . ثم اخرج الخليفة مولاي
 ابو بكر لى فرسا عتيقا . وعليه سرج فائق ، وقد اجتمع كل قواد الحوز للتعبيد
 مع الخليفة ، فذهبنا معه حتى صلى صلاة العيد كالعادة ، فامضينا الاسبوع فى
 حليات الميدان ، ثم ودعت الشيوخ . وقد استقام ما تحت ايديهم ، فاستقر امر
 ادريس منو فى تلك القبائل بهم ، وقد تركت هناك مظامير الزيت المخزنى ،
 فاعطينا فيها للبيع مائة الف ريال ، فابى الباشا من بيعها ، فبقيت الى ان
 ذهبت بعدنا ، قال وكانت سكناي فى رياض القائد الحافظى فى درب
 زمران . بجومة باب دكالة ، ثم ان الحاج التهامى ذهب الى فاس فلم يلاق
 خيرا ، لانه صار يتطلب الرجوع الى محله ، وقدم خنشات من اللوز ، فبذ
 السلطان ذلك نبدا امام الناس فطرده ، ثم سافر الى طنجة عند المهدي
 المناهى ، فقام معه المهدي حتى مكن ما بينه وبين الفرنسيين ، فكان مما قال
 لهم المناهسى اذ ذاك : ان القائد الناجم انا اعرف الناس به ، لا يمكن ان
 يسلس القيادة لغير المسلمين ، لكن هؤلاء الاكلاديين تجد فرسة منهم ما تريد ،
 فهم الذين ينبغي ان تعتمد عليهم فى الجنوب ، فاذ ذاك صار الحاج التهامى لا

يعتمد الا على الفرنسيين ، ولا يعتمدون الا عليه ، فتم الامر بين الفريقين ، ولكن ينتظرون الفرص ، ثم ان القائد المدني اتى الى مراکش ، وفى نيته قلب الحكم . وقد ضعف امر السلطان ، وعلا عليه رأى الفرنسيين ، ولهذا الضعف قلب السلطان رايه ، فاعطى الكلمة للاكلويين فى مراکش بالضغط من الفرنسيين ، فزاد هؤلاء ان يقرأوا فى مراکش الظهير بذلك ، قال : ولكننا نحن - وقد عرفنا ان ما كتبه السلطان انما كتبه تحت الضغط - نقف فى وجه قراءته ، ولم تكن الظواهر تقرأ الا يوم الجمعة بعد الصلاة ، ولا تقرأ الا فى المساجد الكبرى ، كابن يوسف وجامع باب دكالة ، والكتيبة ، والمواسين ، وبريمة فى دار المخزن ، فقسمنا المساجد الكبرى بالحراسة ، لئلا يقرأ فيها اى ظهير ، فيقف القائد عبد الملك المتوكى على الكتيبة ، فيرسل خليفته العربى اليها فى كل يوم جمعة ، ويقف القائد محمد بن الجبالى واصحابه فى ابن يوسف ، والقائد الناجم واصحابه فى باب دكالة والقائد صالح واصحابه فى المواسين ، والقائد يرعى فى مسجد بريمة ، فىقى الاهر كذلك ، وقد ملأ الاكلويان : المدني والتهامى ديارهما باخوانهم المتسلحين ، وقد كان القائد العيادى يعيننا فى كل شىء ، فاتصل الاكلويون مع القائد عبد السلام البربوشى ، احد قواد الرحامنة فصار يخطط معهم ، وقد كان هو والعيادى ، وابن الزادى ومبارك ابن التهامى والظاهر بن الاعظم ، توصلوا بالظواهر فى يوم واحد ، يوم بيعة المولى عبد الحفيظ ، فلما هب عبد السلام بريح الاكلويين ، قام ضد القائد العيادى ومن معه ، فثارت معه فتاك الرحامنة حتى اتسع خرقهم على الراقع ، فهرب القائد العيادى من الرحامنة مع القواد الآخريين الى مراکش فعادت الفتنة جذعة ، ورجع الفساد يسود فى الحوز ، فرجعت هيف الى اديانها ، حتى انحجر القواد كلهم بمراكش ، وكانت العامة فى خارجها وفى هذا الجو المظلم ، طلع نجم احمد الهيبة متالفا ، فكان ما كان .

مع الهيبة فى مراکش

قال : فى يوم من الايام وصل البنا خير مضمه : ان القائد عبد الرحمن الكلولى صار يستنهض ولد الشيخ ماء العينين دولاى احمد الهيبة ، ليقوم الى الجهاد ، فيرسل اليه بعض السلاح وبعض المال ، وذلك كله سرا ، قال : وفى يوم ورد مولاى احمد الايلوكانى الشريف الهشتوكى ، فاجتمعنا معه نحن القواد فى دار القائد عبد الملك المتوكى ، فتداولنا امر الهيبة ، فقلنا له : اذهب وانظر لنا الرجل ، ايصالح ان ياتى الى هنا ام لا يصلح ؟ فذهب ومر بأهله آيت ايلوكان ، فوجدهم لم يبايعوا الهيبة بعد ، هم واهل ماسة التابعون للاغبنالويسى ، فذهب مع اهله فبايعوه ، ثم امره الهيبة ان يكتب الى القواد بمراكش بما رآه من استقامة امره ، قال الحاكسى ، ثم ان

المتوكى ارسل أيضا الشريف مولاي عليا وأخاه مولاي محمدا المتوكيين - وكانا هما المكلفين بعسكر متوكة - فوصلا الهيبة وهو نازل في هوارة في طريقه الى مراكش فلما استوعبا احواله ، رجعا فقصا على القائد ما رايا ، فود القائد عبد الملك لو جاء الهيبة على طريق حاحة لثلا بيذا بياالته ، ولكن القائد عبد الرحمن ثنى الهيبة عن ذلك ، ليخفى عن الاعين ما كان له ولللمانية التى تمده بتلك السياسة سرا ، فامال وجهته الى طريق (امسكرووض) خوفا عليه ان ترميه قنابر البوارج في سيف البحر الذى لا بد ان يمر به ان سلك ذلك الطريق ، فيكون فى ذلك القضاء عليه ، وعلى سائر اصحابه ، وعلى ما هو بصدده فى لحظة واحدة ، ثم ان المتوكى ارسل خليفته العربى فتلقى مع الهيبة فى مبدا ايلالته عند (تاركانت) فاهدى له : الا ان الاعراب اهانوه فارجلوه ومن معه عن الحيل ، فائسر ذلك فى نفسية القائد المعروف بغيرته الاسلامية ، لكونه ضد الاكلويين الذين رفعوا راية النصارى ، قال ثم اننا نحن القواد حتى المدنى الاكلوى والحاجى ، والعربى خبّان وجميع القواد الذين انحشروا اذ ذاك فى مراكش صرنا نعقد الاجتماعات فى دار المتوكى ، فكان يحضر فيها القنصل الفرنسى ، فيتداول الامر فيما يفعل فيستنهضهم القنصل للقيام لمقاومة الهيبة ، فيجيب القواد بانهم الآن منعزلون عن قبائلهم ، وقد سادت الفوضى الناس ، فالقلوب ثارت فيها النعرة الاسلامية ، ثم نزل الهيبة فى (ايهينتانوت) فضاق الامر بالقنصل ، فجلس مع ادريس مننو ، فقال له : انك وحدك المكلف بمراكش دون كل هؤلاء القواد . وهنا الآن من الفرنسيين والانكليزيين والالمانيين وغيرهم من ابناء الدول ، من يخشى عليهم من الفوغاء ومن الهيبة يوم يحتل المدينة ، قال فلرسل الى ادريس يستشيرنى فيما يفعل فالتفت القنصل الى قائلا : ان هذا الباشا صاحبك . وامر الاجانب عظيم ان وقع فيهم حادث ، فقد اظهر صاحبك هذا عجزه عن المحافظة على المدينة ، لان يده خالية من اية قوة ، وانت الآن هو الوحيد بين القوادالذى لا تزال قبائله تحبه ، فتخرج اليها وتدخل بلا خوف ، فقلت لا اعدو ان اكون واحدا من الناس فى هذا الامر ، ثم رايت ان افك العقدة فسالته عما هو المقصود عنده فقال مقصودى ان تبعد التجار من الاجانب والقناصل واتباعهم الى اسفى ، خوف ان يفتك بهم فاتكون ، فقلت له وقد اردت ان افرج عن صاحبى ادريس منو بسرعة - حسنا اننى سابكر فى صبيحة الغد باصحابى الى خارج باب دكالة ، فأعلم كل اجنبى كيفما كان تاجرا او طبيا او سياسيا ، لاجد الجميع هناك ، لنسافر بهم ، فمن لم نجده هناك فلا يلومن الا نفسه فيما عسى ان يقع ، فارسل القنصل فى الحين الرسائل الى جميع الاجانب الذين فى المدينة ليتهاوا الى السفر صبيحة الغد ، ومن اراد ان يتأخر فليكتب ذلك بنوقيعه فى هذه البطاقة . ففرقت الرسائل ، وفى الصباح سافر الكل الا

ألمانيا واحدا ، والا فرنسيين منهم قبطان وكوهاندار ، وفسيان ، وطيبيلهم
 وترجمان ، أمروا من حكومتهم أن لا يخرجوا من مراکش ، قال فقدت الجميع
 أنا بنفسى مع مائة فارس وهم على البهائم فى قافلتهم، ومعهم كثير من المتاع
 بل معهم برتغالى منكسر الرجل حمل فى محفة ، قال : فلما فارقتا وادى
 تانسيفت رأينا فى الافق دن اليمين الى الشمال سواد الخيل من الرحامنة ،
 فلما رأوا الاعلام من جهتنا ، جرى الى بعضهم ، فقالوا لى : أحتى انت الذى
 نظنك مسلما تقود بنفسك النصارى ؟ فقد أحبك كل الناس بسبب ما
 يظنونه فيك من غيرة الاسلام ، فقلت لهم : هل القبيلة هى التى أرسلتكم ؟
 قالوا نعم ، فقلت لهم : ابلغوا القبيلة عنى . وقولوا لها : اعقلوا عنى وافهموا
 ما أقول لكم ، فانا منكم وانتم منى ، وما أنا الا مسلم . على الاسلام اموت ،
 وعليه احيا ، ولكن المميز لا بد أن يفرق بين المواقف . فانتم ايها الرحامنة ،
 ثرتم ثورتكم المعروفة عند موت السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن ، ثم
 وقع لكم ما وقع ، ثم ثرتم عند موت مولاي الحسن . فوقع لكم ما وقع ، ثم
 وقعتم على مولاي عبد العزيز أمس القريب . وشكرتم الناس حين كسرتم مولاي
 عبد العزيز الذى ما جاء الا بقوة النصارى ، فالآن يا اخوانى لا تفسلوا
 سمعتكم بعد أن حسنت ، فلهذا اليوم غد ، ولكل عمل جزاء ، وانتم تعلمون
 ان (وجدة) ما احتلها النصارى الا بموت نصرانى واحد قتل هنا فى مراکش
 وان (الدار البيضاء) ما احتلها النصارى الا بمثل ذلك ، اتريدون أن تترك
 هؤلاء التجار من النصارى - وهم كثيرون - ، يبقون فى مراکش حتى ياتيهم
 أهل سوس ، فيقتلونهم فيذهب الحوز كله بجمع قبائله بذلك سدى ؟ فميزوا
 بين الامور بارك الله فيكم ، واسمعوا من أخيكم الناجم المسلم ما يقوله .
 وافهموه حق الفهم ، وها أنذا الآن بينت لكم ، وأعلمتكم اننى خرجت بهؤلاء
 النصارى ، لاوصلهم الى أسفى ، ليذهبوا عنا بباسهم وبمشاكلهم ، فينجون
 من الهلاك ، لننجو نحن بسبب نجاتهم من الهلاك ، فهم فى عهدتى الآن ، فلا
 تصلهم اية يد حتى اوصلهم الى أسفى ، وهى فى يدى أمانة . فان أردتم
 يا اخوانى أن تغفروا ذمتى فى أمانتى، فاننى ساموت عليها ميتة الشرف ، بلغوا
 من وراءكم ما قلته لكم حرفا بحرف ، قال : ثم رجعوا من عندى ، فاجتمع
 عليهم الرؤساء الرحمانيون ، فاستوعبوا ما قيل لهم ، فقال ذوو الراى
 منهم: ان ما قاله القائد الناجم كله صحيح، وهو عندنا مصدق فرجعوا الى، فقالوا: زد
 امامك بكل امان ، قال : ثم ذهبت بهم الى قبة سيدى احمد ، فانزلتهم حتى
 طعموا ، والوقت وقت صيف ، ثم بت معهم فى قبيلة اولاد دليم ، فاذا بمرض
 الم بى . لكونى كنت ازلت القفطان فأصابنى البرد ، فصار أصحابى يتناجون
 بينهم بان ما أصابنى هو تأثير همة الهية ، وأن اولياء سوس ضربونى من
 بعيد . قال : لكننى تجلدت ، فارسلت أصحابى مع النصارى الى ان دفعوهم

فمرت بزواية سيدى الزوين . فبت عند سيدى حامد ، فدخلت عنده الحمام ،
فنفعتني فبرئت ، قال وفى العشية ، قيل لى : ان خليفة الهيبة مربيه ربه ،
سيبيت الليلة فى (دار ولد عناية) من قبيلة ايت يمنور ، ومعه القائد
المدنى الاخصاصى وسعيد بن الحسن الامزالي من ثلاثاء النحاس - جعل قائدا
اذ ذاك على قبيلته بظهير من الهيبة ، فبت انا فى (الرديزات) من ايت يمنور
قال : فاذا خرج الحاج التهامى مع جند قليل الى فساطيط فسى باب الرب .
على نية محاربة السوسيين ، فكتبت رسالة الى مربيه ربه ، أعلمه بان ما
عسى ان يسمعه من أن المخيمين فى باب الرب سيدافعونهم عن مراكنس لا
يؤثر فى عزائهم ، فليزيدوا امامهم الى المدينة ، فلا يرون الا خيرا ، فلما
وصلهم الرسول جعلوا يسألون الرسول من هو ومن هو ، فأخبرهم بأنه من
عندى ، فقرأوا الرسالة ، فاستدعى مربيه ربه القائد المدنى ، فسأله عنى ،
فقال خيرا ، وقد كان التعارف تقدم بينى وبين القائد المدنى أيام الكيلتولى
وفى الغد ذهبت فسلمت على مربيه ربه ، فذهبت معه فكنت اول القواد
المراكشيين اتصلا به ، ، فنزلنا فى (أسنوفيض مولاي سعيد) وهو بستان
كبير من الزياتين فاهدت فى تلك العشية ثلاث ناقت لمربيه ربه ، كما اهدى
ولد مولاي سعيد التثاءصلنوحى فرسا ، قال : فاذا بذلك الجند الذى كان
رابط امام باب الرب جاء بعد هروب الحاج التهامى عنه . مع قائده : القائد
مبارك الديلمى ، فتقدم الى جيش مربيه ربه ، فانضاف اليه . فقام اليه الاعراب
والى من معه . فجردهم من السلاح . فجمعوه فى خباء ، وقد سرق بعضهم
منه أو من بعض مسامير البندقيات وهى حالة تندر بان الاعراب هؤلاء لا
يفهمون ما يريدون اقامته من الملك - قال : وقد كان مع مربيه ربه :
الفقيه سيدى محمد اعبو الهشتوكى كوزيره ، ثم فى الغد جاء القائد عبد
الملك المتوكى فى هوكبه ، فلم يكد يصل المكان الذى يخيمون فيه حتى نار فى
وجهه الاعراب يقولون : هذا نصرانى ، هذا نصرانى ، فيقول له احدهم :
تشهد يا هذا فيقول أنا مسلم دائما : أشهد أن لا اله الا الله . وأشهد أن
محمدا رسول الله ، فدخل الى مربيه ربه ، فجلس قليلا ، ثم خرج فذهب
ليتلقى مع الهيبة الذى جاء وراءه خليفته هذا ، قال ثم اتصلت بالفقيه اعنثو .
فقلت له : ما هذا العمل ؟ اكلمنا جاءكم كبير نقابلونه هكذا ، جاءكم القائد
مبارك بجنده فجردتموه واهنتموه ثم جاء اليوم المتوكى فاسمعتنوما اسمعتنومه
فهل تدوم لكم حالة على هذا النمط ؟ فصار يعتذر ، فقال ماذا عسى أن نصنعه
مع هؤلاء الاعراب الذين لا يفقهون للسياسة معنى ، وقد ندمت على مصاحبتي
لهم ، قال : ثم جاء ادريس مننو وبوخبرة مع أصحابهما الى مربيه ربه ، قال
وكنت حاضرا ، ولم يقابلهما أحد بمثل ما قابلوا به المتوكى ، وفى عشية

اليوم استهل هلال رمضان ، قال فدخلت الى مراکش فاذا بكل الناس فى الازقة يعلنون بيعة الهيبة فى بهجة وفرح غريبين ، لان الناس خافوا من الفرنسيين ، وسئوا من المغارم ، فلما سمعوا بمن ينصرون الاسلام ، وبمن يقولون لا مغارم ، احبواهم من ادهاق قلوبهم ، فتطرح الوجوه بشرا ، والقلوب مسرة ، قال : ثم دخل مريه ربه الى القصبه ، فنزل فى قبة الصويرة ، قال ثم وصل الهيبة ، فسبق الى مشهد مولاي عبد الله بن حسين فى تامصلوحت فزاره - قال قائل كان معه يوم زاره ، وقد كان صاحبه من سوس : عهدى بوجه الهيبة يطفح نورا الى ان زار مولاي عبد الله بن حسين ، اذا بذلك النور قد ذهب ، وعلته غيرة فاتمة ، قال : فاحسب ان ما كان يعتمد عليه من سر ربانى فقد ذلك النهار هناك - هذه مقالته نكتبها للتاريخ بكل تحفظ - ثم نزل صهريج البقر ، فهناك ذهب القواد كلهم: ادريس منو والقائد المدنى الاكلوى ، والقائد المتوكى ونظراؤهم ، فدخلوا عليه جميعهم فى وقت واحد ، قال الحاكمى : وقد كنت انا لا اكاد افارق آل السلطان الجديد ، فصار الناصحون يامرون الهيبة ان لا يدخل المدينة فيابى ، فلم يسترح حتى دخل الى القصور الملكية ، ثم ان مولاي ابا بكر ، امره مريه ربه ان يخرج من دار الخلافة ليسكن فيها ، كما ان اخاه الهيبة دخل الى دار الملوك، فصار مريه ربه يجلس فى (البنيقة) التى كان يجلس فيها الوزير احمد بن موسى . ثم صار أهل المدينة يواخلون فى كل عشية بتقديم الموائد الى اصحاب الهيبة فتطلع الى دار المخزن بالمئات ، فشق ذلك على الناس . -

(وصعب على الانسان ما لم يعود)

ومنهم من يدور أمام الديار ، فيتطلبون اعانة المجاهدين فى مائة ، فربما مدت امرأة يدها بشىء ، فيؤخذ ما فى معصمها نزعا ، ومنهم من يقف أمام دار ، فيطلب صاحبها ان يخليها باذن من السلطان الهيبة ليسكنها هو . ومنهم من يقف أمام دار فيأمر من فيها من النساء ان يسرن معه ، ليعقد عليهن له أو لاصحابه ، زاعما لمن قالت ان لى زوجا ان ذلك النكاح فاسد ، لانه كان فى عهد النصرارى ، الى امثالها من جزئيات تعدد وقوعها من رعا الاعراب ، وهكذا انقلب ذلك الفرح الذى تلقى به المراكشيون الهيبة واصحابه الى بغض شديد ، قال : ان الفرح لم يدم الا ثلاثة ايام ، ثم صار يتناقص حتى صار حقدا وضغينة وكراهة ما مثلها كراهة، حتى ان الفرح يوم غادروا مراکش يساوى الفرح يوم دخلوها ، قال : وهن جملة ما حضرت له اذ ذاك ، انى كنت جالسا والباشا ادريس منو ، فولج علينا اعرابى فى عرصة ابن ادريس التى كان يقطنها ادريس منو ، فقال بكل جفاء لادريس يا بغل ، اعطنى مفاتيح (المترس) الفلانى الذى تحت يدك ، فان علباءك الغليظة تقطر دهننا ، فثار ادريس ثورة الحنق ولم يتكلم ، فغاب عنا كثيرا . فقلت للاعرابى : ما هذا

الذى قلته للباشا، فقال يجب عليه ان يعطى (المرنيس) الذى ملاه قمحا وشعيرا: فقلت له : وهل انقضى ما توصلتم به من مرنيس الحكومة الكبير - مرنيس الحاج حمادى - ؟ فقال كيفما كان الحال لا بد من مرس هذا الانسان ، فقلت له انه مرسه ، وفيه حوبه الخاصة له بملكه . فقال : وهل للانسان ان يملك اليوم شيئا خاصا وحده بين المسلمين فى ملك سيدنا السلطان ولد شيخنا وشيخكم الشيخ ماء العينين فسكت عنه ، ثم خرجت فرأيت ادريس فى جانب العرصة . وقد اغلق بابها ، وهو واقف على عمل يعمل امامه ، وقد أخرج كل من فى العرصة من الاعوان ، فذهبت اليه فاذا به وحده مع عبيد له ، يحفرون حفرة يهينها لاقبار الاعرابى ، فجعلت استرحمه عليه ، فاقول له بحق الصعبة لا تفتح علينا بابا يعسر سده ، وهو يابى الا ان يقتله فيدفنه فى تلك الحفرة العميقة، حيث لا يكشف احد امره، فلم ازل به وأنا أترامى على رجله بعمامتى حتى تنفس غضبه ، فقلت له : أنا أكفيك مؤونة هذا الاعرابى الجلف ، فرجعت فوجدت الاعرابى لا يزال ينتظر ، فثرت فى وجهه ، فاقمته من مقعده يبدى بعنف ، ثم عتلته حتى أخرجه من الباب بغلظة . وأنا اسبه سباعظيما، فذهب، ثم ذهبت الى الهيبة فحكيت له ما وقع . فلمته على افعال هؤلاء الاعراب القبيحة بالناس اجمعين . ثم حكيت له ما فعله الاعرابى باشا المدينة الذى سبه فى وجهه ، وطلب منه كذا وكذا ، فقال : ان (أبنا ولد الحبيب) - وهو اسم الذى جاء الينا - ما سقله فى ذلك الا امثال محمد بن عبد العزيز ، وقد كان هذا يدور مع عشرين من الاعراب فى المدينة . يامرون - فى زعمهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعلن انه قاضى السلطان ، هنا مع ان اعرابهم اذ ذاك لا يصومون ، فيتجاهرون باكل رمضان ، وبالاختلاف الى ديار الساقطات والناس ينظرون ، قال : ثم نصحت الهيبة ، وقد جالسته يوما ان يخرج الى خارج مراکش بجيشه ، ثم يستدعينا نحن القواد الغزنيين ، فيطلب منا الاعانة للجيش المجاهد ، وأن تقوم نحن بانفسنا وباهوالنا للجهاد ثم قلت له أنا اول من يفتح هذا الباب ، فاذهب بما عندى من المال والسلاح والحيل لآكون قدوة لغيرى ، فقال اننا ارتائنا ان نرسل أولا خليفة فى الطليعة . فارسل اعرابيا يسمى ولد مصباح . لا يفقه للحرب لا قبيل ولا ديبرا ، فبعثت معه خليفة لى ، فمضى الجيش حتى رابط فى اربعاء الصخر ، فاذا ذاك زحف اليه الجيش الفرنسى من الشاوية على خفية ، فرأى بعض الخدق من اصحابى ومن كانوا مع خليفتى كلبا من كلاب التصارى سبق الى ذلك المحل ، فذهب الى ولد مصباح ، فقال له : ان هنا كلبا للتصارى ، وهو يدل على ان زحفا من جيش منهم قريب منا ، فلم يصدق ذلك ، قال فاذا بالجيش الفرنسى دهمهم فقتل كثير من منهم وفر الباقون ، ومن قتل من اصحابى اربعون كلهم شجعان وبينهم الخليفة الذى ارسلته ، واسمه ابراهيم ابن السيد

الدلمي ، ثم خرج بعده مريبه ربه مع القائد حيدة وجنده ، والهشتوكيين ، وكل قواد رأس الوادي ، وكان حيدة هو كبير الجيش ، فرابطوا في فنترة تانسيفت قال : فارسلى الهية مع القائد يرعى ، لنرى كيف الجيش ، فلما رجنا الفيت الفيه الشيخ ابا شعيب الدكالى ، فاستدعانى ، فجزانى فى الخليفة ثم قال لى : لا عقل لك ، فانك لا تعرف هذا العصر وقوته ، فمن ذا الذى يقدر أن يقف أمام الجيوش الزاخرة التى ترسلها فرنسة ؟ ثم ذكر انه سيرسل سائمه الى تسرح عندى ، فاعمت له بذلك ، ثم لقيت الفقيه محمدا اعبنو بيكى وهو متوجه الى الجيش ، ولا ندرى ما يبكيه أفرح بالشهادة التى يقبل عليها ، أم فرح على الحياة التى سيفقدها ، فقلت لصاحب لى هكذا علمنا ، اما استعظام لقوة النصارى ، واما بكاء بكاء النساء ، ثم رجنا فقلنا للهية : اننا راينا الجيش ، فنطلب الله أن ينصره ، ثم تلاقى هذا الجيش فى سيدى أبى عثمان مع الجيش الفرنسى الزاحف ، فاندحر جيش مريبه ربه امامه فى لحظة واحدة ، ثم سبق مريبه ربه الى مراکش كل المهزمين . كانها جاء ليكون مبشرا لا مندرا ، قال : كنت اجالس السوسيين كثيرا اذ ذاك . وكان سيدى الحاج الحبيب البوشوارى من أكثرهم اتصالا بنا وأصحابه ، ومولاي أحمد من آل الشريف ، وصالح بن الحسين ، وأحمد الاقيرى ، وكلهم هشتوكيون . اتلأفى معهم عند الباشا ادريس منو ، لانهم يفترون عنده دائما ، والشهر شهر رمضان ، قال أعطيت يوما لسيدى الحاج الحبيب (لوبيزات) من ذهب فابى أن يقبلها منى ، مع انى ما اعطيتها له الا لانى اراه بين السوسيين عالما حسنا ، كسيدى الطاهر الافرانى ، وسيدى الطاهر الهشتوكى ، وهؤلاء كثيرا ما يدخلون على الهية .

قال : كان القائد مبارك عننو الايوبى البعمرانى ابن عم الحاج على البعمرانى المتقدم الذكر ذهب يوما بكل البعمرانيين الى الاتلاوى ، وهم : سيدى أحمد نقتاب وامثاله من الاعيان ، تعشوا عنده ، وتذاكروا معه ، فالان لهم الفول ، وقال لهم أنا اخوكم ومسلم مثلكم ، فى كلام آخر ، فلما ارادوا أن يخرجوا أعطى لكل واحد منهم صلة خاصة من المال ، فلما أخبر المتوكى بذلك ، ارسل الى مولاي احمد من آل الشريف الهشتوكى ، قال وكنت ساعتئذ مارا بدار المتوكى . فدخلت عنده ، فطلبت منه حليبا لتشربه أنا ويرعى ، فقال لمحمد ابن عبد الرحمن ، اذهب مع بنا الناجم الى ذلك المحل ، فسبقنى الى رياض كما كان اشتراه . ففرشه فراشا جديدا ، فلما رجعت من الرياض قال لى : ان البعمرانيين تعشوا امس عند الاكلاوى . وقد فرشت ذلك المحل لاضيف فيه بدورى الهشتوكيين ، وقد ارسلت الى مولاي احمد لياتى معهم ، ثم لم ننشب أن جاء آل اعيان الهشتوكيين ، منهم الفقيه اعبنو ، وأحمد الاقيرى ، وصالح ابن الحسين . وأحمد الايد اكثر انى فمزولوا هناك ، ثم قال لى المتوكى : فماذا

ظهر لك من هؤلاء الاعراب ، فانهم كفأوا علينا الانا، حتى لم تبقى فيه نمالة
- هذه عبارته - فقلت له ماذا اقول ، فقد خاب فيهم الظن حقا ؟ فظهر انهم
انما كان غالب دن معهم خطافين . قال : ثم كان وصول مربيه ربه من
الهزيمة قبل سحر يوم ، فارسل الينا الهيبة أنا ويرعى وانفلوس والكلوى -
والكينولى هذا ما وصل الامذ يومين فقط - فوجدنا مربيه ربه منحيا امامه ،
فقال ان الخليفة جاء بلاباس والحمد لله . ونريد منكم ان تخرجوا التلاقوا هذا الجيش الزاحف
الى مراکش ، فقال انفلوس بشرط ان تستدعي الينا المتوتى والمدنى والتهاى ، فاننا اذبحهم
بيدى هاتين تقربا الى الله بذبحهم ، فالتفت اليه الكلوى . فقال له : ما تقول ؟
ما تقول ؟ ما تقول ؟ - استنكارا لما يقول ، فقال له انفلوس والله ما فضحنا
ولا فضح هؤلاء ، ولا كل المسلمين غيرك . فان هؤلاء السادة كانوا فيما يعرفونه
من اذكارهم ومن علمهم ، وهن ارشادهم للناس ، فلم تزل بهم حتى اثرتهم
وشفقتهم بما لا يعرفون له قبلا ولا ديرا ، فهل رأيت الآ عاقبة رأيك
المافون ؟ فهذا انتلدا تاخرت عنهم بعد ان استرتهم ، ثم لم تجى ،
الا افس ، ثم انك والله لتهربين غدا ، فتفرقتا على لا شىء ، فخرجنا أنا
ويرعى ، فذهبنا الى ادريس منو . والليل لا يزال فتسحرنا ، وخرجت من
عنده بقرطاس احتجت اليه لبندقياتي . فذهبت أنا واصحابى الى دار المتوتى ،
فوجدت عنده القائد العيادى . والفقيه التكرورى السباعى ، وقد كان التهاى
الاكلوى حاضرا ، فانخنس عنا لما رأنا داخلين ، فقام التكرورى وطلب من
يرعى ان يذهب معه ، فاعتذر له . فخرجت مع يرعى ، فتفرقتا كل الى
داره ، فصرت انهيأ بالقرطاس للدفاع عن مراکش المهدة بالعدو ، ثم وصلنى
رسول يرعى يستحثنى ان اصله لى الحين . فذهبت فوجدت عنده كل الفقهاء
السباعيين ، فقلت ما تريد ، فقال ان الحاجين باعوا كل ما ينقل عليهم من
فضل الزاد من السمون والسميد ، وسيخرجون الى بلادهم الآن ، فلنخرج نحن
كذلك ، فصرت أندد عليه واخاصمه ، فقلت فيما قلت : انك أنت الذى تبث
امس القريب الدناية للاعراب بالكذب ، تقول ان المدفع عندهم ينسبح ، وأن
الرصاص يبرد امامهم ، الى امثال ذلك مما كنت تزرف به علينا يومذاك ،
والآن تريد ان تفر ، فاعل بنفسك ما تشاء ، واما أنا فوالله لا اخرج معك ،
فذهبت الى حال سبيل ، ثم مررت بمجلوب كان يجلس فى دجل خاص به
امام زنقة من زنقات (المواسين) - ويسمى مالكا التناف - فالتقت اليه ثلاثة
قروش . فصار يقول بكل ما فى فيه من قوة : الله يحفظك . الله يحفظك ،
الله يحفظك ، فصادت رجلا بعمرايا يسمى جامع بن موسى الايوبى ، فاهسك
فخذى اسماكة غريبة ، حتى اترت فى فخذى اصابعه ، ثم مر ولم يقل شيئا ،
وقد كان يختلف الى التهاى الاكلوى ، ثم لاقيت القائد مباركنا عشو البعمرانى
فقال لى : انك لا تزال تدور هنا ، والناس يتربصون بك ليقتلوك . فهتمت

حينئذ دعني ها فعله بفخدى جامع البعمرانى. من انها اشارة خاصة لمثل ذلك .
ثم جاء الى اخصاصى نهب الاكلويون لباسه. ودمقوا رأسه . وذهبوا بسلاحه ،
ثم أرسل الى العربى خبثان ، فذهبت اليه ، فوجدته قد هيا للرحيل . وقد
حمل على بغاله مناعه ، فقال : عندى الخبر بانكم ستخرجون الى الجهاد . فزيد
ان لا تخرج حتى اخرج معك ، ثم اتنى الخاكي عليه اسلامه ووجه للخير -
ثم امرته ان يرجع البقال الى محلها ، ثم حكيت له الواقع من اننى حيران فى
امرى ، وأن الناس فى هرج ، فلم يكذب يرجع ببغاله الى الاروى حتى وجد اصحاب
الاكلوى ، طاروا باحدى بغاله ، فذهبت الى داره ، فأتى صبى صغير ، كنت
اعرفه قبل من جهة التهامى (يتجسس على) فقال ان الاكلوى ضربه ونزع
منه سلاحه ، فأمرت اصحابى فأعطوه السلاح والقرطاس . - فعلت به ذلك
لعلنا نستميله - فذهب واخبر الاكلوى ، بأن اصحابى مسلحون موجودون ،
ثم بدأ الاسفار فى الافق ، فذا بالقائد صالح جاء ، الى ، فقال ماذا تصنع ؟
فقلت له : ان كثيرين من اصحابى فى الجيش الذى ذهب ليدافع ، وفى الحين
سمعنا طلقة مدفع من الجهة التى ياتى منها الجند الفرنسى ، فقال اسمعت
المدفع ؟ فقلت نعم ، فقال اذهب بنا لنرى هذا الاعرابى الذى قلب اوضاعنا بما
فعله بنا ، فركبت على بغلتى ، وركب صاحبى على فرسى ، ومعى اربعة جنود
فقط ، واه القائد صالح فليس معه الا رجل واحد ، ثم لما وصلنا قرب درب
(زمران) رأيت رجلا ينزع عماهته ثم يردها فى الحين ، ولم يقل لنا شيئا ،
فلما ساءتنا الدرب اذا بحركات الزناد ووضع القرطاس فى البنادق فوفعت
فرقة عظيمة ، فثرت فقلت بكل ما فى صوتى من قوة : ان هذا محل السبعة
الرجال فان اردتم الحرب ، فاخرجوا بنا الى خارج المدينة ، فقبض الله ايديهم .
ولو ردونا لهلكننا كلنا فى الحين ، ثم ذهبنا قدما حتى وصلنا رياض الحاج
عبلا بن بيهى ، فخرج منه مولاي المصطفى الذى كان قاضيا . فقال ما هذا ؟
فقلت له لا ادرى ، ثم لاقيت القائد كاتبنا ، فقال اننى كنت اريد ان اذهب
الى دار المخزن ، فلم اجد منفذا اليها ، فان الطلقات تتتابع ، يضرب الاكلويون
الاعراب ، ثم ملنا من جهة ثلاثة فحول حتى مررنا بدار المتوسى ، فرأينا خيله
واقفة عند صودعة الكنيبة ، فذهبنا الى الخيل فرأيناها مهياة تنتظر خروج
القائد ، فوجدنا القائد يرعى مع صاحب له قد وقفا ، ثم خرج المتوكى ،
فقال لى اركب على فرسك ، فكرر لى ذلك ، قال وأنا اذ ذاك لا ازال جاهلا
لما وصله الحال ثم أسر الى بأن الاعرابى صاحب البطائن - كلمة سب - قد
هرب ، فاستدعيت القائد صالحا ، فقلت له : ان صندوقك الذى هو امانة
عندى ، هو فى يد الوصيصة مسعوده فى دارى ، وولدى الصغير محمد ابو
نوس لا تلحقه يد ، قال ان ولدى هذا سميته فى وجدة على كنية سيدى
يحيى ابى يونس ، وقد ولد لى هناك ، فوصلنا انا وخيل المتوكى الى (باب

الرب) فوجدنا هناك الاكلويين تمكنوا في الباب وفي البرج فوقه ، فخرجنا
 حتى وصلنا (صهريج البقر) فاذا بالتهامى الذى كان قد تبع الهيبة قد رجع
 عنه ، فتوجه حتى دخل (باب ايغل) فلمح القائد عبد الملك المتوكى ، فارسل
 اليه ان يتبعه الى دار المخزن ، فتكررت الرسل اليه ، فقال له احد اصحابه
 ايطلبك الباشا الاكلوى لتسريفاك وانت تناخر عنه ، فقال له انها تاخرت
 خوف تلويث سمعتى ، ثم قال له : اذهب وقل لمولاي على ان يعطى مائة فارس
 للقائد يرعى والقائد الناجم ، فل الحاكى وسبب هذا ان القائد يرعى كان
 قال للمتوكى : ان هؤلاء الاعراب الذين غدرونا ، لو اعطيتنى انا والناجم مائتى
 فارس لاعتقلناهم لكم ، فان خيلنا معا قد ذهبت الى سيدى ابنى عثمان ، ولم
 ترجع بعد الينا ، ثم ذكر الحاكى ان ما قاله يرعى انها هو حيلة منه ايضا
 تسمية لحاله على المتوكى ، قال فذهبت انا ويرعى مع ذلك الرسول ، فلما
 وصلنا ايام قبة الامام السهيلي ، اذا بكثير من السوسيين الذين تخلفوا في
 سيدى ابنى عثمان ، وهم جم كثير ، فقال صاحب المتوكى ابدوا بهؤلاء ، فقلت
 له : لا والله ، فان هؤلاء اخواننا السوسيون ، وانما غرضكم في الاعراب الذين
 تقولون انهم يعتدزون على الناس، قال : فوجدت فيهم الباقية من اصحابى ومن بغالى
 وخيل ، وقد هلك كثير من اصحابى وخيل في معركة سيدى ابنى عثمان ،
 فامرتهم ان يتبعوا الاحايين الذين سلخوا طريقهم متجمعين ، وليس عليهم حرب
 ولا يتبعهم احد ، فلذهبوا وراءهم ، ثم قال لى يرعى : ماذا ننتظر نحن ، افلا
 نزال نتعلق باصحاب الاوساخ السوسيين هؤلاء ، ثم امر صاحب المتوكى الذى
 معه الحياطة من المتوكيين الذين معه : ان يرموا اولئك السوسيين المساكين ،
 فلبثوا يضربونهم بالرصاص باخذتني الحمية ، فكنت احدهم ، وقد دخلت في
 غمارهم فحارب اصحاب المتوكى معهم . فكنا نصاب كثيرا وكثيرا ما يضرب
 مترادفون على جمل او بغل فتنظم رصاصة واحدة كل المترادفين ، فصرت
 احثهم على ان يسرعوا وان يتقدموا الى الامام ، ثم ان القائد يرعى ذهب في
 اصحابه حتى ابعد عنا . فوقف فارس الى عبده لاذهب اليه ، فقلت له :
 سلم على القائد يرعى وقل له : وداعا الآن ، فان طال الحياة فسنلتقى ، وان
 متنا فمسامحة بينى وبينك . ثم صرت انادى ايها الهشتوتيون ، ايها
 الهواريون ، ايها البعمرانيون : زيدوا ايامى ذانا وراءكم ، فالتفت الى رجل
 هشتوكى اكثر انسى ، يدعى شيرتا فقال : انرمى نحن ايضا بدورنا هؤلاء ،
 فقلت له لا، ولكن خففوا عن بهائمكم هذه الاثقال ان كان لكم غرض في البهائم،
 والا فانتهم عارفون ان لا مطمع لكم في البهائم بعد . فصاروا يلغون الاثقال عنها
 حتى اذا وصلنا القائد يرعى قال : ابعد عنا لوجه الله البارود ، فانك بمن
 تجمع حوليك من هؤلاء هكذا، سيقصدنا كل ذى بندقية ممن يقصدون اهلاتنا ،
 فلم اجبه ثم زدت مع الناس ، وقد بقى حولى من اصحابى الباقين نحو عشرين

من الفرسان . لكنهم اسود الهيجاء . لا يصطلح لهم بنار ، فلما ابتعدنا عن المدينة امرت السوسيين ان يذابحوا عن انفسهم تل من قاربهم ، وقد نمكنا من نواصي اهورنا ، فلما وصلنا ايت ييمور ، صار اليموريون يقتلون بحيلة من معنا من ارباب الصحراء ، فان اليمورى ياتى بقعب لبن ويعرضه امام الاعرابي فيهش له الاعرابي ، لان شربه للبن هو لذته الوحيدة المألوفة في حياته ، فاذا اخذ القعب وصار يشرب ، يطلق فيه اليمورى بندقيته فيذهب بسلبه وبفرسه ، وقد تعدد ذلك امامنا ، فكنت اصرخ في وجه الاعراب المساكين نهيا لهم عن الاغترار باى قعب قدم لهم ، ولكن الاعرابي ينسى كل شىء كلما رأى بياض اللبن ، قال : فلما وصلنا (الحصية) في تكتة ، انفطر قلب فرس عندي عزيز ، كنت اتيت به من انكاد ازاء وجدة ، وهو عندي كسكاب ، علق نفيس يعزز ويكرم دائما ، يجاع له العيال ولا يجاع (1) قال : فنزلنا هناك وقد انقطع عنا الطلب ، حتى اكلنا وشربنا عند من معهم بعض زاد واواني المزاولة من السوسيين ، واما انا فيدى صفر من كل ما يذاق ، فذهبنا الى : (بوجمادة) ثى (آل السباع) نقصد دار يرعى وهو معنا يسبقنا باصحابه حتى وصلنا داره ، فنزلنا فيها ونزل السوسيون حوالى الدار ، وبينما نحن نتهيا لشرب الاتاى اثر الدخول ، دخل على انسان نادانى للالفة اناس خارج الباب ، فخرجت فوجدت ممن كانوا معنا بعض الشتوكيين ، وشذاذ القبائل المتجمعة التى كانت تسير بسيرنا من مراکش ، من البعمرانيين والهواريين والجزوليين ، والازغاريين ، وبين ايديهم خمسة اكباش ، فطلبوا منى ان اتوسط لهم عند القائد يرعى ليرسل معهم من يخفرهم حتى يصلوا دار القائد العربي خبان بالشياطمة ، نقلت لهم ان الامر سهل ، فلا تخافوا فاننا لم نطلق فيكم الايدى امام باب مراکش حين كانت النار ملتظية ، افنجزتم الآن ونحن في اتان ؟ ثم قلت لهم انى هنا غريب مثلكم ولكن ساتكلم عنكم مع رب الدار ، فحكيت له الواقع ، فقال ابلفهم عنى انهم اضيافى في دارى ، وغدا سيبيرون مع خليفتى الى دار خبان ، ثم ضيفهم ومانهم هم وبهانتهم ، وهناك جاء فقهاء القبيلة : سيدى العربي الساعدى ، وعبد المعطى وسيدى الضوء ، وابن المدنى ، فصاروا يديرون الكلام فى الحوادث الواقعة من جراء الهيبة ، قال : كنت فارقت مراکش كيوم ولدتنى امى ، ولم احمل معى اى شىء من دارى حتى الكسوة ، فلم املك الا ما على ، فاعطاني اذ ذاك الفقيه سيدى عبد المعطى رداء حسنا ، فلبسته على جبتى ، قال : هذا ما قدر الله على ، فقد خرجت منسلا حاوى الوفضة ، وتركت ورائى كل شىء ، فلم

(1) كسكاب كحذام : فرس لعربي ذل فيه يخطب بعض الملوك ساومه فيه

(ابيت اللعن) ان سكاب علق نفيس لا تعار ولا تباع

مفداة مكرمة عيننا تجاع لها العيال ولا تجاع

أحمل معي ولو درهما واحدا الا ثلاث ريالات . ولا متاعا ولو قليلا . ولا
فراشا ولا ما تضم عليه الاصابع ، مع ان دياري المتعددة التي تصل 12 طابحة
بكل شيء ، فعمد اليها الاكلوي كما هي ، فاسترط الجميع . والله ما اعطى
وله ما اخذ ، فان كان سليمان الفاسي ذهب بمناعي فسي فاس من دار
واحدة ، فان الاكلوي ذهب بمناعي من اثنتي عشرة دارا من مراكش (سم
قال ها انذا اثر الاستقلال قد رجعت ، فاين دياري يا عهد الاستقلال ؟) قال
فبقيت هناك في دار القائد يرعى خمسة ايام ، ثم انتقلنا الى داره الاخرى في
سبيل المختار فنزلت عنده فيها اياما ايضا ، وهناك وصلني القائد مبارك
الذي كان الاعراب سلبيه امام مربيه ربه ، وقد جاء اليهم مع جنده ، فارسلته
الى عيسى بن عمر ، وهو في داره البعيدة ، كما ارسل يرعى صاحبنا له
ايضا اليه ، نامره ان ينظر في قضيتنا ، هل يمكن جبرها لنعرف ما نحن
فيه او لا ، ثم آنست فرسانا يختلفون الى القائد يرعى ، اربعة او خمسة ،
ارى ذلك كل يوم ، ولا اعرف ما يروج ، ففي يوم قلت له : ما هذا الذي
ارى من مجي الفرسان واياهم ؟ فقد يؤتى لي ان الامر يدور حولي ، فان
كان الامر صحيحا كما ظننت ، فلا عليك ، فوجهني لتنجو انت والشريفات
اللاتي في دارك ، فقال حقا انك كمجنون يخبره الجن بالواقع ، ثم انكشف
الحال انه كانت الرسائل والاجوبة حقا تدور حولي ، فقد كان الاكلويون
يطلبون منه ان يسلمني لهم ، ثم يكون له هو الامان ، فيتمتع من ذلك دفعا
للممرة التي تلحقه في اخفار اللمة في اضيافه ، ثم كتب اليه الفقيه التكروري
رسالة يقول له فيها : انك يا يرعى لست من صميم السباعيين الاصيلين ،
وانما اجدادك قيون لسبيل المختار ثم اندغم فيهم آباؤك الاخيريون ، ثم انك
ان غدرت في سيفك يوشك ان يفضحك الله في اهلك فضيحة عظيمة ثم انني
- ان فعلت ما يكتابك به بعض الناس ، ففدرت سيفك سائين للناس اجمعين
ما هو اصلك ونسبك ، قال : ثم اراني يرعى احدى الرسائل التي جاءته في
ذلك من اجل ، وقد سمعت منها بين ما سمعت بعض ما ذكرته ، قال : ثم
مر بنا ، وانا هناك (مروان) الالمانى التاجر من السويرة الى مراكش فاعطاني
مالا لمعرفه كانت بيني وبينه ، ثم رجع من ارسلناهم الى عيسى بن عمر ،
فاخبرونا بان المتوكمي سيايتنا انا ويرعى ليعتقلنا فان كان عندنا مهرب
فلنبادر اليه قبل وروده ، واذا ذاك غيرنا انظارنا ، وعزما على مقادرة الخوز
الى سوس ، فبمجرد ما وصلنا هؤلاء الرسل قبل غروب الشمس صرنا ندبر
امرنا بسرعة ، فسرب يرعى ماله الناض وما غلا من متاعه الى احد اصحابه
الذين يستأمنهم ، وارسلت انا العيال الذين كانوا وصلوني وشيكا الى زاوية
سبيل عبد الله بن حفيظ بالشيظمة ، ولم تصل العشاء حتى صار السباعيون
يظهرون العداء لقائهم ، حتى انهم خطفوا من باب داره بهائم له . فركبت

فى اصحابى ، وركب فى اصحابه . فلما ابتعدنا عن داره ليلا ، وقف وقال :
 ربما ضللنا عن الطريق ، فوقفنا مليا نتأمل فقللت له : قفوا انتم هنا حتى
 ارجع ، فسأذهب الى دارك متتبعا للطريق ، ثم ارجع فيها لارى هل نحن
 سائرون فى الطريق المعتادة ؟ فذهبت فرجعت ، فلما وصلت المكان الذى
 تركتهم فيه لم اجد هناك احدا لا اصحابى ولا يرعى واصحابه ، فسرت انا
 وصاحبان لى ، فلما زدنا ما شاء الله مرنا بقرية تنبج كلابها علينا ، وقد نام
 الناس ، وابهار الليل ، فناديناه وراء الديار ، فخرج اليانا رجل فاتنا بقعبه
 لبن ، ثم سألته عن الطريق السويرية ، فرددت اليه الاناء بعد شربى فمدت
 معه شيئا من دراهم فطلبت منه ان يذهب معنا حتى يرينا الطريق ، فذهب
 معنا حتى وقفنا عليها ، فسرنا فى المعجزة فسرنا قلما ، حتى وصلنا قدام
 دار القائد سعيد الشياظمى ، فمرنا حتى وصلنا (تفتتشتت) فلم نشعر حتى
 سقط العبد الذى معى عن فرسه فى جعفر ماء (١) ، فاجتهدنا حتى استخرجنا
 الفرس من قعر الجعفر ، فجلسنا لنستريح ، وقد ودعنا صاحبنا ، فلما طلع
 النهار صلينا الصبح تحت الاسفار ، فاذا بثلاث طرق فاخترنا الوسط
 من بينها ، وقد اضر بى البرد كثيرا ، لان لباسى رقيق ، فصرت اسعل وخفت
 ان امرض ، ولكننى تجلددت مع ما احس به ، وقد حرصت على ان نتكسر
 فوصيت اصحابى ان لا يكلموا احدا زيادة على رد السلام عليه ان سلم ، فزدنا
 وقد عرفنا اننا فى طريق السويرة ، ثم تلاقينا مع سبعة اعوان لبعض القواد
 فكدنا ندهش من ملاقاتهم ، لاننا تحت ضباب الخوف يؤتى اليانا انه ربما
 يتعرض لنا احد ، ولكن هؤلاء مروا من غير ان يتكلموا معنا ، فلما وصلنا
 (ثلاثاء الحنشان) وجدنا انسانا قال لنا : انكم اصحاب الناصرى الذى مر
 بنا فى اصحابه ، فوصفهم لنا ، فعرفنا انهم القائد يرعى ومن معه ، فقللت له
 نعم - وقد عرفت ان يرعى جعل نفسه مرابطا ناصريا لان الناصريين اذ ذاك
 هم الذين يسافرون على تلك الهياة يعنى بذلك عن نفسه - ثم قال انه يامرهم
 ان تتبعوا طريق اربعة اداو كسراض (فزدنا نحن فى تلك الطريق
 السويرية احتياطا ، ولم نتبع طريق الاربعاء التى سلكها يرعى ، لاننا
 سنلتقى فى (تمانار) ، ثم لاقينا قافلة ، فلما مرت سمعت قانلا فيها يقول
 ان هذا هو القائد الناجم ، ثم رجع الى ، فنادانى فليبينه ، فقال اريد ان اتكلم
 معك على حدة ، فتشجيت معه ، فقال ان لك عندى امانة من عند محمد الامين
 ولد الزاوية ، فقلت له ما نوعها ، فقال سلها من ملف اسود ، وعشرة
 ابطال من اتاي ، ولقافة كنان من نوع (حياتى) الرقيق فاخذت منه السلها
 ولقافة الكتان ، وامرته ان يدفع الاتاي للسيد الشافعى من ابناء سيدى
 المختار السباعى الذى سيمر به عند قبة سيدى المختار . وكان السيد الشافعى

(١) الجعفر : النهر الصغير .

حبيبي ، فآكرمته بذلك لوجه الله . ثم نزلنا لنستريح من كثرة اللغب ، فنام اصحابي لكثرة اعيانهم ، فبت أنا حارسا الى ان استيقظوا ، ثم سرنا الى ان وصلنا قرية فنزلنا عند رجل معروف بالكرم قصدناه لذلك ، بعد ما سألنا عن كريم يقصد في القرية ، فضيفنا خير ضيافة ، وقد ذبح لنا كبشا ، وعلف بهاننا ، فسمرت معه بعد نوم اصحابي ، فسألني عن اسمي ، فقلت له اسمي احتياطا - والتكر واجب على كل من كان في مثل موقفنا - ثم سألته عن العربي الفويري الذي كان صاحبا للقائد عبد الرحمن الكلتولي ، وقد كنت عرفته مع القائد سعيد ، فقال : انه مر هنا مبكرا ، ثم طلبت منه بعد ان نهضنا من عنده ان يسبقنا ليهدينا الطريق ، فسرنا حتى بتنا في مشهد سيدي (ابي زكري) فوجدنا القائد يرعى واصحابه كما خرجوا من هناك ، ولا تزال النار مشتعلة في الاثافي التي طبخوا فيها ، وفي الغد سرنا امامنا فوجدنا اثرهم ايضا في (تيسنقارين) ثم سرنا حتى اطللنا على (ثمانار) ، حيث دار القائد عبد الرحمن ، وقد كان القائد يرعى سبقنا اليها، وقد جلس حين اقبلنا على القرية . هو والقائد يرعى في العلية المشرفة العالية على الباب ، وهما يطلان من النافذة المقابلة للطريق فرأيا سوادنا ، فتناول القائد عبد الرحمن المرأة المقرّبة ، فعرفني بما نعتني به القائد يرعى ، ثم تلقياني في الباب ، ثم اخذ بيدي القائد عبد الرحمن اجلالا واحتراما وحسن تضيف ، وقد كان يرعى قال له : ان القائد الناجم قد غدر ، فرجع عني ، ولكنه لما جئت كذبه الواقع ، ثم رحب بنا رب المثوى ، واکرمنا في تلك الليلة اكراما زائدا ، وقد اجتمع علينا الكبار من الحاضرين هناك ، فسمعت الجميع يلومون الاعراب ، وينعتونهم بكل وصف قبيح ، خصوصا الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي ، وفقهاء آخرين، حتى اكثروا وتجاوزوا الحد ، ثم لما ذهبوا ليناموا قال لي يرعى ماذا نصنع بعد عند هؤلاء الذين يسبون الاعراب الذين نقصد الالتجاء اليهم ؟ انا نخاف نحن ايضا بلورنا منهم ؟ فقلت له : ان هؤلاء انا اعرفهم وعجبت طباعهم ، لا يغدرون اضيافهم ، وانما جعلونا كانفسهم ، فقالوا امامنا ما قالوا ، ولكن يجب عليك أنت ان تسد فاك ، ثم لا ترى منهم الا خيرا ، قال وعند الصبح جاء القائد ففصل معنا الصبح عند الفجر ، ثم هيا لنا الحمام ، فأتانا بالطور التام ، ثم طلبت منه ان يودعنا فاننا مسرعون ، لنترك الهيبة والذين تجمعوا عنده في تارودانت لنقودهم الى ما فيه منفعة المسلمين قبل ان يتفرقوا . فما جئنا الا للجهاد لا للحفلات ، ثم افعمت اذنيه بالشكر على حسن ضيافته ، فاذا ذاك طاب نفسا بوداعنا ، ثم اخرج الينا كسوتين تامتين ، واعطاني انا بقلة وجوالفا وحملا ، وكل ما يحتاج اليه من الربط ، فقال : ان عندي خبرا بانك خرجت من دارك من مراكش بلا شيء ، ثم قال : هل وصلت اليك امانة من الدراهم . فقلت له نعم ، وقد كان ارسل

الى حقا تلك الدراهم ، فقدر فيها الرسول ، فلم ارد ان أقول له لم تصلني .
لثلا بظن اننى اقصد ان يعطينى ثانيا ، ولذلك اجبته بانها وصلتنى ، والحقيقة
اننى لم أرها ولم تصلنى ، ثم بننا فى عين (افرا) عند ابن عدى صهر
القائد عبد الرحمن ، فهناك حكى لنا رب مثنوانا انه كان حج فى رفقة مع
التهاى الاكلوى ، قال فقمتم له بكل مؤونة يتوقف عليها ثم سلفته زيادة على ذلك
خمسما تقريال ، ثم لم يردھا الى الى الآن ، ثم التقينا بخليفة القائد عبد الرحمن اخيه :
الحاج الحسن الكيلتولى فى وادى (ايت امر) وقد ركب على حلس بقلة تتدلى
رجلاه على جنبها وهو سمين يرفض عرفا تحت حمارة القيط ، وقد كان
خليفة لآخوانه على أكادير سنين متعددة . ثم طرده الاعراب اليوم من اكادير ،
فصار يلومنا على ذهابنا الى اولئك الاعراب الخائسين للعهود ، والهاتكين للحرم
والدم ، قال : اننا نحن الذين اقمناهم ومهدنا لهم كل شىء ، واسسنا
لقيادهم بالدعاية والمال والسلاح وربط الاسلاك مع كل جهة ، ثم ها نحن
اولاء لا نرى منهم خيرا ، فقد دخل على جلف من أجلافهم ، فأخرجنى من دارى
مرغها ، وها انذا ارتحل منها كأننى احد المجرمين ، قال ثم ودعناه فسرنا الى
الامام . فتسوقنا خميس (تامراغت) وقد كان لى هناك معارف حين كنت
أتجر (كما تقدم) ، فقاموا لى بكل ما فى طوقهم من الضيافة ، فصاروا
يتواردون على بالشواء والتمر والفواكه ، وكل ما يوجد فى السوق ، وبعد أن
استرحنا ركبنا ، ثم بتنا فى فندق ابن عدى فى (فونتي) فوصلنا رسل الخليفة
الاعرابى المرابط فى اكادير ، وهو الذى أخرج منه الخليفة الحاج الحسن الكيلتولى
فاعتدنا باننا لا نقدر على الطلوع الى اكادير . وقد أعيينا ، ثم جاءتنا مؤونة
الضيافة حين لم نذهب اليه ، فيها ستة قوالب من السكر ، والائاى ، ولحم ؛
ثم فى الفد ذهينا الى (كسيمة) فدها وصلنا مفترق الطرق بين (انزكان)
و (الدشيرة) فقلت لاصحابى اننى كنت أعرف آل (انزكان) وفيهم نزلت
مرارا ، والان عظم شان آل (الدشيرة) فلا ندرى الى من نذهب ، فلنتترك
البقال تذهب بنا حيث يطيب لها . فأرخينا لها الاعنة . فاذا بها مالت الى
(الدشيرة) فتأقانا الرئيس سيدى محمد بن عبد الرحمن من آل الحاج العربى ،
فضيفنا خير ضيافة ، ثم أثنى على سيدى محمد بن عبد الرحمن ثناء عطرا ،
قال ثم انه بعث الى الهية يعلمه بورودنا ، وقد وجدنا فرحا عظيما يوم
ورودنا ، لان الناس يكبرون امثالنا من القواد ويرون لهم شانا عظيما فى
ميدان السياسة .

فى تارودانت

قال : ثم خرجنا من (الدشيرة) وقد تركنا هناك فرسا لنا اضر به الطريق
اضرارا عظيمة . حتى لا يمكن ان نصاحبه الى مقصدنا ، وخلفه لنا سيدى

محمد بن عبد الرحمن باخر ، جزاه الله خيرا ، فرحنا الى (اولاد تيمه) في (هواره) عند ولد الحاج محمد ، فاذا هناك شرفاء، فلاليون ، فاشتبكوا مع يرعى في امر الملك ، وقد قالوا له : من اين جاءكم الملك ايها الاعراب . فان الملك لنا نحن الفلاليين ، فيجاذبهم يرعى ومن معه الحديث في ذلك امتزج فيه الجد بالمزاج ، وكم جد يصاغ في قالب المزاج . وقد هدأت الحديث لثلا يتسعب ، ، ثم صمدنا الى المدينة ، فتلقانا الاعراب في الوادى الوعر بالبارود والزغاريد والدفوف ، فدخلنا (تارودانت) في زحام الذين تلقونا بهذا الفرح العظيم الذى مسح بعض ما نشعر به من القربة والبعد عن اموالنا واهالينا، ثم سلمنا على الشيخ الهيبه ، فرحب بنا ترحيبا لا يكيف ، ثم اعطانا رياض القائد ناصر في (تبيحيرين) فنزلنا فيه عزابا، الى ان ورد على بعض العيال، ومن بينهم أم ولدى التى وضعتها بعد حين في دار الفقيه سيدى محمد اعبو ، ثم ان الهيبه عين يرعى وذيبرا ، وعينى انا رئيسا للحروب . ثم اشتقلنا في الحين بمحاربة القائد حيدة ، وقد كان تاخر في مراکش هو والباشا كاتبنا الذى كان قبل باشا تارودانت ، وقد كان يسمى ليسبق الهيبه الى تارودانت، فاذا به قتل في الطريق في قبيلة (اداوزال) فقطع راسه وذهب به الى الهيبه، ونهب كل متاعه وبقاله وخيله ، وقد وجدنا راسه حين وردنا معلقا فى (أساراك) - ساحة في المدينة - . واما حيدة فانه اتصل بعدنا في مراکش بعد انهزامه من سيدى ابي عثمان بالفرنسيين ، فاعطوه الكلمة العليا فى سوس ، فبمجرد ما رجع صار يزحف الى الهيبه واصحابه ، فنخرج لمدافته كلما زحف ، وقد كان ياتينا مع القائد العربى الضارصورى ومن اليه والمنابهة ومن اليهم ، فتتقاتل معه اولا حوالى المدينة ما بين (لريجة) والمدينة حتى اذا راي انه لا يجدى قتاله وحده معنا ، حين لم ينل منا مراده ، استغاث - بالفرنسيين فى مراکش ، فاغثت بالقائد عمر الامناسى الحوزى ، ومعه القائد فارس الحاحى ، وهو من قواد الارجاء - ومعه جند قليل . فلما لم يجده كل ذلك أعاد الاستغاثه ، وتشكى فى ان الهيبه ما دام فى تارودانت فانه لا يومن ان يعلو شأنه من جديد ، وربما يعلو علوا يحتاج فيه الى جهود أعظم مما يبذل الآن ، فرأى الفرنسيون ان يقطعوا دابر الهيبه ، فأتى الجيش الكبير الذى فيه الحاج التهامى الاكلوى، والعيادى والكنتافى ، ومعهم عسكر فرنسى، قال : كنت انا وباشا المدينة فى هذا العهد : محمد بن حميدان ، وعبد السلام من اولاد ابن عيسى واخوانه نتولى القتال ، ونكافح بكل ما فى طاقتنا مكافحة المستهيتين ، فنكون دائما فى مقدمة المدافعين ، قال فلما جاء هذا الجيش الكبير سار حتى نزل فى (تازمورت) يوم اربعاء ، وقد جانب المدينة، فاستولى الفزع على الناس، فهرب عنا ممن معنا الهواربون والهشتوكيون، وقد كلن مولاي أحمد من آل الشريف الهشتوكى معنا اولا ، ثم كان

عندنا الخبر بأنه يتصل بالعدو ، فكنا نهتم بأن نسجنه ، الا ان الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى اخبره سرا بما عزمنا عليه ، فهرب (ثم أنه حلف بعد ذلك أنه مظلوم ، والله أعلم بحاله (1)) ، وقد كان الهستوكيون يردون لنا اولاً بجيشهم ثم لا يجدون فى القتال شيئاً ، لانهم سرعان ما يتفرقون ، فيذهبون فرادى بعد ما يانون جماعة ، وبينما ترى الابواب والازقة تتزاحم بهم ، فاذا (نارودانت) منهم خالية ، وكذلك الهواريون هم ايضا على هذه الحالة ، وهكذا بقيت أنا ومن ذكرت من المهاجرين القليلين . لا يدور القتال الا على كواهلنا ، قال فلما نزل الجيش فى (تازنخورت) وذاع الفرع فى الناس، فتأثر حتى بعض من كانوا يكافحون بجهد ، فقل من الناس من يخرج للمقاتلة ، وقد كنت أنا مصاباً بجرح فى رأسى ، فقد أصابتنى رصاصة يوماً فى محاربة مع حيدة ، فلما لم أجد بدا من الخروج بنفسى خرجت متجلداً مع ابن حميدان ، وأولاد ابن عيسى وأعراب صحراويين ، استنهضتهم وشجعتهم فخرجنا ، فتبعنا قليلون ، فهاجمنا من فى معسكر الذين نزلوا حوالينا ، ثم لا نكاد نحمل حملتنا عليهم حتى يجعل من يقابلوننا منهم ، من غير مقاومة ، مما اظهر لنا انهم لا يردون مقاومتنا ، لاننا فى جانب الاسلام ، وهم فى جانب الكفر ، فسوق من بين ايدينا منهم حتى نصل بهم الى المدافع فى وسط معسكرهم حيث القواد الكبار ، فبقينا معهم كذلك الى ما بعد العصر فى ذلك النهار ، ثم رجعنا حتى وصلنا مشهد سيدى عمارة فى (أولاد ترنة) فأمرت ابن حميدان ان يقف هناك بأعلامه ليحافظ على خط الرجعة ، فذهبت أنا لانظر ما يصنع الهيئة وما ينويه ، فدخلت المدينة بموتى وجرحى من اصحابنا الذين أصيبوا ، فأمرت بالموتى فدفنوا ، ثم ذهبت الى دارى ، فحملت أهلى ومن معى من الجرحى فأخرجتهم فى باب الحميس ، وهناك قبة على سيد ، فأمرتهم أن يبقوا فى القبة الى أن ينزل الظلام ، ثم يذهبون حتى ينزلون على أحمد بن منصور فى (ايت بناها أبأها) صهر القائد الحاج أحمد الكسىمى ، فلما رجعت قال لى الوزير يرعى : لماذا لم تعلقنى وقد أخرجت أهلك ، لاخرج كذلك أهلى، فقلت له: لا يزال الحال كما هو، فأرسل أهلك الى أهلى الذين فى تلك القبة ، ليذهب الجميع فى رفقة واحدة ، فأرسلهم بدوره ، فلما استرحت من الأهل ، دخلت حينئذ الى الهيئة ، واللييلة لييلة الجمعة ، فوجدته يرتعد ؛ ويتساءل ما يصنع ، قال : ولم يكن رحمه الله الا رجل العلم والذكر والهوى ، لا رجل الحروب والشدائد والمحن ، فأعلن أنه لا يخرج الى صلاة الجمعة غمنا قال : وقد كان عنده شبه جند منظم ، فجعلناه تحت يد قائد رحى قديم ، كان بقى هناك من عهد كابنا ، وهو ردانى منشأ ، فجمعنا خمسة آلاف ريال

(1) هلك فى زلزال أكادير المشهور ، وقد دامت الصحبة بينه وبين الفقيه

بعد هذا الوقت مكاتبة .

فوضعناها تحت يد القائد سعيد الامزالي وفد امرنا ذلك القائد ان يجمع من قدر عليهم من الجنود ، وجعلنا نهاريا للجندى : نصف بسيطة - قرشين - وللقائد نفسه ريبالا ، قلنا له : لا مهمة لك انت الا أن تحضر فى كل يوم جمعة ، حتى يصلى السلطان مولاي احمد الهية صلاة الجمعة بالموسيقى على العادة ، ولم يصل الجند كله ثمانين ، وانما المقصود ذر الرماد فى الاعين ، لنجعل لسلطاننا بعض ابهة ، قال : ثم لما ذكر الهية أنه لا يصل غذا الجمعة، قلت له : اذن يدخل اليك هؤلاء الذين فى (تازنمورت) حتى ياخذوك كما يوخذ الديك ، فلم ازل أشجعه حتى اسلس القيادة ليصل غذا ، وفى القدرخرج كالعادة ، وبعد الصلاة ذهب يرعى الذى يسمى وزيره الاكبر الى داره، فبقيت انا والهية ، وقد كانت العادة ان لا يدخل الهية الى داره بعد صلاة الجمعة حتى يراه من يريده ، وحتى يسلم عليه تلاميذه - على ما كان يعامل به والده الشيخ ماء العينين بين اصحابه التلاميذ - واذ ذلك طلبنى انسان، فادخل الى فقال لى انى رسول اليك . وعندى رسائل ، فعلت به الى مكان خال ، فاعطانى الرسائل، فقلت له بعد ما اعطيته دراهم : اذهب الى المدينة لتتغدى ، ثم ارجع الى عشية ، فدخلت بالرسائل الى الهية ، فأمر من معه ان يخلينا منفردين ، ففتح الرسالة الاولى ، فاذا هى رسالة اليه ، وفيها : ان الحكومة ستترك لك كل سوس لتنفرد به وحدك ، ولك الامان التام ، والثانية رسالتى انا وفيها لومى على خروجى مما كنت فيه ، ثم الامان التام ان رجعت، وسيرجع الى مالى وجميع ما ينسب الى ، ان تبت مما انا فيه ، فقال لى الهية ، بماذا نجيب ؟ فقلت له انت المتبوع ، وما انا الا تابعك ، فالح فى أن اعطيه رأى الخاص ، فقلت له : اعلم أن المقصود تخدير أعصابك حتى يتمكن منك الاعداء كما يريدون ، وأما انا فلا أجيب لما طلب منى ، وهل مثل من يفدر المسلمين ؟ لا عشت حيا الى ذلك اليوم . ثم امرنا بكتابة الاجوبة بكلام حسن، مضمونه أن يطلب بارسال الكنتافى اليه وهو الذى ظهرت امانته يوم مر به الهية ، فلم يمد فيه يدا - ياتى اولاً حتى اراه ويرانى ، وبعد ذلك يكون الحير ، هذا مضمن جوابه ، وأما انا فاجبت بأننى مع هذا السيد المطرود من مراكش ، فمتى رجع ارجع معه ، فليس يليق أن أغدره بعد ما كنت معه ، وهذا مضمن جوابى . فجاء الرسول يتطلب الاجوبة، فمطلنته الى وقت المغرب، فاعطيتها له، ثم أخرجته فى باب الخميس، ثم قال الهية ، ماذا نحن صانعون؟ فقلت له - وقد عزمنا على الخروج من المدينة قبل أن نحاصر فيها - : اول ما نصنع ان نجتمع كل اصحابنا المتفرقين فيكون الجميع دعنا ، ونتوصل فى الليل بمفاتيح الابواب ، ثم نجعل الحراسة على الابواب كلها، قال: ثم صار الناس يجتمعون كما أمرنا ، ونحن نجتمع ما بقى من متاعنا ، ونرضى الناس على ان يخفوا وأن يعلموا انهم فى وقت حرج، ونحن مع ذلك نشجع الناس.

الخروج من تارودانت

قال : فلما أبلغ الجواسيس الى الجيش أن في المدينة حركة غير عادية ، عرفوا أن الهيبة سيفر من أيديهم ، فأوعزوا الى حيدة أن يعتقله ، فزحف حيدة ، حتى وصل (باب الزركان) - أحد أبواب المدينة - فقال حيدة لبعض من معه : ان هذا الرجل نحن السوسيين هم الذين اقاموه أمس ، ورفعوا من شأنه ، وأنا في مقدمة من أيده ونصروه ، أفليس من العار أن أعتقله اليوم بنفسى ، لا قوده وهو مسلم الى النصارى اعداء الدين ، فان اراد اليوم ان يذهب لخال سبيله ، فانى لا أتعرض له ، وانما مقصودى أن يتعد عنا ما يتبعه حيث يكون . من الهرج والمرج فقال له أحد اولاد سعيد ، يسمى الضوء ، وهو شيخ اولاد سعيد ، أيجمل بنا ان نلاقي من أصحابه عركات و صلصات ، ثم نفصى اليوم حتى يفلت هو وأصحابه منا ؟ فلا بد لنا ان نحاربه ، فقال له حيدة : افعل ما بدالك بينك وبينه ، واما انا فبرى، منه ومن جريرته ، قال الحاكى : ثم تحملنا كلنا بمن ههنا ، وقد حمل كل واحد ما قدر عليه من متاعه ، فتوجهنا الى (باب الحميس) - باب آخر من ابواب المدينة - فاذا بفتح الباب قد اضاعه من كان فى يده ، فتزاحم الناس وراء الباب متراكمين يمججون ، ثم صار من فى دار البارود يرهوننا بالرصاص من سطحها ، وقد كان فيها بعض من يشمتون بنا من بعض سكان المدينة الذين ارادوا أن يتخلوا بمحاربتنا . يدانفعمهم عند النصارى، ومن الى النصارى، من اولئك القواد الكبار، قال: فهزمت فرسى بين زحام الناس حتى وصلت الباب ، فقلت للواقفين ازانى : من عنده منكم ما تكسر به القفل؟ ولم ارد أن اطلق الرصاص على القفل لئلا أصيب احدا مصادفة ، فاذا ببعض اصحاب القائد سعيد الكردوس اتانى بقدوم ، فكسرت بها القفل ، ففتحنا مصراعا واحدا احتياطا ، لئلا يهاجمنا أصحاب حيدة فتزاحم الاعراب فى الخروج ، فسقطت صبية بين المتزاحمين فوطئتهم الحيل بحوافرها فأتت عليهم ، وكل من أثقله شىء فهناك ألقاه ، قال فمن هناك افترقنا أنا ويرعى مع الهيبة . وقد صار الضوء المذكور يرمينا بالرصاص ، وقد تعرض لنا لما فارقنا السور ، فندافعه عن انفسنا ، قال : ولو اراد حيدة ان لا ننجو لصعبت نجاتنا دن بين يديه ، لان معه جيشا كثيرا يسد به الطريق دوننا ، ثم توجه الهيبة الى جهة (تاماعيت) وقد حاذى جهة الجبل منذ خروجه من المدينة ، وقد أسرى اليها فوصلها بكرة ، ثم من هناك الى (ايت عميرة) حيث أخوه الشيخ الوالى الذى كان خليفة له على هشتوكه منذ اول بيعته ، وقد كان هناك مع كثيرين من الاعراب ، وهو وان تسمى خليفة لم يعد ان يكون رمزا فقط ، فلا تصرف له فى الهشتوكيين ، قال : واما نحن : انا ويرعى فقد سلطنا طريق (النخيلة) و (الكيفيات) فقبل ان

يسفر النهار ونحن في مشينا حمحم فرسى ، فعرف حمحمته رجل هشتوكي وهو احمد بن عبد الله العيسى ، وهو من أصحابي المخلصين كان معنا في تارودانت ، وله عندنا شقوق على الرؤساء من هشتوكة ، فحين سمع الحمجمة قال لمن معه : ان هذه حمجمة فرس الناجم ، فاندلق من المعل الذي صادفناه فيه ، فجاى الى باصحابه ، فذهبا في رفقة واحدة ، ثم اصبحنا عند القائد ولد عباد الهوارى الكفايلى ، فافطرنا عنده باستعجال ، فاقلعنا ومقصدنا (اداؤمحمده) بهشتوكة ، فوصلنا المدرسة ، فلم نجد الفقيه سيدى محمد اعبو فيها ، فافطرنا عند احد اصحابه وجدناه هناك ، فاذا بالفقيه جاء حين وصله الخبر بورودنا ، فرحب بنا كالعادة بالضيوف، فصرنا نتداول ما نصنع، فصار يقول : كثيرا ما اقول للناس : ان هؤلاء الاعراب لا يفيدون شيئا ، وانما يجرون الينا البلاء بامارتهم ، فاطلق في ذلك لسانه ما شاء الله ، قال : كان السوسيون يظنون جهلا منهم ان النصرارى ما كانوا ليصلوهم بسرعة لولا ما فعله الهية ، وهذا تفكير عقلية ساذجة ، ولهذا تجد كثيرين كالفقيه اعبو هذا يقول في ذلك ما يقول اما عن حسن نية، واما عن خبث طوية ، ثم قال لنا الفقيه : ماذا عسى ان اصنع لكم الآن ، الا انه ظهر لى ان ارسلكم الى محل فيه تلميذ لى هو فى الجبل فى (ازاريف) وهو سيدى محمد الاكرضى الحامدى ، تبقون هناك فى امان ، حتى اتم لكم الامر مع الدولة ، فترجعون الى دياركم ، يقول ذلك لظنه اننا نريد ان نستسلم للنصارى بهذه السرعة ، فسأيرته فيما يقول ، وقد ظهر لى منه انه ليس كما كنت اظنه ، قال : ثم وصل الخبر الى الهية اننا فى (اداؤمحمده) فارسل الينا برسالة ، وهو نازل عند اخيه الشيخ الوالى ، فلم نجد بدا من اجابته فى الحين ، فاخذنا بخاطر الفقيه مستأذنين له ، لاننا فى ضيافته ، وقلنا له لا بد ان نذهب الى مولاي احمد الهية، فان لم يكن الا ان نودعه فذلك هو الواجب على امثالنا مع امثاله - كلمة سايرته ايضا بها - ثم ذهبت الى الزوجة التى كنت ارسلتها اليه - كما تقدم - فرائتها فى دارهى ووللى الصغير وقد كان أحد الجرحى من اقاربها قد مات قريبا ، فعزبتها فيه ، ثم ذهبت بالولد : فقصدنا موضع الهية فى (ايت عميرة) فبينا هناك معه ليلة واحدة ، وفى يوم الاحد قمنا نحن جميعا معه من هناك الى ان نزلنا فى منزلنا الثانى بسوس .

فى أسارُسييف

قال : كان يتداول على السنة الناس قبل اليوم فى سوس انه لا بد ان يكون لقرية (اسارسييف) شأن فى يوم ما ، ولما كان للشيخ الهية اذن تصيخ مثل هذا ، كان ذلك هو الخادى له حتى نزل هناك ، والمكان فيه آبار كثيرة ، ولاباس بجوه ، والقرية فى قبيلة (ايت ميلك) احدى قبائل هشتوكة نزل الهية فى دار هناك ساذجة ، كالحالة فى كل دور هذه النواحي .

رحنا عشية يوم الاحد ، فظلنا هناك يوم الاثنين ، وفى يوم الثلاثاء يتسوق السوق فى (ايت عيسى) فدخلت الى الهية ، فقلت له اننى ساتسوق السوق اليوم لتتصل بالرؤساء الهستوكيين بادى ذى بدى ، كما تقتضيه السياسة وكما توجهه عادة البلاد ، وقد كنت أنتظر أن يشاركنى فى هذه الفكرة ، فيخرج من جيبه ما نفتح به قلوب اولئك الرؤساء ولكن ذلك لم يتيسر ، فاعتمدت على ما عندى ، وقد نويت ما نويت :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى امره وهو مدبر
ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا به الامر الا وهو للقصد مبصر

كنت عند الشيخ أحمد بن عبد الله فى داره ، وهى ازاء السوق حتى تغدينا - وقد كان غفرتنا - فقد خالف القائد سعيدا الكيلولى ثم حاربه فاخلى داره ، ثم رجع اليها ، وذلك منذ خمسة عشر عاما - فخرجنا الى السوق معا فتلاينا مع تاجر يهودى ، كنا نبتاع معه فى (تارودانت) يسمى موشى ازولوى . وكان حاذقا نبيا يداخل الرؤساء دائما كيفما كانوا ، فلما دخل الحاج التهامى الاكلوى الى تارودانت يوم خروجنا منها لاقاه هذا التاجر . فحكى له انه كان يتصرف هى ويقضى لى أغراضى ، وانه لا يريد ان تنالنى القرية هكذا اتقلب فى البلاد شريدا مطرودا ، فكان ذلك هو السبب حتى اعطاه الاكلوى رسالة الى ، فمكننى منها يدا لينوهوبيكى بكاء الاسرائيليين المعروف ، فاذا فيها حتى على الرجوع الى مركزى ، وان لى الامان التام فطويتها ثم وضعت يدي فتناولت من جيبى لويزات ذهبية كنت خباتها اثر ما دخلت يدي بعد خروجى من مراكش لحوادث الزمان ، فاعطيتها للتاجر ، فصرفها لى فى السوق عند الصرافين ، ثم اجبت الاكلوى بكلام حسن مداره على اننى سارى كيف اصنع بحيلة ، حتى افارق هؤلاء الذين انا من بينهم الآن ، فاننى ان لم اخرج بالحيلة ، لا اخرج من بينهم سالما ، فذهب بالجواب ، ثم اشترت على يد الشيخ احمد بن عبد الله كبشا مسلوخا ، فأرسلته الى الشيخ احمد بن على البلفاعى مع خمسة عشر قالب سكر ، ومثل ذلك للشيخ موحا الاقيرى ، ومثل ذلك للشيخ موحا ابو السلام الملكى ، ومثل ذلك للشيخ بيهى بن سعيد ، وهو ابن عم احمد بن عبد الله صاحبي هذا ، ومثل ذلك للشيخ هو امصنود ، رئيس (اداو.بوزيا) فعلت كل ذلك ايناسا واستجلابا للقلوب الينا ، وفى العشية صار كل واحد من هؤلاء يطلب منى أن أبيت عنده ، فاعتذر له ، ثم قلت لهم جميعا : المقصود أن تجتمعوا غدا عند مولاى احمد الهية ، فبت انا عند صاحبي احمد بن عبد الله . ثم اشترت اللحم الكثير ، فأرسلته الى الهية ، وأعلمته أن الرؤساء الهستوكيين سيردون عليه غدا ، فاطبخوا الطواجن ، واما الحبز فسأتى به معى من هنا ، فقام الشيخ احمد بن عبد الله على ساق يهوى ، لى من عنده الحبز المطلوب ، فاشتغل أهله وكل جيرانه الليل

كله ، ثم اتانى بفدر سمن وبفدر غسل ، فوضعنا القدرين والخبز فى جوالق
على البغال ، فذهبنا وصلنا الى الهيبة ، وقد اجتمع حوله الرؤساء ، فاكلوا
وشربوا ، وقد اظهرنا لهم الفرح الكثير ، واثينا عليهم واطمعناهم فى كل
ما يريدونه ، والمقصود هو ما نريده نحن ، والعرب تقول (الانسان قبل
الابساس) ثم قال لى الهيبة : ماذا أقول لهؤلاء الآن ؟ فقلت تقول لهم :
اننا امس كنا جميعا فى (تزنيث) ثم فى (مراکش) ثم فى (تارودانت)
ثم ها نحن اولاء اليوم ها هنا . فأريد منكم ان تصرحوا لى بما فى فلوبكم
فان كان لى الامان فى بلادكم بقيت ، وان لم يكن امان اذهب بسلام قبل ان
لا تروا منى وان لا أرى منكم ما يسوء اى جانب ، فلما قال لهم ذلك ، نادوا
بلسان واحد : انك آمن كل الامان ، فانت سيدنا وبركننا وامامنا ، ونحن
جميعا لا نهشى الا تحتدرايتك التى هى راية الاسلام اليوم فى جميع نواحي
المغرب ثم تقول : فالآن تجتمعون انتم واخوانكم عندى هنا غدا ، فدار ذلك كله
على ما قرر ، فجاء الجميع فى الغد ، وكان اليوم موسم (قبيلة علال) يوم
الخميس ، فقال لهم : اذهبوا مع الناجم ، واظهروا ما تقولونه الآن عندى بين
الناس كلهم ، قال فذهبنا كلنا الى الموسم ، فاذا باصحاب القائد محمد بن
هو الاغبالي الماسى هناك ، قد ذبحوا فى مشهد السيد الذى يقام عليه
الموسم ، وبمجرد ما دخلنا ونحن فى موكب كبير ، خرجوا منسحين وقد
استاوا من هوكبنا ، وهذا القائد كان مزور الجذاب عن الهيبة من اول يوم .
قال وقد كان الفقيه محمد اعبو سافر فى هذه الايام الى (تارودانت) لينصل
بمن فيها ، ولم يذهب معه احد من الرؤساء الكبار من القبيلة ومقصوده معلوم
لا يخفيه ، فصار الناس كلهم يذكرونه بسوء وصاروا يقولون : ان مقصوده
ان يقود ذلك الجيش من تارودانت الى هشتوكة ليخرجنا منها ، وقد كان معه
بعض رؤساء صغار هشتوكيين ، وهم همئذ من آل سعيد من (ايت يعزى) ،
واحمد بن احمد الاكترانى ، وصالح بن الحسين المحمدي ، وبوهوش
من (ادبوالفرا) من ايت (باها اوبهاها) الرملية ، وغيرهم ممن ينسجون على
ذلك المنوال ، فلما وصلوا (تارودانت) تطلب الفقيه اعبو عن لسانهم ما جاوا
بسببه امام الباشا الاكلاوى ومن معه من الكتتافى والعيادى ، فاستدعى هؤلاء
حيدة ، فقالوا له : اننا ما جئنا الا تلبية لرسائلك التى تستثيث بها ، اذ
تقول : لا اريد الا ان يخرج الهيبة من تارودانت ، فها نحن اولاء جئنا حتى
اخرجناه عنك ، وهؤلاء الهشتوكيون اسمع ما يطلبون ، فيبنيك وبينهم ، لاننا
سنرجع الى بلادنا ، قال ثم لى حيدة فزحف الى هشتوكة ، فتوجه اليها وقد
ترك الاكلاوى ومن معه فى تارودانت قبل ان يسافروا الى مراکش . فكان معه
اعبو ومن معه حتى نزل فى (الكترون) قال (رجع) ثم لما خرجنا من الموسم

نزلنا على قبيلة (ايت يعزى) فبيتونا واهدوا الى الهية ، ثم الى قبيلة (اداكران) كذلك ، وفى اليوم الثالث ، نزلنا على قبيلة (اداو متحمند) كذلك ، فاذا بالقيه اعبو ومن معه سمعوا اجتماع كلمة الهشتوكيين معنا ، لعرف هو ومن معه ان مركزهم منهار، فتملصوا من جيش حيدة ليفيشوا ديارهم وقد خافوا عليها منا ، لانهم سمعوا بما لم يتركوه من اجتماع الكلمة بين الهشتوكيين ، قال : ثم ان الققيه اعبو اقدم فجا، الى معسكرنا من غير خجل ولا خوف ، فعند صلاة المغرب تقدم امامنا للصلاة ، فابى الناس ان يصلوا وراءه ، وقد وسموه بانه نصرانى ، فلم يصل معه الا انا والشيخ احمد بن عبد الله مسابرة له لما بيننا وبينه ، طمعا ان يهديه الله ، فيرجع عما يصنعه ضد اخوانه المسلمين ، فاراد من حضر ان يقتلوه فى الحين . فطلبت منهم ان يروا فيه وجهى ، فان اولادى لا يزالون بين اولاده ، وفى القدا اعطيته فرسا ذهبه الى ان اهداه للهية ، فعلت كل ذلك معه من اجل المعرفة بيننا ، ومن اجل ما احسن الى به حين آوى اولادى (وهل جزاء الاحسان الا الاحسان) لعل امره يصلح ، ثم بنتا فى (ايت باها اوتباها) فبيتونا ايضا كالعادة وذهبوا بالموونة الى الهية ، وبالهدية كما فعلته كل القبائل المتقدمة ، ثم لما انقضى اللور رجعت الى (اسارسيف) فاذا بالقائد عبد السلام الجرارى الوارد من داره فى (تالعينت) جاء فبات فى دار ولد احمد الاقيرى ، وفى الصباح بكر الى (اسارسيف) فاهدى للهية ، فصار من حضر يقولون، ماذا يريد هذا الانسان ؟ ثم انه قال للهية : اننى ذاهب الى تارودانت ، وانما مررت بكم اولاً لاستئذانك ، فثار الناس ضده ، الا ان الهية اذن له فى الذهاب على ما علم منه ان الملاطفة ، وعدم مجابهة احد ، ثم خرج من (اسارسيف) الى ان وصل دار مولود فى (تينتا فوكنت) فقام كل من حضر فى (اسارسيف) من الهشتوكيين والاعراب يتطلبون ان يرجع عن (تارودانت) ، وقد قالوا كيف يمر بنا ليتصل باعداء الاسلام واعداؤنا من غير حياء ، قال وقد كنت انا غائبا عن مجالسهم فى ذلك النهار وامسه ، فلم اعرف عنه شيئا ، حتى بعث الى الهية حين ردوه اليهم ، فوجدته نازلا فى فسطاط امام المحل الذى فيه الهية ، فلما آتيت ومررت امام الفسطاط نادانى احد عبيده اليه ، فدخلت فوجدته فى الفسطاط مع اصحابه ، فقال : يا فلان : احتى انت خرجت من احلك شريدا ، واتى بك هذا الانسان ؟ - يعنى الهية - فقلت له : ماذا نصنع لكم ، فانتم كلكم السبب ، فقد كنا فى ديارنا بمراش ، حتى جئتم اينا ، فاتبعناكم ، فان كان هناك لوم : فانتم اولى باللوم لا نحن ، ثم جرتنا الاقدار حتى وصلنا دياركم ، ثم حكى لى ما وقع له ذهابا وايابا . قائلا ان سبب سفرى هو طلب الشيخ النعمة فى ان اتوسط بنفسى بين هذه الجيوش لعل هؤلاء الكلاب الذين فى تارودانت ،

ان اظهرنا لهم سياسة الخضوع فنهدي لهم هناك ان يرجعوا قبل ان يصلوا الينا ، فتكفى مؤونتهم ، ثم جئت الان ومررت بهذا السيد لاستئذانه ، فأذن لي أولا . فان لم يعجبه الآن ذهابي رجعت الى داري ، قال : فدخلت على الهيبة فوجدت عنده اعرابا ومعهم يرعى ، فقلت لهم ماذا تريدون مني حين بعثتم الي ؟ فذكروا لي امر الجراري ، فقلت لهم انه قال لي كيت وكيت ، ثم استندعوه ، فدخل اليهم . فذكروا له : ان الهشتوكيين لا يريدون ان تمر بلادهم الى الاعداء في تارودانت ، فقال سمعا وطاعة ، فما انذا ارجع في احين ادراجي ، فارسل الى اصحابه الذين تركهم في المحل المذكور ، وفيهم عبيد صفار هياهم هدايا الى الاكلاوي وامثاله ، فتها مع اربعة من اصحابه فخرج من الدار ، فاذا بي اسمع طلقات رصاص ، فخرجت بسرعة ، فاذا باجراري مضروبا ، وقد سقط يتسحط بدمه على الارض ، فحوقلت ، وقلت : اللهم ان هذا ظلم عظيم : وغدر وخيانة ، ثم بادر الاعراب فتناهبوا سلبه امام عيني ، حتى عروه من كل شيء ، فتركوه تما ولدته امه ، قال ففطيته بنوب فووقت عليه بنفسي حتى دفناه رحمه الله . فقد كان رجلا طيبا حسن المقصد ، ولو كان فيه غش ، لما مر بنا وصارحنا بكل ما يريد ، قال وقد صح عندنا ان قتله لم يشارك في المؤامرة عليه لا هيبة ولا اصحابه . الا الاعرابيان اللذان اطلقا فيه ، والسدي امر بقله هو الشيخ سيدي احمد ، من أبناء عمومة الهيبة ، وهو الذي كان خليفة للهيبة على (اكادير) وقد ضربه صاحبان لهذا الخليفة ، برصاصتين ، فكذلك ذهب دمه هدرا فهرب بعض من معه ، وجرح بعضهم ، وقد وصل الخبر الى عياد عشية اليوم ، وعندنا الشيخ الدية وبعض اخوته ، من آل الشيخ ماء العيين ، فخرجهم عياد في الحين : خوف ان يفتك بهم الجراريون الذين ربما لا يملكون انفسهم وقد قتل اخوهم ظلما ، وقد تان لعياد هودة مشهورة مع اعراب الصحراء .

قائد هشتوكية

قال : ثم انني نزلت عند مشهد (سيدي بيبي) ومعني جيش من بعض الاعراب والهشتوكيين مع رؤسائهم ، وقد نزل التانيون الى (كسيمة) فوصلنا (اينزكان) فخرج سعيد بن عياد من اعيان هذه الاسرة الرئيسية ، وكان اذ ذاك كبيرا . فدبح امامنا ناقة ، هذا وقد هرب محمد بن الحاج الحسن الذي صار بعد هذا اليوم جبارا عنيدا فتاكا ، (وهو الذي فتك بعمه سعيد المذكور يوم تولي) وقد كان يوم اطلت البوارج الفرنسية على سوس اثر احتلال الهيبة ل(تارودانت) ذهب الى (السويرة) أولا ، ثم جاء بعد الاتفاق مع الفرنسيين في بارجة وفتت به في مقابلة (اكادير) فصارت البارجة تضرب ذلك الساحل ، ولاسيما القرى الكبرى (كالدشيشرة) قال: ثم اقترح

النسيون ان يهدم دار ال (انزاتان) بكايه بمحمد ابن الحاج المذكور ، لما وصلهم عنه من انه يهيبء حملة فرسية يغير بها على (نادير) وما ابيه من القبائل التي تجاوره ، تعارضتهم في هدم الدار ، ثم علموني ، ولكن اصرروا على بروج الدار ، ثم ذهبت من (ايزنان) الى (الديسيرة) عند سيدى محمد ابن عبد الرحمن لاراه ، فاذا بالقبائل تسقط على (انزاتان) ايضا من ابارجه ، والمقصود اصابه جيشنا المرابط هناك الذى يهدم الدار ، فانهمز كل من فى الجيس ، تبعينا نحن فى (الديسيرة) الى العشية ، فرجعت الى (سيدى بيبي) فصرت ابنتى ما يكفينى من بعض بيوت فى المدرسة ، ثم صرت قائدا على هشتونة ، بحيث استنهضهم للدفاع .

فى أبى يكرأ

ثم نزلت فى مركز (ابى يكرأ) فاستترت من ابن عدى الخرطاني ما بنيت فيه تلك الدار هناك ، بتلك الابراج ، قال : فتمكنت فى الهستوكين غاية التمكن ، واحسنوا الطاعة للهيبة ولنا جميعا ، واذا ذاك صرت احارب جهة هواة ، فسمع البعمرانيون بما انا فيه من الجهاد ، فقاموا كلهم والصحراويون فزحفوا الى (اكلو) والى نسل قبائل (ازغار) فاحتلوها وقد دخل معهم غيرهم من القبائل بالاحصاص تحت راية القائد المدنى ، ومجاظر ، ودعبوا حتى نزلوا عند عبد الله بن بلقاسم بماسة ، فصاروا يتكلمون مع القائد محمد الاعبالوى ، فكان اصحاب القائد البشير من اصنبويا ، والقائد سعيد ، والحسن الخلقى ، والقائد المدنى يذهبون اليه سرا ، باذن فوادهم ، فكان القواد الثلاثة الاولون لا يريدون الا الاموال على عكس المدنى ، ثم اسندعى الاعبالوى القواد اليه فذهب اليه الثلاثة الاولون ، قيل قسمهم فى ما كوتهم ، فمات البشير والحسن قريبا ، وبقي القائد سعيد فى عفايل ذلك يتداوى بالعنبر ، فلما رأى البعمرانيون ما فيه رؤساؤهم من موالة امثال الاعبالوى ، قالوا : كل من اراد الجهاد ، فليذهب معنا الى القائد الناجم ، قال : فجاؤا الى بمائة وخمسين فارسا ، فوجدوني فى (ابى يكرأ) حيث بقينا ما شاء الله ، ثم بعثت البعمرانيين الى (ايت بو الطيب) ، ثم غدروهم ، فهاجموا الدار التي كانوا فيها ، ثم انتقلوا الى (ايت بكنو) الذين غدروا ايضا ، فذهبت لاغيثهم ، ومعى اعراب صحراويون ، فنزلت عند الرئيس عليلي الابنكويى ، وهو قاتل الشيخ على الدرقاوى الديلمى ، ففتكت بايت بكنو اذ قطعت منهم ستة عشر راسا ، فكان ممن انهزم ماسيتون جاؤا ليغيثوا هؤلاء الفدارين ، فجاؤا الى احمد بن الحاج الاينشتادنى ، وبريك من آل الطيفور البعزراوى اللص ، فطلبنا أن أفرج عن الماسيين المحاصرين فى دار بعد انهزامهم ؛ فاذا بهم انجوهم بعد ما فارقتنى على أن ياتوا بخيلهم وسلاحهم ، فجاؤا الى الشيخ الحسين العميرى ، فأعلمنى بأن اولئك قد ذهبوا ناجين ، فرجعت وقد انجيت

البيمرانيين فذهبت بهم الى (أبي يكر) قال : ثم تصدينا لحيدة الذي كان قبل نازلا في (الكرتون) من (أولاد دحشو) قليلا ، ثم رجع فأرسل جندا من جنوده حتى وصل (ازرو) فذهبنا اليهم فأجلبناهم من هناك ، ثم ذهبنا نحن مع الهشتوكيين ، نهزم الهواريين في كل حرب ، حتى نزلنا في (أكتافى) قرب (تارودانت) فصرنا نحارب جيش حيدة وهو في (نارودانت) .

وممن كان معنا اذ ذاك بين رؤساء هشوكية : مولاي أحمد من آل الشريف ، فصار على عادته يشيطان بين الهشتوكيين ، فيفتلون عنا ، فقام الرؤساء بتفريم كل من تاخر عن الجيش من القبيلة ، ولكن شيطنته اثرت حتى تفرق غالب الناس عنا ، قال : ثم جاء مربيه ربه يقدم جيشا صحراويا حتى وصل اخاه الهيبة ، فاستاذنه أن يقود هؤلاء الاعراب الى الاغباليين الماسى الذي لا يزال معرضا عن الهيبة وبيعته ، من اول يوم الى الآن، فطاعوه الهيبة ، ولكنه سرعان ما اندحروا أمام الماسيين، وقد كان لاحمد البلغاعي صحبة مع الاغباليين ، ففاظه الحال لما فعله مربيه ربه بصاحبه الماسى ، فكان ذلك هو السبب حتى غادر معسكرنا ، فالتحق بداره ، كما فعله غالب الرؤساء الهشتوكيين ، فصار الهيبة يكتب الى يسترجعنى عن مقاومة حيدة فقلت له : ما هذه السياسة ؟ فاننا الآن قد جمعنا حيدة حتى انجبر في (تارودانت) وحتى صار بسد الابواب نهارا خوفا منا ، فكيف نرجع عنه بعد ما لاحت مطالع النصر لنا عليه ، وثانيا كيف فتح باب حروب اخرى في (ماسة) فهل عندنا قوة تكفى للحرب في وجهتين : بل حتى الذين معنى هنا قد ولوا الادبار بسبب ما وقع في ماسة ، ودمقصودي أحمد البلغاعي ، ثم الح على الرجوع فامتعت؛ وقد نصبت اولاد ابن عيسى في (الزيدانية) وعبد السلام ابن الشداخ الماسكيني في (الطاعة) وأنا في (أكتافى) وفي كل يوم يستدعيني الهيبة فأزاد امتناعا ، ثم كتب الهيبة الى سيدى الحاج عبد يطبمنه ان يكتب الى لارجع من هناك فورا ، فكتب الى ، فرجعت حينئذ على رغم انفى، نصاعا لامر هذا الفقيه الصالح ، فتركت أصحابي وجيشي في (أكتافى) فرجت الى (تيدسى) ثم الى (إداؤمتنو) ثم الى (إمبجكيكلين) فطلعت الى الجبل في (أيت والياض) عند الفقيه سيدى الحاج عبد ، فحكيت له الواقع من التصديق على حيدة ، وما نحن فيه من السيامسة الحرفاء ، وما انذا جئت ، فلماذا يريدون منى بعد ان ادبت ما على من الواجب ، فصبرنى وما زال بسى حتى سل غضبى ، فأسلست للامر الواقع ، ومتى كان الامر والنهى في يد غير من يحارب ، فقلما يجنى ثمرة أعماله ؟

ثم ذهبت مع فرسان من أيت (تيراست) محمد كروش، ومن (إداؤمتنو) الحسين أوباشا ، ومن (أكونكا) فنزلنا الى (إداؤمخمد) فرحنا هناك فجاء الينا الفقيه أعبو الذى يابى ان يتوب مما هو فيه ، فصار يخاصم اولئك

الهشتوكيين الذين وردوا الى ، فيقول لهم : ماذا تريدون ؟ فقالوا : اننا نريد
 اتينا لنجاهد في سبيل الله . فقال اليس عندكم مساجد ، ففيها فجاهنوا ،
 وفي العشي عقدنا المجمع في (اغريستن) فرأيت بعض اناس تآثروا بما قال
 الفقيه بما يفسخ العزائم ، ويبرد همم المجاعدين ، ثم آتست الناس ثبات كل
 جماعة على حدة ، فقال لي انسان من اصحابي : اننا معشر الهشتوكيين متسي
 رايتنا نتفرق بعد انقضاء الاجتماع الكبير ، ثبات ثبات ، فذلك هو علامة القدر ،
 وقد كان ابن عم لاجبو يمشي معه جلس الى ، فصرت اعطيه ليفرق في الناس
 الدراهم ، فيظن انني ابله ، ومقصودي تخدير الاعصاب بالمعطاء لئلا يتم علينا
 ما عسى أن يوتمر به حوالينا ، ثم ناديت من جاءوا معي فلذاكرتهم في
 الخالة كيف نصنع معها ، وقد احسست بما احسست من مؤامرة رأس خيطها
 في يد الفقيه اعبو ، ففوضوا لي الامر ، فلما انقضى ما عندي من رسالات
 الفضة ، صرت افرق أيضا على يد ابن عم اعبو المذكور لوزنات الذهب فسمعتة
 يقول : سنحت الفرصة لصيد الخوت لو وجدت الشباك « هذه عبارته »
 وعند المغرب ، وقد تمشت حيلتي بالنباله لمن ينامرون على ، ركبت في
 اولئك الفرسان ، فرحت الى (شهد سيدى) « يدر » في (مدرسة ايت عمرو)
 فتركت هناك من معي . فاسرمت ليلا الى (اسارسيق) ، فذكرت للهيبة ان
 ما فعله دمي غير لائق، قلت له : لو ترنتني مع حيلة لاخرجه من (تارودانت)
 التي اصبح منحجرا فيها ، وقد زارنا عليه زئير الاسود ، ولو ارسلت الى
 جيش الاعراب الذي ارسلته الى داسة لقوى به جانبي ، فاستفيد به كثيرا ،
 فصار يعتذر بيرعى ، وانه هو السبب في كل ما وقع ، ثم قال : ها هو ذا
 ابن دحان المتمكن في (تزييت) سيتوجه بهن معه اينا . وهو يتهاى بجيشه
 ليزحف ، ثم لا يقف حتى يصل (اسارسيق) ، وقد اتى بمدفع مخزني كان
 من قديم في (التميم) وما عسى يجدى يرعى ولا امثال يرعى ان دهمنا
 من نواح شتى بالاعداء الذين يتجمعون علينا ، ولذلك ارسلنا اليك انت ،
 ثم قلت له : بحسب يرعى ان يسمى وزيرك ومجالسك ، واما الحرب فلها
 رجالها وسياستها ، فقال الهيبة : ما ارسلت اليك الا من اجل ما نتوقعه من
 اشتداد وطأة ابن دحان ، وليس معنا من يستطيع موافقته ، فقلت : ومع ذلك
 اجميل بنا ان نخلي ما حوالى (تارودانت) الآن ، ونحن هنا آخذون بالناصية ،
 اقول ذلك تاذقا وان لم اجد بدا من الانصياع ، واخيرا وقع الاتفاق على ان
 نانسحب من تلك الواجهة عن حيدة مرغمين ، فارسلت الى اولاد ابن عيسى
 والى ابن السمداخ . والى من تركتهم في (اكافاي) فجاء الجميع وهم على مضض ،
 وقد كان هذا الانسحاب من الراى المافون كما ظهر اخيرا من رجوع قوة حيدة
 علينا ، وقد ملات - احتياط - دار ادريس بمشاة كانوا معي ، ثم انقلب
 الرؤساء الهشتوكيون كلهم ضدنا : احمد بن علي البلغامي ، وموحا الاقيرى ، ومولاي

أحمد الشريفى وقبائلهم ثم صار مددح ابن دحان يضرب نلك الدار ، ولكن لم يجد شيئا ، قال فانهزمتنا آدم جيشهم مغلوبين ليل كفة ابن دحان بجميع الهشتوكيين ، فاتبعنى رجل اسمه شميرو المسفيوى ، كان مربى عندى قبل اليوم ، ثم فارقتهم بمراتش بعد وقعة (سیدی أبى عثمان) ثم صاحب ابن دحان إلى (ترزيت) فالتقيت معه فى ذلك اليوم ، فأراد أن يفتك بى ليحوز الفخر بين أصحابه ، فراوغته وهو يقصدنى عمدا ، فناديته مرارا أن يتولى عنى . ثم قتل احد رجالنا ، فرجعت اليه فأطلقت عليه رصاصة أصابته فى وجهه ، فبعد أحمد بن على البلغاي هو وأحمد الاقيرى مع ابن دحان تحت أشجار ، فصاروا يضربوننى ، وإخال أنهم لا يهدفوننى ، والا لما اخطأونى ، لقربهم منى؛ ولكونى حيث يصيبوننى لو أرادوا أصابتنى ، ثم رجعت الى محلنا فى (سیدی بدر) ثم أرسلت من أخرج من كانوا فى دار ادريس من المشاة ، ثم رجعت مع (بيهى) نبوسعيد شيخ (ايت عمرو) ومحمد بن بوسلام: شيخ (ايت ميلك) وهمتو أمنصوض، وهم لا يزالون معنا من بين الرؤساء الهشتوكيين ، فذهبت الى الهيبة ، فحكيت له ما وقع لنا من الاندحار فى الحرب ، ثم قلت له : : انهم سيدخلون فادع معهم . واشكرهم وودعهم ، واطلب منهم أن يصبخوا غدا مع اخوانهم ، وأنا أعلم أنهم لا يرجعون .

فى تيمكر

قال : ثم امرت الهيبة أن يقوم لنقاد (أسارسيف) فقد التقت علينا فيه حلقتنا البيطان ، وذهب عنا كل الهشتوكيين ، فهاهب هو ومن معه كالوزير يرعى وقائد المشور سعيد بن أحمد الكرديسى ، وأما أولاد ابن عيسى فانهم ذهبوا الى (ايت مزال) منذ اتوا من هواره ، وأما عبد السلام بن الشداخ فقد ذهب الى قبيلة (داسكينة) ، فخرجنا من (أسارسيف) فى سواد كثير من الصحراويين ، فتوجهنا الى (مدرسة) سیدی عبد الله بن ابراهيم الودريمى من (ادازن) ، فاصابنا مطر كثير ذلك النهار فى الطريق ، فصررنا بدار صاحبنا المخلص ، الشيخ احمد بن عبد الله ، فأرسلت اليه ، فخرج الينا وقد كان هناك بعض أصحابى مع بعضهم خيل وبغل ، كنت ودعتهم صباح اليوم لذهبوا عنى الى حال سييلهم ، لان حالهم لا يعجبنى ، فقلت (بيدى لا بيد عمرو) فاذا بهم راحوا الى دار الشيخ احمد ، فأخبرت بأن الاعراب يتوون أن يفتكوا بهم . ويذهبوا بما معهم ، فأرسلت اليهم حتى جاءونى ، فخاصمتهم على أن لم يذهبوا ليرجعوا الى اهليهم ، فاعتلروا ، فأمرتهم بأن يتعدوا فى الحين قبل أن يدهمهم الاعراب ، ثم قلت للشيخ احمد بن عبد الله : أن الهيبة قد غادر (أسارسيف) وقد رحلنا كلنا . فان أردت أن تمكث ورائنا فلك ما تريد ، وان أردت الذهاب معنا فما انذا أفق حتى تخرج أولادك وما خف

من متاعك ، فقال : كيف أبقى بعدكم وقد عادت تشيرين من اجلكم ، فذهب معنا ، فنزلنا في (اِدازن) فكان الهيبة في دار اخلاها له المرابطون ، ونحن في (المدرسة) ثم جاءنا سيد يسمى سيدى محمد بن عبد الله اللبني الرجل الشهير ، المرجو لكل خير ، فانا بتين يابس، وهندية يابسة : ولوز وزبيب فوجدنا بركة ما انا به ، فصرنا نقفوت به اياما ، وليس معنا سواه، ونحن نعتقد في هذا السيد كل صلاح . وهو حقيقة رجل صالح كما اظهرته لنا الايام بعد ، وجاءنا أيضا سيدى الحاج عبد فانا ببقرة مسلوخة وبشعير ، وبخيز وادام ، وتل ما قدر عليه . فكان ذلك مؤونتنا فبات مع الهيبة الى ان ابهار الليل ، فأعلمه ان هذا المكان ليس له بمستقر فذكر له (نيمكتر) فذلك هو السبب حتى انتقل الهيبة اليها . وهو قرية ذات ماء كثير جار ، وهي في وسط الجبال ، ويشتغل اهل تلك الناحية بالدباغة ، قال : ثم بقيت انا في (اِدازن) بعد الهيبة ، فكاد البق يهلكنا في المدرسة ، فاكترت دارا من عند الحسين من آل (بارى) وهي دار كبيرة فيها ابراج ، من الديار التي تحصن للدفاع ، واما عيالي فانهم عند سيدى الحاج عبد ارسلتهم معه .

ثم صار الهشتوكيون يغيرون على اهل (ايكوتكا) وعلى اهل (تيرست) فيذهبون بما نمتهم ، فأتى رئيسهم : ابو بكر بن جدى الى الهيبة ، فاشتكى عليه ما يلاقونه من الهشتوكيين ، فأرسل الى لازل مع هذا الرئيس لادافع عنه وعن اهله اولئك المغيرين . فقلت للرئيس : اتنى في القعد لاذهب معك ، فذهبت في اصحابي معه . فنزلت في قرية (تاويرت وياها) ثم صرت أزحف الى الهشتوتيين بالسرايا ، ففرقتهم جماعات ، فجعلت لكل فرقة من حملة القلوم رئيسا . ومنهم عبد من عبيدى العفاريت ، فصرت ابعثهم الى ديار المنصرين - أى الذين يميلون الى حكومتهم ، وهم الذين يسمون فى الاندلس (المدجنين) - فتقف هذه الجماعة والناس نيام امام احدى النور ، فيضرب القفل بالقدم فينكسر ، ثم ندهم الدار بالرصاص ، فيساق كل ما فيها ، فيرفع احد المداهمن للدار الضوء من أعلاها ليراه المراقبون من رجال السرايا، فيقبلون وينقضون على كل من تسول له نفسه ان يغيث اهل الدار ، كل ذلك بنظام واحكام ، ثم يبكر الفرسان تحت امارة عبد السلام التاغماوى الحاحي ، فينقضون أيضا على السائفة التي تخرج الى المرعى ، وهكذا ضيقنا على الهشتوكيين ليلا ونهارا ، حتى فتحنا ارض الهشتوكيين أيضا واحتلناها مراغمة ، ونزلت فى أبى يكر ، فصرت افرض الاعشار والمغارم وكل ما اريد على الفخاذ القبيلة ، واسرب من ذلك الى الهيبة ومن معه ، وقد عرفت انهم لا ينصحون الا بالضغط ، فكنت اعرتهم عمدا ، وما قصدى الا أن اجعلهم عبرة لما يصيب من يقدرون ، فقد غدرونا أمس القريب ، فيجب أن يروا مقبة الغدر ، وقد كنت الاطف من رجع اليهم من الرؤساء ، فافتح لهم الباب أيضا

في اخوانهم . هكذا حال معهم ما شاء الله . وهذا هو شغلنا معهم في هذه الفترة ، حتى لاقوا منا عرق القربة . فاستغاثوا بحيلة ايضا . فزحفوا الى ارض هشتوكة ، قال فصرنا نحارب به محاربة جديدة في المحلين المسميين : (ابي مقثورن) و (ابي مزين) في قبيلة (ايكوتكا) فتعددت المحاربات ، وكان اعوانى واصحابى من الفرسان الاخصاء الذين على مؤتى الخاصة يصلون الى ستين ، واما المشاة الذين تكون منهم الجيش ، فمن القبائل ، من المزاليين والوالياضيين ، والوادريميين ، ومن اليهم . فقام اذ ذاك البعمرانيون والصحراويون ، فزحفوا ايضا الى (اكلو) والى قبائل (ازغار) وذلك يوم عزل ابن دحان ، فخلفه القائد عبد الرحمن الحاحي ، المسمى : حاديمان ، وكان مستضعفا ، وليس في سلاح ابن دحان ولا في صرامته العسكرية ، فجاء من طريق (اكادير) الى (كسيمة) عند القائد ولد الحاج اخسن ، وقد ورد على نحو مائة اعرابي على نياقتهم جاءوا للجهاد ، فبضتهم الى الهيبة ، فصرت اتعاون معهم ، ثم نزلنا على هشتوكة ، وقد كنت اعنقت اخا مولاي احمد من آل الشريف قبل اليوم ، فكان ذلك هو السبب حتى خرج مولاي احمد عن الطاعة ، (هذا ، وقد سألته عن قتل العفيه محمد اعبو) فقال :

ان سبب قتله هو انه تان هو السبب في ورود حيدة - كما تقدم ذكره - الى هشتوكة لكونه اتصل به أولا ، ثم صار يكتابه في كل مناسبة ويستغذنه قال وقد كنت دافعت عن قتله ما شاء الله ، ولكن الهشتوكيين يحرقون عليه الارم دائما ، لاسيما رؤساءهم ، لكونه يجاذبهم الحبال في رياستهم ، ويتعالى عليهم قال : وكان الذي تولى قتله : هم اعوانى من غير اذنى وحيننا - قال : انى لا استحضر هل اذنت لهم او لا ، لان امر امثاله اذ ذاك قريب ، لا اتاتم من قتله .

قال : كنت نزلت حيننا في (مدرسة سيدى ابي اسحق) في قبيلة (اداكران) حين فارقنا (ابي يكران) فبقيت هناك ما شاء الله ، ثم الى (تاو ريرت اياها) وهى كدية مشرفة ، عليها قرية ، بين (ابي مقثورن) و (ابي مزين) فكم حرب هناك قاسيناها مع حيدة ، ثم ان حيدة صار يتسار مع متشيطن من اهل بلاد (تاو اعلات) في (ايلان) يسمى ابن محمد - فتحا - فأخذ منه مالا ، فاذا به قد اطلع حيدة من (توغاش) فسار حتى جاء ورائنا ، فلما رأيت ما وقع لنا ، ارسلت امامى شيوخا مسنين معنا عنى بغالهم . لينجوا بانفسهم ثم انهزم من معى . وكان هناك فرسان بعمرانيون ما اتى بهم الى الا جهاد في سبيل الله ، فانهزموا ، وقد كان معى مشاة هم الباقون معى ، فاطلت على الرايات من جيش حيدة ، فنزلت الى واد مع اولئك المشاة ، فلما تبين لى الفرسان من العدو ، ارسلنا عليهم شوؤوبا من الرصاص ، فسقط كثيرون بينهم ثلاثة من رافعى الاعلام ، ثم حاذيت الوادى الى ان طلعت

تنية ، فلم يملكوا الا ان يضربونا من بعيد ، وقد نجوت منهم ، فرجعنا حتى وصلنا (تيمكتر) وقد كان الوزير يرعى دخل قبل مجيئى على الهيبة فقال له : ماذا تنتظر بنا ؟ فان الناجم قد اتصل الآن بحيدة ، وقد قيل انه صالحه ، فذهبت ريجه معه ، فهل تنتظر حتى يقودك اليه بجبل من عنقك ؟ فوصلنى خبر ما قيل ، وأن الهيبة سيقوض خيامه ، فأتيت بسرعة ، فقلت له ما هذا الرحيل باستعجال ، والعدو بعيد ، لا يصلنا لا اليوم ولا الغد ؟ فالواجبان نعلن لهذه القبائل بالطلقتين المتصلين من بندقتين ، (وهى عادة علامة شر مستطير قد دهم) فاذا بها تجتمع ، ولكن الهيبة ، لم يطب له الا ان ينجو برأس طهرة وجام ، فبعثت معه كل اصحابى وما عندى من المتاع ، ليزول ما وقع فى نفسه من كلام يرعى ، فاستأذنته لارى ما وقع للبعمرانيين المنهزمين ، لاقوم بالواجب نحوهم ، كاصدقاء الشدة والرخاء ، ثم أرسلت الى الشيخ احمد بن عبد الله العيسوى المتقدم ، فاعلمته بما نحن فيه من الارتحال ، ليكون على أهبة للارتحال ، وليكون على بصيرة من أمره ليديره كيف يشاء . (القول : اظن أن هذه الاخبار من الحاكي عن حروب هشتوكة فيها تشمويش في الترتيب أو وقع فيها ايجاز دخل) .

فى تَمَّاشْتْ° بعقيلة

قال : ثم وجدت من اصحابى جرحى ، فتنبتهم وهم منبطحون هنا وهناك حتى جمعتهم ، فذهبت بهم الى دار الفقيه سيدى الحاج عبد ، حيث بتنا ثلاثة أيام ، فورد علينا الرئيس الشيخ على بن ابراهيم الوالياضى بنفسه،ومعه ثلاث بغال من الشعير ، وهو كريم معروف - فليثق الله سائله - وقد كان الرئيس محمد بن الحسن من قبيلة علال الهشتوكى جلا عن داره معنا ، فذهب فى رفقنا الآن ، فسافرنا فى وقت انهمرت فيه علينا الامطار ، وطفحت تحتنا السيول ، فكنا فى مشقة فادحة ، فتعرض لنا رئيس قبيلة (تيوآزوى) من (ايت صواب) فطلب منا ان نبيت عنده ، فايينا لاننا كنا نسمع عنه من سوء العقيدة ما لا يسر ، فاسرنا نخوض فى الظلمة والبرد والامطار ، نقع ونقوم فى الاحوال ، حتى وصلنا الى (امديون) فنزلنا عند سى أحمد الرئيس هناك ، ووصلناه ليلا ، فادخلنا واكرمنا حتى انتعشت قوانا بالطعام والشراب السخنين،وهناك وجدنا بعض عيال الهيبة،وفهم صبيان صغيران كما ولدنا، كان اودع امهاتهما قبل اليوم هناك ، فيرسل اليهم دائما المؤونة ، فارسلت الى اولئك النساء زوجتى بهدية ، تسكين لروعتهن ، وطمائة ، فطلبن أن اذهب بهن معى الى الهيبة ، فاعتذرت بان لا مركوب عندى احملهن عليه ، ثم وعدتهن باننى ساحض الهيبة ان يرسل اليهن بمجرد وصولى من يردهن اليه . وهناك جاء ابنا ايضا السيد محمد اللبئى المتبرك به ، وما جاء به الا

ليتفقنا ايماناً منه وغيره ، فصاحبنا بطلب منا ، تيمنا بطلعته الميمونة ،
 فرآنا اهل (تاكوشنت) الصوابيون ، فنزلوا الينا وهم نحو مائة ، فطلبوا
 منا ان نبيت عندهم ، فاعتدلنا ، فدعا لهم السيد المذكور ؛ فرحنا الى
 (تكارف) ثم الى (تاسيلا) من ايت حامد ، ثم الى (اكئي مشغاو) فطلب
 مني الشيخ أحمد بن عبد الله العيسوي الهشتوكي الذي يسير في رفقتنا ان
 «اذن له ليذهب بعياله الى سيدي محمد الاكترضي الازاريفي ، فأذنت له ،
 فذهبت أنا قدما حتى نزلت في (تاماشنته) حيث سبقني اليه الهيبة ،
 فاكتريت دويرة من عند من اسمه أحمد هناك ، فاكنتني أنا والعمال ، وبقيت
 الخيل خارجا . واستقر اصحابي في بيوت السوق ، وقد كنا عرفنا ان
 السوق تقام هناك يوم الاحد فجاء العلامة الفقيه سيدي عبد العزيز الادوزي الى
 الهيبة ، فرحب به وواساه . كما جاء أيضا الشيخ أحمد الامازري الرئيس
 المشهور ، الذي كان كراس الجمهورية الوليتية في الحروب التي تقدمت بين
 ولتية والباحين الذين كان يقدمهم القائد سعيد الكيكتولي اولا ، ثم القائد
 محمد أنفلوس ثانيا ، وقد قال الفقيه للهيبة ، وقد سبق الى الدخول اليه : ان
 القبيلة ومعها الشيخ أحمد سيدخلون اليك الآن ، وسيقدمون اليك هديتهم ،
 ولا مقصود عندهم الا ان يعلموك ان هذا المكان غير لائق بنزولك ، لان اصحابك
 نزلوا في دكاكين السوق التي يكون فيها التجار يوم السوق ، فلا يمكن ان
 يقبل التجار ان تنزع منهم دكاكينهم التي منها معاشهم ، فدخلت عليه
 القبيلة فاهدت هديتها ، ثم قدمت اليه مطلوبا فلباه الهيبة ، وان كان لم
 يلبه بطيب نفسه ، لانه يعد ذلك كإذار من البعقلين بانهم لا يرجون به
 في بلادهم ، ثم خرج الهيبة من المسجد الذي كان احتله بعياله هو وعمال من
 اليه ، فمر بقبة على صالح هناك ، فدخلها هنيئة ، ثم تناول حصيات فقرا
 عليها ما قرا ، ثم نثرها حواليه في ذلك المكان كأنما قرأ عليها أسماء
 التحصين ، ثم خرج من القبة فسبقه القائد سعيد بن أحمد حتى انزله أخيرا
 في داره بكردوس ، وقد أثاره ما فعله الشيخ أحمد بضيفه ، فأحس بكرامته
 مجروحة - وقد كان القائد سعيد هذا من القواد الحسينيين ، ثم صار منذ ان
 بويح الهيبة قائد المشور عنده منذ لاقاه في (تزيت) فوفى له الى ان فرق
 الموت بينهما - قال : فأمرني الهيبة ان أبقى أنا هنا في (تاماشنت) صابرا
 على ضيق المكان ، ثم لم يلبث الهيبة ذلك النهار الا في (! قلاتن) ومن
 هناك الى (كردوس) قال فبقيت هناك ما شاء الله ، أزجي الايام ؛ والبلد فقر
 وفي اهله كرازة والاريجية مفقودة ، حتى الامان لامثالي قلما يوجد ، ثم
 سرى الى الخبر بأن رجلا يسمى ابن أبي ميكدي، صهر الشيخ أحمد الامازري،
 صار يتصل بمن في (تزيت) ليفتك بي غدرا ، ومعها في ذلك فاتك آخر
 يسمى موسى الايفشتاني البعقلي ، وآخرون يسمون : آل أبي مهدى ، صار

هؤلاء فيما يصلنى يتداولون بينهم ما يتداولون سرا ، وقد دخل فيهم اخو
 زوجة احمد الذى اكرى لى دار سكنى، وهكذا صارت الافامى تتناول اعناقها
 من كل جانب الى ، فامعنت نظرى حتى احكمت السياسة ، قال فاردت ان
 اطيل الحبل معهم ، فاستدعيت احد آل أبى مهدى ، فطلبت منه ان ينظر لى
 وسطهم دارا اشترىها للسكنى ، وهسكنهم غير بعيد من (تاماشنت)
 فاشترى لى دارا بينهم ، ثم امرته ، وقد اظهرت له الصعبة والاعتماد عليه
 بالبناء فيها ، فاستمر فيها البناء ، فصرت ازيدهم ، ولا يبنى لى الا آل أبى
 مهدى أنفسهم - بالاجرة العامة ، وقد عرفت غدارا منهم ، وهو الذى فى
 يده كبر امرهم ، فاعطيه أكثر فى الاجرة ، عملا بالخديث (انا لنبش فى اوجه
 قوم وقلوبنا تلعنهم) .

ارض العلو بظاهر متصنع ان كنت مضطرا الى استرضائه
 كم من بفيض كاشح ارضيته وجوانحى تنقد من بفضائه
 فقالوا فيما بينهم ، لا ينبغي ان نستعجل بالفتك بهذا حتى نستنزف ماله ،
 ويسكن عندنا ، ثم ان قتلناه نذهب بكل ما معه من الاموال ، قال فاستدعيت
 الحاج مسعودا من قرية (ميرة) وكان رجلا يميل الى الخير ، ذاكرة تظهر
 عليه امارات اهل الخير ، متدينا محافظا على صلاته وعلى اذكاره ، مصاحبا لكل من
 فيه رائحة الدين والارشاد ، غيورا على الاسلام واهله ، فافضيت اليه بكل ما
 يحاك حولى من الدسائس ما بين آل تزيت ، وبين الفتاك من بعيلة فتار
 ثائرة ، فقال : ان هؤلاء يجب ان لا يبغوا احيا ، ثم احسنت اليه بهدية
 واغريته بصاحبى المهود من اهل بومهدى ، فانهم على بان يبذل جهده ، وان
 يعمل الحيلة فى ازالته من طريقى التى هى طريق المسلمين اجمعين ، فجلس
 الحاج مسعود قريبا من ذلك النهار مع غريمى ذاك ، فتداولوا فى اناس يسمون
 (ادبوالشيخ) كان بقى عندهم مفرم من مفارم القبيلة : اربعة احمال من
 السكر . فارسلوا بها - الحاج مسعود وغريمى - اصحابهما لاختد المفرم من
 اولئك فانفردا معا ، فاذا بغريمى جاءه وراه من انقضوا عليه ، ففتكوا به
 فتكا بالرصاص . وذلك بايعاز من الحاج مسعود المستحل لدمه ، لكونه لصا
 ولكونه قتل كثيرين ، ولكونه يخامر على صيف المسلمين - يعنى الحاكم نفسه -
 وقد وافق ذلك اليوم موسم سيدى احمد بن موسى ، فارسلت جاريتين الى
 الموسم لايبعهما هناك ، قال : فبعث احدهما للقائد المدنى بتمنها ، والاخرى
 بالرخص لابى جمعة البوعشراوى ، زعم انه اشتراها لسيدى محمد الدرقاوى
 الالفى صاحبنا الذى كان مخلصا لنا - يعنى اخى انا القائم فى دارنا - قال :
 ذهبت انا بنفسى الى الموسم ، فنزلت عند شريف هناك ، فوصل الى رجل
 كان عنده لى دراهم ، ونحن فى (أبى بكر) فصار يعتذر لى عما فى يده ،
 فسامحته لوجه الله ، فورد على الرئيس احمد الايفشسانى ، وقد اهدى الى جلدتين

من النهر ، والقائد المدني ، والتشريف سيدي علي بن محمد التازاروالنسي ، فنزلوا عندي ، فتناولنا ما تيسر ، ثم ودعناهم كلهم ، الا سيدي عليا ، فاني بعدهم ودعته بفارس من عندي . فرجعت الى محل ب : (تاماشاست) فنادى اهل رسموكة وبعض بقبيلة باقامة سوق الاحد في (أنزى) لتخلو سوق الاحد التي في (تاماشاست) نكاية باهل تلك الناحية ، فتم مرادهم في ذلك ، وذلك كله من آراء الشيخ احمد الامازرى الخواص بين البعقلين ، ففي يوم جاء اخصاصيون بحب اركان لبيعوه في (أنزى) فنهجم آل ابي مهدي اللصوص المذكورون ، فقام الرسموكيون ومن اليهم ليدافعوا عن شرف سوقهم - على العادة في المحافظة على طرق الاسواق العامة التي يعتاد ان يسمود فيها الامن كل من ياتي او يذهب اليها - قال فكتبوا الى بان اعلمونني بانني منهم ايضا مع من كنت ساكنا معهم من اهل (تاماشاست) لانني لا ازال هناك ساكنا ، ولم اتحول قط الى الدار التي ما كنت بنيتها الحاجة في نفس يعقوب ، وقد قضى الله القرض في آل ابي مهدي ، فقضى غرضي من تلك الدار ، قال : لما ارسل الى الرسموكيون اردت ان اظهر الشهامة امامهم ، وقد عرفت ان مقصودهم ما يخلونه ، فعزمت على ان اتلافى القضية كما كنت آلف ، ولم ادر ان هؤلاء غير من اعهد ممن كنت اعاشرهم قبل ، فاشترت بقرة فذهبت بنفسي ، وسقت البقرة ، فقالوا لي : ان هؤلاء الذين فعلوا فعلتهم في طريق سوقنا لا بد ان يردوا ما سلبوا ، وان يؤدوا المغم المجهود في مثل هذا ، والا فالبارود بيننا وبينهم ، فقامت لادافع عن الغدارين آل ابي مهدي ، فدعمت (الوثائق) أي الرهون عنهم ، ليؤدوا ما عليهم ، فوضعت امام مجمع الرسموكين ومن معهم بندقيات اصحابي ، فرجعت الى الغدارين آل ابي مهدي ، بعد ما اديت للاخصاصيين ما ذهب عنهم من حب اركان ومن جمالهم ، فحاولت ان اتوصل من آل ابي مهدي بشيء فامتنعوا كل الامتناع ، ومن هنا يعرف من لا يعرف كيف حال اهل هذه البلاد ، فقد ذهبت لي اثنا عشرة بندقية في قضيتهم ، وهي التي قدمتها (وثائق) وهكذا من يدافع عن امثالهم الغدارين الكذابين . قال : ولم ار الخير هناك في ذلك الوقت الا من اهل (ادوز) فقد استدعاني الفقيه سيدي عبد العزيز مرارا ، وكذلك ابن عم له ، فرأيت منهم كل اكرام ومعرفة لمكانتي كهاجر في سبيل الله غريب عن اهله وماله ومكان جاهه ، وقد تخلى لي الفقيه عن حقلين كبيرين فانضين سنبلا ، لاحصدهما تحيل ، اوقفني عليهما بنفسه ، ولما رأته من هؤلاء السادة كنت نويت حين ان اتحول اليهم من (تاماشاست) والمسافة بين (ادوز) وبين (تاماشاست) قليلة جدا ، ثم انني حين رأيت من هؤلاء الجيران ما رأيت نويت ان افارق جوارهم :

(بجيرانها تغلو السديار وترخص)

فارسلت نسانى الى دار سيدى محمد الاكارضى الازاريفى وجميع مناعى الى الفقيه سيدى على بن عبد الله الانقى (اقول حدثنى الاديب سيدى الطاهر بن على أن مناع الناجم كان كثيرا متراكما فى بيت فى دارهم ما شاء الله بين اوان مختلفة صينيات وبراريد ومقاريج وخرنى متنوع ، ثم صار يسترد ذلك شيئا فشيئا وهو فى الاخصاص حتى ذهب به كله ، ولم تضع له منه قلامة ظفر) .

فى كردوس

قال : ثم تحولت انا واصحابى الى (كردوس) ثم ذهبت يوما الى (الخ) لاصل أهله الذين لهم صيت كبير هناك ، فدخلت سوق (ايت و فقا) التى ابتدأت اذ ذاك كسوق فقط ، فاشتريت ستة اكباش مسلوخة ، فارسلت ثلاثة الى الفقيه سيدى على بن عبد الله العلامة الشهم ، فبت ثلاثة أيام عنده ، وثلاثة الى سيدى محمد ابن الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى ، فبت عنده ليلة واحدة ، ثم اشتريت أربعة أخرى فارسلتها الى الرئيس احمد الايغشئانى ، فكننت عنده نحو خمسة أيام ، قال : وقد لفت نظرى منه حسن أدبه ، وهلاطفة حديثه ، قال : هكذا رجعت من (الخ) بكل تجلة واکرام ، وبهدايا جزونى بها عوض ما اهديته اليهم ، قال : كنت أعرف الفقيه سيدى على بن عبد الله قبل اليوم فى (تارودانت) وفى (اسارسيف) وفى (تمكتر) كان يرد على الهبة فى كل مناسبة مع الفقيه سيدى الطاهر بن محمد ، ثم تكرر الاتصال به كثيرا ، ولذلك اخترته واخترت (الخ) لاداع مناعى ، وكذلك كنت أعرف سيدى محمدا الدرقاوى فى (مراکش) وفى هذه الامكنة بسوس ، وقد كاز له مركز كبير مع هولاى احمد الهبة ، فجعله قائدا على (اداوزيكى) حينما من الدهر ، قال : ثم رجعت الى (كردوس) فاذا بالوزير يرعى طلبا أن يذهب الى (وادى نون) ليجمع الجيوش من هناك فيما قال : ثم ذهب لطيبته ، على أن مقصوده أن يتصل بالناس كما اتصل بهم ، وهو غيور غير سليم الطوية ، ثم بلغنا أن الجرارين طلوعوا الى (اغير ملتون) ، فتلاقوا هناك مع المجاطين ، فسلبهم هؤلاء خمسين فرسا ، فكادت تكون هناك معركة كبيرة . قال : فامرنى الهبة أن أتكلم مع الشيخ احمد الامازرى ، ليتوسط عند الجراريسن أن يتكفوا عن (اغير ملتون) على أن يتوسط الهبة عند المجاطين أن يردوا اليهم افراسهم ، فاننا نخاف أن تقوم حرب بين الفريقين ، وكلا الفريقين مسلم وامامنا جيش النصارى الذى هو عدو الجميع . ثم كتب لى بذلك رسالة الى الامازرى ، قال فدعيت انا والقائد سعيد بن أحمد ، والفقيه سيدى محمد بن عمرو والشيخ الجليل ، وسيدى خالد التاركنسينى ، وفقية اسمر بعقيل نسيت اسمه ، فنزلنا الى (تازار وائل) حيث مجمع (بعقيلة) اذ ذاك ، وهناك الامازرى ، وقد كان معنا الفقيه سيدى الطاهر بن محمد الافرانسى ،

فذهبت انا اولا الى الشيخ احمد الامازرى ، فاستدعيته وانفردت به ، فقلت له : هذه رسالة الهيبة اليك اقراها ، فقال اننى لا اقرا ، فاستدعينا سيدى الطاهر فقراها عليه ، فقال : اننى اقبل بشرط ان يذهب معى كل الاعيان من البعقلين على خيولهم ، ليشنوا ازرى ، ولئلا يجرى بعضهم فى احباط سعى . فرجعت الى اصحاب القائد سعيد ، وهم يضادون شيعة الامازرى ، فابى بعضهم ان يذهب معه قائلا : هل يريد الامازرى ان تكون فى موكبه ليزدان بنا ؟ فقلت له : ان هذا امر مولاي احمد الهيبة امير المسلمين لا امر الامازرى ، وانما تعود المنفعة على المسلمين كلهم ، وبعد اخذ ورد قبل الجميع ان يذهب معه ثمانون فارسا من جميع اعيان البعقلين ، وكان الشهر شهر رمضان ، والفصل شديد الحرارة ، فارسلت صاحبا لى الى (ايلبخ) ليشتري حملا من السكر ، وخمسة ارطال من الاتاي ، فيعطىها لسيدى على بن محمد يعسوب الاسرة الرئيسية للبيتوتة عنده ، ثم بت عنده فى العشية انا واصحابى فقط ، وعند الافطار من الصوم عند المغرب ، دخل اهل (تالوست) من (اغير مئولن) يستغيثون ويقولون : ان المجاطين دهموا علينا ، ينتهون ديارنا ، فنحن الآن معهم فى حرب ، ثم تبعهم اهل قرية (اكارض) كذلك ، وفى كلا المحليين اصهار لسيدى على ، فاراد ان تقوم لاغاثتهم فى الحين ، وقد فرح اذ صادفنى الصريخ عنده ليعتمد على وعلى اصحابى ، فقلت له : ان العقلاء لا يهاجمون اعداءهم ليلا حتى يعرفوا عن احوالهم كل شىء ، ونحن الآن نجعل كل شىء عن هؤلاء ، فالواجب ان نترصد حتى نترك ما وراء الاكمة ، ثم بعثنا مع هؤلاء الشاكين من معنا من المشاة ثم اكتروا على ملعين كل الاحاح ، والليل لا يزال حتى توجهنا انا وسيدى على الى قرية (تالوست) فتلاقينا مع الرحلين منها بيهانهم ومناعهم ، فامرهم سيدى على ان يذهبوا الى (ايلبخ) وقد صلينا الصبح فى ثنية بين (الروايس) و (تالوست) وقد لاقى الشيخ احمد الامازرى الذى كان عزم ان يذهب من مجمع (تازارواالت) الى (تالعينت) الجراية ، هذه الحادثة امامه فى الطريق ، فرجع ولم يتم بعد ما يراد من سفره ، قال ثم ذهبت انا وسيدى على الى قرية (اكارض) فاذا بالحاج ابراهيم البشيراني دخل علينا ، فقال لنا: الا تعرفون ان هذا المكان - يعنى اغير مئولن - لمجاط ، فقلنا له وانا الذى اتكلم : نحن ما جئنا لنجاذب الحبال حول هذا المكان ، ولتناقش لمن هو من الناس ، وانما جاء الصريخ الى سيدى على من عند اصهاره هنا فاصرخناهم لنعينهم على الرحيل باولادهم الى مامنهم ، ان لم يكن لهم الا الرحيل ، واما نحن واصحابنا فلم نذهب احدا ، ولا اضربنا باى مخلوق ، فاسأل تعرف الحقيقة ، ثم سال اهل القرية عنا ، فاخبروه اننا ما هجنا احدا ، ولا امرنا ولا نهينا منذ جئنا فاذا ذلك كف عن ملامته ، كانه استجيا منى . ثم سالهم

عن ضيافتهم لنا ، فعاتبهم على انهم فرطوا فينا ، حين لم يقوموا بواجب الضيافة ، ثم جاء القائد سعيد بن أحمد ، والمحفوظ الوجاني . والحاج مسعود الميرى البعقيلي - صاحبى الذى فتك بعدوى من اهل بومهدي - فوجوا علينا فى (كاراض) فاجتمع الناس فى (تينكز تيل) فكان احد الحاضرين فى مجمع الناس ، فلما رأنا المجاطيون لم يعجبهم مجيئنا اليهم نحن البعقيلين ، - وقد صرت انا رغما على انفى بعقيليا ، وبعد السلام معهم قال قائلهم : ماذا تريدون منا يا ايها البعقيليون ، فهذه بلادنا ، فان اردتم ان تفتحوا حربا مع الازغاريين فان عندكم بلادكم فافتحوها فى تخومها بينكم وبينهم . فقلت لاصحابى البعقيلين : قوموا بنا فقد صلح لكم هؤلاء ، ولكن المحادثة استمرت ، فتلام الشقاق بين الفريقين حتى تلاحم الراى ، ثم اتفقوا بعد ذلك أن يتلاقوا على الجراردين لينهبوا (تالعيننت) التى سبق اهلها فاغاروا على (اغير مئولون) الذى يحسب من مجاط ، ولكن ياتى البعقيليون من (وجان) والمجاطيون من جهتهم هذه ، فذهبنا - انا واصحابى فقط وقليلين من غيرنا حتى اشرفنا على قرى الجراردين ، فوقفت أسأل عن اسماء القرى المتقاربة من الجراردين ، فسموها لى قرية قريبة ، فقلت لهم اننا منذ الآن جيش حسن لا يوتى مثله امام امثال هؤلاء من قلة ، ولماذا نذهب اولاً الى (وجان) ثم نأتى منه ، ثم امرت الفرسان من اصحابى ان يندلقوا الى الامام، لتغير على الجراردين فى الحين ، فاندفع كل من معنا ، فوصلنا (دوار ابن الفصيل) فوجدنا فيه نحو مائتى فارس من الجراردين ، فولوا عن القرية من غير محاربة ، فاحتلناه ولكنى امرت من معنا ان لا ينهبوا ، وان لا يمساوا الا ما يحتاج اليه من القوت وعلف الخيل ، فاذا باهل (ادغ) اتوا بديحة الجراردين الينا لنتكف عن النهب والقتل ، يقدمهم (ام اسليو) فكان ذلك سبب ان قنله عياد بعد ذهابنا (مع أنه ما فعل الا ما ينفع القبيلة) قال فقلت له انا لا يدبج على ، والذى له الحق فى ذلك هو فى (كردوس) اعنى الهية ، وبعد اربعة ايام وصلنا اربعة فرسان مجاطيين ، وما هم الا مقدمة لكل المجاطيين الذين صاروا يطلون من ثنايا تلك الجبال ، فسألونا من بعيد من نحن ؟ فنقول لهم : هؤلاء الذين طردتموهم من بينكم يوم ذلك الجمع ، ثم نزل المجاطيون كلهم الينا ، فمروا بنا حتى نزلوا فى (ايدنغ) وقد صاحبهم البعقيليون الذين كان بعضهم معى ، وقد كان معهم القائد مبارك البنيرانى ، وسيدى على بن محمد التازاروانتى ، قال : ثم طرقتنا خبر اقبال حيدة فى مجيئه الاول الى تلك الناحية ، ثم اتصل المجاطيون والقائد مبارك البنيرانى ، واصحابه بالقائد عياد ، فاعطاهم مالا ليتفرقوا عنه ، ثم لما سمعوا بان حيدة نزل فى (ايزويشكا) على وادى (ماسة) صار المجاطيون يفرون من (أزغار) كالارانب الى بلادهم ، وفى عشية اليوم

الذي ذهب فيه المجاطيون جاء القائد مبارك ، وسيدى على بن محمد ، حسي
وقفا امام الدار التي نزلت فيها وقد كنت نانما ، فاكتر القائد مبارك الثروة
قانلا : ان قواد القرب لا يزالون نائمين الى الضحى ، فخرجت فاذا هما مع
القائد سعيد ابن احمد الكردوسى الذي كان ذاعبا معهم الى (اِدْغ) ثم قال
القائد مبارك : ان هذا هو وقت موسم سيدى احمد بن موسى ، وهو مشترى
كل ما تتوقف عليه فى السنة كلها ، وهذا سيدى على بن محمد كذلك ينزل
عليه اضياف الموسم . فقلت لهم : كنت احسبكم مجاهدين ، فاذا بكم تطلون
ما طاب لكم الاطلاع ثم تولون ما طابت لكم التولية ، ولكننى انا غيركم ، فاننى
ما اتيت الى هذه البلاد الا بقصد الجهاد فى التصارى ومن يلف لفهم ، كيفما
كان الحال . اقول لهم ذلك بكل انفة وهم صم كأنهم لا يسمعون ، فذهبوا عنى ،
ثم جاءنى رسولان من عند القائد المدنى ، فقلت له : ان المجاطين ذهبوا ،
وان حيدة قد اقبل ويجب عليك ان تنظر لنفسك ، فتزول حيث تقدر ان تقف
امام زحف حيدة موقف الرجال ، وقد كان المدنى نازلا تحت (ميراثت)
وهه يرعى الذى كان ذاعبا الى تلك الجهة . كما تقدم - قال : ثم جاء الى
اهل (ايدغ) مع عشرة اجمال من الشعير ، واثنى عشر كبشا ، واربع اجمال
من السكر ، فقالوا : اعذرنا من التقصير ، فان الجرايين ليشكرون لك انك
ما افسست ولا نهبت أنت ولا كل من معك شيئا من الاشجار ولا من المتاع
ولا من السائمة ، ولا نهبت من جهتك اية قرية ، فقلت لهم اخلف الله عليكم ،
وجعل لكم البركة ، وما نحن الا مسلمون ، قال : وبينما هؤلاء يقولون
ذلك ، اذا ببعقيل عليه تلك السلهامة الجبلية القصيرة المخططة يشير الى
اشارة خاصة ، ثم دعوته الى خلا ، فقال لى : ان محمد بن عبد السلام الباسل
المقدم الخليفة الجرارى قد دخل الى (اِدْغ) فى خمسمائة فارس ، وكانى به
قد دهك الآن . وما مجى هؤلاء الا حيلة ليشغلوك حتى ينقض عليك اولئك
. وانت الى الآن لا تزال جالسا تنتظر الغداء ، فقمتم فى الحين ، وقلت للقائد
سعيد بن احمد : قم بنا لنذهب ، فقال : ان فرسى وسراويل ومتاعى لا تزال
فى دار (بايدغ) حيث كنت نازلا ، فقلت له اسرع الآن ، فاننا ذاهبون قبل
ان يدهمنا من يريد الفتك بنا جميعا . فاهرت بحمل ما اتى به الايدغيون ذرا
للمراد فى الاعمين - فقدم امامى ، ثم اسرجنا خيلنا ، فقمنا متوجهين الى
(وجان) ، فبتنا نحن هناك فى قرية والقائد سعيد بات فى (تادارت) وقد
بات تلك الليلة حيدة فى (العدر) وقد ورد على سيدى على بن محمد التازارواتى
فى (وجان) فطلب منى ان اذهب معه ، لتكون معا فى (اغير ملولن) وما
ذلك الا لكونه يدري اننى لا ازال اذافع عنه ما دمت حيا ، فقلت : ألم تسمع
ما قاله لى المجاطيون ذلك النهار ؟ على انك انت تركتنى بسورك فى الامسر
القريب فى (ايت جراد) منفردا ، وكيف يعتمد الانسان على من لا يفى فى

مصاحبه في حالة السدة ؟ ثم الح على سيدى على بوساطة الشيخ النعمة في
ان اذهب معه ، فاسلست له فيما طلبه ، وقد دلف الناس كلهم بالجيوش من
قبائل كل ناحية لمحاربة حيدة ، فربط انعقليون في (وجان) والمجايطون في
(تيكمتى اوفلا) قرب (اغير ملولن) وقد سبقت انا وسيدى على الى
ذلك المحل باصحابي واصحابه ، وليست معنا مؤونة ، الا انا نقبض الدجاج
الذى تركه الناس الراحلون عن ديارهم مجتلين امام حيدة ، وقد كان الجنوب
كله ههنا بزحفه ، فارتجفت الافئدة منه ارتجافا شديدا ، فارتحل كل من
يقرب من الاطراف التى يمكن ان يقتحمها حيدة . ثم اجتمعت جيوش (مجاط)
و (اد ابراهيم) ذات الينا حتى رابطت معنا هناك ، وقد وصل حيدة
(تزيت) فذهب اليه عياد الجرارى ، ثم خرج امامه يعجر الشوك والمدر
فتزل في (ايغير نبونعمان) نطلع في تلعة (بوخانور) وقد كان المدني
والاخصاصيون والزفاطيون ، والقائد يرعى مع جيشهم الكبير نازلين في
(ايت همئان) من قبيلة (ايت برايم) فلما طلع حيدة نعطى مع هؤلاء
طلقات غير كثيرة ، فانسحب القائد المدني والقائد يرعى ومن معهما ، فسر
المدني باخوانه (ايت بوياسين) ، فقال لهم : اننى قد ذهبت ، ولا اريد
ملاقة هذا الانسان ، وقد كان المدني كما عرف عنه جبانا رعديدا - فادفعوا
انتم عن اهليكم ، وهكذا تركهم قائدهم ادم العلو وجها لوجه ، مع انهم
يعتمدون عليه ، وقد كان الواجب ان يدافع عنهم ، ولكن الخوف خامره ، حتى
انه هم ان يفر الى الصحراء لو تقدم حيدة الى (بوزاكارن) ، ثم ذهب حيدة
وبين يديه الجرارى ، حتى نزل في (افرض) (بايت عيلا البعمرانيين) ،
فجاء اليه البعمرانيون ، فهادنوه وصالحوه ، وما ذلك الا بوساطة المال الذى
دفعه لهم على يد الجرارى ، وقد قال البعمرانيون اذ ذاك حيدة اننا نحن في
طاعة المخزن ، وانما الذى يكره المخزن هو القائد المدني وحده في هذه البلاد .
يعرشون حيدة بذلك على المدني ، ولكن الله عصمه منه ، ثم اتصل حيدة ايضا
ب(ايت بوياسين) ، لانهم اقتنوا بالبعمرانيين فسالموه ، واعطاهم الامان ، ثم
ذهب حتى نزل في (ايت بييفولن) ب : (اد حيتوف) وهناك دار للقائد
المدني ، وقد كان في امكانه ان يهدمها ولكنه تركها . وهناك اتصل الجرارى
بمبارك ابي الطعام الرخاوى ، وقد كانت بينهما مصاحبة زيادة عن الجوار ،
فجاء الى حيدة فصالحه عن قبيلة (ايت رخا) ثم توسط زيادة على ذلك في امر
المدني ، فقدم نيابة عنه حيدة هدية من عنده ، وكذلك فعل عن كل المجاطيين ،
فعل ابو الطعام كل ذلك اقتيانا من غير مشاورة لاحد من اهله ومقصوده ان
يرجع حيدة بلا حرب عن تلك الجهة . فتم له كل ما اراد ، قال : ونحن اذ ذاك
لا نزال في مقرنا : (تكتمتى اوفلا) فاستدعيت الفقيهين المجاهدين اللدين
لهما ما لهما في التأثير في الناس : سيدى على بن عبد الله الالفى ، وسيدى

الظاهر الاقراني ، ثم استدعيت معهما يحيى بن بلا الموسوي المجاطي وعبدا
نرأسي الموسوي المجاطي ، فقلت للجميع : أريد منكم ان تذهبوا الى مبارك
أبي الطعام الذي سعى من عند نفسه حتى اطاها جمرة حيدة بمسالته ، فلم
يكتو احد بها ، تقولون له : نحب منك كذلك ان تسعى فسي أمر الشيخ
النعمة النازل في (وجان)، عند حيدة، حتى لا تدركه يده، فان عندنا الخبر بان
من مقاصد حيدة ان يميل الى (وجان) لكيقود من هناك الشيخ النعمة الى
النصاري ، فذهب الجميع الى مبارك ، فقالوا له عنى ذلك ، فقال لهم : قولوا
لذلك العبد ، يذهب لخال سبيله ان اراد ، فان بلادنا لا تطيق الحروب التي
يجرها هو وأمثاله علينا ، فانتى لا أتكلم عن الاعراب ، وهم الذين فعلوا بنا
ما فعلوا ، وبسببهم توالى علينا هذه التكبكات التي كنا قبل منها في مناط
الثريا ، على ان الذي يمكن له أن يتكلم عن البعقلين وعن كل من نزل في
بلدهم هو الجراري ، فليرسل اليه بذلك ان شاء ، قال وقد كنت أرسلت
عينا مع هؤلاء فانابى بكل ما در هناك ، ثم لما رجع اولئك وسألتهم لم يفضوا
لى بكل ما قيل تادبا معى ، بل حرفوا الكلم عن مواضعه . ثم قالوا لى : ونحن
الآن ماذا نصنع ؟ فقلت لهم ان العيائل كما ترون تفرق لما سمعوا بالصاخة ،
والامر أمرتم ، فقالوا : وما يظهر لك انت ؟ فقلت لهم : ان الذى يظهر لى
ان اهل هذه الجهة لا يليعون لى ولا اليق لهم ، فسارحل عنهم الى (زيان)
لاجاهد مع محمد بن حمو الزيايى الذى يعدر قدر الرجل ، فانتى اسمع عنه
وعن بسالته وعن ايمانه وعن انفسه ما يتلج الصدر فى الجهاد ، فقال لى
سيدى الظاهر حتى انا فى ارتحالك هذا ان اقوم لك برفيق امين ، لا
تس مع الى ان تصل (اقه) عند المعلم الرسموكى، ومن هناك الى (بونعيلات)
ومن هناك يدا ليد الى ان تصل (زيان) وبينما نحن فى ذلك اذا بالقائد
مبارك البنيراني دهم علينا وهو يبكى بكاء التكل ، فقلت له ما يبكيك ؟
فقال أبكاني انقضاء الغيرة من المسلمين ، فقلت له : أنسييت ما فعلت انت
بنفسك بنا مرارا ؟ وآخرما فعلته بنا ما كان يوم تركنا فى (ايت جرار)
فانك بنفسك لا غيرة لك ، ثم التفت الى الفقيهين الحاضرين ، فقلت لهما
مشيرا للاية : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار ، ومن يولهم يومئذ ذبوره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد
بأ بغضب من الله » فنحن الآن ما هذا الذى وقع لنا بعد ؟ حتى نضمحل
ونلوب بهذه السرعة ، ثم قلت لهم يا هؤلاء، قوموا وانصروا الله ينصركم ،
ويثبت أقدامكم ، فصرت استحثهم - واستنهض همهم ، فقال الفقيه سيدي
على بن عبد الله : كيف العمل ؟ فقد رجع كل الناس الى ديارهم ، حتى لم
يبق معى الا ثلاثة من بنى عمومتى وخادمى . وقال سيدي الظاهر وانا ايضا
ليس معى الا أربعة عشر فارسا ، ثم قال القائد مبارك ، وكذلك انا : لم

يبق عندي الآن الا سبعة عشر فارسا ، وسبعة وعشرون من المشاة . كلهم
 بنو عمومتى الاقربون، ومعى حمل من القرطاس وحمل من البارود والرصاص، ثم
 تجاذبت معه الكلام استشير حميته ، حتى قال : اننى اسلك معك كل مسلك
 اقتحمته ، وهاك يدى على ذلك ، والقائد مبارك شجاع معروف . فهكذا
 ظهر تأثير كلامى . ثم قال الفقيهان سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر
 ان هؤلاء البنيرانيين فرسان الحروب ، وأسود الطعن والضرب ، لكننا نحن
 الطلبة كما ترى لم نعرف الحرب ولم نعرفنا، فماذا نجدى لك فى ميدان الحرب
 فقلت لهما : صليا بنا انتما فى كل وقت صلاتنا ، واتلوا علينا ما قال الله
 وقال الرسول لنا فذلكما هو جهادكما . فانتما توجهاننا وتشجعاننا . ونشيران
 حميتنا ، ثم لكم الفضل الكبير علينا دائما قال : وقد كان للفقيه سيدى على
 فى كل مجمع خطب نارية تصحبها منه عبارته المنهلة ، فيكون لكلامه فى
 القلوب وقع عظيم ، قال : فخرجت بعد هذه الندوة وقد جاش دمي ، فصرت
 انادى فى الحاضرين بأعلى صوتى : يا من سيموت فى سبيل الله ، من يعطى
 نفسه لله ، يا من يسد عينيه فى الدنيا ويفتحهما فى الجنة . فصرت اسمع من
 عرض الناس : ها أنذا ، ها أنذا ، حتى خلص الى خمسة وسبعون من الناس ،
 فقمنا من هناك - تكمى اوفلا - انا والقائد سعيد بن احمد الكردوسى ،
 والمحفوظ الوجانى . والقائد المهاجر الذى التحق بنا فى سوس : محمد بن
 الطاهر الرحمانى من اولاد سيدى البهلولى - كان هاجر من مراکش بعدنا
 مع خمسة وعشرين فارسا ، ثم صار هؤلاء يذهبون شيئا فشيئا منذ ورد الى
 (نارودانت) حتى لم يبق معه الا قليل ، ثم صار هذا القليل اثنين فقط ،
 ثم قتله احدهما بعد هذا الوقت فى (أندجا) بين (الاخصاص) وبين
 (ايت عبلا) البعمرانيين ، قال : ثم ذهبنا مع الجميع ، وقد سبقت يتبعنى
 هؤلاء ، هدى قد كان بقى على شفير الجبل المطل على بسيط اولاد جرار
 خمسمائة من المشاة المرابطين من المجاطين ، كانوا ربيثة لنا هناك منذ ايام ،
 وليس عندهم الخبر بما وقع فى الناس من التفرق بعد مصالحة مبارك أبى
 الطعام مع حيدة . قال : فحين اطلت عليهم ، تجاروا الى ، فسألونى عن
 الواقع ، فاخبرتهم بأن الناس قد تفرقوا ، وقالوا وانت الى اين تذهب ، فقلت
 لهم : اننى مع من يتبعنى الى (وجان) لندافع عن الشيخ النعمة ، لاننا
 سمعنا ان حيدة سيذهب اليوم الى هناك لياخذه اسيرا ليتقرب به الى النصارى
 فتشهد الناس بصوت واحد (اللهم صل عليك يا رسول الله) على العادة
 المعهودة فى المنادة بذلك كلما اجتمع الناس وعزموا على تنفيذ امر يذهبون اليه
 ثم التفتوا الى فراوا سوادا مقبلا يتبعنى ، فقالوا من هؤلاء ، فقلت لهم : هؤلاء
 الفقيه سيدى على بن عبد الله . والفقيه سيدى الطاهر بن محمد . والشريف
 سيدى على بن محمد التازاروالسى ، والقائد سعيد بن احمد الكردوسى، والقائد

مبارك البيراني، والقائد محمد بن الطاهر الرحمانى المهاجر ، وأما المحفوظ ،
 فقد كنت أرسلته عندما قمنا فذهب ليدافع عن داره بوجان - فثلجت صدور
 الجميع برؤية هؤلاء الاعيان ، فنادى المجاطون بلسان واحد ، يخاطبون القائد
 مبارك : انك اليوم حقيقة قائد مجاط الحق ، حين لم تفعل مثل ما فعل مبارك
 ابو الطعام الخائن ، ثم صاروا يسبون ابا الطعام ويحرفون اليه الازم ، ثم
 ندولنا في مجمع عقدناه هناك قلنا فيه اننا لا نريد ما يكون سببا لتفريق
 القلوب الآن . فلنسى ابا الطعام ولنصمد الى ما نريده في (وجان) ففريق
 الناس للبيات في القرى على العادة ، فبات القائد مبارك في (اكرض) من
 (اغير مثلون) وسيدى على بن محمد في داره بايلغ ، وسيدى على بن
 عبد الله ، وسيدى الطاهر في قرية (عين انطبة) والمجايطون الآخرون فرقمهم
 اهل قرى (تازاروالت) كل فرقة في قرية، قال فبت أنا في قرية (ايتجناكن)
 ونى الليل ناد ايضا المحفوظ الوجاني ينذرننا بنزول حيدة في سيدى موسى
 من (تاداينغت) ، وهو معبل الى (وجان) فعاتبته حين رجع وترك داره شاعرة .
 مع اننى كنت بعثته من الصباح الى داره ليحافظ عليها، ثم دفعته ايضا عنى مرعها
 فذهب ، ثم بكر حيدة الى (وجان) فاطلق المدافع فاهتزت بها تلك الجبال ،
 فقام الناس ، وامامهم الفقيه سيدى على بن عبد الله خطيبا يصرخ في الناس
 قونوا ايها المسلمون ، قوهوا ، فباب الجنة مفتوح، ورضى الله مسدول، فاعتنوا
 ما تغفر به الذنوب ، ويرتفع به شان الاسلام ، وتضمحل به كلمة الكفر ،
 فإى شراب يلد ام أى طعام يطيب ان استولى عليكم ايها المسلمون النصارى ،
 فالوت خير لكم من الحياة . الى أمثال هذه الكلمات التى تستفز الجبان ،
 ونسهنض الكسلان ، قال نأسرعت أنا واصحابى الفرسان ، فبمجرد ما
 اطللنا من ثنية على (وجان) صار حيدة يطلق علينا المدافع ، وقد وجدناه في
 مقدمة جيشه مع الجرارى وهو على بغلته . وقد تبجحوا ديار (وجان)
 فقات الحرب على ساق . فيقاوم بينها من كانوا يقربسون الى (وجان) من
 البعقلين ، قال ودعنا نحن الى قرية (اكادير) فصرنا ندافع الجرارى ومن
 معه ، وقد توجه القائد الحسين الديلدى الى محل الشيخ النعمة لياسره، فصار
 يضرب هو وذن معه ابواب دار الشيخ . فتكسر مصاريها بابا بابا ، ودون
 الشيخ سبعة ابواب . فلم يبق الا واحد ليلقى عليه القبض . وهو رضى الله
 عنه جالس لا يبالي ، لان للرجل من الايمان النوى بالله والاتكال عليه ما هو
 معروف عن كل آل دا، العينين ، فحين حرص القائد الحسين على اعتقاله وأبى
 أن يتراجع ، صمد اليه عثمان ابن عم للقائد موسى الوجاني . فأرسل اليه
 رصاصة صرخته فى الحين ، قال اهاكى : ففى تلك اللحظة ، وصلت أنا
 واصحابى هذا المكان ، فضربنا يميننا وشمالا حتى ابعدنا المهاجمين عن دار
 الشيخ النعمة . فوجدنا القائد الحسين كما ضرب فراياه مجندلا ، ولا يزال

عليه سلبه تسلبه اصحابنا دهرنا اوسك المهاجمين شر هزيمة ، نصرت اقطع رؤوس العنق حتى ملات بها ثلاثة جواق . صبغتها الى (تردوس) فعلتكن بمنتها معهم : اطعوا الظلمين من بناذكم : (تيماتارين) فينة بعد فينة في الطريق ، خصوصا فوق التنايا ، وامام القرى ، واعلنوا للناس ان حيدة مهزوم ، وان هذه رؤوس اصحابه ، فتناثر علينا الرسموكيون والبغفيليون بعد نصف النهار . نظهرت قوتنا ، فبذلك انكف العدو عن كل قرى (وجان) فانسحب حتى ابتعد عنها كثيرا بعد ما كان احتل غالبها ، فلما اجتمع الناس الواردين ومن كانوا هناك معنا في العشية ، خرج الشيخ النعمة اليهم . فراوه عيانا ، فدعا لكل الحاضرين وكان مرجو الدعاء الصالح رضى الله عنه فهو ياقوتة اهله . قال : ثم درقنا الحرس فى الليلة المقبلة على كل اطراف (وجان) لكل طرف فرقة ، فانزلت اصحابى فى (تامالوت) حيث دخل فى صباح اليوم العدو . ونزلت انا فى دار المحفوظ ، ونزل الفقيهان سيدى على ابن عبد الله وسيدى الطاهر فى ديار تسامت (تامالوت) والقائد مبارك فى دار عمر الكرتانى ، واما المشاة فانهم كلهم نازلون وراء السور (اضراس) الذى كان مبنيا فى عهد الكيلتولى لمدافته به .

هكذا قضى ذلك النهار مع ليلته ، قال ثم بلغنى بعد ذلك الحين ان حيدة حين عرف انى الذى توليت كبر ما وقع لجيشه فى وجان بعد ما نال ما نال فى (ايت عبلا) وفى (الاخصاص) من العز ورفعة الشان . حتى سألته كل من هناك، قال لهم: ان هذا العبد الاسود الذى لا يزال امام عينى فى كل محل ذهبت اليه ، لا بد ان اعركه اليوم عركة لن ينساها ابدا ، فصار يحلف ويتألى على زعم الفرزدق ان سيقتل ربعا ابشر بطول سلامة يا مربع وفى الصباح اندفعت فيالقه على (وجان) فاذا به قصد المحل الذى اعلمه جواسيسه باننى فيه ، - لان له جواسيس بيننا سماعين ، يعلمونه عنا بكل شىء فتلاقت دح المدققين على ، فضرب فرسى فسقط دونى ، فكان رصاصنا لا يخطى من معه لكترتهم ، ولكون مشاتنا المدافعين راسين وراء (اضراس) فالاعداء بارزون يهاجمون بكثرة والمدافعون مستترون وراء المناريس ، فكانت فيالقههم وفرسانهم فلما يبقون لحظة فى كل محل يقتحمونه باستماتتهم، لكثرة من يموت منهم . حتى انهم اقتحموا امكنة ثم ردوا منها ثلاث مرات ، وقد رجع جيشهم ايضا فى هذا اليوم الثانى فى العشى عن قرى (وجان) بعد ما ايسوا من احتلال اية قرية منه ، وهكذا دامت الحرب اربعة ايام متوالية، ونحن نزداد قوة واستقرارا وتمكنا فى متاريسنا يوما عن يوم . وهم يزدادون هلعا وضعفا وهلاكنا قال : لم يممت عندى انا من اصحابى الا خمسة ، وكذلك مات من القبائل جمعا، اناس هنا وهناك ، نحو مائتين ونبف ، واما موتى حيدة ومن معه فاكتر من مات . بل اكثر من الف - على ما قيل - فلما

أيس حيلة من نيل مقصوده فينا بعد ما بذل من المجهود ما بذل ، الفت الى القائد عياد فقال له : ما هكذا كنت تقول لى عن هذه الناحية ، فقد زعمت أن الناس كلهم قد عراهم الدهش من هذا الجيش اللجب ، فلا تكاد نظهر أمام (وجان) حتى ينفاد لنا من فيه . ويسلمون لنا (النعمة) . والآن اننا سنذهب وليس عندى الا الجيش المخزنى ، وقد هلك كثير منه فى يدى ، وأنا عنه مسؤول ، فاذهب انت واصنع لنفسك مع هؤلاء ما ظهر لك ، فانى مرتحل فى الحين غدا ، فطلب منه القائد عياد أن يمكث من أجله ولو يوما آخر ، حتى يسيح نفسه بسياج حصين لانه يخاف أن تزحف الى داره هذه القبائل بمجرد ما يرجع حيلة ، وينركه وحده ، وهو يوقن انه سيؤخذ باليد ، ان نزلت عليه هذه القبائل كلها . ومن أجل ذلك أراد أن يستوثق لنفسه ، فاجابه حيلة ، فأقام فى اليوم الخامس ، فأرسل الجرارى الى الحاج موح الاكاديرى الوجانى الملقب اشباركو الوجانى ، وصالح ابن مبارك العمري الوجانى ، والمحفوظ بن سى احمد هؤلاء كلهم كانوا لصوصا معروفين بالقدر ، ثم صلحت احوالهم فكانوا من الرؤساء الملحوظين ، فاتصل بهم ليلا خارج (وجان) فصالح معهم ، وانعموا له باخراج الناجم وغيره من المحاربين ، وتوصلوا عن ذلك بأموال ، قال : كان اصحابى اخبرونى بان أحد هؤلاء ، وهو الذى نزلت أنا والقائد سعيد بن احمد فى داره يدخل ويخرج ليلا لئلا نرى ، فادركت ما عسى أن يزاوله من القدر المعروف به قديما ، فأوصيت اصحابى أن يردوا اليه بالهم لئلا يفوتهم ما هو فيه ، وفى آخر الليلة الخامسة جا ، عندنا ونحن نائمون بعد رجوعه من عند الجرارى ، وقد لاقاه ليلا هو واصحابه المذكورون ، فأيقظنا فأعلمنا بان أهل وجان قد صالحوا عن بلدهم قال : فبادرته باستحسان ذلك ، ثم زدت على أن امرته أن لا يخالف الوجانيين ، فليكن معهم فيما أبرموه كلهم ، ثم فى الصباح افضيت الى الفقيهين سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر - وهما دائما من أهل اسرارنا - بما كان ، ثم بكر ، علينا أهل وجان ففقدوا مجتمعهم . وأرسلوا الينا يريدون ان يعلنوا أنهم صالحوا عن بلدهم ، وقد صادف ان جاء فى تلك اللحظة لاغاتنا الشيخ الوالى ابن الشيخ ماء العينين فى مائة صحراوى على نوقهم ، وفرسان بعمرانيون من أهل النية الحسنة فى الجهاد ، ومعهم القائد يرعى الذى كان ذاهبا الى تلك الجهة ، فتلقيت الشيخ الوالى خارج المجمع الذى ابتدا يتعقد فاعلمته بما كان ، وأمرت ان يذهب قدما حتى يقف على مجمع الوجانيين ثم يشكرهم على الدفاع الذى قاموا به عن أخيه الشيخ النعمة ، ثم يدعو معهم على عاداتهم فى الدعوات ، ثم يرجع ادراجه ولا ينزل ، بل يودعهم فيمضى فى طريقه ، ولا يزيد على ذلك ، ثم قلت له : انك ان نزلت فسيحاربك هؤلاء ، فنضطر نحن الى محاربتهم أيضا ، فنفسد على أخيك الساكن عندهم الشيخ النعمة ما هو فيه من

السكينة ، ففعل كل ما قلناه له ، فذهب هو ومن معه راجعين من (وجان) من غير ان ينزلوا فيه ، ثم قال يرعى اذهب بنا يا فلان فلا حياة لنا نحن المهاجرين هنا بعد اليوم ، فقد رايت ان الجميع صالح حيدة ، فباى عين ينظر اليانا نحن المهاجرين فى سبيل الاسلام بعد اليوم ، فالناس كلهم لا يحبون هنا الا الكفر واهله ، ومن يواليه ، حتى ان البعمرانيين الذين عاشرتهم فى هذه الايام لم احس منهم اى غيرة اسلامية ، فالكل طامع فى مال الكفار ان وجدوه . فقلت له : انى الان قد اعيتت وقد سهرت منذ ليلال ، فلا ارب لى الا فى النعاس ، وساخرج الان من وجان فاذهب حيث انا ، فان لم اجد الا ما فوق اكمة فاننى اميل اليها حتى اسريح ، فاذهب انت الان الى (ردوس) عند الهية ، وهذان الفقيهان سيدى على بن عبد الله وسيدى الطاهر ، سيدهبان دمك ليدلاك على الطريق ، فانهما حريصان على المرور بالهية ، وساتبعكم بعد ايام . فهكذا فارقتة ، ثم دخلت الى الشيخ النعمة ، فقلت له : انى سمعت عن البعمرانيين كذا وكذا ، وفى نيتى ان اذهب اليهم لارى ما يقال عنهم . اصحيح ام كذب ، فدعا لى فخرجت فبت فى (عين الطلبة) ثم فى (اتارض) من (اغير مائولن) ثم فى (ادالاربعاء) عند الفقير على من آل بوفوس ، ثم فى دارنا فى (اد جلول) عند ابناء عمى، وقد قدمت اصحابى من الفرسان والمشاة الى مشهد (سيدى على بن سعيد) حيث التحقت بهم فى الغد ، واجتمع على جميع الاعيان ، ثم طلبت منهم بعد ان يبيتوا اصحابى ان يفتروهم بكرة . وهم سبعون فارسا ومائة وثلاثون من المشاة . فارسلت من يشتري لى ثورين فى موسم (ايسك) واليوم يوم عمارة موسمه فقلت للرسول : بمجرد ما ترانى واقفا عند مشهد الشيخ ، اينسى باحد الثورين لاذبحه عليه ، ثم لما ذبحت الثور ذهبت الى دار يقال لها (دار حميدوش) تحت شجرة خروب امامها ، فحين مررت بفرسانى فاثارت الغبار سألت عجوز عنا فقيل لها من نحن . واننى الذى حاربت حيدة بعد ما هادنه الناس ، فزغردت فرحا بنا ، ثم جاء اصحاب الجرارى وهم ثلاثون فارسا ، بهال يثونه فى اعيان البعمرانيين لتفريق كلمتهم . قال فبمجرد ما راونى رجعوا وقد ايسوا بسببى من نجاحهم ، فاذا بالقائد المدنى دخل ايضا فى اصحابه وقبيلته وهم خمسمائة فارس ، ثم صار الناس يقولون علنا اين البعمرانيون الذين كانوا ذهبوا الى مجاهدتهم الناجم فى هشتوكه ، فها هو ذا طرده الفرنسيون حتى وصلهم هنا . قال فصار من يعرفنى يجرى ، الى، فياتى كل واحد بما فى طاقته ، فهذا قالبان من سكر ، وذلك ثلاثة ، وذلك اربعة كل واحد بما فى طاقته ، فذهب الاخصاصيون ، فاخبروا المدنى بمن ياتون الى جماعات جماعات ، فقال لهم : انه اخونا واخوكم ، فاذهبوا اليه بنا ايضا . فاشترى ثلاث احمال من سكر ، ففرقوها بينهم ، فى اذرعهم ،

هنا بأربعة . وهذا بخمسة ، فجاءوا يقدمهم المدنى الى . فقال : يا اخنا
الناجم : مرحبا بك فى ايت بعمران . توجد ازانى مربيه ربه هو وصاحبنا
معرونان يكونان معه : اسمعيل وماء العينين ، بعد محادثه فليته ، رجع
المدنى الى محله ، ودى العشية اتانى الرئيس للقبيلة وهو عابد من (ال :
تكرميس) من ايت بوبكر حيث هذا الموسم ، فقال لى ان القبيلة نرحب بك
فان هينتك فى دار القائد محمد ابن القائد ابراهيم بن سعيد الوجدارى وقد
مات القائدان معا اذ ذاك . فيينما انا جاسى اذا بشاب جلس امامى ، فصار
يبكى ، فسألته عن سبب بكائه . فقال : ان القبيلة اعلمنى ان تبنت عندى
اليوم ، ووعدت ان تعطينى ما ابينتك به ، ولكن لم تعطنى شيئا ، فقلت له
هل عندك تبين ؟ فقال نعم . فارسلت من اشترى ما يكفى لبياننا من اللحم
والادام والحضر والحبز والانى والشمع ، واما السكر فهو عندى كثير ، ثم
بات معنا مربيه ربه ، واخوه الشيخ الوالى فى اصحابهما ، وفى الصباح اجتمع
كل البعمرانيين تحت الشجرة التى تكلن العبيد يباعون تحتها فى كل موسم
من قديم ، فنسمى (شجرة العبيد) فالتام كل الناس ، فاموات الى احد
اصحابى ، فاتى بالثور الثانى ، فاقبلت به حتى اعويت الى ذبحه وسطه
قتنادى الرؤساء : لا تدبح ، لا تدبح ، فقام العامة يقولون : اننا لك بكل ما
تريد - لان الذبيحة هكذا لا تكون عادة الا على من اردت ان تخمى به لينصرك
فى مهمة ما - فقلت لهم انى اريد ان اقول لكم كلمة واحدة ، انكم تعلمون
اننى كنت فى مراکش ، فبجتم اتم ومن معكم من كل السوسيين بسيدنا
مولاي احمد الهيبة ، فتابعناكم عليه ، فتركنا كل اموالنا واهاليئنا فى نصرته .
فالآن الا نزالون على بيعته ام لا ؟ فصرخوا تلهم بلسان واحد : الله ينصر
مولاي احمد الهيبة ، يكررون ذلك . فقلت لهم : اننى سمعت جوابكم ، فاريد
منكم ان تعطونى الرهائن على ما تقولونه - ويسمون هذه الرهائن : بالوثائق
فقام احد الاصبائين ، فوضع امامى بندقية اهلية قديمة لا تساوى فتىلا ،
فيادر اليزيد اخو الشيخ سعيد الحمسى اليها فرهاها وراء المجتمع بكل غضب
استهانة بها ، ثم قلت لهم : ارونى وثائقكم الصحيحة ، فصارت البندقيات
الاوربية العالية التهينة تلقى امامنا من كل فخذ من افخاذ القبائل البعمرانية
ثم قالوا ماذا تريد منا بعد الوثائق ؟ فقلت اريد ان يجتمع الاعيان منكم فى
موسم سيدى احمد بن موسى ليذهبوا الى مولاي احمد الهيبة ، ليمثلوا امامه
فيؤدون الواجب ، فاجابوا كلهم بلسان واحد : سمعا وطاعة ، وعلى ذلك
تفرق الناس ، وفرح من فيهم الابيان ، وفرح من فى قلوبهم غل ، فبقيت مع
مربيه ربه ، والشيخ الوالى مع مائة صحراوى على نوقهم البجاويات هناك .
ثم ان القائد سى احمد نطالب ارسل الينا بعد ما ذهب لبيت كلنا فى
قبيلته (ايت يعزى) فارانى دار غنى ابيته عنده انا ومن اريد من اخصائى .

والباقون تفرقهم القبيلة - على العادة في تفريق الاضياف ان كثروا - قال لي الرسول ذلك سرا في اذني ، فسألني مربيه ربه عما قيل لي ، فاخبرته بالواقع فذهب مربيه ربه واخوه الشيخ الوالي - وهذا اكبر من مربيه ربه ، وهو مجاهد شجاع معروف بالشهامة - الى دار غنى يكتفيهم المؤونة كلها تلك الليلة مع اولئك الصحراويين ، واسم الذين باتوا عنده : عبد الله بن بلعيد من القضاة في عهد مولاي الحسن ، وكان السلطان يكرمه غاية الاحرام ، قال ثم انني ذهبت الى من عينه لي سي احمد نطالب وهو محمد بن عيسى البوكر فائري الفنى ، فاذا به لم يلتقى ولم يقبلنى ، فنزلت قريبا من داره ، فاتي الى اناس كنت اعرفهم بكيش كبير ، فخاصموا ابن عيسى مخاصمة عنيفة على ما فعله معى حتى ندم ، فظاهر التوبة حتى هم أن يذبح امامى . فقلت له ما كان لي غرض ان ابيت عند أى انسان، وانما الذى ارسلنى اليك هو سى احمد نطالب ، ثم قلت له هاك كل ما تريد من الاعانة ، فانسى اعرفك ، واعرف اباك واخاك ، ثم لما اعتذر قبلت عنده ، فدخلنا الى داره . فبيتنا احسن بيت ، قال ثم رجعت في طريق الاخصاص ، فنزلت في دار اهلى باد جلول اربعة ايام ، فكننت اظل في مدرسة (سيدى على بن سعيد) فيجتمع على آل (بوياسين) فصاروا يوسوسون لي بان اتولى امرهم ، لاننى اخوهم دون القائد المدنى الذى كان سلم فيهم يوم جاء حيلة ، فرددت عليهم ردا عنيفا ثم قهرت معهم في هوكب كبير الى القائد المدنى استدراكا لما عسى أن يصله من وسوسة هؤلاء الحمقى ، فنزلت عنده فرحب بي وبمن معى ، وقد كان وصله فعلا بعض ما يقوله لي اهل (بوياسين) فتخوف ، حتى انه صار يحتاط ، فلما دهمناه انزلنى انا واصحابى في محل خاص ، فكننت انا والقائد المدنى نظرا ونبيت على المحادثة والاتاى الذى يشرب منه ولا ، حتى انه لا يشبع منه ، وبعد يومين ودعنى بناقة كوما ، فقال لي : اننى واياك اخوان فنصحنى ان لا اتحمل كل هؤلاء الفرسان والشاة ، وان ابعثهم الى داره بـ (ادحيتوف) ليমানوا هناك فشكرته ، ثم ابيت مما اقترحه تعففا ، ثم قال لي : انظر من ينقل اليك اربعين حملا من شعير من عندى ، فأرئيه واحدا من ادجلول لتكوز عنده امانة ، ثم فارقت (بنوزاكارنن) الى (تالوست) من (ايغير ملولن) ، ثم الى موسم سيدى احمد بن موسى ، حيث اجتمع اعيان القبائل كلهم خصوصا البعمرانيين ، ومن بينهم القائد المدنى ، فوفدت بالجميع الى مولاي احمد الهيبة فانتعش امر الهيبة من جديد ، ولم تكن نجد من الوليتيين ما نجده من البعمرانيين والاختصاص ومجاط من القبيرة ولا من الشجاعة ولا من الاعانات وكثير من الوليتيين لا يهتمون الا بما يجعلونه في جيوبهم ، ولا يستحيون ان يتطلبوا ما تحت ايدينا مع اننا غرباء مهاجرون ، وذلك على عكس الآخريز فانهم وان كانوا يطمعون من غيرنا لا يرجون منا نحن المهاجرين شيئا ولو دانقا .

قال كنت وضعت اهلى - كما تقدم - عند الصالح سيدى محمد اللبسى الكرسيفى الاصل الاكارضى وهو يتعاطى افعال المجاذيب ، وربما يدعى دعاوى ، فقد ارسل شعرا على راسه ، وكثيرا ما يقول : لا احلقه الا فى فاس ، يقول ذلك لآل الهيبة ، فيقصد بذلك انهم سيحتلون فاسا معه، وقد كان وجود بكل ما يملك لنا حتى انه كان يرهن حقوله فى اعانتنا، قال فذهبت الآن بعد ما ودعت البعمرانيين من عند الهيبة الى اهلى فى (أزاريف) فلبت هناك الى ان رجع حيدة فاحتل ثانيا (تيزنيت) فى ربيع الاول : 1335 هـ فتوجه الى بعمرانة وقد صار الحبل يتصل بينه وبين حماد من آل بيهى من (المسيطرة) - وكان من اكابر قومه البوبكريين - فحاول أن لا يسلك الطريق التى تمر بقبيلته، فكان ذلك هو السبب حتى سلك حيدة المسلك الذى هلك فيه ، وهو وادى (ايكالفن) فقد أخذه الله هناك بفتة برصاصة هوائية اخذا ويلا ، قال لم احضر هذه الواقعة بنفسى ، وانما ارسلت اصحابى فحضروا فيها ، وقد غنموا بين الناس اخبية وخيلا ، ولكن الذى فاز بالفنائم الكبرى هم المجاطيون، وقد وقف فيما سمعت على حيدة ممن معه ليحامي عنه حين سقط هؤلاء.

الرؤساء : هم من آل سعيد اليعزوى الهشتوكى ، وولد الحاج الرامى الاينشادنى الهشتوكى، وبوهوش من آل افرا من آل باها الستهلين، ومسعود الخربة من آل (اداو.متنو)، وسعيد بن الحسن الامزالي ، فهلكوا كلهم ، وقد كان وقف ازاءه أيضا : عباد الجراى فنجأ راجلا بمعجزة وقد ترك فرسه ، ثم عرف احدهم بعد ذلك النهار حيدة فقطع راسه وهو كما حلق شعره ، قال: فبغت اثر الواقعة الى (كردوس) فاذا باعرابى يسمى القاضى آتى برأس عدوى اللود حيدة ، وقد جملة فى مخلاة قال : فقلت للحاضرين : ان الله لم يعث حيدة ، فقد كان يحلف ان يتلاقى معى وأن يطلع الى هذه الجبال ، فهاهو ذا راسه اتلقى انا وهو هنا ، وما هو ذا فى وسط هذه الجبال ، ثم خرج الى المجلس الهيبة ، فطرح الراس بين يديه ، فصار ينكت على راسه بقضيب ، وهو يخاطبه بقوله : ارايت عاقبة غدرك يا حيدة ، ألم يقل لك والدى الشيخ ما قال :وقد ذكر أن الشيخ ماء العينين أوصاه على اولاده.

ألم تر كيف عاقبة من اساء الى من احسنوا اليه ، ألم تجعلك كبير جيشنا الى مراكش ، ألم نستامنك على اسرارنا . فصار الهيبة يعيد كل ما كان مضى له معه ، قال الناجم : فقلت اليه فقلت : من تخاطبه الآن ، فقال : ان كل ما اقوله له يدركه - اقول لعل الهيبة استحضر ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب به قتل المشركين فى قليب بدر ، حين قال : انهم يسمعون كل ما اقول لهم - ثم امر بالراس فعلق امام باب دار القائد سعيد بن احمد ، ثم

سرق الراس ليلا بعد قليل ، فأتى به الى الحاج حماد ولد حيدة ، فدفن الى جنته في (ترزيت) ، قيل : ان القائد يرعى هو الذي انزله من معلقه فدفعه الى يهودى من يهود (نازاروالت) وذلك - قيل - بوساطة مولاي احمد من آل الشريف الهشتوكى ، وقد دفع الحاج حماد ابن حيدة فى استرجاع رأس ابيه مالا كثيرا .

قال : كان فقيه شريف من البوشواريين يسمى الحاج محمدا نازلا فى بيت ازاء مشهد سيدى محمد بن سليمان ، يقصده الناس على طبقاتهم ، وكان يتبرك به ، ومن اهل الكشف ، قال فارسى الفقيه الى سيدى الحاج عبد ابن عمه قبل قدوم حيدة فى مرته الاولى : ان جيشين سياتيانكم قريبا من راس الوادى ، فلا تدهشوا منهما ، فاصبروا للاول منهما ، فانه لا بأس منه ، واما الثانى فكل ما فيه فهو لكم ، فبلغنى ذلك ، فاولته بما وقع لحيدة فى هاتين المرتين ، ثم اشار الى قضية اخرى ، فتبين ذلك فى جيش السنيغاليين والنصارى ، نزل عند (صهرج البقر) بمراكش ، ليقصد ايضا الى سوس ، فاصابته صاعقة ، فاهلكت كثيرا منه ، فكان ما وقع له مصداق ما اشار اليه ايضا ، قال : وبعد ايام من (كردوس) رجعت الى اهل فى (عازريف) ثم لم يطل الزمان فاذا بجيش عظيم جا، زاحفا الى سوس ، قد لحق به اخيرا الحاج التهامى الاكلوى ، وابو السلام خليفة التوكى ، والكتنافى وجميع قواد سوس وحاحه ، ثم لما نزل الجيش فى (ترزيت) بكر الى (وجان) حيث اسرع المجاطيون من اغير ملولن فاثاثوا البعقلين الذين وجنوهم يدافعون عن (وجان) فلما اطل المجاطيون من ثنية صارت المدافع توجه اليهم قنابرها ، قال من حضر : وهو اخى سيدى محمد : اطلنا فرأيت قرية تحت الثنية وجهت اليها القنابر حتى دكها دكا ، فجلست انا ومن معى وراء صخرات نضرب ونوجه طلقاتنا الى اصحاب المدافع فاثرتنا فيهم ، على ما يظهر - لاننا احسنا بعد حين ان القنابر من المدافع توجه الينا عن قصد ، فبقينا كذلك طوال النهار ، فسقط كثيرون من مجاط ، قال قائل انهم نحو ثمانين ، قال ولا ريب ان الموتى كثيرون فى غيرنا من البعقلين ، ثم لما وصل الليل خرج الشيخ النعمة من منزله هناك ، وقد امن وقت خروجه ، لان العدو كان اقلع عند الاصيل فانسحب بكل ما له وما عليه ، فابتعد خطره ، فاذا ذاك رحل كل الوجانيين فغادروا ديارهم ومن بينهم الشيخ النعمة ، ثم ان الكنتافى والجرارى - وقد كان عندهما الخبر بان الوجانيين قد رحلوا - بادرا فاحتلوا وجان ، ثم اعلما رئيس الجيش بذلك ، فكانت مزية لهما خاصة ، ثم وصلا الاسلاك بالشيخ احمد الامازرى ، فهادن الجيش بمال قبضه من عند الجرارى ، فاقلع الجيش عن (وجان) ، وقد اعلن فيه ان الجبلين قد اسلسوا القياد ، فصالحوا الدولة الا ان الامازرى لم ينشب ان اهلكه البعقليون بفعلته هذه ،

وكان الذين تولوا قتله ال ابي هدى اللصوص البعقيليون المشهورون ، وقد كان الجيش ومن فيه توجهوا الى ايت بهران وطلعوا من تلك الشايبا فزحفوا الى ان وصلوا الى (ايسك) وقد جلا كل من في طريقه ، فبقى هناك اياما فلم يصله احد . فهناك قتل عبد الله بن بلقاسم الماسي ، قال فصرت انا اجمع قبائل الجبال من (ايلانن) و (اينت صواب) و (املنن) و (وبعقيلة) و (رسموكة) في جمع عظيم كلهم مشاة ، فتركنا في ايت ودريم ، قال فكنت اتوسط مجمعهم فاشجعهم فاندبهم الى قطع الطريق في هشتوكة عن ذلك الجيش ، وقد كان ابو السلام المتوكى رئيسا على القوافل التي تاتي وتذهب في ايصال المؤن والعدد الى الجيش ، وامر بجمع الخيل لذلك ممن عندهم الخيل ، فكنت اذيع ما اذيع ، وانا اعلم ان المشاة هم الذين معنا ولا خيل في تلك الجبال ، والمشاة لا يمكن ان ينزلوا الى البسيط بهشتوكة ، وانما قصدى ان يذهب الجواسيس بما اقول الى رؤساء الجيش النازلين وراء (تزنيت) ليدشوا خوف ان يقطع عنهم خط الرجعة ، فيؤثر فيهم ذلك . فكان ذلك احد الاسباب حتى تراجع الجيش بعد ما مكث اياما في (ايسك) حيث لم يجد من يتصل به من اهل البلد ، وقد تنادى الناس باهلاك كل من اتصل بالجيش، والقبايل الجنوبية اجتمعت كلها من الصحراء ووادى نون وادى ابراهيم ومجاط وما الى كل تلك النواحي ، فسامت رجالها معسكر الجيش ، وفي صباح مبكر ، اقلع الجيش فصار يستدير لينزل الى (بونعمان) ولكنه لم يقصد تورا ، بل ذهب صامدا امامه حيناً . ثم مال الى اليسار ، قال من حضر - وهو اخي سيدى محمد - بتنا تلك الليلة في دار، فبات من معنا يتواصون بالملافة في الجنة عدا ان رزقوا الشهادة ، والناس في اقلال ، ولا زاد مع غالب الناس ، وانما يعملون الى السنابل من المزروعات ، وقد افركت فيشموونها فياكلونها ، وقد بات القائد سعيد بن احمد الكرديسى في جانب من الدار التي نحن فيها ، فلم يتعمش الا بتلك السنابل ، فطبخنا نحن عشاءنا فارسلنا اليه منه ، ثم بكرت علينا هوالة (تيمتارين) : الطلقتين بالاشارة الى نهوض العدو ، فقمنا عن عجل ، فاطلنا من ثنية فلا نرى الا صفوف الجند كخطوط الدبا ، صفا صفا ، والرصاص من الجوع علينا وعلى الاشجار كالطر ، فكل من لم يتدوق بشىء اصيب ، فما اكثر القتل وما اكثر الجرحى ، قال واذا ذاك اصيب الفقير ابو جمعة البوعشراوى الكسىمى بجروح ذهبت باحداها عينه ، وقد كان من المهاجرين الى الزاوية الالفية ، وقد حكى انه سقط اذ ذاك، فوصله الجند ، فتماوت بين الموتى ، فادخل جندي خنجره تحت جبل من مسد ، كاذ تمنطق به ، فقطعه ولم يمض لحمة ، لكونه يظنه ميتا ، وبتماوته نجا ، فقام بعد ما ولى الجند ، قال الاخ ، وعند طلوع النهار دفعنا بالفرسان الى نحر الجيش ، فاذا بالقوة تردنا حتى انهزمنا ، ثم تراجعنا بعد قليل ، ثم زحفنا

ثانيا من ثنية نحو بسيط قليل ، فاذا بالدفاع قد اُرسِت فيه ، فوفقت انا
بفرسى اُطلق على من حول المدافع من بندقيتى . وانا انتظر ان اسقط ، فاذا
بفرسى ركم على صدره ، وقد اُصيب فنجولت عنه فاسرع اليه مجاطى فذهب
بالسرج بعد ما قطع بطانه وصداره بخنجره ، فسرت انا على رجلى ، وقد
انقطع الكيس الذى فيه اللخيرة البارودية وهو ثقيل . فجمعت الجبة على الكيس
فصرت اُمشى وانا استدير الجيش والرصاص من الرشاشات ينهمر على ما
حوالى ، حتى اُننى لاتعجب كيف لا يصيبنى ، فانه يسقط اُمامى فيما يسامت
شخصى ، ولكنه لم يمر بجسدى مع ان ما يتراءى لى محال عادة ، هكذا
اسير وحدى حتى استدرت من الثنية . حيث اختفيت عن الجيش ، فادركت
اذن اُننى قد نجوت ، وانا اذ ذاك وحدى فلم يتيسر لى الا بعض معاريفى
بعد حين . فركبت على بقله له ، ثم رايت الفقيه سيدى على بن عبد الله مع
كبكبة من الخيل وراء الناس ، تفرقت عليهم قبيرة ففرقوا .

هذه لمحة عما وقع يومذاك ، ثم نزل الجيش الى (بونعمان) وقد انسحب
قال الحكامى : الناجم : وقد حضر يومذاك الشيخ مولاى احمد الدرقاوى فاعلن
بالهيلة ، فدفع بفرسه ، فتبعه كثيرون ، فاثرت حملته فى العدو كثيرا ،
حتى ان الحاج التهامى حارب كثيرا ذلك النهار حتى سقط تحته فرس او
فرسان فقام عليه القائد ادرىس بن فائدة ، حتى اتى اليه بفرس آخر، وكذلك
راى الطائرون على الجيش الاعراب الكثيرين الذين يقدمون من الصحراء ، قد
اقبلوا بكثرة عليهم . فلم يصلوا الا آخر اليوم ، وبذلك كله تراجع الجيش ،
وقد قتل فيه كثيرون ، لان كل رصاصة اطلقت اليهم قل ان تخطى، لتزاحم
الجنود ، ولكثرة الحشد ، قال الاخ سيدى محمد : كان الناس يومذاك فوضى
لا تنظيم لهم، فينطلق من شاء ويبقى من شاء، ويتأخر من شاء ويتقدم من شاء، فليس
هناك الا الضمانر وحدها، وكذلك ليس عند الناس من الرصاص الا القليل، فكان
من لطف الله بالناس ان العدو قد انسحب ، وابقى فى الناس القوة المعنوية ،
حين سموا انسحابه انهزاما ، قال الناجم : ثم ان الاكلوى صار يستغل كلمة
الايمان ، فكان الخليفة ابو السلام المتوكى يتصل بيرعى ثم بالمدنى بالرسائل،
يتطلب المقابلة ليفك القضية بالمهادنة (فتم ذلك على ما بيناه فى غير هذا
المحل بالتفصيل) .

فى اُوخريب

قال : بعد ما كنت ما شاء الله فى (اكارض) من (ازاريف) انتقلت الى
(اُوخريب) من (ايت باها اوباهما) فحرثت هناك ، وقت الحرث ، وقد
انبت باهلى واستقرت بى الدار ، وقد كان التاجر محمد - فتحا - بن احمد
ابن بلا الامزالى متسوقا موسم سيدى محمد بن عبلا ، من قبيلة الساحل ،

فالتقى مع التجار الشياطين المشهورين اذ ذاك فى (نزيت) ، فاتوا به الى الكنتافى الذى استقر فى (نزيت) بعد رجوع ذلك الجيش ، فتمكن فيها وعلا شأنه ، فداول ذلك التاجر محمد بن احمد الامزالي القائد الكنتافى ، فكان مما قاله : ان عندنا عبدا صدم رؤوسنا ، فيالينك كفتينا مؤونته ، فاخرجه عنا ، فواعده الكنتافى على ذلك متى تيسر له الامر ، قال : وبينما انا جالس فى محل صليت فيه ، فاذا بالمدكور مر بى وامامه عجل وراه بقرة ، فنزل فسلم على ، ثم قال : اننى تسوقت موسم سيدى محمد بن عبلا لاشترى ما احتاج اليه ، قال ثم كان عندى الخبر بما كان داوله مع القائد الكنتافى ، فارسلت الى الفقيه سيدى الحاج عبد . فاخبرته بكل ما كان من ذلك الامزالي حولى ، فقال الفقيه وهو غضبان : البسه الله لباس الجدام ، ثم صار الامزالي يبيث الدعابة ضدى ، فجاء سيدى الحاج عبد فخاصمهم على ذلك ، وقال لهم : ام اضر بكم ما تمونون به اصحابه - وكانت قبيلة ايت باها والماجتيكيليين يصنعون فى كل وقت وجبة رقيقات من الخبز لمن معى من اصحابى ، كمؤونة لهم تبرعوا بها - ثم بعد ذلك بلغنا ان الكنتافى الذى تمكن منذ نزل فى نزيت فى كل قبائل (ازغار) الى (هشتوكه) صار يجمع الجيش ليزحف الينا ، وقد كان احمد بن على البلغافى خرج عن طاعة الكنتافى ، فهرب منه الى (انموليل) من (ايت ودريم) فسكن هو واصحابه نحو عشرين فارسا ، قال وقد كنت حصلت من محروثى ما حصلت فصرت ابيع منه - شعيرا او ذرة - وارسل منه الى ايت (والياض) احتياطا لآخف متى اردت ان ار حل من جديد .

فى ايت وَاَلْيَاض

قال ذلك هو السبب حتى فارقت سكنى (الموخرىب) فانتقلت باولادى الى محل الجديد ، ففطنت فى دار لعل بن ابراهيم كانت لآخيه الحسن بن ابراهيم، وهما من اهل (تونودى) وهم من آل سيدى ابراهيم التونودى (الشهير المتوفى سنة 1248هـ) فطنت هناك انا واصحابى ، فلما جاء الكنتافى زاحفا لم يقف حتى وصل الدار التى كنت فيها ، وقد كان اراد ان ينزل فيها الا انها لم تعجبه ، فنزل فى دار سى بلا من آل انومغار، فورد عليه احمد بن بلا فقال له : اربحك الله منا ، فان هذا العبد كاد بافعاله يحول بيننا وبين مجالات تجارتنا فى ازغار الى السوير، فها أنتلدا الآن زحزحته عنا، فاعطاه الكنتافى مالا ولباسا ولم يتكلم الا بكلام كثيرين هناك، قال فكنت انافى (دكتانبارك) من ايت والياض انا واصحابى ، ثم ورد على اصحاب احمد بن على البلغافى، والحسين بن عمر - المشهور بعد فى ثورة الواغزنى - فصار البارود يقع بيننا وبين الكنتافى ، فهبت ريحنا عليه حتى انهزم من معه ، فامر اصحابه ان يردوا المنهزمين ولو بالرصاص ، فوقف محمد بن عبد السلام الجرادى ، ومحمد

ابن بو السلام الميلىكى، والفائد الحسن الاكلويى وقوف الرجال ازاء الكنتافى، فلم ينهزوا، قال وقد كنت انا راجلا، فأبعدت فرسى، فجلست متترسا وراء (اشبار) - وهو المحل يتدرق فيه الرامى المبنى بأحجار - ومعى مشاة جبليون فارسينا هناك تضرب منه فذهب ابراهيم بن محمد بن بلا الامزالي الى الكنتافى، فطلب منه ان يعطيه رجلا ليحذف الى المحل الذى نحن فيه ليخرجنا منه. فاعطاه فيلقا من الجند الذى معه، فاستداروا ورائنا، فلم نشعر حتى دوت الموسيقى العسكرية من خلفنا، فاجفل الجبليون الذين معى، فتركونى وحيدا حتى الذى تركت الفرس فى يده قد اطلق لجامه، واعلمنى بذهابه ايضا بدوره، فقممت فركبت على فرسى فهربت بدورى، فصاروا ينادوننى: يا صاحب القرون-يعنون النواصر اى الشعر المجتمع على عوارضى- يا ايها الاسود، والله ليرين ابوك الحرطانى اليوم مهلكه، ثم والسوا على رشاشات رصاصهم كالفيث النهار فنجاني الله فذهبت حتى لحقت منجلدا فسرت معه، فوجدت اهل (اذنتبارك) كما نزع منهم عبد لى ثورا كانوا اخرجوه ليدبعوه امام الكنتافى، ثم بتنا ذلك النهار، فناديت رب مئواى على بن ابراهيم، فقلت له: ألم يكن محمد بن احمد بن بلا الامزالي صاحبك، فلماذا لا يتوسط بينك وبين الكنتافى اليوم، ويقف معك كما وقفت معه امس حين اقممت السوق امام داره، وقد انفقت عليه مائة غرارة من الدقيق اريد بذلك ان يبقى فى داره، فاتبعنى فى ذلك، فارسل الى الامزالي فقال له ذلك، ثم قال له: ان العبد سنجليه عن بلدنا، ليذهب الى حبال سبيله، فتم الامر على ذلك، فاهبت القبيلة للكنتافى فى اليوم الثانى، ثم اصبح الكنتافى سائرا بجيشه، فنزل (تاركادانت)، فهناك نصب مدافعه، فخرجت انا ومن معى واصحاب احمد بن على، فتوجهنا الى (تونودى) حيث اولادى فباتوا عندى، ثم اوصلتهم الى ايت (وكريم) فى (تاركنا والياض) وفى اليوم الاخر خرجت انا وعلى بن ابراهيم الذى لا يزال معى وقد ابى ان يفاربنى الى (تاركنا والياض) فبقينا هناك ما شاء الله، وهو قرية منيعة، فتقدم الكنتافى حتى نزل على (اكادير نتريمت) فهدمه، ثم رجع الى تزيت فرحا بما ناله من الانتصار، فكانت هذه هى فاتحة وفائعه فى جبال تلك النواحي قال: واذا ذلك كتب الكنتافى الى (ياركينو) يخبره بأنه فتح اربع عشرة قبيلة وقد كاد يسمى له القرى على انها قبائل، فلما علم (ياركينو) الحقيقة عرف انه يكذب سياسة، فكان ذلك لبنة مما بنى بعد ذلك الوقت حوالبه من بناء سميك من اكاذيبه عند الحكومة. فكان ذلك سبب اغفائه من تزيت.

الرجوع الى تونودى

قال ثم اننا بعد رجوع الكنتافى عادت (هيف الى اديانها (1)) فرجع كل (2) هيف بفتح الهاء الريح الحارة. وذلك مثل من يرجع الى ما هو عادته من القبيح

ما كان الى ما كان فيه ، فرجعت انا مع صاحبي علي بن ابراهيم الى محل
 عنده ، ثم وصل موسم (سيدى مسعود افلوس) من قبيلة (اداكنيضيف)
 فذهبت انا وعلي بن ابراهيم ، زابن الحسن ، ودهمتمو، وعلي من آل حميدة الى
 الموسم في (تيكيساس) فاشترت هناك حملا من السكر وثورا ، فاعطيتها
 لاهل (تيكيساس) ومثلها لايت سميون جيرانهم ، فبتت عند الاولين . فكنت
 في دار القاضي السيد عدى الفيلاي ، وفي الليلة الاخرى عند جيرانهم ، ثم
 اشترت ثورا آخر ، فذهبت به الى (اساكتن) وقد كان الايساكتيون تفاقموا
 مع رئيسهم الشيخ سعيد الانامرى ، فصاغت بينهم بعد ما قدمت الثور ،
 فضيفوني اربعة ايام ، فذهبت الى (ايرغ) حث بقيت ثلاثة ايام انا ومن معي ،
 ثم الى (تازكنا) من قبيلة (اداكنيضيف) ، وهو بلد حسن فيه المياه وانا
 اسوق دائما حيثما ذهبت الشيران واحمال السكر ، ثم الى (ايقير افران) ثم الى
 (امجيلن) ثم (كمزت) ثم (اداوكتير) ثم الى (تازكنا) ثم الى (تيدلي) فكنت
 اقول لكل فريق : انى مهاجر اليكم فأريد منكم أن تدافعوا عنى يوم احتياج
 اليكم فاعطونى كلهم اليهود على ذلك ، ومن هناك رجعنا الى محلنا من
 (ايت والياض) قال ثم سلط الله الجذام والبثور والقروح على جسد محمد بن
 أحمد بن بلا الامزالي الذي كان دعا عليه الفقيه سيدى الحاج عبد ، فينتفخ حتى
 هلك وشيكا ، قال ولم نرجع حتى هلك ، ثم تتابعت الايام على هناك ثم مات
 أحمد الهيبه سنة : 1337 هـ . فبجئت انا والولياضيون حتى عزينا فيه وبابنا
 مريبه ربه ، فرجعت الى مستقرى ، قال : ثم صارت السياسة الكتافية تعوم
 حولي كثيرا . فيبت الدراهم لمن سيفتك بي غيلة . وأنا متكل على الله ، والناس
 يامروننى أن اتجنب ، فتسربت الينا اخبار من نواح شتى أن نرد بالنا الى
 ما سيقع يوم العيد . فصلبت المقرب ليلة العيد خارج مسكنى ، فضاع لى
 شاهد السبحة فى مصلاى ، فبجئت عنه فلم أجده ، ثم بكرت بعد صلاة
 الصبح عند الاسفار لافتش عنه ، فاذا بفلان وقف ازاى فسلم على ،
 فسأل عن الرئيس اين داره ، فماشيته الى داره . فطلب منا أن ندخل معا
 اليه ، فاعتلرت له باننى سآذهب الى المجتمعين من الناس لافطر معهم ، وقد
 حثونى على ذلك ، فادخل الرئيس الضيف الى داره ، فذهبت انا الى الناس .
 فجمع الناس اطعمتهم على العادة فى صباح كل عيد ، اذ ياتى كل انسان
 بطعامه كيفما كان الى المسجد ، فياكل الجميع ، ثم يتسامحون ويتقافرون بعد أن
 يهنئ بعضهم بعضا بالعيد ، فقال لى المجتمعون : اين على بن ابراهيم ؟
 فقلت لهم : قد دخل عنده ضيفه وهو فلان ، فقال أحد الحاضرين : ماذا يريد
 على من فلان ، فوئله لا يقتله الا هو . ثم خرج على من الدار مع ضيفه من
 الصباح ، ثم ولى النهار ولم يرجع ، ثم تبين أنه ذهب به الضيف الى غابة
 فيها مترصدون له ، فقتلوه هناك بالخناجر . فراتهم راعية وهم مجتمعون ،

فحكمت لامها حين رجعت ، فى العشية ما رات ، فسررب الخبر الى الناس ، قال : فدعينا بالفذارات ليلا الى الغابة ، فوجدنا جنته كلها نقوب بالحناجر . فبينما فى فبة سيدى ابراهيم . فانطلقته طلقتنا (نيماتارين) فاجتمعت القبيلة ثم دفناه ، فانتمروا فيما هو العمول . فقالوا لى ماذا نصنع ؟ فقلت لهم ماذا تصنعون ، انكارا عليهم ، قوموا واعطوا عربون غضبكم فى ديار هؤلاء الفاتكين بأخيكم ، فاعلنوا (اشهاد) الذى هو (اللهم صل عليك يا رسول الله) وذلك على العادة . يقال باعلان الاصوات عند زحف ، او عند عمل عظيم يقام به ، فذهبوا واحرقوا ديار بعضهم ، ومعهم بعض اصحابى ، ثم ذهبت فى العشية الى الفقيه سيدى الحاج عبد ، فواصلت اليه الخبر ، فجا معى فبتنا فى (ايمكيون) عند ابراهيم بن عبد ، فلما وصلنا جبلا صعبا نزلنا فمشينا على اقدامنا فى ترهة فى الجبل ، فارسلنا بقلنه وفرسى يستديران فى طريق البهائم ، فاذا ذاك قال لى : يا نجم . ارايت لو عم النصارى جميع هذه البلاد ، انى اذ ذاك سانحاش الى حجر فى قمة جبل اعبد فيه ربي حتى اموت ، ثم تصاحبنا حتى تركته فى (نانالت) وقد شارط فيه ، فذهبت انا الى الاخصاص ، فنزلت فى دار اهلى ، ولم يكن بقى معى من اصحابى الكثيرين احد هناك الا عبيد صفار تركتهم عند الاهل ، وصاحبى اثنان هما منهب القادران على الاسفار ، واما خيولى واصحابى فهم فى بهرانة ، ثم بلغنى ان الرئيس ابا بكر بن عدى ذهب بوسوسته الى جميع العبيد الذين تركتهم ورائى ، يقول لهم : اذهبوا معى الى الكنتافى حيث تجدون ما تأكلون ، ثم تسوقت ايتا بوبكر فى (بهرانة) فلاقت محمد بن مبارك (بوصاليم) بابا البصل - وقد وجدته مع الشيخ سعيد فقلت لهما بعد المسألة العادية : ان عبيدى وصلوا الى الكنتافى ، ولكما انتما دعه دراسة فاكثبا اليه ليرد الى عبيدى ؛ فكتبا اليه ، ولكنه رد اقبج رد ، اذ قال : انى لم ار عبيده ، فان اراد القائد الناجم عبيده فليتبعمهم الى ، قال : وكان الشيخ سعيد يتوصل بهمال كثير من الكذائى بوساطة (بوصاليم) المذتور ، قال : ثم لما تم الامر لمربيه ربه ، وقد اجتمعت اليه القبائل : انعموا له بريال لكل دار فى كل سنة ، فقيل له : ان الاول لك ان لا تحشر دائما فى (كردوس) فاخرج ودر على اياتك ، لتجمع هذا المال الذى جعل لك ، ولتتصل بالناس ، يقول له المدنى ذلك وامثاله ، ولا غرض لهم الا ان يمهلوا به القبائل لانفسهم ، قال : فاذا ذلك وصلته الى (كردوس) باستدعاء منه ، فخرجت معه فى موكب فيه الفقيهان سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر بن محمد ، والوزير يرعى ، والقائد سعيد بن احمد قائد المشور ، ومحمد بن عبد العزيز الكاتب الخاص ، وكاتب آخر يسمى العربى الوترؤوى الصوابى(1) ، قال الناجم كان عندى السيد العربى

(1) توفى هذا الكاتب 1358 هـ .

هذا كتابا في اول امره ، منذ كنت في (اكافاي) من هواره ، فلازمني ما شاء الله ثم لما رايت من أخلاقه ما لا يعجبني نفضت منه يدي ، فالتحق بكتابة الهيئة ثم مريبه ربه ، ثم لم يزل معهم حتى الساعة الأخيرة ففارهم الى اهله ، قال ابتدأنا في (مجاط) ونحن مع مريبه ربه ، وقد بتنا بمعسكرنا في (ايبندر) ثم الى (ايت موسى) عند يحيى أحد الرؤساء ، ثم الى (اقلتمان) في (ايت رخا) ثم في (ادخيتوف) عند القائد المدني ، وقد صادفنا قلة الماء وانقطاع المطر . ووجدنا ولده محمدا يبني دويرة في الدار فأضر العطش بالدواب ، فجلس المدني ومريبه ربه يتحادثان ، فدخلت عليهما فقلت للمدني : ان البهائم التي لمريبه ربه قد أضر بها العطش ضررا عظيما ، فأذن أن تورد من نظفية لك هنا فناديت انا لما خرجت من عندهما في الناس أن يذهبوا كلهم لايراد بهانهم من النظفية . فلم يعجب ذلك المدني ، لان ماء النظفية سينقضي ان ورد منه الجميع ، والماء عزيز كالتبر في تلك البلاد في بعض الفصول ، لانهم انما يجمعون مياه الامطار في النظفيات المحفورة ، ولكل واحد نظفئته الخاصة ، قال : ولم نستتم ورود البهائم من تلك النظفية حتى أنهلت الامطار ، فتوالت علينا ملثة ليل نهار ثلاثة أيام متوالية ، ثم الى (سوق الثلاثاء) فصلى فيه الناس الظهر ، وكان المعتاد ان يؤم في الصلاة دائما مريبه ربه كلما كان حاضرا ، فبات مريبه ربه في (سيدي على بن سعيد) والمدني في (ادالرباء) والناس محلهم في (ايت على) بالاختصاص ، قال وانا في داري بـ : (ادجلول) وفي اليوم التالي جاء المدني فقال نذهب الى بعمرانة ، فقام الشيخ سعيد دون ذلك ، فقال : لا والله لا يدخلن المدني الى قبيلتنا ، فانما مقصوده في اخراج مولاي المصطفى - وهو الاسم الرسمي الخاص الذي اطلق من جديد على مريبه ربه منذ بويج وربما يسمى مولاي محمد ان يمهد به لنفسه القبائل ، فلما سمعنا نحن ، انا والفقهاء سيدي على بن عبد الله وسيدي الطاهر بن محمد الاثرائي ذهبنا الى المجتمع وفيه الشيخ سعيد نفسه ، فراوده الناس وأبلغوه ان السفر هذا ليس للمدني بل لهذا الشريف الذي تدور حوله كلمة المسلمين اليوم ، وهو الذي خرج الآن يجمع ما جعلته له القبائل وطابت به نفسا ، فلم يزالوا بالشيخ سعيد حتى لان ، فسحب اعتراضه ، وقد كان المتولى للكلام مع الشيخ سعيد حتى لان : هو الفقيه سيدي على بن عبد الله ، وآخرون امثاله ، قال ثم من هناك الى (ايت عبلا) فاهدى قائدها سي أحمد نطالب - لان كل قبيلة وصلها مولاي المصطفى تهدي أولا . ثم تصيف ثانيا ، ثم تؤدي ثالثا حساب ريال لكل دار ، وعدد الديار معلوم تعرفه كل قبيلة عن اخرى - فبت في دار هذا القائد ، ثم الى (آيت بوبكر) فنزلنا في (افرض) فبتنا في دار ابراهيم بن سعيد ، وهناك وفد شرفا ايت (بنوكارفة) يقدمهم سيدي التهامي وسيدي محمد بن بكرم ،

ثم الى قبيلة (الساحل) فبتنا في (افردا) ثم الى (السهب) ثم رجعنا الى (ايت احلف) فبتنا في (تكرت تشيخ همو) ثم الى (ايت الخمس) فتلفونا بالنسرييس - الوقوف بالسماطين - فكثرت الطلقات ، فبتنا بالبارود من هؤلاء وهؤلاء، فرحا وبنزغاريد ، قال : فجاء الى الفقيه سيدي علي بن عبد الله متجها يقطع بالجد والرزانة ، فقال ما هذه الحالة عندمولاي المصطفى وعند زوجته - لان النساء اقبلن اليها ايضا بالمالآت ترحيبا بها فاكثرن من الزغاريد . فقال : ايزغردن عليها او عليه او عليهما معا ؟ وما هذا البارود ؟ انحن في عرس ؟ فابلغت ذلك لمربيه ربه ، وزدت عليه : ان الاول ان لا يسمح بالبارود اصلا ، لان بين الفريقين من لا يتقون الله ، فقد يتمد البعض ضرب البعض ، ثم يزعم ان ذلك غلط ، قد يجيبه المناصرون للمقتول ، فتقوم المقاتلة على ساق ، فبتنا امرنا على حالة ، ثم نختمه على حالة اخرى ، قال وانا اعرف نفسية هؤلاء الناس - ثم استدعي قائد المشور الفائد سعيدا ، فامرته ان ينادي في الناس ان لا يخرج احد عند ملاقة الناس ولو رصاصة واحدة ، فتشمي الحال على ذلك بعد اليوم ، فبت انا عند الفقيه سيدي الحسن بن محمد في (اوخریب) (1) ومربيه ربه عند مشهد (سيدي سليمان بنوتوميت) فانزلود في دار الفقيه سيدي زكريا التانذاراتي ، والمدني عند محمد بن عدي مع البيدي ، فبات عندهما ، وعما من اصحابه ، فدام المطر الليل كله ، وبات المدني تحت سقف واكف الى الصباح ، ثم الى (اداونساكنم) وهم اولاد سيدي سليمان بنوتوميت فنزل مربيه ربه في دار اهل سليمان ، قال وانا ويرعى بتنا في دار محمد بن الحسن ، ثم لما وصلنا (السماهرة) بتنا عند دار الحاج عملا ، ثم الى (امستيتنن) فجاء الشيخ سعيد فاكرمنا انا ويرعى بشمانين ريالا ، فبتنا عند اولاد سيدي سعيد (2) التهل المتقل من بلده الساكن هناك ، وكان رجلا صالحا ، فترك اولاده هنا ، ثم الى (اصنويسا) فنزلنا فسي (اوتلوك) وكانت هناك دار لمربيه ربه ، بناها في عهد اخيه الهيبة ، فكان يقطنها ، فبات فيها الآن ، ثم الى (تالوين) ثم الى (الكصايي) فسي ايت الحسن ، فبات كل واحد حيث اداه اليه بخته ، لان الاضياف يفرقون عادة ، فذهبت الى المختار بن عمر ووجدته قد سد بابيه عن اعراب من اصحاب مربيه ربه قصوده ، فقرعت انا عليه الباب ، فقال بغضب : من هذا ؟ فقلت له ممازحا من سيقطع راسك باء السلطان ، فعرف كلامي فخرج بفرح ، وقد كان عفريتا لا يعبا باحد فنزلت عليه . فوجدت عنده اعيان الركايبين : اسمعيل ابن البردي ، واحمد حماد ، والسعدى ، ومحمد سالم التهالي ، والدءاء ولد

(1) وهو غير ما تقدم . وهناك قري سوسيه يطلق عليها اوخریب .

(2) هو من (دوويملائين) من اصحاب الشيخ التاموديزتي ، وهو فقيه

حسن . كان يكتب مؤلفات شيخه .

محمد بن عبد الله ، وقد أفاض عليهم من حليب النياق ما جعل ضيافته لهم من أفضل الضيافات . ومن هناك الى (الكلميم) ثم الى (إيزافاضن) في (اسرير) قال هكذا صرنا نذود في احفلات والضيافات ، وقد نسينا بذلك كل شيء ، والقبائل متفاداة . والهدايا تتوالى على كل درد منا ، ففي كل يوم أفراح جديدة ، فاذا برسالة من الفقيه سيدى الحاج عبد البوشوارى وردت علينا يعلن فيها الشرب لنا على ما نحن فيه من الاعراض عن حراسة الحدود ، وتعود ما بين ايالة هذه الناحية ، وايالة الحكومة ، قال وذلك أن الكنتافى قيل له : ان الفرصة قد سنحت الآن لتضرب الضربة القاضية . فان خصومك هؤلاء قد اشتغلوا الآن بما هم فيه من الحفلات ، وقد استامنوا الى الامن السائد بين الفريقين ، فلو زحمت اليهم بغته ، لتبججت الجبال بسرعة ، فتهاى فى جيشه ، فزحف الى جهة (ايت ودريم) لينتصر ثانيا فيما يحسب كما انتصر أمس فى المرة الاولى ، قال خلفا قرأنا الرسالة ، نادى مريه ربه الوزير يرعى فاعلمه بورود الرسالة على يدي ، فذهب يرعى الى المدنى فقال له ان الناجح لا يترك هذا السيد حتى يستتم ما يجمعه ، ولا ريب أنه هو الذى أوعز الى الفقيه سيدى الحاج عبد ليكتب هذه الرسالة ، فأرسل الى المدنى ، فسألنى عما ورد ، فأرته الرسالة التى جاءت باسمى ، وأعلمته بالآخرى التى اوصلتها الى مريه ربه ، ثم قلت له : تعلم أن اولادى لا يزالون فى (ايت ولياض) وقد توجه اليهم الكنتافى ، فلا بد أن اذهب لادافع عن حماهم ، فقال لى انقل اولادك الينا ، فهذه بغالنا واصحابنا ينقلونهم ، فقلت له كيف أصنع ؟ وقد علمت أن خليفة الكنتافى عبد السلام من اولاد عيسى - الذى كان هرب منا اليه - قد نزل هناك فى دار تقابل (تونودى) حيث اولادى ، ثم أتى ان نقلت اولادى من وسط الناس فان ذلك سيجر اليهم الهزيمة ، افاحيا عمرى كله فى جبر الهزائم ، فأبقى حتى أتسبب فى الهزائم فى مشيبي ، ثم لما الحج على نقل الاولاد قلت له : وانا أقصد غير ما يقصد : لابس ، اعطني بغالك ، فأرسلت عبدا لى معها ، فقلت له اذهب حتى تدخل ليلا ، واترك البغال خارج المحل ، فمن لافاك فقل له : ان المسلمين آتون للدفاع وبشرهم ، ثم تحايل حتى ترجع من غير أن تاتى باهلى ، ثم رجعنا فبتنا فى (ادحمان) ثم فرى (بوزاكلون) ثم الى افران فبتنا فى (نانكرت) فهناك وقعت مكالة عنيفة بين الفقيه سيدى على بن عبد الله وبين على آكرنوم الموسوى المجاطى من اجل املاك الفقيه التى تعدى عليها اهل (ايشستم) فكان هذا المجاطى يهب بريحهم ، قال : ثم لما رجعنا من (نانكرت) تلاقينا مع رسالة اخرى من الفقيه سيدى الحاج عبد يؤيد فيها ما قاله فى الاولى ، فبتنا فى (كردوس) فخرجت فصرت اطلق الطلقين (تيماتارين) فلم ياتنى الا قليلون فى مقدمتهم الفقيهان سيدى على بن عبد الله وسيدى الطاهر بن محمد ، وقد كان القائد احمد الاصبونيواوى

وأبو شامة وأحمد بن مبارك وبلعيد بن الطيب ، - وهم كبار (اصنبونثا) -
 جاءوا مع مربيه ربه الى (كردوس) فعاهدوني على ان يقوموا ، فان لم يصلوني
 في ايت (والياض) فانهم سيزحفون الى (تزنيت) من جهتهم ، قال ثم ان
 الكنتافي طلع الى (ايت ودريم) فوصل دار الحسين بن عمر ، فهرب هذا ،
 ودخل الكنتافي الى داره قال فذهبت انا والفقهاء سيدي على بن عبد الله
 وسيدي الطاهر . ومحمد الامام ابن الشيخ ماء العينين ، والقائد سعيد
 الكردوسي ، واصحابهم من (كردوس) فبينا في (اكادير اينودران) بين
 بعقيلة ورسومكة ، ثم في الغد اصبح سوق الاحد في (انزى) ، فذهبوا
 فبرحوا هناك بالجهاد - نادوا به - فبت انا عند (سوق الاثنين) في (اداي)
 رسومكة عند الحاج يعزى ، ثم احسنت اليه ، وامرته ان يشتري لحما وان
 يستدعي من فيهم الرجولة من القبيلة ليتفقدوا عنده ، واليوم يوم السوق ،
 فلما طعموا قلت لهم : ان السلطان يسلم عليكم ، ويدعو لكم ، ويامركم ان
 تقودوا في سبيل الله لتدافعوا اعداء الله ، فان الكنتافي قد زحف الى ايت
 والياض ، فاعلن (البراح) - المنادى - في السوق عن اذني بالقيام الى الجهاد
 يا مسلمون : فالاغانة ، فالاغانة ايها المؤمنون . هذا وبينما المسلمون اصحاب الغيرة
 يقومون بهمة اذا بمن في قلوبهم مرض ، وفي جيوبهم غرض ، وما دينهم الا
 عرض ، صاروا يعوكون نسجا آخر ، وهم على نداءهم الرسمى ومحمد
 - فتحا - من آل (اندحر) وموح بن الحوس ، والشيخ موح من (تيلين)
 قلاقوني فقالوا : تنادى انت في بلاد الناس بما تنادى به بغير اذنهم ، فقلت
 لهم : لم يرح الا السلطان والمسلمون ، وما انا الا رسول رئيس
 المسلمين ليقوموا كلهم كى يدافعوا عن بلاد المسلمين ، ثم رجعت الى (انزى)
 حيث اصحابي نازلون . فاذا بالحسين بن عمر الهارب امام الكنتافي دخل علينا ،
 وقد ورمت سفتاه ، لان فرسه قد الفاه في الطريق على وجهه ، جاءنا مستصرخا ،
 ثم من هناك الى (تاسيلا اوزاريف) فبتنا ، ثم الى (تيلكات) بابت حامد
 حيث بتنا ، فنونا ان نرابط هناك للدفاع ، لان رجالا بعثهم الكنتافي نزلوا
 امانا في دار . كما نزل ايضا هناك باهله الحسين بن عمر ، وقد خرج الرجل
 من داره ، قال كان بين الحسين بن عمر والقائد مبارك البشيراني المجاطي
 صحبة ، فأرسل لنصرتة القائد مبارك أخاه الحاج ابراهيم في خمسين فارسا
 من مجاط ، وعم السابقون الى هنا . وان كانوا اتوا من بعدنا من مجاط ، ثم
 جاء على ايفيور ، والقبه احمد بن ابي الطعام في نحو مائة فارس ايضا ،
 وقد جاء على ايشلتحين ، وعلى اوبنخيس ، وهنمر ، ومحمد بن موح
 الذى صار بعد ذلك اليوم قائدا مخزيبا على جميع مجاط ، وهكذا تبادر
 المجاطيون للدفاع . ثم تانثرت القبائل من كل جهة من املن الى بعقيلة ،
 ورسومكة وسملالة وايفشتان يقدمهم الهاشم ، قال : ثم ان الذين ملاواتلك

الدار من أصحاب الكنفاي صاروا يصرخون بسبنا ، وربما قالوا اعطونا
عبدتم هذا لتهدية للفائدة . لعله يعمو عنكم - يعنونى - ثم تعاطينا معهم
طلقات ، فسقط مجاطى فى براح مكتشف بيننا وبينهم ، فتنادى الناس
يشجعون من عسى ان يقدم لى به . فلم يقدر احد ان يجازف بروحه .
فقام الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى ، فرد الى كتفيه ذيل سلهامه الذى
يلبسه ، فبرز والعبون اليه سواخص ، حتى انتشل المجاطى بيديه ، والرصاص
حواله ولا يبالى ، فحفظه الله حتى رجع ، فكان آية للجينا . ومثلا شرودا من
شجعان العباد ، ثم ان الكنفاي الذى كان نازلا كما ذكرنا فى دار الحسين
ابن عمر زحف الى (التموليل) وهو قرية كبيرة ، فصار يلقي عليها
القنابر ، وقد كان مع الحسين تمانون راميا واربعون فارسا نرحوا معه ،
فصاروا مع الفقيه سيدى على بن عبد الله ، يتموجون حواله ، وهو يقودهم
يامر وينهى ، واراد ان يسير دفة الحرب . فحينما الى هنا وحينما الى هناك وقد
يقول لهم : استتروا بى فانى امامكم . قال : فتركتهم وسكت انا ما شاء الله
فالتفت الى انفعيه بغضب ، فقال لى : لماذا تسكت انت ولا تتحرك ؟ مع اننا
انما لك فى هذا الميدان تبع ، فقلت له : ان كان فى يدك الكتاب يا سيدى
فهل كنت اتكلم بين يديك ؟ فقال لا ، فقلت له : وكذلك انا اقرك على ما
تقول . من ان هذا الميدان بيدانى . فقال الفقيه : هذا هو الحق . ومن ذا الذى
يقدر ان ينازعك فيه ، فها نحن اولاء بين يديك ، فقل يصح لك ، ومر تطلع ؛
وقدنا ننفذ لك . نثرت من محلى فناديت فى الناس ايها المسلمون ، ايها
المجاهدون ، يا رجال سوس . يا احرار جزولة ، ليخرج معى منكم من يريد ان
يموت فى سبيل الله ، وان يروح اليوم الى جنة عرضها السموات والارض ،
فان ابواب الجنة الثمانية قد فتحت كلها ، فاين اهل الغيرة ؟ واين من يريدون
ان يدخلوا فى الحياة التى لا موت بعدها ؟ واين من يترك نساء الدنيا الذفرات
الى حور الجنة اللاتي كانهن لؤلؤ مكنون ؟ فلم أكد استنهض الناس بذلك حتى
تبادر الى المجاطون الشجعان زينة درهم من احلاس الوغى ، والمطاعين فى النهجا ،
يتبادرون مندلقين الى ، فارسا فارسا . فكان من بينهم البطل الشجاع ابن
الشجعان احمد بن القائد مبارك البيراني ، فتقدمت بهم ، فانحدرنا فى
الوادى نضمد (اربعا) ايت حامد ، فاذا بنا لقينا عبدا مستشير الوجه ، فقال
الى اوين تريدون ؟ فقلنا له : الى ساحة الجهاد امامنا ، فقال كذلك انا ، فامرته
ان يسبقنا ، فلم نكد نطلع على ثنية حتى راينا طلائع الجيش الكنفاي متفرقة
على رؤوس الجبال ، وقد اوصاهم ان راونا ان يعلنوا الطلقتين (تيماتارين)
فاعلمنا فى الحين . ثم تبادت ، وتسلسلت من قمة كدية ، الى قمة كدية اخرى ؛
حمى وصلناه حيث هم نازل . فاقلم بهدافه . فتوجه الى جهتنا . كما اننا
متوجهون الى جهته . فهاجمناه فى الجانب الذى لا يظن انه يوتى منه . فاطلقنا

فرساننا اطلاقه واحدة ، فلم نغف حتى خالطنا معسكره ، ونحن مستميون لا نبالي بالحياة ، فمات منا من مات كاحمد بن القائد مبارك الذي سقط في وسط معسكرهم ، ومات منهم كذلك من مات ، وقد سقط من تحت الكنتافي ثلاثة افراس ذلك النهار بالرصاص العارض لا محاربهه ، قال وقد مررت بكنابه الفقيه الحاج الهاشمي الناصري على بقلته ، فتركته لوجه الله ، ثم جلنا جوله عظيمة في الكنتافين ، فانهزوا هزيمة منكرة ، فغنمنا قليلا ، ومن بين ما اخذ فرس واحد ، اعطيناه لعل الايشليينحيني المجاطى الطماع ، ولو كانت المدافع موجودة في معسكرهم لاستولينا عليها ، ولكن الكنتافي كان قدمها امامه قبل نشوب المعركة فهربها احتياطا ، ثم تساقط علينا اهل املتن بدخوخهممائه بعد وسط النهار ، وقد رايناهم يصلون صفوفا لما قاربونا بنامم واحد (1) ، وكثيرون من القبائل الاخرى ، قال : وفي الليل جمعت مشاة نحو ستمائة ، فشنجعتهم على ان نسرى حتى نطلق الرصاص على مبيت الكنتافي في دارالحسين ابن عمر حيث نزل فبات. فصرنا نطلق عليه من الرصاص تخويفا له وازعاجا، ثم امر المعسكر ان يضرب الموسيقى ، ولجهل الجبلين ما هي الموسيقى اجفلوا حين سمعوها ، فلم يبق الا اصحابي الذين عرفوا ان لا شيء وراءها ، ثم جمع متاعه فخرج من الدار ، ففر قتيبه الناس حتى وصلوا (ايت ايلوكان) فانتهبوهم ، ففر الكنتافي فرار الارانب لا يلوى على شيء ، قال : وفي الصباح ذهبنا فنزلنا في دار الحسين بن عمر ، ثم لم نبت الا في (تيميشا) من ايت (فلاس ؛ فاتوا بكيش ، فقلت لهم : هل الكبش ذبيحة الاستسلام يا بني كذا وكذا ؟ فاين الثور ؟ فاعتدروا بان لا سائمة في البلد ، لانهم هربوا كل شيء من الحيوانات ، ثم بلغنا عن عبد السلام من آل ابن عيسى ما بلغنا من هروبه منا ، فاردنا ان نعتقله ، ولكن لم نصل محل نزوله حتى وجدناه هاربا منذ الصباح ، وقد ازعجه طلائعنا من المشاة ، ثم تابعت هدايا الاستسلام من القبائل الجبلية التي تانت تحت الكنتافي قبل ، حتى بلغت (التوركيبات) سبعة نيران ، ثم ذهبنا حتى وصلنا الدار التي كنت فيها في (أخرب) ، فكانت هذه الحرب للكنتافي هي التي قضت عليه قضاء مبرما ، حتى عزلته الحكومة لا عن تزنيته فحسب ، بل حتى عن قبائله في وادي نفيس وما اليه من كدبوية ، فعادت عليها هذه المعركة بالنحس والشؤء وسوء الطالع ، قال ثم لما تمهدت الامور ، رجعت مع الفقيهين المذكورين : سيدي علي بن عبد الله وسيدي الطاهر . واصحابنا الى مشهد (تاواعلات) وهي السيدة فاطمة الفتيهة الصالحة المتوفاة : 1207 هـ . فوصلنا هناك الفقيه سيدي الحاج عبد بيقرتين ، فذبجتنا هناك ، فاكلتهما الاجاعدون الخاسرون .

(I) أقول : حكى لي مثل هذا الحاج محمد من ابناء من ايت سمانيون .

وكان حاضرا اذ ذاك . وقد ذكر هذا العدد . مع الصلاة جماعة

الى دار همو بن اليزيد ، فى قبيلة (ايدوسكا) ولم يكن بظاهر الدليل .
 يظن فيه ميل الى التصارى ، فبات مع الفقيهين فى المسامرة . قال : وقبل هذه
 الليلة ، وقد اهويتنا الى دار همو سمعت باذن الفقيه سيدى الطاهر بن محمد
 يقول للفقيه سيدى على - تانه اعيا من مثل هذه الاسفار - يا سيدى الى منى
 نبيع هذا العبد فى كل معترك ووفوق كل ثنيه ، ووسط كل شعبة ، وفى
 عمق كل واد . حتى تقطع رؤوسنا معه فى بعض التساب ؟ فقال له سيدى
 على : انحن القارنون ام هذا العبد ، فلم يزده على ذلك ، فقطعت جهيزة قول
 كل خطيب ، قال : فعرفت حينئذ ما بين الفقيهين الافرانى والالغى :

الناس مشتبهون فى ايرادهم وتفاوت الاقوام فى الاصدار
 قال : ثم من هناك ودعنى الفقيهان الى (كردوس) ثم الى دارهما فذهبت
 الى (توبكال) عند ازرقى من قبيلة ايلان ، ثم رجعت من هناك الى دارى ،
 واما (محمد الامام) فقد تصدر للخلافة عن اخيه هناك ، وقد كان يتوصل
 بكل تلك (التعرقيات) التى تقدمها القبائل . ولكن اهل البلد لم يتركود
 هناك فارسلاوا اليه ان يقلع عنهم ، فافلح فى الحين .

القائد يرعى يخيس العهد

قال : كنت أنا والوزير يرعى ووردنا معا (كما رأى القارىء فيما ذكر) ثم
 صار فينة بعد فينة يشنكى فى كل مناسبة من الاعراب وحالتهم . وكثيرا ما
 يقول ماذا نعمل عند هؤلاء الذين لا يرجى انتصارهم . فاقول له: اننى عاهدت
 فلا أغدر ، حتى اذا لم يبق فيه من صبر ، ذهب الى حال سبيله ؛
 وقد كان عنده عون يسمى عبد السلام بن الزيات ، فكان يتصل
 بالمسمى (بركينو) الفرنسى الذى اشتهر فى (ابنى يكرنا)
 وقد علا شأنه بعد ذهاب الكنتافى عن سوس ، فكان عبد السلام يرسل الى
 عون آخر عند يرعى يسمى (بيهى) فيقول له : لو رجع القائد يرعى لاسترجع
 مكانته عند اللوثة ، فلم يزل يكتبه بذلك . ويرعى لا يابى الرجوع ، بسرعة
 ولكن يريد ضمانات . قال : ثم لما عزم - وقد وردت عليه فى كردوس - صار
 يداولنى ويبحثنى على ان نرجع معا . وقد نجلس منفردين كثيرا للمفاوضة .
 وانا ارخى له العنان ، قال الناجم ، وكثيرا ما تقلى لنا (الدرّة) لقلّة ما
 بايدينا فادخل انا وهو الى بويت فى (كردوس) فتتحدث حول هذا الموضوع ،
 وانا احيانا اسيره لاعلم كل ما ينطوى عليه . وحيانا اقول له ما اعتقد
 من ان استسلامنا للكفرة معناه احباط كل اعمالنا وسمعتنا وجهادنا وكل
 ما تقدم من حياتنا . ثم صار يذكر الفاقة التى نحن فيها . فقلت له : لازمنى
 فانا اتكف لك وانت تاكل ، فلا يصيخ لما اقول . بغينا كذلك نحو اربعين
 يوما ، وهو على ذلك الحال . فرسله تتردد سرا ليؤكد لنفسه ويأخذ الضمانات ،

وفى عشية الاثنين قبل موسم من مواسم سيدى احمد بن موسى ، جاءت رسالة من تزيت على يد سيدى على بن محمد التازاروالتي فجاء الرسول بها فدفعها للقائد سعيد بن احمد ، ففرا في عنوانها (مولاي محمد) فظن القائد سعيد أنها لمريه ربه ، لانه كثيرا ما يخاطب في عناوين رسائله من غير ايلانه بذلك او بمثله ، فدفعها له ففتحها فاذا هي ليرعى ، وانه مخاطب من (بركينو) بانه سيلقى يوم الاثنين المقبل ست عشرة بغلة فى (بوعركة) بين (ايت جرار) و (سيرنخت) يحمل عليها أثقاله ، فأرسلها الى يرعى فلما قرأها تغير لونه ، قال الناجم ، فقلت له مالك ؟ فقال : ان حية اليهودى هذا القائد سعيد ، ذهب برسالتى هذه الى مريه ربه ، فقلت له وما فيها؟ فقرأها على ، فقلت له : لا بأس ، فقال اذهب معى الى مريه ربه ، فقلت له : كيف يخرج الينا ؟ وهل تبقى منه شعرة تأمن منا بعد ؟ لا لا اننى لا ألتقاه الآن ، فبعث اليه اصحابه واحدا بعد واحد ، يطلب ملاقاته ، فلم يخرج اليه ، فقلت له ليفرخ روعك ، فبت هادئا الى الغد ، وفى الصباح ذهب اليه ، فقابلته مقابلة حسنة ، ومن جملة ما قال له : ان اردت ان تذهب الى دارك فمن ذا الذى يحول بينك وبين ما تريد ؟ ثم قال له : ان ما فى الرؤوس لا تزيله الطروس ، فكن مطمئنا ، قال الناجم : وقد كان قبل ورود الرسالة يقترح على ان نذهب الى الموسم من يوم الاثنين فكنت أقول له : ماذا نصنع فيه منذ هذا اليوم ؟ حتى التجار لا يأتون اليه الا يوم الاربعاء ، ولم اكن احسب أنه يهين امره على سعة ، ثم سافرنا يوم الثلاثاء الى الموسم ، وعنده ثلاث بغال ، فتركنا حيث كنا نزل متى آتينا الى الموسم ، فجاء أناس من السباعيين الحوزيين اليه ، فصار يحدثهم الليل كله ، ثم دخل الى بيتا فسقطت منه (خنشة) صقيرة (كيس صغير) فتناولتها فاذا فيها لويز من ذهب ثم رجع يفتش عن (الخنشة) فإريتها له ، فتناولها ، ثم دخل الى السوق فصار يشتري بعض الثياب السودانية، ثم اتصل بالمسمى محمد بن بوهوش صاحب القائد المدنى وجاسوسه الخاص ، ثم سافرا معا من غير توديعى الى (بوزاكارن) ثم صار يودع القائد المدنى ، ويجزيه كل خير على كل ما فعله معه من الاحسان . ويقول له : اننى عازم على ان ارجع الى اهلى والى دارى ، فلم يزل المدنى يمينه بكل خير لىبقى ، فلم يرجع عن نيته فودعه ، وقد كان (بهي) صاحبه بقى وراءه فى (كردوس) حتى باع ما أمكن بيعه من متاعه ، فأركب جارية له وبنيا ، فذهب بهما والتحق به على طريق مجاط والفران ، فلما وصلت الجارية امام (أمسرا) قالت له : لماذا يا عباد الله لم تتركونا حتى نموت بين المسلمين ؟ فلماذا تذهبون بنا الى ديار الكافرين ، فغضب عليها ، فضربها ضربة مبرحة ، فاذا بروحها زهقت معها ، فالقى جثتها فى البراز ازاء مقبرة تحت (أمسرا) فسلبها مما لبسته ، فذهب ببنتها ، فراح الى

(بوزاتارن) فباع بتدقيه رباعية له للمدني . فالتحق بصاحبه في (تزيت)
هكذا ذهب انوزير ويرعى عن اثيرد مربيه ربه . وكل صحبة لا تكون لله قال
انفصال منهاها ، وقد كان ولده عبد الرحمن صغيرا اذ ذاك فسافر مع
(بيهي) هذا ، فوصل اياه وهو الذي صار بعد حين قائد هشتوكة . فاستمر
الى ان قام بامر ابن عرفة كما هو معلوم . قال : وقد تبعه القائد مبارك من
اصحابي ، فانصل بالقائد عماد الجراري ، ثم وصل بينه وبين رجال الدولة ،
فصار مبارك ويرعى لا يفارقان موائد من هناك من الكبار في تزيت ، ثم
ردت اليه داره في القصبه بمراكش . ثم عين عونا في دار زبير في الصحراء ،
ثم التحق بهم بعد حين ولد صاحبنا هذا القائد الناجم المسمى ابا يونس ،
قال ابوه هذا : كنت تركته حين ذهبت الى الصحراء ، وقد ذهبت اليها تفسحا
بعد هذا الوقت ، وذلك في العهد الذي قام فيه محمد بن عبد الكريم الريفى ،
فبثت الجواسيس من الفرنسيين في كل ناحية حولى انا ايضا ، مخافة ان اثير
الصحراء ايضا على عادتي في اثاره كل من اتصل بهم ، وقد كنت نزلت
هناك على سيدى محمد البصير ، فطفت معه عند ابناء عمه الركائب الذين
يكربوننا اينما بنا بالجمال ، حتى اجتمع عندنا نحو مائتى جمل ، ذهب
بالنصف وذهبت انا بالنصف ، وقد كنت تركت ولدى ابا يونس ورائى ،
فكنت اسرب اليه كل ما يدخل يدي . وقد تركته قيما على اهلى ، فلما رجعت
ووصلت موسم (الكصابى) ونزلت في دار المخنار بن عمر ، بعث كثيرا مما
عندى من الجبال . ولم يبق معى منها الا البعض ، فارسلته مع عبدى ، فجاء
من قال لى ما اتخوف منه من غدر يحاوله بعضهم بى اثناء الطريق ، فتسربت
من ذلك المجل احتياطا وحزما حتى نزلت فى (اكيسل) ، وقد كان
الاخصاء يوزون ووقفوا معى كثيرا ، فحرفوا لى هناك ، ووقفوا مع اهلى الشهور
التي غبت فيها بالصحراء ، وقد كنت دخلتها بثلاثة افراس تركتها فى السمارة ،
عند سيدى الشافى ولد سيدى محمد البصير حتى رجعت ، والآن لما رجعت
الى (اكيسل) وجدت ولدى المذكور لا يمضى فى سيرته مشية حسنة ،
فخاصته ففضب ، فلما لقيته مع الحاج احمد اضارضور التاغججيتى ، فصار يوسوس
له بانه سيفصالح بينه وبين الدولة ، فسرعان ما تبعه الولد ، فذهب به الى
تزيت . فنزل عند الحاكم هناك منزلة حسنة ، ومقصودهم ان يؤثروا على
بسببه ، لكننى انا لا يلبس لى فى الحمر ، ولا يمشى لى الضراء (1)
ثم اتركوه فى قنطرة (ايت ملول) حارسا ما شاء الله ، ثم لما تزوج ولم
تظهر فيه فائدة لهم ، كما ظهر لهم اننى مصمم لانقاد بالاطماع ، بردت فيه
عزيمة من فى تزيت ، ثم تداخل القائد المدنى فى الوسوسة له فرجع اليه ،
ثم الى دارنا ، فبقى عندى ما شاء الله ، وفى صبيحة يوم ركب على فرسى

(1) الحمر محركا . ما يراك من الشجر . والضراء بالفتح . الاسخفاء .

ففر ايضا الى نزنيت . ثم نزع منه الحكام هناك حين عرفوا انه فرسى . فردوه الى وفد قالوا : ان الناجم ارسلنا الى يده مالا نطلب منه ان ياتي الينا . فرده مع عزوف ، فلا ينبغي لنا نحن كذلك الا ان نرد اليه فرسه بكل عزوف . قال : سمعت ان بنتا له ولدها مع امرأة ثم طلقها فكشف في اذنه نزنيت . فارسلت من سرفها من هناك فاتوبها ، ثم كانت فيها العائنة العظوى لى الان ، فهي التي تقوم بى كل القيام فى سيخوختى وضعف قوتى ، قال : هكذا رجعت من الصحراء بجمال كثيرة ، ولكننى فقدت بسببها ولدى . لانه لم يفسد الا بعد ان فارقته ، والامر لله ما شاءه فعله .

ثم سألته عن الذين هموا به كما تقدم ، فقال : انهم بكار ولد محمد الامين من ايت الحسن ، وسليمان ولد الشيعة ، والامين كلهم من قبيلة ايت الحسن احدى قبائل (تكنة) كانوا نوصلوا بالدرهم ممن فى نزنيت لقتلى ، ولكن الله اسبل حفظه على بفضلته .

فى ادجلول بالاخصاص

قال : كنت لما انتقلت من (ايت والياض) بعد ما مضى زمن عن الحرب الكنتاقية الثانية ، اويت باهل الى مكان آبائى ، ومسقط رأسى ، ورووسر جدودى . وقد نفرت نفسى من سكنى دار على بن ابراهيم التئونودى ، منذ فتك به رحمه الله ، وقد اردت الاستقرار فلم اجده الا فى دار اهلى . وبين ابناء عمومتى ، وفى وسط عشيرتى :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يالفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل

قال : الا ان القائد المدنى لا يعجبه ان اسكن هناك وسط قبيلته ، خوف ان تسول لى نفسى ان اثور امامه ، وقد عرف انسى من الثوار . فيتبعنى الاخصاصيون ، ولذلك كثيرا ما يقول لى : مثلك لا يسكن فى مثل هذا المحل الخالى من الماء . فلا ينبغي لك الا ما فيه المياه الجارية ، والبساتين الملتفة . والاشجار المثمرة ، فاقول له هذا ما قدر الله الآن . ومتى اراد الله غير هذا هيا اسبابه .

ثم بات عندى ليلة ، احمد المعطى . وحمادى بن سوساف الزفاطيان . فوجدانى فى قلة ماء ، فالحظ على ان اتحول الى بلدهم (اسرير) حيث الماء موجود والمعيشة سهلة ، فقلت لهما ان المدنى كثيرا ما يعرض على ان انتقل اما الى (تاكانت) او الى (بوزاكارن) او (تيمولاى العليا) او (تيمولاى السفلى) فقالا لى : اما (تاكانت) فلا تصلح لك . فانك لا تزال فى الطريق لكل غاد ورائح ، وكذلك (بوزاكارن) ، فسيقصدك كل من يقصد القائد . فان كان ولا بد فانزل (تيمولاى) السفلى او العليا .

فى تيمولاي العليا

وهناك عزمتم على أن أجيب القائد الى ما كان يتطلبه منى، وإن أسكن فى (تيمولاي) العليا ، فى افران ، فتحولت اليها ، وقد فرح القائد ، وزال عن صدره كابوس الخوف الذى كان يتوجسه ، فكانه لا يعلم انسى وان كنت أثور لا أخيس اليهود ، وقد كانت السنة شديدة ، وهى : 1345 هـ . سنة الجوع والقحط فى سوس ، فلما نزلت هناك اطلق لى القائد من أملاكه الواسعة هناك (23) بستانا ، و (175) طاسة ماء ، لتسقى بها البساتين - والمقصود بالطاسة : نصيب خاص من الماء ، والعادة عند غالب أصحاب العيون الجارية فى سوس أن يقسموا مياهها ستين قسمة متواطئا عليها، بين الليل والنهار، وتوازى ستين طاسة بحيث لا تزيد ولا تنقص على أربع وعشرين ساعة وهى التى فى الليل النهار - ، والطاسة هى التى يكون بها ميزان الماء ، وهى انا، صغير مصنوع صنعا خاصا من النحاس ، فيتقب قعرها تقبا صغيرا فتجعل فى سطل ماء ، فيتسرب الماء من الثقب من اسفلها شيئا فشيئا حتى تمتلئ ، ، فتفطس فى ماء السطل ، فهى الطاسة الواحدة ، وعلى مثلها قسمت الساعات الستون المتواضع عليها التى يقسم عليها الماء بين الليل والنهار فيجتمع الناس دائما بالمناوبة فى مكان خاص معلوم عندهم ليلا ونهارا ، وهو مجتمع أهل القرية الدائم ، فكلما امتلات الطاسة يصرخ الصارخ بذلك ، فيسمعه من يسقى بالماء فى الحقول ، فيعلم ان الطاسة قد انقضت ، فان انقضى ماؤه ، يبادر من تليه نوبته ، فيميل الماء من اعلى المجرى الى حقله ايضا ، وهكذا دواليك ، ثم تباع الطاسات وحدها وتشتري، فلكل انسان طاساته أو طاسة واحدة أو نصف الطاسة أو ربعها، وقد وسم فى وسط الطاسة داخلا : النصف والربع بخطوط مستديرة مجبوكة الصنع ، فلكل نصيبه الذى فى ملكه ، قد عم هذا العمل غالب سوس ، وهذه الساعة المائية رومانية الاصل ، وهى من بقايا الآثار الرومانية عند السوسيين ، وفى راس كل سنة يجتمع الناس ليجربوا الثقب فى اسفل الطاسة ، أبقى على حاله ام اتسع ، فان ظهر منه اتساع أصلحوه حتى يرجع كما كان . وهذه الطاسة تسمى (تانااست) أى النحاسية ، لانها لا تصنع الا من النحاس والكلمة كما ترى عربية شلحت - . أقول : ان هذه الاملاك التى أنزل المدنى فيها القائد الناجم ، هى لآل سى مبارك من أهل حمو بن مسعود ، وهم ستة ، قتلوا فى دارهم ليلة باذن القائد المدنى : الاب وأربعة من أبنائه ، وحفيد له، والذى تولى قتلهم اصحاب المدنى مع ولد على بن مبارك، وقد كان الكبير من الابناء الاربعة قتل باذن المدنى على بن مبارك من الفقيرين سرا ، ثم اظهر المدنى الامتعاض لقتله . فأمر الآخرين بقتلهم اخذا بالثار ، فحاز دارهم واملاكهم ، فانزل فيها الناجم .

قال الراوى : وهناك سكنت نحو ثماني سنوات، فلم استقر قط منذ كنت في سوس الا هناك استقرارا بالسكنى ، الى ان وقعت الواقعة كما سيأتي في: 1352 هـ .

قال : كان حاسد قال للمدني حين اطلق لي ما اطلق في (تيمولاي) من البساتين والياه : ان هذا لكثير لا يستحقه كله الناجم ، فسكت المدنى ولم يجبه ، ثم جرى ذكر ماء العينين كاتب القائد المدنى وهو سبيط الشيخ ماء العينين ، فقال عنه : انه أولا كان كاتباً عند خاله الهيبه ، ثم اعرض عنه فترامى على يوما لانظر الى حاله ، وأنا اذ ذاك على هشتوكة ، ينفذ فيها امرى كما أريد ، والهبية اذ ذاك في (تيمنكر) فطلبت من خاله ان يرضى عنه ، فوصفه بما لا يمكن ان يرجع اليه معه بعد ، وذلك بعد ما قدمت الى الهيبه من اجله ثلاثمائة كبش ، وستمائة قالب من السكر ، وستمائة ريال ، ثم قلت له : ان لم يمكن ان يخدم معك فارسله معى لاجعله على الاعشار التى كنت جمعتها تلك السنة فى هشتوكة ، وقد اودعتها فى كل ناحية ليقوم عليها حتى تحمل اليك من هناك ، فارسله معى فبقى معى ما شاء الله ، ثم تكلمت مع القائد المدنى من اجله ، فسببى انحاش اليه ، ثم اتخذه موضع سره ، وكاتبه الخاص ، كما اتخذ محمدا البوهوشى رسوله الخاص ، وبين الكاتب والرسول صحبة فيكتب الكاتب له الرسائل الى قواد مراكز فياتى الرسول بالاجوبة اليه ، ومعها ما يبعث اليه من هدايا ، فاستبدان بها ، ولو لم يعجل الموت بالقائد المدنى سنة : 1352 هـ . لبطش بهما ، لانه كان يعزم على ذلك .

ثم اننى سألته عن اسفار مرييه ربه الى جهة (املتن) والى (ايت عبلا) والى (اداوزكرى) فقال انه ذهب الى تلك الناحية اكثر من مرة قال : خرجنا فى المرة الاولى من (كردوس) فمرنا فى ايت على بـ : (كرامة) بمجاط ، فترقى الناس على القرى ، ولم يحسنوا الضيافة ، ومن هناك نزلنا فى (ايت وققا) فبات مرييه ربه والقائد الناجم عند احمد الايفشانى ، والقائد المدنى والفقيه سيدى الطاهر ، عند الفقيه سيدى على بن عبد الله الالقى ، والبعمرانيون ومن بينهم الشيخ سعيد عند سيدى محمد الدرقاوى الالقى ، قال : كان مرييه ربه امرنى ان آتى باربعة فرسان من كل قبيل لصاحبوه الى دار الايفشائى ، فلما اجتمعوا تقدمت بهم الى مرييه ربه ، فلقيت عليا الايشلحنينى المجاطى الطماع المشهور ، فصار يندد على حين جمعت هؤلاء فقال لي كلاما مس كرامتى ، فلم أجه اذ ذاك أولا ، ثم لم أصبر فقلت له : اين رجولتك فى ارضك حين بات السلطان واصحابه أمس عندكم ؟ فقد عرفتك وعرفت أفعالك ، وما كنت تتصل به من الخونة الذين فى تزنييت وفى تارودانت، فاتى مجاطيون ليعينوه، وكثيرون الى ليعينونى ، فكادت الحرب تقوم بيننا ، وقد قلت له : ان الايفشائى الذى تزلف اليه باقلال من سبيبتون عنده من فيه همته غيرك ،

فأرحدك من البصبصة له ، فلما كثرت المخاصمة بادر مربيه ربه ، فنزل عن مركوبه ، فاستدعى أحمد بن الحاج إبراهيم الأيفشثاني فقال له : أين أبيت أنا ؟ فقال له : عندي ، وليجئ معك الانس والجن ، فخرجنا بكل من أسرى اليك ، فسقط في يد الإيشلحيين الذي كانت مخاصمته تنور حول منع ذهاب كثيرين اليه ، يظن أنه يدافع عنه بذلك ، قال : ثم بكر الفقيهان سيدي علي وسيدي الطاهر ، والقائد المدني ، والبعمرانيون ومنهم الشيخ سعيد البعمراني إلى دار الأيفشثاني ، قال فبمجرد ما لاقاني المدني رأيت عينيه مغرورقتين فقال ما هذا الذي صنفته ؟ لماذا لم تقتل عليا الأيشلحييني ، فان قبيلة الاخصاص يؤدون دينه بسهولة ، فقلت له : حاشا أن اكون السبب حتى يتفرق هؤلاء المجتمعون في منفعة الاسلام . فيقال : ان قتل الناجم لعل الأيشلحييني هو السبب وأنا في حياتي أسعى للجمع لا أسعى للفرق ، قال : فكان ذلك أحد الاسباب حتى تفرقت الكلمة بين المجاطين والمدني ، وقد كان على فرس المدني سرج براق جميل ، فصار اندال مجاط يتناغتونه فيقولون : انه يتكبر علينا بحلس مزوق وضعه على جحشه - يعنون فرسه - قال ثم من هناك الى (تامنكرت اومانوز ، فهناك اهدى القائد البشير التامانارتي عن الامانوزيين وهديته فرس - كما أظن - ثم الى اكادير (نتيسكنت) عند مشهد (لثلا مامناس) ثم الى (ايت عبلا) ثم الى (ازيكتر) حيث محمد أخو عبد الله الشيخ الساكن في (زغنتين) ثم الى دار اخيه عبد الله ، ثم الى (ازغار نيهاميين) ثم الى (تغفلت) عند عابد المري رئيس (اداونزكري) ثم وقعت هناك خصومة بعد ما جلسوا هناك أياما ، ورب الثوى يفيض عليهم بالخيرات ، والخصومة سببها ان المجاطين بسبب ما وقع بين القائد الناجم وعلى الأيشلحييني - وقد علموا ان المدني يناصر الناجم - قالوا : ان الزكريين من اهل خفارتنا ، فهم تحت حمايتنا ، فلا ياخذ منهم المدني وسلطانه مربيه ربه دانقا ، لان خروج مربيه ربه انما كان لاتمام دورته لياخذ ما ضمنته له كل القبائل من ريال لكل دار ، والمجاطيون لا يرضخ غالبهم للمدني ، وقد مال البعمرانيون الى المجاطين ضد المدني ، ومعهم سيدي أحمد الدرقاوي الذي كان يتقدم بكبكية من المجاطين ضد المدني ، فتسرب ثورتهم على المدني أحيانا الى الثورة حتى على مربيه ربه ، وان لم يكن مقصودهم الا المدني ، وقد حاول المدني حينما ان يستولى على كل قبائل افران ، فنادى ان لا تفصل دعاويهم الا في (بنوزاكان) ، ولكن المجاطين استثاروا عليه الافرائين ، لبطل ما اراد ، هذا وقد افاض الزكري كل خير على الناس ، وأعطى وما قصرتم ذهبنا الى (توفلغنزت) عند بني الامين . ثم الى ايت علي في (ايلان) حيث المسمى امغفون والفقيه - لقب لا وصف - وبوقال ، فعند هؤلاء نزل الرؤسا ، الذين مع مربيه ربه ، والفقيهان سيدي علي وسيدي الطاهر نزلا عند غنى هناك ،

قال : ومن هناك رجعنا ادراجنا ، فبتنا في مدرس عبد بن حمو من ايت علي ، ثم (بيزى نساواقانين) ، ثم مررنا بقبيلة (املتن) ونزلنا في (تاهالة) ثم بتنا عند عابد الخانوش في (سملالة) قال وعند سوق الجمعة تفرق الناس للبيات كل في قرية، فبات مربيه ربه في (تاكانست أو كضيض) حيث الشرفاء المشهورون ، وقد بقي هناك ثلاثة أيام ، ويقول مربيه ربه : ان احد اجداده الاولين كان اصله من تلك القرية ، ثم انتقل الى الصحراء - وبات القائد المدني عند بنومازوغ، ثم بتنا في موضع آخر هناك ، ثم الى (كردوس) فانقضت السفارة وتفرق الناس ، فذهبت انا الى محل بالاحصاص ، وكنت اذ ذاك لا ازال في (اد جلول) قبل ان انتقل الى (تيمولاي) وهذه السفارة كانت كما يظن نحو : 1341 هـ .

قال : كانت الخصومة التي وقعت في تلك السفارة سبب ان مال عابد الزكري الى التسيبوتى ، فانقطع الى تلك الجهة، ثم جاء حمو بن بلقاسم هاربا من التسيبوتى الذى استولى على تلك الناحية حديثا ، فوسوس الحاج حماد له حتى هرب الى الجنوب ، فالتجأ الى أحمد الابغشاني ، والقائد المدني ومربيه ربه فذهبت حملة تحت رياسة مربيه ربه ليردوه الى داره ، فلم يغنوا شيئا ، الا انهم التقوا هناك مع الحاج حماد والتسيبوتى فاعلنوا المهادنة .

وتفصيل هذه السفارة على ما يستحضره الحاكمي : انهم خرجوا في جيش فيه مع المذكورين : القائد احمد بن البشير الاصمبوتياوى والقائد محمد يحيى المشهور في وادى نون ، والفقير سيدى علي بن عبد الله ، وسيدى الطاهر - واللفقيهان لا يفترقان - والشيخ سعيد البوبكرى، والفقير احمد بن أبى الطعام، وسيدى احمد الدرقاوى الذى كان له ظهور قوى مع المجاطين ، وهو من شيعة الزكري المظلوم ، قال : فلما وصلنا ونحن في خيل كثير - ايت عبلا ، ونزلنا في دار الرئيس عبدالله بن سعيد ، بقى مربيه ربه هناك ، والمجاطيون والرخاويون وسيدى الطاهر، قال فذهبناقدا نحن والقائد المدني والبعمرايون والفقير سيدى علي الى أن نزلنا في (تركنين) ونزل جيش الآخرين فى (تقايت) وفيه الحاج حماد بن حيدق والتسيبوتى والزكري الذى فرطنا فيه بسوء معاملتنا له ، حتى ولى عنا الى الناحية الاخرى ، قال : فجا، اليسا الاكضيضيون والتمليون ، وقد حملوا سلاحا جيدا وقرطاسا كثيرا ، وهم فى حياة حسنة تلفت الابصار ، قال فلم نزل نمشى ولما نزل ، فاذا بالعدو يرمينا لما اشرفنا من مكان ، فصرنا نجيبهم رصاصا برصاص ، فبادر ابن المحفوظ الكنكى الاحصاصى ، واناس من اصنبوتيا وانا معهم ، نقف منهم موقف المدافعين ، قال فامرني القائد المدني ان اذهب بستين من المشاة الى اكمة تقايل (تاقيت) ثم اعطاني فى العشى خيزا وكوزا اوصلهما لهم كالمزاد ، ثم نزل حواليتهم الاكضيضيون والتمليون، ثم انتشبت الحرب، واشتبك الفريقان

فهرب الاخصاصيون ، وبقي الآخرون من اهل القبائل المرابطين على اهل (ناقبت) وفي الصباح سقط هؤلاء المرابطون في موقف العدو ، فصار يضربهم ، ثم وقعت الهزيمة في هؤلاء المرابطين، فصار المدني يخاصم علينا لماذا نشير الحرب؟ فقلت له : ألم تعلم اننا انا وانت ما وقفنا هنا الا بهؤلاء ؟ فلنسن ولوا عنا فسيأخذنا العدو باليد ، ثم قلت له ولكاتبه ماء العينين ومن معهم: انزلوا انتم هنا ، فذهبت انا وأصحابي ، فمررت بكراديس القبائل من الفرسان، فاتبعني ثلة منهم ، ثم مرت بعلي ابن القائد المدني واقفا في خمسمائة فارس ، فنار في وجهي الى أين تقصد أيضا ؟ كأنه يريد ان يتامر علي ، كما ألفه من كل الاخصاصيين ، فقلت له بغضب : أريد الميدان الذي فيه نشأت ، وهو شغلي منذ عقلت ، ثم قلت له كلاما نابيا ، ثم اسرعت لاغيث المنهزمين ، ونحن في عشرة فرسان ، فاستدردنا وراء العسكر الذي خرج للحرب - عسكر الحاج حماد بن حيدة - وهم في حرب مع من بين أيديهم ، فلم يشعروا حتى جئناهم من وراء ، فانهمزوا بين أيدينا انهزاما شنيعا ، ثم وقع فيهم البعمانيون ، فقتلوا وسلبوا كثيرا من السلاح، حتى قل فيهم من لم يرجع ببندقيتين أو ثلاث قال هكذا علونا عليهم ببركة عشرة من الفرسان ، وبركة المشاة من التملين والاكثيضيقيين ثم رجعنا الى محلنا ، فاخبرت أن واشيا من الاخصاص قال للقائد المدني : لو سمعت ما قاله الناجم لولدك على لسائك ، فقال له : يا ليت الناجم فتك بولدي ، انه ليس ولدي حقا ، والا فلماذا لم يقتد بالناجم فيذهب بالاخصاصيين حتى يشاركوا المنتصرين في شرف الانتصار ، قال ثم وقعت المراسلة بين الحاج حماد والمدني في اليوم وفي الليلة التي تلتها ، وقد وقع أن الناس تكاثفوا في ثنابا مشرفة على معسكر العدو الذي تراجع بعد الانهزام ، فصرت أمشي في الناس فابندأت من اولهم وهم في صف مستطيل الى أن وصلت الى المدني في أخريات الناس ، فنار في قائلا - وقد ظن أن في نيتي استشارة الحرب ثانيا - هل تريد أن تعيد الحرب اليوم أيضا جذعة؟ فكنت أجيبه بمثل ما أجبت به ولده أمس ، ولكنني ملكت ارادتي فسكت ، وفي ذلك الوقت ورد رسول من الحاج حماد الى المدني يقول : اظهروا قوتكم لمعسكرنا ليطيّبوا للصلح ، فقال الفقيه سيدي علي بن عبد الله للمدني - وقد كان سمع ما قاله لي آنفا - ارايت الآن أن ما قلته للناجم غلط ، فانه لا ناقة له ولا جمل في هذه البلاد الا نصرة الدين ، والا فما الذي أخرجه من داره بمرآكش حتى هاجر الى هذه القفار ، قال ثم وقع الاتفاق بالمراسلة على أن يقع الاجتماع لاعلان الصلح غدا ، فاجتمع الرؤساء، فاستداروا ، فاذا با' حاج حماد ابن حيدة مقبل، فقال المدني لما رآه من بعيد : اهذا الاسود القبيح هو الحاج حماد الذي نسمع به؟ وقد كان حليق الوجه ، أسمر السحنة ولم يعط وجهة ثم لما جلس بادرت فقلت للحاج حماد - وقد خفت أن يقع في تداولهما وسط

الناس ما لا ينبغي أن يسمع - ان كان بينك وبين القائد المدني ما تتداولان فيه ، فانفردا وحدكما ، فابعاني ، فاما وابتعدا عنا. ثم جاء اليهما التسيبوني وقد اخبرت أن المدني ثراب على التسيبوني ، فقال له : انك تضر بالمسلمين ، ونقطع الطريق على قوافلهم ، فاجابه الآخر ، حاشا أن اضر بمسلم ، بل انا لهم نفع عام ، فاسأل عنى جيرانى ، وكيف اضر بالمسلمين وأنا مسلم مثلهم قال وبينما هم كذلك اذا بعابد الزكرى وعمر البيهمندى اقبلا الى هولاء ليشاركوهم فيما يقولون ، فثار فيهما المدني ، ارجعا عنا ، فلا تقرانا ، قال ويعلم الله أن افعال المدني وأمثال المدني هي التى ضيقت عليهما حتى وليا وجهتهما الى الناحية الاخرى قبل اليوم، فاستدبر امرىبه ربه ومن فى ايكالته، فان مكانه بهما هي التى دفعت بهما حتى انحاشا مضطرين الى التسيبوني ، فانسلخا عن ايكالة مرىبه ربه .

قال: هكذا وقع الاجتماع بين اقطاب الجيشين، ثم قبل الافتراق نادانى الحاج حماد ، فقال لى : قل للمدنى اننى مسلم حقيقى ، واما أبى - غفر الله له - فقد غلظ فوقع له ما وقع ، وقل له يثبت فى العهد الذى بينى وبينه ، فلا يتكلن على من حواليه ، فان كل من يستديرون به يكتبون الى ولا غرض لهم الا المال ، فلا يغتر بهم ، قال ثم نادانى العربى بهشباز أخو ايزا بنت بيورك زوجة حيدة المشهورة براياها وكلمتها ايام زوجها . فسلم على ، وقال لى - وقد راي على اللباس الاسود : لباس اهل الصحراء - ما هذا اللباس يا فلان بعد تلك الحلل الحضرية ؟ فقلت له : لا بأس ، فان هذا هو لباس غالب من انابن ظهرانيهم ، قال : كانت المعرفة بينى وبينه من قديم فى عهد الباشا حمبو ، فقد كان صاحب الصينية عند حيدة يوم كان شيخا. ثم صار يرد الى مراکش، من الذين يرسلهم حيدة ليهدوا فى الاعياد ، قال ثم رجعنا فبتنا فى (اكادير نتوكر ماض) وقد كان هناك جرحى لنا آتينا اليهم ، فوصلنا دار الرئيس العبلوى فى (زغنتين) فبتنا عنده ، ثم بتنا فى (ايبانارن) بآمانوز، ومرىبه ربه فى (تيسكىنت) وقد تبعنا الى ايبانارن (الشيخ سعيد ، وابن عمه الحسين الخمسيان البعمرانيان ، فانزلهما عند انسان ، وبت انا مع القائد امام دار هناك كنا نألف النزول فيها ، وفى الصباح لما اطرنا قال المدني: نذهب ليوعدنا مرىبه ربه ، لنذهب الى زيارة (تيمككتشت) فودعناه ومعنا سيدى الطاهر ، وحمو بن القاسم ، واما سيدى على بن عبد الله فمع مرىبه ربه ، فوصلنا (ايخف أومتجوض) فصلينا هناك الظهر ، ثم صلينا العصر فى (اكرض- ايملازن) ازاء الزاوية، فذبح القائد بقرتين فى الزاوية على ضريح الشيخ سيدى أحمد بن محمد ، فترلنا عند سيدى محمد بن الهاشم فلم نكد نزل عنده حتى أرسل الينا والده شيخ الزاوية سيدى الهاشم ، فاتانا بصينية صغيرة انا والقائد وماء العينين وسيدى الطاهر وحمشو بن

القاسم . ثم عسانا بطاجنة صغيره ، تصار يخرج رجله وقد تقطعت اصابعها ، فقال انما تقطعت بسم وضعه اعدائى بنى نعلى ، ولم يلبس الا قميصا منقلصا ، وشفاهه غليظة ، وهو ادلج الشفة ، فجالسنا وحادثنا ، واظهر الفرح الكثير بنا وقد اجلت بصرى فى جدران المحل فرايت الطبل والدف والمزامير معلقة ، ثم لم نكد نخرج منه الى المحل الذى نزلنا فيه حتى ضرب الدف من عنده على عادته المألوفة ، وقد تولى ولده سيدى محمد كل اكرام لنا ، قال فصارسيدى محمد يقول لى لماذا لم ترجع الى مراکش ، فجنى متى تبقى عند هؤلاء الاجلاف ، فقم معى لاردك الى مكانك ، فلا ازيد على التيسم ، فبقينا هناك خمسة ايام اقام لنا فيها احد رجالات الزاوية سيدى العربى حفلة فاخرة ، وقد انزلوا اصحابنا على حدة خير انزال ، ثم من الزاوية الى (ثلاث) عند مولاي اسمعيل ثم الى (الخ) عند الايفشاني ، ثم الى (ايت رخا) ففارقنا الفقيه سيدى الطاهر فى (افانتيقى) فبتنا نحن عند الرئيس الفقيه احمد الرخاوى ثم ذهبت الى محلى فى (ادجلنسلو) وانا لا ازال اذ ذاك هناك ، والقائد الى (بنوزاكارن) . قال وبعد ايام ورد على احمد بن مبارك ، وبلعيد بن الطيب وقواد بن قبيلة اصنبوينا ، فقالوا يا فلان : اين حظنا مما جاء من المال من عند الحاج حماد ؟ فقلت لهم : لا علم عندى انا . ولا اتدخل فى امره ، فما انا الا مهاجر مجاهد . فلا اتبع امر الاموال ولا اتطلبها ، فلو كان لى فيها غرض لما فارقت بلاد الاموال ، الى بلاد الفقر وذنك العيش ، فقالوا ان المدنى غدونا ، فقلت لهم : عليكم به ، فانه فى (بنوزاكارن) فذهبوا اليه فنفتحهم بما نفتحهم به ، ثم لم يكفهم ذلك ، فسافروا الى تاردانت عند الحاج حماد ، فبينما هم عنده اذا بهجد بن بوهوش صاحب المدنى قد دخل فامتقع لونه حين رآهم ، فبادر الى الحاج حماد يناجيه ، ولا ريب انه حثه على ان لا يسمعوا منه ان هناك اتصالا ما بينه وبين القائد المدنى ، ثم رجع هؤلاء الخطافون من هناك ايضا بما خطفوه من الحاج حماد ، قال وغالب هؤلاء الرؤساء على هذه الحال الا قليلين جدا ، كالفقيهن سيدى على وسيدى الطاهر ، والقائد سعيد ابن احمد الكرديسى ، والايفشاني ، واما القواد منهم فقد اکتفوا بما ياكلونه من قبائلهم انتهابا . (وهذه السفرة فى صفر 1342 هـ .) .

قال : ومما وقع وانا فى (تيمولاي) ان توجه القائد المدنى بجيشه وانا معه الى ان وصلنا الى (اقا) ومدن معنا الفقيه سيدى الطاهر وسيدى البشير بن المدنى ، وسبب ذلك ان فى (بنوزاكارن) اناسا هربوا من القائد محمد أبو النعيلات قائد طاعة ، فالتجأوا الى القائد المدنى ، كما ان اتباعا للقائد الطاطائى نهبوا قافلة فيها جمال للاخصاصيين ازا ، (اموكدير) فلهايتين القضيتين خرج المدنى فى نحو ستمائة فارس ومعه بعض المجاطين كملى الاشلمحيني ، وقليل من الخطافين اذتاله ، قال فباتوا اولا عندنا فى (تيمولاي)

ثم في (اخف اغير) بافران ، ثم في (اداى) ثم في (القصبه) وقد تقدم معنا الحاج احمد الابراهيمي الصارمورى ، ثم في (تامانارت) عند القائد البشير ثم في (ايمى الزكادير) ثم في (ايشنت) ليلتين عند ابنا الخليل ، ثم في (تيصكى يير يفتن) ثم في (اكفى) ثم في (توزونين) حيث القائد ابراهيم الذى ذك بابيه القائد بلعيد وشيكا ، فاستولى على مخازنه وعلى ايلته ايت مريض. وهناك قال القائد ابراهيم للقائد الناجم الذى يحكى لنا ها انذا ترى القائد يرعى خاص عهوده، فولى على عقبه، افلا يخاف ايضا ان تفعل انت فعلته ، فقلت الله يحفظ ، ويعطينا الصبر ، فقال : اننى على لك كـا وكذا من التمر كل سنة ، فقلت جزاك الله كل خير، ان القائد المدني قد كفانى كل المون ، فقد سلم لى 23 بسانا فيها ما فيها من انواع الاشجار والنخيل والمحارث ، دع ما يكفيها من المياه . فلا احتاج مع ذلك الى سواه ، قال : وهناك قال محمد المقدم الرسموكى الاقوى للقائد المدني الى أين أنت الآن تقصد ؟ فقال اقصد ان آخذ حقوق الاخصاص من القائد الطاطاني ، فقال زهل يمكن ان يقف انا من يفاوضك في ذلك ؟ فقال له : يمكن ، فوضع بين يديه خدسين بندقية اوربية كوثائق على كل ما على الطاطاني ، فردت الوثائق الى القائد ابراهيم ، قال وقد كان القائد ابراهيم هذا أنزل عندهم اخيرا معبد بن بلقاسم النكادى لما ورد نحو : 1349 هـ . من سجلماسة ، فبقى عنده هو ومن معه ما شاء الله . ثم ذهبوا الى (تاغيجت) حيث بقوا الى آخر يوم ثم فتكوا سنة : 1351 هـ . باهل (ايشنت) فاحتلوا واخرجوا منها اهلها ، ثم لم يبقوا هناك الا نحو سنة ، فدهمهم الاحتلال ففروا ، ثم ان القائد ابراهيم كان نزاع شديد بينه وبين القائد الطاطاني الذى دخل في ايلة الحكومة ، فاستولى رسميا على (طاطة) بعد منازعة عليها وعلى (تيسيننت) بينه وبين الاكلاويين فوقف معه القائد محمد بن ابراهيم التيسينوتى حتى وصل الحبل بينه وبين الحكومة . فاستراح من الاكلاويين، فعلا شأنه هناك وقد كان (ادوا بلال) متنازع السيادة عليهم بينه وبين القائد ابراهيم، وكان ابو الرحيم = احد رؤساء اقا = يعاكس القائد ابراهيم ويمالى الطاطاني ، فاتصل الحبل بين القائد ابراهيم - وقد يئس من الانتفاع بجانب القائد المدني وايلة مرييه ربه - وبين رئيس ساقن الذى انضوى تحت مركز (ايفرتم) فواصله الى الحكومة ، فرجع من عند الايساقنى فواقع بابى الرحيم وامثاله من اعدائه رؤساء (اقا) فاستولى على كل هذه الناحية ، ولم يلق بعد الا الرئيس الايساقنى من رؤساء الحكومة ، ثم لم يطل الزمان فاذا بغزاة من المشردين عن (تافيلالت) وما اليها بعد احتلالها يتنقلون في نحر الصحراء ، فيقومون على القوافل وعلى الطرق ، وكانوا مائة وخمسين داهموه في مسكنه بقرية (توزونين) فحاصروه فدافع دفاع الابطال ، فقتل وحده خاصة

ببندقية سبعة عشر، ثم اغائنه اياته ، ففكوا بجميع الغزاة ، فلم ينج منهم الا خمسة ، ولكنه قتل اثنا الحصار ، لانه اطل من نافذة فرماه رام منهم ثم نوى القائد الحسن وراه وهو الذى ساير الاحلال الى الامام .

رجع . قال : ثم لما كنا فى (توزونين) كما تقدم ، كانت الخيل تلعب فى النمامية ايام التى قضيناها هناك ، قال : وفى يوم بعد الافطار ركبنا انا وسيدى الطهر وسيدى البشير بن المدنى وسيدى محمد بن عبد الله القصبى من آل سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ ، وسيدى عبد الرحمن من آل ، فذهبنا جميعا حتى راينا اطلال مدينة (تامدولت) ثم رجعنا عند الغداء ، قال ثم من هناك الى داخل وادى (اقا) فتقدمنا الحاج احمد الضارصورى وسيدى الهاشم القصبى ، فنصلوا (اقبابن) - قرية هناك - فاذا بأهل القرية صاروا يظفون الرصاص على اخاج احمد والابراهيمين اصحابه ، فكان أهل القرية خافوا من اجتياحهم ، لما عسى أن يتوجسوه من دسياسة القائد ابراهيم ، قال ، فللقانا نحن أهل (اقا) بالفرح التام وبالبارود الكثير كل يطلق ببندقية ، قال : حتى انا صرت اطلق فرحا . فتضحك على سيدى الطاهر وسيدى البشير ، فعلا احسى انت ؟ فقال قائل : أو لا ترون الى القائد المدنى نفسه يطلق ببندقية ؟ وكذلك امضينا ساعة ابتهاج ، وما كانت لتمضى لنا لو كان معنا الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى صاحب الجد ، فربما خاصمنا ايضا كما خاصمنا فى ايت بعمران فى مثلها ، واما سيدى الطاهر فانه حين يواتى كل واحد . ثم نزلنا عند المقدم الرسموكى انا والقائد المدنى وكاتبه ماء العينين ، والرؤساء جميعا . وفرق الاقايون جميع الفرسان ، فرأينا الحضارة والانافة فى الطهو والفراش والالوانى والزاوله ، ثم اضافنا اوهناؤول فبقينا عنده ثلاثة ايام مثل ما مكثنا عند الرسموكى ، ثم ذهبنا على مشهد سيدى عبلا بن مبارك . فعدانا رئيس المشهد سيدى الصغير ، ثم كنا عند ابن شعيب فى (تاويرت) ليلة ، ثم عند سيدى الامين فى اكادير ادوزرو فلاقينا هناك فقيها اشيب - لعله سيدى المكى - ثم رجعنا الى (توزونين) ثم ضيفنا سيدى العدلانى (1) ، ومن هناك رجعنا ادراجنا على منازلنا غالبا فبقينا ايضا عند القائد البشير التامانارتى ، فصارت الخيل تلعب هناك وحين كنا فى (القصبه) عند ابناء الشيخ ، قال : هكذا هذه السفرة ، وقد رجع القائد المدنى بهدايا كثيرة كما اهدى هو ايضا ، وقد استرد مما ذهب للاخصاصيين بعضه ، فاستقررت ثانيا فى مستقرى فى (تيمولاي) .

ظلائع الاحتمال النهائى

قال : كانت ناصية القائد المدنى مباركة على تلك الجهة ، فليلق القائلون

(1) ويقال ايضا العدنانى . وهو ابن على بن مولاي الحاج الويليفدى .

ما شاءوا في طمع المدني في الاستيلاء على القبائل وفي استبداده ، بالامور ،
 ونرى حب السيطرة ليظهر وحده من غير منازع ، وفي كونه يقتل ويغرم كل
 من استذلهم الاموال ، وكل ذلك فيه حق كثير وصدق لا ينكر ، ولكنه على
 كل حال لا يجب ان ينضوى تحت الكفر ، ولا ان يكون له اسم القيادة موسوما
 بطابعه . فكاد يكون هو الوحيد المخلص لآل الشيخ ماء العينين ، فيرسل اليهم
 من عنده ما يتوقفون عليه ، ويحارب ذودا عن اياهم ، فلا يتخلف عن كل
 مكان فيه حرب ، وقد فتك باحمد نطالب لكونه يناونه في التملك على قبيلته
 ايت عملا البعمرانيين . كما فتك باخرين امثاله ، وقد كان بوده ان يفتك
 بالقائد مبارك البشيراني وبالشيخ سعيد الحمسي وبكل رؤساء مجاط ،
 ورؤساء آل بعمران ، لكنه لا يقدر . فبقى منفصا بمنواتهم واهو في كل ذلك
 شديد الحجاب ، مهدود البساط ، مفتوح الابواب للاضياف ، لا يسأل احدهم
 من اين ولا الى اين ، وان كان لا يلقاه الا الاخصاء منهم احيانا ، ثم انه مع
 ذلك لا تزال الرسائل بينه وبين كل قواد مراکش ورأس الوادي وأزغار الا
 ما كان من الجراي والتشيونتي والكتنافي الذين يريدون ان يقودوه الى الحكومة .
 فانه يجابهم ولا يتصل بينه وبينهم ادنى حبل ، وكان في كل المجالس يدعو
 ان لا يلقى وجهه وجه النصاري ، فاستجاب الله دعاه ، فادركه اجله قبل
 الاحتلال بشهرين ، فذهب الى ما قدم ، قال ثم اننا ذهبنا مع اهله معزين
 لمريه ربه ، فأرسلت الى زوجه فاطمة بنت الحسن اخت القائد مبارك البشيراني ،
 فطلبت مني ان اقف حتى يكون ولدها الحسين قائدا في مقام ابيه المتوفى ،
 قال فصاحبناه هو الحنفي وماء العينين والقائد محمد يحيى ولد الهيبه الزافاضي
 ومبارك بن علي البوفوسي - شيخ اد الاربعاء من الاخصاص - الى (كردوس)
 عنده مريه ربه ، فندوول الامر فيمن يتولى بعد القائد ، فسلم الحسين لعمه
 بوساطتنا عن حسن نية منا . ولم نعرف مقصوده السوء الا بعد ذلك الحين ،
 فقد كنا لاقينا رجلا في طريقنا الى (كردوس) فمال معه هو وماء العينين
 الكاتب ، فرأيت الرجل تناول تميمة من عضده كأنه يتبرك بها ، ثم حلها ثم
 عرفنا بعد ان تلك رسالة من (تزيت) كجواب عن اخرى من الحنفي ، وقد
 اراد بذلك ان يتبوا مقعد اخيه ولكن تحت ظل الحكومة ، وايا كان فنحن لما
 رشحناه ككبير الاسرة ، لا خبر مثل هذا عندنا ، وقد ظنناه تاخيه مخلصا
 لا يضمم سوا ، فكل ذلك تولى الحنفي مكان اخيه ، فرجعنا على طريق مجاط ،
 فتلناه شرفاء من أبناء الشيخ سيدي أحمد بن موسى ، فطلبوا منه صلة ،
 كما كان يصلهم القائد المدني ، فاجابهم الحنفي : اتبعوا المدني ، واطلعوا اليه
 في السماء ، قال : فالتفت الى القائد محمد يحيى الزافاضي ، فقال : اسمعت
 ما قاله هذا البخيل المدني ؟ فليعلن الله كل آل عملا الحاج - عبد الله بن

الحاج - ومن يتبعهم منذ اليوم وذلك هو اسم عائلة القائد المدني، فاستفزني
انا ايضا ما قال ، فرفعنا عنه هممنا . فلم ير منا بعد ادبا ولا حرمة كما
كنا مع اخيه ، وقد كان بعض خلصائه هو محور تلك الحياة ، قال فذهبت
من (بوزاكارن) الى (تيمولاي) ثم صار يطرق الاذان ان الحكومة تنهيا لاحتلال
تلك الرقعة التي كانت آخر ما احتل من المغرب . ثم سمعنا بان الجيوش
تهيؤ من كل ناحية ، ثم ذهبت الى (وادي نون) لاتي من هناك بمن فيه
للمقاومة ، فوجدت في (الكلميم) محمد بن بلقاسم النكادي سلطان نافبلات
امس فاجتمع الناس عند محل كان نزل فيه سيدي حسين الشرحبيلي لما زار
تلك النواحي 1142 هـ وكان اتخذ مركعا تبركا به - ففقدنا هناك الاجتماع ،
فقال النكادي - ولم أكن رأيتك قبل اليوم - ألم أرسل اليك يوما فيما مضى
حين كنت في (نافيلالت) على يد الفقيه سيدي الطاهر الافرائي فقلت بلى ،
قد وصلتني رسالتك ، فقال لماذا لم تاتي في محل صوتي ومظهر امرى ،
ولو جئتني لنفعتني ونفعت نفسك ونفعت المسلمين ، ثم قال لاي شيء جئت ،
فقلت جئت لانادي في المسلمين ليقودوا الى الجهاد ، لان جيوش النصارى
قادمة ، فقال : اما ان يقوم مربيه ربه بكل شيء فيترجم المقاومة ، واما ان
يسلم لي فاتزعم واقاوم ، فاجبته بانني لم آت لهذا ، وانما جئت استنهاضا
للناس ، فان النهوض واجب على كل احد ، حتى على نساتنا ، ثم عرضت
عنه فذهبت فبت عند حمو اككا في (تيرت) وهو بربري من الوارديز
مع النكادي ، وفي الصباح قادت البربر اصحاب النكادي ، وهم نحو ثلاثمائة
اتقدمهم ، فذهبت بكبرائهم الى الفقيه سيدي احمد بن ابراهيم في (ناكانت)
وفرقت اصحابهم على الناس هناك حتى اكلوا ، ثم آتيت بهم الى (بوزاكارن)
فاذا بالحنفي البخيل لم ينزلهم منزلتهم . فاهملهم ولم يقيم بحق بيئاتهم ، كما
كان يفعل اخوه الكريم . ثم خرجنا من هناك مع هؤلاء البربر ، ومع كل
الاحصائيين ، ومع القائد الحنفي . فنزلنا في (بوزيجاريفين) حيث دار عبد الله
ابن عبد السلام ، والقرية معدودة من ايت همتان بات برايم ، فمسكرنا هناك
مع من معنا ، ثم اقبلت جيوش النصارى من كل جانب ، وضاق نطاقها من
(اقة) ومن (اغرثم) ومن (ازغار) والكل متوجه الى هذه النقطة التي
نحن فيها ، فاستدعاني القائد الحنفي، فكتب لي رسائل الى الرؤساء البعمرانيين،
وقد ظهر بعد ان ارسالي يقصد به ابعادي حتى يتم له امر يزاوله سرا ،
فذهبت بها انا والمختار بن عمر رئيس ايت الحسن عن حسن نية ، فاسرينا
ليلا ، وما معي الا عبد لي هو الباقي من جميع اصحابي : وقد كان المختار
على فرس هزبل ، فصار يسقط فينة بعد فينة في الاحجار ، فيناديني : يا
ناجم ما هذا؟ وقد غدر السلحي يعني القائد الحنفي - كلام تجريره القدرة على
لسانه ، من غير ان يعرف شيئا - فاقوم معه حتى ينهض فرسه . ثم اخذت

حقيبة ثقيلة كانت على فرسه ، فالفقتها على فرسى ، فوصلت مجمع الرؤسا
البعمرانيين ، فوجدت بين أيديهم رسالة طويلة كأنها منشور عام ، فقال لى
صاحبى لا ريب ان هذه من التصارى ، ثم لما افطرنا سألنى الشيخ سعيد عن
مقدمى ، فدفعت اليه الرسائل . وقد كان حاضرا القائد أحمد بن البشير ،
وبلعيد بن الطيب ، وفوال وأبو شامة ، وكلمهم من اصحبوننا ، وسى بلعيد
من ايت بوبكر ، وببها العلوى ، فقيل لى ما فى الرسائل التى أرسلها الينا
الباشا - يطلقون ذلك على الحنفى استهزاء - فقلت : فيها ان ياتى كل واحد
منكم لياخذ ما نفذ له من الشعير ، فمنكم من نفذ له أربعون غرارة ، ومن
نفذ له خمسون ، وهناك من نفذ له حتى مائة . فقال الشيخ سعيد ، الآن
لما ادركه الفرق يستخرج من مخازنه ، فهلا اخرج ما فيها قبل اليوم ، ثم قام
معى الشيخ سعيد والقائد أحمد ، فقال لى الشيخ سعيد افهمت من اين الرسالة؟
يعنى انها من الحكومة رثم وصلنا (نيجاريفين) ، فلم نجد القائد الحنفى ، ثم
قلت للكاتب ماء العينين : الى اين ذهب القائد ، فصار يعمى على ، فقلت له :
اننى الناجم الذى حنكنه حوادث الدهر ، نلا تمشى على الحيل ، وأنا الذى اعمى
على الناس ، نقل لى الحقيقة . فقال : انه ذهب ليلاقى بعض رجالات الحكومة
فى (ووعنككة) ازاء (ميرغخت) ولكن ذلك لا يزال بعد سرا ، فحكيت
ذلك للشيخ سعيد ، فقال ارأيت انه يرسل الينا ثم لا نجده حيث تركناه
ثم قال الكاتب ماء العينين : ان القائد اوصى ان تذهبوا الى رئيس ايت على
فى دار الحسن ، فذهبنا فقمعدنا هناك ننتظر ، وقد سقط فى أيدينا ، الى ان
جاء الحنفى بعد مرور العتمة ، فجلسنا حوالبه ، وهو يشتغل بالنابغة ولم يكن
القائد المدنى يتعاطاها . ولكن الحنفى لا يفر عنها ، ثم قال له الشيخ سعيد
- وقد كتم عنه انه عرف الواقع - لماذا أرسلت الينا ؟ فها نحن اولاء جننا ،
فسكت عن اجابته الى ان اصبح الصباح ، فاجتمع الاخصاصيون والبربر .
وقد اتى اليهم ايضا الزافاضيون والبعمرانيون ، وقد توافر الجميع هناك فى
الليل ، فقال لى (الزافاضيون) : ماذا صنع بنا هذا الرجل ؟ فقد غدردنا ،
فألوا ان يقتلوه فى الحين . فقلت لهم لا على ولا لى فيه ، فلم أزد على ذلك ،
ثم ذهبت الى الشيخ سعيد فاعلمته بما ينوى الزافاضيون فى القائد وفى
كاتبه ماء العينين ، ثم قلت له : ان الواقع لا يرتفع ، فان الجنود متوجهة
وستحتل كل هذه البقعة بلاريب ، فلا معنى لسفك الدماء بيننا ، فان شاورك
هؤلا ، فلا تقبل لهم ذلك ، فقال حاشا ان اتسبب فى سفك محجمة دم . فان
كان الحنفى قد هادن عن قبيلته ، فلنا كلنا قبائلنا ، ثم لم ينشب الناس ان
تفرقوا عن خزى ، فذهب البربر القربا . ينظرون ما يصنعون بانفسهم ، فرجعت
انا مع الحنفى الى (اد التاجر) فبتنا هناك ، فأمرنى ان اذهب معه لملاقة
التصارى فى (ووعنككا) فقلت له لو كان مرادك على الحقيقة نفمى لاعلمتنى

امس ، ولما أرسلنى مراوغه منك الى ايت بعمران ، أم تظن اننى مجهول عند
النصارى وعند غيرهم ، بلو ذهبت معك لعرخت ما أنا قائل عنك وعن نفسى
وعن جميع اهل هذه البلاد . ولكن حين خادعنى امس فانى لا اصاحبك اليوم .
فقال : ان ابيت ان تذهب معى فاذهب انت وماء العينين ، فاجمعا الناس فى
متسوق الثلاثاء ، واتيا بجمال لنذبجها (نعمتيبات) أمام الجيش الزاحف ،
فلما انقفل عنا، قلت فى نفسى : اننى كنت تركت عيالى مع نساء القائد
المدنى يجلن فى انقابات ، وقد تانت نساء كل الامكنة الخائفة قد اجفلن من
الديارالى (القابات) خوف قنابر الطيارات التى صارت تحلق فوق (بوزاكارنن)
وامثالها منذ أيام، فذهبت الى اهل ، فمررت بالحسن بن المدنى فى (ادحيستوف)
فحكيت له ما وقع ، ثم عين لى المحل الذى فيه زوجاتى مع زوجة ابيه ، فلما
وصلت محل النساء ، قلت لزوجة القائد التى مع زوجاتى : ارجعى انت الى
دارك ، فنارت فيها الفيرة الاسلامية ، فصارت نلعن الخنقى وتقول : أرايتم
اخى القائد مباركا ، هل يفدر ان يفعل مثل قائد نم الخنقى؟ فجتت الى نسائى ،

وهن فى اجراف من جبل بين (تسور) وبين (ورزت) فاركبتهن على بغلنيز
وعلى درس ، فرجعت الى (نيهولاي) ليلا فاصبح الى شيوخ البلد ، فسلموا
على ، فقلت لهم معتبرا عن مجالستهم : اننى قد اعيتت فصرت اجمع متاعى
بمعلقة لارتحل ، وقد دخل الجيش الى (بوزاكارنن) عشية امس ، فصار
رئيسه يسأل عنى ، فارسل الى لآتيه فى الحين ، فتسرب الى الخبر فى
الليل من اهل الفيرة ، فخرجت مسرعا وسط الليل من الدار بمتاعى وباهل ،
على اربع بغال وثلاثة اثراس ، تسرت فى طريق (استتار) وقد نكبت المرور
حول (بوزاكارنن) ، لان الجيش ، الذى احتله قد اطلق الاضواء حوله ، فمررنا
على سلك ملقى على الارض يتبع ممر الجيش ، فاراد من معى ان يقطعوه فنهيتهم
عنه، فامرت الذى يهدينا ان لا يمر بنا على (ادجلول) حتى وصلنا (تيونيرين)
(اوميلا) - كديات اليمام - ثم رددت صاحبا لى فامرته ان ينام على هذه
الكدى الى الليل ، ثم يرجع الى دارى فى (ادجلول) فمن سألته عنى يقل له :
لا علم لى به ، قال وقد كان عندى اذ ذاك من القنم خمسماية .

فى أيت بعمران

قال : ثم زدنا امانا وقد طلع علينا النهار ، فهررنا حول (الوس) ووصلنا
(تيفيسيت) فوقفنا امام دار ابن الحاج سليمان من (ايت عبلا) فلما اطلت
زوجه علينا فراتنا سودا ، صارت تصرخ : يا رباه ، قد وصلنا السانفاليون
جيش الفرنسيس ، فتعول احوالا صارخا ، فقلت لعبد لى اذهب اليها ، وقل
لها من نحن ، حتى تهنا عن صراخها، فاذا ذاك فرشت نوى الاضياف وبخرته،
ثم اوامات الى العبد من الباب الموارب ، فامرته ان يدخل البقال والحيل ، ثم

أمرته أن يدخلني أنا ومن معي ، فوجدنا كل شيء مهيا من الخبز واوانى الاتى ، ولم تدخلنا حتى اوجدت كل شيء . قامت الزوجة الرشيدة بكل هذا كما تقوم به عادة امثالها من ربات الديار السوسية اذ ذاك متى غاب ازواجهن ، ان الم بهن معاريف أزواجهن، ثم جاء زوجها بعد ما دخلنا ، فصار يثرثر على بالتشكى مما فيه الناس ، ثم ركبنا فتنسوقنا (سوق الاثنين) من ايت يسييمور ، فلم نجد فيه أحدا مبكرا ، لان الخوف عم الناس ، فاذا بالشريف سيدى محمد بن يوسف - وهو من اهل وزان - وهوتاجر فارسلت عبرى فاعانه حتى انزل الجوالق عن بقلته ثم جاء به الى ، فهاننى بالسلامة ، فحكيت له ان الجيش دخل (بوزاكارن) وقال لى : اما هنا فليس عندنا الا مجروحون قليلون اصيبوا فى ثنية (تيزى) فدفعت له مالا كان عندى اريد ان اودعه اياه لامانته ، فقلت له ان الامارة بينى وبينك لمن ارسله اليك : ان ياخذ خنصر يدك اليمنى ، ثم توارد بعض الناس الى السوق ، فسالت عن الشيخ سعيد ، فقيل لى : انه ذهب الى (ايكيسل) أمس ، فاشترت لهما فارسلته الى داره ، فجاء الحسين ابن عم الشيخ سعيد وابن عمهما يحيى بن يحيى ، فاعطيت لهما ايضا احسانا ، فبث عند الحسين انا ومن معي ، فارسلت الى سراج ليصلح لى بعض سروج ولحم ، وفى الصباح ذهبت مع الحسين ، فلما وصلنا مكانا لاقينا اعرابيا جاء من (أباينو) فاخبرنا ان مريه ربه جاء عن (كردوس) هاربا ، فنزل فى (أبايننو) هو ومحمد بن بلقاسم النكادى ، فذهبنا الى (أباينو) فلم نجد هناك احدا الا الفقيه سيدى بلقاسم الرخاوى ، فذهبنا الى (ايكيسل) فمررنا هناك بانسان نظر الينا نظرا سزرا ، فقصدنا (اد الاربعاء) فلم نجد هناك احدا ، فاذا بثلاثة جيوش جاءت من (بوزاكارن) متوجهة الى(وادى نون) ، وهناك جيش آخر يسبقه الحاج احمد اضرارصور ، جاء من جهة (اقة) فقلت للحسين: هل تريد ان نستشهد الآن؟ فقال لا ينبغي لنا ان نلقى بايدينا الى التهلكة ، ثم قرأ الآية الدالة على ذلك من القرآن ، وكان حافظا للقرآن ، ثم دخلنا دارا هناك خالية ، وقد فر الناس امام الجيوش الزاحفة ، فذبجنا دجاجا به تعشينا ثم افطرننا ، ثم رجعنا الى (أباينو) فاستدعانا هناك ثلاثة الى ديارهم ، فكرمونا بطعامهم واحدا بعد واحد ، ثم غادرنا المكان ، فسرنا فى (امى نفاس) فبتنا فى قرية (اقران) عند ابراهيم بن مماناس ، وهناك اخبرنا ان البربر اصحاب النكادى طاردتهم الدبابات والطائرات ، حتى ادركتهم فى مصب وادى درعة ، فرجعوا مع النكادى الذى كان ذهب معهم حين وقع ما وقع ، ففروا اجمعون ، وقد كانوا طهموا ان ينجوا الى الصحراء ، لكنهم ادركوا قبل ان يصحروا ، ثم اخبرنا وارد ان مريه ربه كان نازلا فى (اصبونجا) فلم يقبلوا نزوله بين ظهرانيهم خوفا على انفسهم من جريرته ، قال قبينا هناك اربعة ايام ، ونحن نختل فى

الجبال ، حتى هدأت الحالة هدوءاً ، فرجعنا فوجدنا اصحابنا يفتشون عنا ، ثم بقيت في دار الحسين ، فبلغني أن كل ما في الدار من (تيمولاي) قد انتهبه القائد الحنفي وقد أخرج منها عيالي ، فذهبوا الى دارنا في (اد جلول) وقد كنت بعثت الى الغنم التي كانت هناك أن تنتقل الى ايت عبلا ، فلم يصادفها اصحاب الحنفى فنجت ، فكانت لي نعم المرجع في حياتي هناك ، ثم التحق بي عيالي بعد ما اخرجوا ايضا من دارنا هناك ، فأنزلني الحسين في دار من (اد اوساكم) حيث بقيت منذ : 1353 هـ الى أن اخرجنا منها اخيرا بعد وقعة البعمرانيين سنة : 1377 هـ . قال وفي هذه الدار استقرنا هادئين نرعى الحياة ، وقد استولى الاسبانيون على بعمرانة ، فهزت على الفترة الهادئة في حياتي حين لا معارك ولا مجاذبات ، فرجعت الى الحياة القديمة التي كنت أعرفها في صغري قبل ان التحق بالفائد ابن الطاهر ، والله الحمد والشكر على ما اسبل من ستره ، فكننت أعيش كهؤلاء ، فأحرت واكسب مستسلما للقضا ، والقدر .

مع اسبانية

قال : اسم اول من نزل هناك من الاسبانيين (كباص) فقد ذهبت انا والحسين الى (افنى) اثر نزوله ، فوجدت الخمسين متفرقين فرقتين : فرقة مع الشيخ سعيد ، والاخرى مع الحسين صاحبي هذا ، يمشى بينهما بالنميمة من لا يراعون القرابة ، فعزلتهما عن الناس ، فقلت لهما اسمعا ما اريد أن اقول لكما : انك يا حسين رجل عظيم ، وليس عندي ما اقول في كل احوالك ، الا انك ستضعف ان وقفت امام النصارى ، فلا تطيق أن تماشيهم ولو خطوة ، فالعاملت مع الاوربيين غير المعاملة مع المغاربة ، ثم قلت للشيخ سعيد : اليوم يومك ، فقم واملا مقامك بين اقرانك الرؤساء البعمرانيين ، وكن احسن سياج لك وللحسين ولى ايضا - لاننى منكم اليوم - وجميع المسلمين ، فاقترح على ان اذهب معه ، فقلت له : لا اذهب - فالح على الحاحا ، فذهبت فدخلت معه الى مجمع البعمرانيين ، فاذا بالرئيس (كباص) سلم على وقد عرف من انا ، فتوجهت اليه ورددت سلاحه بالتي هي احسن ، ثم اخبرته باننى كنت التجأت الى اباته ، وان البعمرانيين فرحوا به حين نزل بين ظهرانيهم ، ثم اخبرته بما تقدم لى من الاتصال بالحكومة الاسبانية قبل ، وما اسدته الى من معروف ، فلما ختمت الحديث معه ، اشتغل مع البعمرانيين يعقدون معه الشروط التي يملونها عليه املا ، وغالبها يدور حول أن يستولى الرؤساء على الاعشار والزكوات ، وان يكون لهم الكلام في قبائلهم ، كل رئيس من هؤلاء بقبيلته قال وام بهم هؤلاء الرؤساء الا الرياسة ، والسيطرة على الناس ، قال وقد نسوا مريه ربه ، واما لو كانوا اشترطوا ان يبقى اميرهم لبقى ، قال : ثم ان مريه ربه اوى الى الصحراء في (طرفاية) فرجع الى حالته الاولى سكنى

الخيام فى الصحراء ، قال فهكذا فارقته اليوم ، وسبحان من جمعنا امر
ثم فرلنا اليوم ، وقد كان اول معرفتى به اننى كنت زرت والده مسافرا اليه
من وادى نون الى منزله فى (الصمارة) يوم كنت اتعاطى التجارة فى فجر حياتى .
فاستحضر اننى ومن معى كنا صدنا غزالة صغيرة قبل اليوم الذى رحنا فيه
الى الشيخ ، فابقيتها عندى لافرح بها اول صبى من ابنا، الشيخ يلاقينى هناك ،
فكان مريه ربه اول من جرى لملاقاتنا من اولاد الشيخ ، وعلى رأسه ثلاث
ذوائب ، قال وقد بتنا اذ ذاك اياما عند الشيخ ، فسأل عما يكرمنا به ، فذكر
له اننا نحب الدجاج ، فذبحوه لنا وهو عندهم موجود كثير ، لانهم لا ياكلونه ،
وحين صرنا نحن ناكله فى خبا، صار الشبان منهم يرفعون اطراف الخبا .
يظنون علينا ليروا كيف ناكله ، ثم سمعناهم يذكرون بتعجب كيف ناكله .
قال : ثم ان الاسبانين طلبوا أن ينزع السلاح من الناس ، فكان اول من
سلمت السلاح من القبائل، قبيلة (الصنونا) وقد اعطت اسبانيا ثمن السلاح
للرؤساء فقط ، مع مال آخر لهم ليغضوا عن نزع السلاح من العامة ، قال :
فاعطيت انا بدورى البندقيتين اللتين بقينا عندى ، فودعت السلاح من ذلك
اليوم ، ولا يلوم الا الله ، فاعتضت عن البندقية بالعصا والسبحة . ثم بعد
نزع السلاح حدث الحدود بين المنطقتين ، ثم صار الشيخ سعيد يزداد ارتفاعا
فى عين (كباص) فيرسل اليه الهدايا كالاوانى المفضضة ، وقد سمى قائدا
بين الرؤساء ، قال واول ما فعلته اسبانية من الاعمال ان مهدت لبناء مدينة
(افنى) ولعمل المطار لنزول الطائرات .

يتفصح فى اسبانية

قال : ثم أنه بعد ما قام فرانكو وتغلب على اسبانيا ، طلبت ان ازور ارض
اسبانية التى كنت اعرفها قبل ، ومقصودى الوحيد: ان اتفصح هناك ، لاننى
سئمت من الركود فاجبت الى ذلك ، فنفس على بعض الرؤساء هذه السفارة ،
فقد خافوا ان أعقد هناك ما أعقد . فاتراس عليهم ، كان الرئاسة عليهم فيها
مجد ، فتطلب كثير منهم ان يذهبوا كما اذهب ، وهم القائد احمد بن البشير ،
والشيخ سعيد ، وعبد الكريم الخلفى ، ومريه ربه ، وسيدانى بن الهبة ؛
والسالك ، ولد عبد الله ، فسوعدوا جميعا ، حتى مريه ربه ؛ فسافرنا كلنا
فى باخرة من (افنى) الى (طرفاية) حيث بقينا (12) يوما ، فوجدنا هناك
التاجر عليا بوعيدة - هذا الذى صار الآن بعد الاستقلال عامل طرفاية -
ثم على باخرة اخرى الى جزيرة (كنارية) حيث بقينا ثمانية ايام، ثم الى (تاناريف)
فتلقنا هناك بكل ترحيب، ثم رجعنا الى (كنارية) ثم رجعنا الى (قادس) بأرض اسبانية
فركبنا السيارات الى (الجزيرة الخضراء) ومن هناك الى (تيطاون) فانزلنا فى
دار الاضياف ، ثم اتصلنا هناك بمن كنت اعرفهم قبل ، فضيفونى ، وقد

كان معنا يهودى متنصر يسمى منصيا ، كان ترجمانا ، قال وعند سفرنا من (تيطاون) قال منصيا هذا لصاحبى : أن الناجم لا يسافر معنا الى اسبانية . فلاتات بحقيقته ، فلما بلغنى ذلك قلت : اننى لم آت الا الى اسبانية ، فترت فى وجهه مخاصما فجاء صاحب اخليفة مصطفى بن يعيش حين سمع المخاصمة ، فرجع بالحقيقة ، فأخبر الخليفة ، فاتصل هذا بعميد الحكومة فى (تيطاون) فأرسل الى أوراقي لاذهب وحدى حتى اتصل بفرنكو نفسه . قال : ثم لما فارقتى الشيخ سعيد بكى من فراقى ، فحكيت له الواقع ففرح . وأعطانى مالا ، ثم سافرت بعد سفرهم ، فلحقت بهم الى (اشبيلية) ثم زرنا (قرطبة) و (غرناطة) و (قصرى) فهناك اتينا بالقناديل والقصاع والمناويل ، وكل الادوات المعروفة عندنا ، فقبل لنا : ان هذا كله مما يدل على اننا واياكم شئ واحد . فقد كان اجدادنا مسلمين ، ثم زرنا مدنا أخرى ، ثم كنا فى (مدريد) فاحتفل فرانكو بلفاننا ، فالتقى أولا بمريه ربه ، وساداتى بن الهيبة ، ثم خرج الينا ونحن مجتمعون فى بهو على الكراسى ، فسلمنا عليه ، فقدم اليه البعمرانيون بندقيتين أهليتين مفضضتين ، وخنجرين كذلك ، وقالوا له : ان هذه عربون اخلاص البعمرانيين لشخصك ، ثم بعد ان تكلم معهم وخرجوا ابقانى انا وراهم استجابة للسدى كتب اليه فى شانى من (تيطاون) ، ثم رجع مريه ربه فأرسل الى الترجمان فقال له ما قال ، ولا ادرى الى الآن ما قال له ، الا اننى أظن أن ذلك كان حولى ، ثم رجعنا من هناك ، ثم أبحرنا حتى التقينا العصا فى ديارنا بين اولادنا .

قال : وقد قاسيت من جل هؤلاء الرؤساء ما قاسيت فى هذه السفارة . لانهم ظنوا اننى اتعالى الى السيطرة عليهم ، وان سفرى انما كان لذلك ، فلذلك سافروا معى ، ولذلك وقع أيضا ما وقع فى (تيطاون) مما اسرود الى الترجمان الذى معنا ، وقد لاقى هنا الترجمان جزاءه ، فسجن لذلك ، وربما لذلك ايضا رجع مريه ربه حين تخلفت عنهم ، فجالست فرانكو ، هكذا يظنون ، ولا يدرون اننى وصلت من ضعف الصحة والاستهانة بالدنيا ما زهدنى فى الرياسة ، وأهلى كله ، بل الواجب على أن أمضى باقى عمرى فى مناجاة ربه ، ومن تجاوز طوور المجاذبات فليعرف ذلك حق المعرفة ، وأنا أعرف ذلك ولست بأبله ، وحين رجعت رفعت همسى عن كل أحد ، فلا اتصل باى أحد من هؤلاء سنين كثيرة ، الى أن انقلبت الصحيفة ، فكان ما كان تحت الحراسة

قال : كان الاسبانيون اول عهدهم يماذنون البعمرانيين الجبال ، فيتركون لهم حريتهم فى كل شئ ، وقدرايت مما تقدم كيف استهوتهم محبتهم لاحسانهم اليهم ، وقد مضت سنوات أكثر من عشر ، كان البعمرانيون يغبطون من كل

قبائل سوس المصفوظ عليها من الفرنسيين ، ثم بدا للفرانكو بعد تمكنه ان يدمج البعمرانيين في الاسبانيين ، فنار البعمرانيون في وجهه وقالوا نحن مغاربة ، وملكننا هو محمد بن يوسف ، فادى ذلك الى ان اعتقل كثيرون من بينهم الشيخ سعيد ، واحمد الذيب ، والاسناذ احمد بن زكريا ، والحاج المستى ، فنفى هؤلاء الى (الداخله) بعد ما افرج عن الآخرين ، وفى هذا الوقت جعلت أنا تحت الحراسة الدائمة فى دارى ، ولم يعتقلونى كما اعتقلوهم لكراهتى لفرنسة ، ولا ريب أن فرانكو ومن اليه اعداء فرنسة ، ثم لم تزل عنى الحراسة الا بعد تسع سنين ، وخمس وأربعين يوما ، وهو القدر الذى قضاه الشيخ سعيد هناك ، وهو آخر من أفرج عنه بعد ان افرج عن اصحابه بكثير (وهكذا ذاق القائد الناجم حظه من الاستعمار الاسبانى ، ليكون ممن اوتى اجره مرتين) .

فى عهد الاستقلال

قال : امتد بى العمر ، وطالت أيامى ، حتى رايت والحمد لله راية الكفر قد انزلت ، وراية الاسلام قد رفعت ، فان فرح كل الناس برجوع الملك سيدى محمد بن يوسف الى عرشه ، فان فرحى أنا اعظم لما قاسيته فى سبيل الاسلام ، وفى اعلاء شأنه ، وقد نويت أن اطيب بالموت - ان طرقتى فى عهد الاسلام - نفسا ، فأقول (الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور) فان كل الذين نشلوا فى عهد الاستعمار وتشبعوا بما تروج به بيئة التفرنج لا يمكن أن يدركوا من الرجوع بنا الى الاستقلال ما يدركه مثل الذى كان عاش من اول عهد مولاي الحسن : 1291 هـ . الى آخر يوم من عزة العهد الحفيظى قبل أن يكشف نوره : 1329 هـ . ثم لم يزل مثلى يجتر كل ما كان يعرفه اذ ذاك ، ويكون محور احلامه وآماله ان يعيش ولو لحظة فى يوم من امثال تلك الايام ، ثم دار الفلك ، وطلع السعد ، واشرقت شمس الحرية ؛ وأشعت أنوار الاستقلال ، فانهمز ديجور الاستعمار ، فتفتحت ثانيا عيون الاسلام ، وعلا الابتسام نفور الايمان . فجاءت الايام بما هو فوق الاحلاد والامانى ، فكيف يكون مثل فى هذا الجو المتموج بكل المنى المعسولة ؟ بعد تلك الدياجير التى كانت كلها ظلمات مسدولة ، افليس ان مثل أكثر تقديرا للاستقلال ، ولجو الحرية بعد انقشاع الاحتلال ؟ فاللهم شكرا ، فاللهم شكرا ، أقول :

(هكذا) يعلن القائد الناجم عما يخامرهم حين أعلن استقلال المغرب الحر . فعاد وهو شيخ همّة كأنه ابن عشرين زهوا ومباهاة وابتهاجا ، ولا يقدر قدر السلسبيل العذب الا من كاد يتقطع عنقه عطشا فى القفر لاياب تحت الهواجر فى شهر ناجر ، ولا يبنك مثل خبير .

بمثل أمام الملك المحبوب

قال : طارت القلوب بالافراح يوم اعلن الاستقلال ، فعم هذا الفرح كل نواحي المغرب ، قال وأما نحن هناك . فقد طفحنا حبورا، فكان لنا ولاصحابنا من البعمرانيين الحظ الاوفر ، فوفدنا بوفد عظيم فيه كل الرؤساء البعمرانيين تقلنا ثمانية من المراكب الكبرى ، فنزلنا في الرباط على مكتب الحزب ، فقام بنا خير قيام ، ثم لاقى بعض الرؤساء جلالة الملك ، ولم يتيسر ان يكوز منهم الشيخ سعيد ، فذهب بها نكتة في قلبه سوداء ، لم تنزل عنه حتى مات بسببها ، وقد كان القائد الناجم من بين الذين تشرفوا بالمشول بين يدي جلالته ، والمتكلم عنهم الاستاذ سيدى احمد بن زكريا الذى نال بمصابرتة الخطوة التامة والمكانة العظيمة بين البعمرانيين لفكرته الوطنية وكفاحه العظيم.

فى مراکش

قال رجع الوفد فبقيت انا بعدهم فى الحمراء ، وانا اترجى ان استرد املاكى ، فاتصلت بالقائد العيادى صاحبى القديم ، وبأدريس مننو ؛ وبكثيرين وقد ابثت برسائل من سيدنا نصره الله فى شأن اطلاق املاكى ، ولكن لم تجد الا فى عبد الصادق الاكلوى ، فانه اسكننى فى دار اكترها لى ، وراشنى بهال . ثم وقع بعد ان سكنت فى مراکش سنة : 1377 هـ . ان وقعت الواقعة فى ايت بعمران ، يوم ثاروا على اسبانية التى ابت ان تنصفهم بالكلام فحاولوا ان ينتصفوا منها بالحسام ، فهلكت ارواح ، ونهبت اموال ، وهدمت ديار ؛ فكانت دارى من جملة ما اصيب ، وقد كانت زوجتى وأولادها الصغار لا يزالون فى الدار ، ثم زحفت اسبانية الى القرية التى اسكنها ، وتسمى (البطحاء) من (تيزنلتى) ازاء دار محمد بن على الرئيس ، فلم يكن اهلى على اهبة الارتحال ، حتى فوجئوا بالعدو ، فلم يكن ما يركبونه الا جملا حملت عليه النساء فى الجوائز فى وسط ليل باستعجال ، فبتن فى مكان ، ثم الى قرية (ادجلول) فى الاخصاص ، فماتت احدى الزوجين هناك من اجل ما لاقته فى الطريق ، وكانت مراكشية وهى شريفة . قال: وكانت صالحة انتفعت هى وكل النساء التى معها بالفقيه سيدى الحاج عبد حين كن عنده فى داره، فقد علمهن دينهن ، ولقنهن الاذكار . فحسنت حالتهن ، فيحافظن على صلاتهن وعلى الصدقات، قال: وليس عندى الآن من الاولاد الا محمد ابو يونس وهو الذى تقدم انه هرب منى ، وقد عقنى وانا اترأ منه ، لانه ليس منى ، ولا دينه دينى ، وهن ليس على فكرتى ولا على دينى ولا على مبدأى ، فانه ليس بولدى، وان خرج من صلبى .

اقول : طلب منى ان لا اذكره كولد له ، لهذه الامور التى ذكرها ، وان كان ذلك لا ينفى كونه ولده الشرعى .

حول أملاكه

رايت أيها القارى، أن القائد الناجم كان له بين اهله فى (ادجلول) بالاخصاص نصيبه بين اخوانه . ارتا كان توصل به ، وقد صار يستقله يوم اوى الى ذلك المحل ، قبل ان يستقر فى (تيمولاي) ثم لما اوى الى (بعمرانة) بعد الاحتلال وضعت عليه الحكومة يدها ، فصارت تكريه فى كل سنة بالسمررة فى الاسواق ، وكذلك كانت له دار فى فاس ، كان تركها فى يد السيدادريس بوشتا من اهل (فاس الجديد) امانة لا غير ، ثم عدا عليها لما التهم الجنوب ربها ولم تبحث فيها الحكومة ، فادخلها باسمه الى المحافظة ثم باعها ، فاتصل بتمنها ثم مات ، وكذلك له ديار متعددة فى حومة (باب دكالة) بمراكش ، منها ما اشتراه بدراهمه وهو القالب ، ومنها ما اقطعه له مولاي عبد الحفيظ ، كالرياض المنسوب للقائد الحافظي ، ثم لما ذهب مع الهيبة وضع الاكلاوى واصحابه يده عليها ، فبيع غالبها ، وربما صار بعضها لا يزال بين املاك الاكلاوى الباقية الى الآن. وكذلك عنده ارض اقطعها له السلطان المذكور قدس الله روحه ، ثم باعها الحكومة بظهير يوسفى حجزت به كل املاكه يوم ذهب مع الهيبة كما اخبر نى به القائد العيادى .

هذه هى املاكه من الديار والعقار ، واما ما فيها من الاثاث والمتاع والخرتى فشىء كثير جدا ، التهم الاكلاوى واصحابه او الحكومة به صادرتها كل ذلك يوم خرج مع الهيبة، زيادة عن نحو ثمانين من البقال وكثير من الغنم والبقر فى عزته .

وبعد : فقد جاء الاستقلال، وهو ساكن" فى المحل المذكور قبل فى بعمرانة وهو يحرث ويملك بقرا وغنما كالسكان هنالك ، وقد امضى حياته كذلك فى الخمس والعشرين سنة التى ابتدأت منذ 1353 هـ . الى : 1376 هـ . فكان يزجى ايامه بالقناعة ، وهو يتعاطى من اسباب المعاش ما يتعاطاه من يقطن بين ظهرانيهم ، فلما أعلن الاستقلال ، وأطل فجر الامانى ، ورجعت الامال الى النفوس ، كان من بين المؤملين أن يسترجع مكانته ، وأن يسترد املاكه ، فوفد مع البعمرائيين - كما تقدم - على الملك المحبوب ، ثم توسطت له انا وسيدى الحاج احمد بنانى عند مولانا الملك نصره الله لاسترجاع املاكه ، فقبل لى : ان استرجاع املاكه لا بد ان يكون على طريقة القضاء . فليدل بحججه امام المحاكم ، فما صح منها فان حقه يثبت به ، فذهبت رسالة من التشرىفات الى عامل مراكش السيد البشير بن العباس، لينظر فى الطريق الذى ينبغى ان يسلك فى استرداد حقوقه كلها ، وكذلك كنت انا اوصيت اصحابنا فى (حومة باب دكالة) من مراكش ، لينظروا من يشهدون له بدياره ؛ لان الحجج التى تمكن له انما هى فى الشهود لا غير ، لان رسوم جميع املاكه كان غادرها ليما غادره يوم خرج من مراكش فصاعت فيما ضاع .

هذا ما كان منذ ازيد من سنة ، ثم توفقت القضية ، واما داره التي فى فاس ، فان ورثة السيد ادريس بن بوشنا . قد اقرروا بأن موروثهم الميت هو الذى فعل ما فعل ، وقد افروا بأنه تعدى على بيع الدار، وانه مات وليسوا بمواخدين بما فعله الموتى ، فتوفقت القضية هنا ، وقد كانت (التشريفات) عن الاذن المولوى ، كتبت أيضا رسالة الى عبد الصاد قباين الاكلوى للنظر فى قضية الاملاك التي استحوذ عليها والده ، هما للقائد الناجم، فلم يزد على ان اسكنه فى دار لانسان آخر ، ثم اعطاه ما اعطاه من قليل المال .

واما ما يتعلق بملكه فى (ادجلول) فانه لا يزال يكترى الى الآن على يد الحكومة ، وقد مضى عن الاستقلال ثلاث سنوات فجاء الى الآن متشكيا باكيا على هذه المظالم المتوالية عليه وحده ، مع ان كل الناس رفعت عنهم المظالم فى عهد الاستقلال ، فكنت احس بوخز الضمير ازاء هذا الرجل الذى ضحى بحياته فى مقاومة فرنسة ، حتى اذا شاخ وبلغ : 92 سنة ، وقد عمى وعجز عن المشى ولم يجد ذوقا ، صارت الديات تتراكم عليه ، فقلت فى نفسى : اطلب الله أن يعيننى على اداء حق هذا الشيخ الضعيف ، فمكث معى فى (الرباط) نحو شهر ونصف ، وكنت ارسل اليه غالبا الى محل ، يوم كنت اقيد عنه حياته هذه ، حتى اتممتها ، ثم سافرت معه بنفسى فى سيارتى الى (مراكش) فعقدنا من اجله ندوة استشارية ، تضم العامل السيد عمر بن الشمسى ، والفقير المحتسب السيد العربى بنيس ، وقاضى الصلح الاديب محمد بن ابراهيم الدفالى . ومعنا مفتش الحزب فى سوس العلامة سيدى عبد العزيز بن ادريس - ورد مصادفة الى مراكش - والاخ الاديب سيدى مصطفى العربى الرباطى ، والحازم النشيط محمد بن ادريس من الافذاذ الساعين فى المصالح العامة ، والكريم الاريحى مولاي على الرحمانى ، فبعد ما تناولوا القضية ، وعجموا عودها اتفقوا على ان اول ما يجب أن يصنع هو تعيين وكيل نصوح للقائد الناجم ، لانه مسن لا يقدر أن يتابع قضيته ، ولكونه يجهل الاوضاع، فقال العامل : على انا ان اؤدى مصاريف الوكيل ، وقال ابن ادريس على ان أقف أنا مع الوكيل حتى تهىء الحجج من الشهادات الممكنة فى حومة باب دكالة سواء منها العمومية ككونه خرج وترك كل أمواله ، وكونه املاكه وضع عليها الاكلوى يده ، وكونه كان يملك دورا فى حومة باب دكالة، والخصوصية ، كالشهادة على كل دار بعينها ان تيسر الشاهدون لذلك .

وقد كانت هذه الجلسة فى دار العامل يوم الاحد السابع من دجنبر سنة 1958 م . الموافق للسادس والعشرين من جمادى الثانية 1378 هـ .

وقد كان الحاج احمد بنانى ، كتب رسالة اخرى فى الموضوع الى هذا العامل وللحاج احمد يد طول فى اكرام القائد الناجم ، فقد توسط له عند جلالة الملك حتى نفذ له عشرين ألف فرنك مشاهرة فى (الاجباس) مع صلة جلالته

له ، سمعت أنها بلغت مائة ألف فرنك ، زيادة على ما منحه له الحاج أحمد التريم في كل ميدان ، وللحاج احمد مقامات في الاحسان لا تنسى .
هذا وقد حنتت العامل على ان يكتب (عمالة اكادير) في شأن املاكه التي في الاخصاص ، لتدفع له ، فوعد بكل خير ، بل كم نتفرق من هناك حتى أبرم مع فضيلة المحتسب الذي تحت يده املاك الاكلاوى المصادرة . ان ينظر دارا حسنة ينتقل اليها القائد الناجم للسكنى ، ليخل الدار التي فيها الآن ليرجع الى صاحبها الذي اتراها منه عبد الصادق ، ولم يبق الا المحاولة لاسترداد ثمن دار فاس ، فربما يتيسر ذلك بعد ان يكون له وكيل .
اكتب هذا في يوم الثلاثاء تاسع دجنبر 1958 م . ثم ابلغني العامل انه لا يمكن ان يتم شئ الا بظهير جديد ينسخ الظهير التقدم ، فتقدم القائد بهذا الملتمس الى مولانا الملك .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه
جلالة امير المؤمنين الذي منه واليه جميع مصالح الشعب سيدى محمد بن يوسف ، السلام على حضرة سيدى ورحمة الله ، والنصر والتمكين لكم ولولو عهدتم المحبوب ، فانه يحفظ جميع افراد أسرتم الكريمة .

سيدى : انى عبد دارتم وخديم دولتكم ، والمفنى شيبيتى وكهولتى وشيخوختى تحت اوامر دولتكم العلوية المثيثة ، المسمى الناجم الذى كان قائدا من قواد اجنادكم فى عهد مولاي عبد العزيز ، ثم فى عهد مولاي عبد الحفيظ ثم انى ما ازال فى مقدمة المدافعين دأنا عن عرشكم الخالد امام الثوار ، كآبى حمارة واهتاله . ويبد عبدكم هذا قيد التائر ابو حمارة حتى سلمته بيدى الى انسلطان مولاي عبد الحفيظ رحمه الله سنة : 1327 هـ . ثم لما دهم الاستعمار هربت من اعدائى واعدا دولتكم والاكلاوى ونظرانه من مراكش ، فقد خرجت منها صبيحة احتلالها فى اواخر رمضان 1330 هـ . فذهبت فارا بنفسى مع اخوانى السوسيين من سنة 1330 هـ الى ان تم احتلال تلك الجهة سنة 1352 هـ . فاذا ذلك انكمشت فى آيت بعمران الى ان رجعتم يا مولاي الى المغرب بالخرية والاستقلال ، فوفدت على سيدى مع البعمرانيين سنة : 1376 هـ . وانا فى غاية الفرح بعهدكم هذا المزدهى بكم ، ثم تسرفت يا سيدى اولاً بالثول بين يديكم ، ثم بما اسدينموه لى على يد (الاحباس) مما اسد به الرمق ، وقد اهتمت جلالتمك بعدتم هذا ، فكتب لى على يد التشرىفات رسائل بالوقوف معى حتى استرد املاستى ، فبقيت فى مراكش منذ سنتين ، وانا اتطلبها حتى وجدت ان جميع املاكى كان صدر الامر من قبل بتحويزها الى الاملاك المخزنية ، ولذلك اكتب اليوم الى سدنكم العلية اتطلب ظهيرا من مكارمكم ينص على استرجاع املاكى فى مراكش وفى فاس ، وفى مسقط راسى من قبيلة الاخصاص ، لان الجميع دخل فى الاملاك المخزنية ، وارفع الى مولاي من أعماق قلبى ما يرفع العبيدالى

السادات ، والمؤمنون الى ملوكهم المخلصين . 28 جمادى الاولى 1378 هـ .
 ثم وقع للعائد اثر ارساله لهذا المتنس ان بعثت اليه المحكمة ان يستعد
 للخروج من الدار التي اتراها له عبد الصادق الاكلوى ، والا فسيطرح مناعه
 فى الزقاق غنا ، فقام وقعد ، واتخذت الوسائط لتوقيف هذا الى ان توجد له
 دار تليق لسكناه ، لان المحاسب كان قدم اليه دارا خربة ، وهنا وصلت
 القضية الآن ، وهكذا يطلع القائد البطل فى الدوامة ويهبط (1)

خاتمة

تتبع القارىء مفتتح حياة هذا البطل الى مختتمها ، فشاهد ما شاهد من
 البطولة النادرة التى يشايعها راي اصيل فى الحروب ، وفى كيفية ادارتها ،
 كما قرأ صفحات خالدة من تاريخ المغرب الذى لم يعن به الا قليلا ، وقد
 اجتهدت ان اضم شمل احاديثه عن المعارك التى خاضها ، فاسهب احيانا واوجز
 احيانا ، بحسب ما يسمح به حديث هذا الشيخ النحيل الذى انسج حديثه
 نسجا ، فمتى رايته نشيطا يثر كالينبوع المتدفق اسهب اسهابا ، ومتى اراد
 ثقيل الحديث عاجزا عن متابعتة باسترسال اقنع منه بما التقطه بايجاز ، وهكذا
 يرى القارىء الاستطراد قد يوجد نى أهكته ، ثم لا يوجد فى أخرى ، على أننى
 حرصت ان لا اكون الا مترجما لما يقول ، فمتى اعتراه شك فى شىء - كما
 يقع له كثيرا فى ترتيب معارك ابي حمارة - اتوقف معه عن الكتابة حتى
 يستبين الحق ، او اخص ما يقول تلخيصا، وانا حارص ان آخذ عنه كما تيسر.
 على ان العجيب من الرجل انه يستحضر غاية الاستحضار اسماء الرجال
 والبقاع التى مر فيها ولو مرورا ، فان كنت اجهل جبال الريف ، ونواحر
 وجدة وجبال غبائة ، وبنى يزناسن ، فاننى اعرف الجنوب وسوس ، فأعلم
 ان كل ما قاله فى هذه الجهات صحيح ، ولا عيب فى حديث الرجل الا أنه لا
 يستحضر التواريخ ، ولذلك يفقد حديثه كثيرا من دعائمه ، وقد وضعت انا
 بعض التواريخ لما ذكره عن سوس ولكن لم اتبع ذلك تبعا ، لكونى اريد ان
 يبقى حديثه كما هو ، والا فمن اسهل ما يكون عندى ان اجمل حتى لبعض
 حوادث ابي حمارة بله حوادث سوس تواريخ كنت اعرفها ، وقد ذكرتها فى
 غير هذا المكان ، انا فى مقدمة كتاب (طاقة ريحان) واما فى (من افواه الرجال)

او (المسول)

هذا ثم اعلن اننى لا ازعم ان الغلط لا يحصل للقائد الناجم فى بعض ما حكاه،
 وان وصفته بغاية الاستحضار . فقد رايت منه بعض اغلاط فيما عرفته من

(I) لا يزال فى عهده الدار الى الآن 12 ربيع الثانى 1380 هـ . والقضية لم

تتقدم شمرا . والرجل طريق فراشه لا ننعش الا من اعانة الاحساس .

حوادث سوس ، فنبهه اليها فرجع ، وقد ذكرنى هذا الاستحضار الغريب ما
نقراه عن المحدثين فى كتب التاريخ .

وبعد : فهالك ترجمة رجل كان عاشر أهل الخ زمتا كثيرا فى ميادين الجهاد
يوم يكافح الجزوليون دؤن جزولة ، وكانت دار علامتهم على بن عبد الله مخزن
متاعه ما شاء الله ، فاستحق بذلك ان يكون فى هذا القسم ، فقد رأيت ما
بينه وبين علامة (الخ) المجاهد الكبير سيدى على بن عبد الله الالفى ، وما
بينه وبين الاخوين سيدى أحمد وسيدى محمد ، وكل من بينه وبين الالفين
مصاحبة كهذه ، فالأجدد ان لا ينسأه الالفون ، وان لا ينسأه مؤرخ الالفين
الذى يقول بملء فيه :

انا الدائد الحامى اللمار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلى

القائد المدني الاخصاصى

نحو 1290 هـ 7 - 9 - 1352 هـ

نسبه

المدنى بن احمد بن عبد الله ابن الحاج محمد .
من فخذ تسمى (اِدِّ بيقولن) من قبيلة (الاخصاص) الشهيرة . وفيها
افخاذ شتى . وكان للحاج محمد ذكر فسموا اولاده به ، ويقال لهم (اِدِّ غنبلان
الولحاج) اى اهل عبد الله بن الحاج . وقد خلف الحاج محمد من الاولاد عدة .
منهم بلقاسم ، ومنهم احمد ، ومنهم الحسن . ثم خلف عبد الله ابن الحاج احمد .
والفقيه الحسن ، وعمر وسعيدا وأبا بكر .

الفقيه الحسن بن عبد الله

عالم له شهرة كبرى فى تلك الجهة . تخرج بأبى العباس التيمكيدشتى ،
كما اخذ أيضا عن أبى حامد سيدى العربى الادوزى . وقد أجازاه معا . وهذه
هى الاجازة منهما (كما وجدناها باسم يوافق اسمه . فقبل لنا انه هو المقصود)
(الحمد لله الذى يجيز أهل السنة على الصراط كالبرق الخاطف ، ووقاهم ببركة
الشريعة من الوقوع فى المهلكات فى كل المواقف ، والصلاة والسلام على سيد
الاولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه وكل التابعين . وبعد حمد الله على أن
لم يزل ذور الهمم فى التحصيل أقول ان الاخ فى الله سيدى الحسن الفقيه
ابن عبد الله الاخصاصى ، قد طلب من العبيد الضعيف الاجازة فيما أخذناه ثم
أخذه ، وحصل عليه مما قدر له . فاجزته طالبا من الله أن يكون ممن ينتفع
به المسلمون ، اجازة مطلقة شاملة عامة بشروطها المعروفة المقررة المحررة عند
العلماء ، على شرط أن يقول لا أدري فيما لا يدري . وأشياخنا رضى الله عنهم
كثيرون فى الفقه والنحو والحديث والتفسير والتصوف . وملاك الامر تقوى
الله تعالى . وأطلب منه أن لا ينسانا من صالح دعائه والسلام فى 15 من سنة:
1268 هـ . احمد بن محمد الميمونى حفظه الله ووفقه) .

وتحتها ما نصه :

(وبمثل ذلك أجازه الضعيف العربى بن ابراهيم وقاه الله من المساوى .
جعلنا الله وياه ممن حفظوا من السقوط فى المهوى) .

كان أولا يزاول التعليم في مدارس بلده ما شاء الله الى أن طلب منه سيدي الحسين بن هاتم مرة الافتاء في مسألة او الحكم فيها . ورأى في ذلك الخروج عن الحق . فطلق مخالطة الناس في المشاركة في المدارس فلازم داره . يحكم لمن قصده بالحق . أو يستغنيه في نازلة . وقد كلن دينا مراقبا لربه . صوفيا كبير المقام . وقد صاحب الشيخ سيدي سعيدا المعنري ، وكان هذا الشيخ ينزل عليه ، ثم دام مع اصحابه بعد وفاة الشيخ . وقد اخبرني العم ابراهيم انه كان سنة 1308 هـ . مع الشيخ الوالد الالغي ومعه طائفة كبيرة من اصحابه . فزاروه في داره بقرية (بنوزاكارن) أو في (افران) ققام وقعد فرحا . يقول مخاطبا للشيخ البيت المشهور :

ان للناس كل عام لعيد
من وكل وقت لنا بك عيد

ثم قال له : يا شيخنا فباي شيء ، نجازيك حين جمعت لنا هؤلاء الاحباب في مكان واحد نتبرك بهم وبرؤيتهم ، وبهذا الحال والتسوق عرفه الفقراء ويذكرونه الى الآن ، ثم لم يزل حيا الى ان جلا عن (بنوزاكارن) نحو 1318 هـ . حين جلا القائد المدني راهله الى (فاصك) . فنزل هو في (افران) ثم لم ينشب ان توفي اما في سنة 1319 هـ . واما في السنة التي بعدها عن نحو مائة سنة . وذتره في النوازل شهير . وكعبه في الفقه عال ، لا تنقض محرمات احكامه لانقائها . وكان كلما حكم لانسان في نازلة يقول له : هذا هو الحق ، ولكن يحتاج الى أن تنفذه بعضك . ومحرماته في النوازل تزخر بها تلك التواحي . وقد خلف لما توفي ولدين ليسا في مثل اوصافه . فباعا كتبه عددا .

أحمد بن عبد الله

أخو الفقيه المتقدم وهو الرئيس الكبير في الاخصاص في النصف الاخير من القرن الماضي ، واحد اوتاد نحلة (تاكوزوتت) في ذلك العهد . كان أحد العمدة التي تدعم نفوذ الرئيس سيدي الحسين بن هاشم الايليقي واحد الافراد الذين يمتدون في ندوة (ايليسغ) فيرمون وينقضون . ويعقدون ويعلمون . وكان ينوب عن كل (الاخصاص) في خارج ارضها . وان كان لا يستبد الا برأى فخذنه (ادبنوفلن) فقط بين اخخاذ القبيلة في داخلها . فكان في ندوة (ايليسغ) من تلك الجهة كالفقيه الحسين العبالوي الذي ينوب عن (ايت عبالا) البعمرائيين ، وكمحمد بن عمر (افولوس) الرخاوي نائب (ايت رخا) وكمحمد العلوي والد القائد سعيد المجاطي نائب غالب مجاط الشرقية .

كان أحمد ووصوفا بالاوصاف التي يحمدها اهل ذلك العصر . كريما صبورا شجاعا نافذ العزيمة متدينا تاليا لكتاب الله الذي يحفظه ، ولدلائل الخيرات الذي

لم يكن يفارقه . ونذات يده غير متسعة . ولكن ابن هاشم كان يسرب اليه كل ما يحتاج اليه . لانه عنده في مكانة مكينة ، لعقله ووصانته وتثبته في الذي يقول قبل أن يقول . فكان ابن هاشم يجرنه دائما ان لا يسكت في مجامع القبائل . وان يعلن دائما ما يراه بكل صراحة . وقد كان حزب (تاكوزولت) اذ ذاك حزبا قويا له نفوذ وصرامة . له مكانة رئيسه ابن هاشم اسد سوس الجنوبية اذ ذاك . ويعسوب (ايليج) الذي ان صرح فلا أحد يقدر أن يرد عليه . وقد كان ابن هاشم وقد نحو 1280 هـ . وفادة لا يزال دويها في الاحاديث الى الآن على القائد الحاج عبد الله الحاحي الشهير . فاختر لوكبه ورفقته من خيار القبائل . فكان في مقدمة من اختارهم معه الرئيس أحمد بن عبد الله وأمر ان لا ينصدي للتكلم الا ثلاثة من كل من معه . كان أحمد بن عبد الله أحدهم . ومن هنا تعرف مكانة الرجل عند ابن هاشم وانه منه في عين الرضا دائما .

أخبرني بعض المسنين من أهل (تيمولاي) السفلي بـ(افران) أنه كان يعرفه معرفة نامة في ذلك العهد . وذكر انه كان يتسوق دائما سوق الجمعة هناك . فينزل في مشهد (سيدى ابي الرجاء) فيقبل على (دليل الخيرات) حتى يناديه من يحتاجه لهفته ، ولم يزل في عنفوانه حتى توفي نحو 1301 هـ . اثر ما رآه من ابن هاشم اذ جلا عن (ايليج) الى (سملاية) 1299 هـ . امام السلطان المولى الحسن ، ولا ريب ان ذلك يتاثر به في صدره . ولكن الله استأثر به قبل أن يرى ما سيقع سنة 1302 هـ . حين حوصر ابن هاشم حتى غلب على أمره امام القبائل فسلم ، لها بخضوع وخنوع .

سعيد بن عبد الله

كان من البارزين بين الاخوة بعد وفاة أبيهم . فظهر بالرياسة بعد أخيه أحمد عريفا لفخذه تحت القائد بوهيا الشهير . وقد كانت لبوهيا رياسة وعلو بعد ما توصل من السلطان مولاى الحسن بالقيادة . ولم تكن قيادته قبل 1314 هـ . الا رياسة قلية يتشمى كرئيس من رؤساء القبيلة . وانما يمتاز عنهم باسم القيادة امتيازاً شرفياً فقط .

كان سعيد في مسلاخ أهله مقبلا مدبرا . ولم يزل على ذلك من وقت وفاة أخيه الى نحو 1312 هـ . فدى اليه اخوه عمر رجلين فتكا به ، وهو راجع من سوق الثلاثاء في محل يسمى هناك ازاء (تافراوت نند التابع) . ولا تزال مشهورة الى الآن البقعة التي سقط فيها بيد الحسن بن محمد الاعسر الملقب (اكشثار) ويد معاونه على بن عبد الله من (انغزال) .

برز الى الميدان بعد ما فتك بأخيه . وكان القائد بوهيا هو الذى جالت
 دسيسته بين هؤلاء الاخوة . لمكان اسرتهم من (الاخصاص) . ليجد له متسربا
 عند اختلاف رأيهم . وقد رأينا عمر قد أخلص له بعد ما مات أخوه سعيد . فكان
 أحد الشيوخ تحت يده . ثم لما تمكن القواد من قبائلهم اثر استيلاء الكلوين
 واجالوا أيديهم كما يشتهون فى المغارم . كان عمر أحد شيوخ بوهيا المخلصين
 له اخلاصا تاما . وكان أحد عمدته . يوم كان يستبد براهيه أمام القائد سعيد
 الكلولي . وقد تجلّى اخلاصه للقائد بوهيا يوم ظهر المدنى ابن أخيه فى الميدان .
 فكان بوليّه ظهره . ويساند القائد بوهيا حتى اجليا المدنى نحو 1318 هـ .
 فتهكنا فى (الاخصاص) حتى هلك هـ سنة 1319 هـ . فصفا الجو لابن أخيه
 المدنى بعده .

القائد المدنى

كان الزمان تقلب به تقلبا عجيبا منذ نشأته . فنشأ فقيرا مقلا مدقعا . الا
 ان له همة وطموحا واخلاقا ومصابرة للحوادث . فقد كان فى عهد عمه سعيد
 لم يظهر بعد ولا يذكر بأى شىء . ثم لما فتك به بدسياسة عمه عمر صار ينظر
 الى عمر شزرا . وهو يستنكر كل الاستنكار ما فعله عمر بسعيد ، مع أن بنت
 عمر كانت قرينة المدنى . فلم يزل بعد هلاك سعيد نافرا من عمر . الا أن
 الاقلال بنته من كل ما عسى أن يقوم به . فقد أخبرني ثقة من أهل (تيمولاي) .
 أنسفل أنهُ كان يوما فى هذا العهد فى سوق الثلاثاء على رمكة . ومعه رفقة .
 فوصلوا المدنى وهو يسوق حمارة هزيلة حمل عليها أصعا من شعير نفعه
 بها القائد بوهيا . قال : فحين وصلناه استنكف رفقائى من الوقوف عليه .
 والمحادثة معه ، فأشفقت عليه أنا ، فسلمت عليه ، وحادثته وقد مرت رفقى .
 فرايت الرجل فى مشقة من حمارته الهزيلة . وقد أعتيت بتلك الأصعب من
 الشعير . فمددت اليه مختلاة رمكى فملاه فعلمته فى قربوس سرجى تخفيفا عن
 الحمارة . ثم ناولته نعل ليبتلعها . لاننى رأيت مقدم احدى رجليه تدمى . وقد
 كان حذاءه منقطعاً متمزقا . فاصيبت اصابع احدى رجليه فتسيل دما . وقد
 كان فى لباس خلق أسود . وعلى راسه قطعة ملففة من خرق شتى . وحين رأى
 منى الشفقة عليه ، قال : بالله عليك لا تتجاوزنى حتى نصل قرية (بوزاكارن) .
 فرفقت به وبجمارته . فصار يشكو الى بالزمان وبما لاقاه من الاقلال . فصرت
 أعزّيه ، واكشف عنه مرارة ما فيه ، حتى حادينا قريته . فأفرغت له شعيره
 فودعته وهو يشكرنى شكرا جما . قال : اننى ما رفقت عليه الا من اجل
 عرفانى لاسرته ولايبه .

ثم ان هذا الفقير المملق السابق لهذه الحمارة الهزيلة ، الذى كان يفرح بلا ريب بتلك الاصع من الشعير . هو الذى اصبح بعد زمان القائد المدنى الشهير الذى ترتعد الفرائض من ذكره . وتزخر المخازن بامواله ، وتحنى له الرؤوس اجلالا وهيبا . وسبحان مقلب الاحوال . فقد وقف فى وجه الاستعمار جبلا راسخا نحو ربع قرن .

ثم انه ينبغي لنا قبل ان نتمشى فى حياته ان نذكر أولا عدوه الاله القائد بوهيا الاخصاصى ، ثم نتفرغ لذكره هو .

قيادة الاخصاص قبل المدنى

كان القائد على قبيلة (الاخصاص) أولا هو القائد على بن الشيخ مسعود الاستحاقى العلوى الاخصاصى . فقد كان لايه الشيخ مسعود ذكر مع آل عبد الله الحاج ، فبرز ولده على ، وسما ذكره فى آخر القرن الماضى ، ولذلك اختارده رؤساء القبيلة 1299 هـ . ليتولى القيادة عليهم يوم بولى السلطان القواد على كل القبائل السوسية على اختيارهم ، ولكنه كان كبير السن اذ ذاك، ولم يكن بدى همة ولا طموح ولا قوة ، ولعل هذه الاوصاف هى التى دفعت رؤساء (الاخصاص) الى اختياره ، ليكون امامهم مستضعفا . فيصنعون به ما يريدون ، فتكون له القيادة ، ويكون لهم ريعها . وكثيرا ما راينا امثالهم يفعلون مثل ذلك بامثاله اذ ذاك . وقد كان للقائد على بنات تزوج بوهيا احدهن . وقد كان هذا رجلا شهما مقداما شجاعا طموحا سياسيا صليبا صوالا ، فكان يداخل صهره ويسانده ، ويعطف عليه ، حتى ملك لبه ، واستولى عليه . فصار يقول له : انك كبير مسن وضعيف البنية . فلم يزل به حتى قدمه الى السلطان مولاى الحسن 1303 . فطلب منه التخل عن القيادة ، وان يتولى مكانه صهره هذا . وأعلن اليه انهما ذات واحدة . فبهذا توصل بوهيا حتى صار قائدا . وقد كان يوسوس الى صهره . انه وان تولى هو القيادة لا يتخل عنه . ولا يزال امرهما جميعا فى المنزل وفى المال وفى كل شىء . ولبله القائد على وضعف عقله ، وللوئته حمل كل ذلك على الصلح التام . وعلى النصيحة والاخلاص ، ثم لما تمكن القائد بوهيا نبذه نبد النواة . فلم ير منه بعد شفقة ولا آنس منه رحمة . فألقى عليه الدهر كلاكه ، ووالى عليه عواركه حتى لا يجد متبلفا ، ولا يقع على شملة . وقد قال فيه المؤرخ الاكرارى :

(ومنهم القائد على ابن الشيخ مسعود العلوى الاخصاصى . كان رجلا طماعا هلاعا . الا انه كريم حتى يعد من البدرين ، وقد ساعده الزمان أولا ثم كسر عليه بخيله ورجله . وداسه بقره ورجله . فصار يبتزه ، وفى كل آن يهزه حتى لم يترك له الناطق ولا الصامت ، ولا رثى له لهز ، العدو والشامت ، فبقى يتلمل كالكولهان . ويتهافت تهافت الفراش على الثيران . يصد من حيث

يجب وبمقارض الالسن يجب

أبو العتاهية :

ما اذل المقل في أعين النا
انما تنظر العيون من النا
س لا قلاله وما اقماء
س الى من ترجوه أو تخشاه
وقال ابن الرومي :

من تصدى لآخيه بالفنى فهو أخوه
فان احتاج اليه راء منه ما يسوه
يكرم الثرى فان املسق أقصاه أخوه
فمن احتجت اليه ساعة مجك فوه

... كان يوسع له في المجلس اذا قدم ، بل يتلقى من الترحاب من الفهم
والقدم . فلما مال به الحال . وفنى ما حازه من المال ، بكر في بعض الاعياد
على صاحب له من القواد، فمنعه البوابون من الدخول، ومقته المحجوب المامول.
فرجع ودمعه ينحدر ، وقلبه للصد ينكدر . وحاله ينشد :

يسر بالعيد اقوام لهم سعة من الثراء واما المقترون فلا
هل سرني وثيابي فيه قوم سبا أو راقني وعلى رأسي به ابن جلا
من فاته العلم وأخطاه الفنى فذاك والكلب على حد سوا

... وأظنه قد توفى بعد العشرين من القرن الرابع عشر- نعم توفى صاحب
الترجمة وما في بيته سيد ولا ليد - بعد أن كان في محله في رغد.

واما القائد بوهيا فانه صار رئيسا على كل (الاخصاص) من سنة 1303 هـ
فصار يترقى شيئا فشيئا ، ويجمع الاموال بعد فقره حتى كان له شان كبير
في تلك الجهة . وقد جرى ذكره في حياة القائد الناجم - كما تقدم - مرارا في
اوائل امره بعد ما تولى القيادة . وحين سافر الى (مراكش) راجلا لفقره أولا،
ثم ارتشاش فحسنت حالته ، ثم لما جاءت جيوش الحكومة الى سوس 1314هـ.
وساق القواد القبائل كما شاعوا ، صار القائد بوهيا من اكابر القواد ، وقد
بدا له أن لا يسلس للقائد سعيد الكلولى كل الاسلاس . فكان يتمشى معه
بمقدار ، فلا يعصى له الامر كل العصيان ولا ينقاد له كل الانتياد . وقد
اتصل ما بينه وبين القائد دحمان عميد الحكومة الكبير في (وادي نون) وقد
كان هذا ذا شان عظيم . تراعيه الحكومة ، وترى له مكانة مكيئة وقد رابه ما
تنخوفه من افلات الصحراء واهلها الذين لا يرامون للاوامر . ولذلك لا يحنى
هامته للقائد سعيد الكلولى . ولا يماده في حباله ، بل كان ضده ويسرب الى
الحكومة كل ما يصنعه بالناس سرا وجهرا . فقوى جناب القائد بوهيا به ، فكان
يقف امام الكلولى ذلك الموقف ، ثم ان الكلولى الذى غص به ، ولم يجد له
مساغا ، وجد من القائد المدنى معاونا كبيرا فولاه على بعض الاخصاص اثر
خصومة وقمت بين الذين كانوا مع جيش الكلولى من الاخصاص فى الحرب مع

بعقيلة ، فقد ظهر هناك المدني شابا قويا يملأ العين ، فذبح أمام فسطاط قائد الحملة ، وطلب منه أن يفرده هو وخذته (ايت بيغون) عن القائد بوهميا . فوقع ذلك من الكلوي ، وقعا حسنا ، ثم وقف له حتى توصل بالظهير السلطاني على ذلك ، فصار لقبيلة الاخصاص قائدان رسميان ثم لم يزل يضيّق الكلوي على القائد بوهميا حتى جلا على داره الى (وادي نون) فنزل في جوار القائد دحمان . ثم رجع بأمر الحكومة الى داره ، وقد أقلع الكلوي ، فأجلى الناس قوادهم فحوصر القائد بوهميا في قريته التي يسكنها ، وتسمى (تاعششو) ثم لما جاء انفلوس ، وقد كان يسير ضد مسير الكلوي . ويختار غير سياسته ، ويقرب أعداءه ، ويقضي أولياءه . أعان القائد بوهميا ، فكان على كل (الاخصاص) بعد ما طرد المدني وشيعته ، ثم لم يزل يصل الى أن أقلع النفلوسيون 1321 هـ . فرجعت الفوضى جذعة . فأجلى الناس القواد أيضا ، فحوصر القائد بوهميا في داره نحو سنتين . ومعه كثيرون من اخوانه (ايت بو ياسين) ، حتى نفذت المئونة ، فجلا الى ابالة القائد عبد السلام الجراي ، فنزل عليه في (تالعيث) ، وذلك في سنة 1323 هـ . ثم خاض حروبا ليرجع الى داره . فهدم ديار بعض أعدائه ، ولم يزل على ذلك الى أن قتل 25 صفر سنة 1329 هـ . ولم يحصل على مرأته ، فانطوت صحيفته . وهاك ما قاله فيه صاحبه المؤرخ الاكراري ، فعند جهينة الخبر اليقين ، فانه كان من جلّاسه ، ثم طرده المدني بعده من (الاخصاص) ، فأفاض على صاحبه سجلا من الثناء - واللّهي تفتح اللّهي - كما الهب القائد المدني باسجاع نارية - « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، قال :

(ومنهم الفطن الحفي اللوذعي الذكي ، الذي مجالسته تحف ، ومحاسنه طرف : القائد ابراهيم بن عدى بوفوس البوباسيني الاخصاصي . فكان رحمه الله رجلا ظريفا . حليفا أليفا ، جوادا صحيحا - وببروته شحيحا ، جاوزنا معه اياما عدت من الدهر غرة . ومن الزمان غرة . لا يناوشنا زيد ولا عمرو ، ولا يناوتنا حين ولا دهر ، طواجين مهتلئات بالفرايح ، وقصعات يلمعن ويتبعن بالمقاريح ، كست (1) ذكري ، وعنبر شهى ؛ مع أنواع المراس . ووزراب فوق الفراش ، وموانسة تنسى العقيلة ، وان كانت مع خصرها أسيلة . فوجب على أن أمده ، وأذكر فضله وأشرحه . فتبا لهذا الدهر المشت ، والزمان المهتا (2) . لا يصطنع جواد ، ولا يراف خراد . جرد له سيف العدوان ، وجر عليه ذيل السمان ، بعد ما كان للمجلس فانوسه ، وللحال به مانوسه ، حديثه أحلى من الضرب (3) يشوق العجم والعرب . وقد حكى لنا مرة ، أن امرأة عندهم اضلها أبو مرة ، قال : ان الناس رأوا ما بأيدينا ، فظنوا أن الله هو الذي أعطانا - يعني أعطانا بلا سبب - فانما هي تباستكار بن-اي الحيل - لنا ولأولادنا . فحين تناقض مع القائد سعيد الكلوي ، تخلف عن حضرته مؤذنا

(1) العبود الذي يتبحر به . (2) المهت مبالغة في الهت والتمزيق .

(3) الضرب محركا : نوع من العسل .

بمبادئته ، فأرسل إليه ليؤمنه ، من عده حباثل مكره لا مأمنة ، وقلبه للعدو
 مكمنه ، على ما أخبر به من أئمنه ، القائد محمد بن حسون الترنيتي ؛ والقائد
 عبد السلام الجراري ، والقائد عدى البعقيل . فنزلوا عليه في داره . فقالوا
 له جئنا مؤمنين من الكلولى ، وقد أعطانا عهد الله أن لا يضرك - فقال لهم :
 وماذا تفعلون أن ضرني . فقال ظننا أنه لا يضرك فقال : واما أن ضرني ،
 فقالوا : لا حول ولا قوة الا بالله . فقال لهم أن أسدا كان في أجمة ، فتعاهد
 مع ثعلب أن لا يضره ، وتكفل له الثعلب بما ياكله ، فكل يوم يحنال الثعلب
 لوحشى حتى يوصله اليه فياكله ، فأتى الى الفنفذ . فقال له ان في هذه الاجمة
 وكيه من اولياء الله ذا بركة . تزوره الوحوش ، وانت لم تزره قط ، فامش
 هي اركه . فقال : أين الطريق اليه ؟ فإراه الطريق فتأمل الاثر فوجده ان ما
 فيه انما هو أثر الذهب لا أثر الراجع ، فقال : انما رأيت هنا أثر الذهب
 لا أثر الراجع ، فادع لنا من ها هنا ، فوالله لا آتية ، ولا أتبرك به الا من
 هنا ، قال : كذلك أنا فقد زرت فيه من هنا ، فبلغوا له السلام ، واطلبوا
 لي منه الدعاء بسلامة منه .

ان السلامة من سلهى وجارتها أن لا تحل على حال بواديهما
 فرجعوا خائبين ، وللدعاء له من المرسل طالبين . فدعا له بالويل ، ولداره
 بالهيل . فبعه الى (وادى نون) فدافعه القائد دحمان بولد جنون ؟ فخيخ
 هو بـ (ايكيسل) فشرع بينى الدار ، ويوهم أنه فى المحل ذو استقرار .
 فوصلت الشكوى للسلطان ، فكتب اليه بالرجوع للحرمان ، - يعنى الكلولى -
 فرجع بخفى حنين غير قرين العين . فسقط فى يده ، وتداعى ايوان مجده .
 فلم يلبث أن قام وحيا البلد بسلام ، فرجع القائد بوها لمقره ، فوجده مهوم
 فقره . فاسترجع وحوقل ، وتهايا واحتفل . فبنى بناء لا يليق الا بالمدن ،
 وموضع التحصن . فحين كمله رجع للحال ، فافضى به القدر الى الترحال ، فهدمهدما
 وكان والله ردما . فبقى الى الآن ، لا تطمع فى اصلاحه الولدان ، وربك يخلق
 ما يشاء ويختار ، والتسليم اليه فى الامور هو المختار .

يا دهر ما أفساك من متلون فى حالتك وما أقلك منصفا
 أتروح للنكس الجهول ممهدا وعلى اللبيب الحرسيفا مرهفا
 لا أرتضيك وان كرمت لانسى ادري بأنك لا تدوم على الصفا
 ثم انه لما تحزبت القبائل على القواد ، وخرّبوا دار القائد السيمورى ،
 ودار الحزار ، عمر القائد بوها داره بأعوانه واعيان قبيلته (ايت بوياسين)
 ورماة (اولاد جرار) فاستعصى لهم عاين ، وفى داره من الرماة مائة وخمسون .
 ومن النساء خمسون . مان الجمع حتى نفذ الزرع ، وغاب عنه الضرع ، وغارت
 النطافى . وتم الراسب والطافى ، وكمل القرطاس والبارود ، وأعياء المحصور
 القيام والقعود ، فرأى أن سلامته فى الانتقال ، ولعين بنى جرار الارتحال .

وان صحيح العزم والرأى لامرٍ اذا بلغته الشمس أن يتحولوا
 فجمع اولاده واغتم مراده . فوصل بسلامة ، فلم يتركوا لداره علامة ،
 عام 1323 هـ . فاقام في العين) واستراح ، ثم عاود لبلده الرواح ،
 فاجتمعت عليه بعمرانه لم يبق زيدا ولا عمر انه ، فتلقى معهم بحركة (اولاد
 جرار) وفيهم الخيل الكرار ، فهزموهم على (افرض نساداخماد) فلم ينج
 منهم الا من حمد ، فقتل في الهزيمة زعيمهم الشيخ الحسين بن يحيى ، وقد
 حسده الصوابى أن يكون معديدا ممن يحيى . فترع بيده بدل عزرائيل روحه .
 وتولى بنفسه تسليمه وفضوحه ، ففرم للقواد منهم ما أكل ، وغدر فيه
 اذ عاهد ونكل ، فافضى الحال لدار سى أحمد ابن الطالب ، وهدمها القائد
 بوهيا الذى هو بدينه طالب ، فحرق الابواب ، واتبعها بالاخشاب . فتركها
 كجمل اجرب ، وشفى مفض قلبه الذى شرق فيه وغرب ، فلم تزل الفتنة
 تلوم ، والخوف يذيب الشحوم . ويسهر من الرجال النوم ، الى 25 صفر 1329
 فكان البارود على دار (بنى الشين) فاتاه القدر والحين ، فجرح جرحا كان
 فيه اجله ، وانقطع أمله ، فحمل الى (تانكرقا) (ايت ايسيمور) ، فقاب
 فيه بدر السرور . وانحسبت السرور ، واستحكمت المدنى على الثفور ،
 فاستعلى وعدم المنازع ، واستولى ولم يظهر له مقارع ، فقلت :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيبضى واصفرى
 ونقرى ما شيت أن تسقرى

فنفخت اوداجه . وامتلأت أدراجه ، وأجلسه فى منصة الاحكام الهيبة ؛
 وكانت له من ذلك اليوم الهيبة ، ففرض المال ووعى ، وجمع فاعوى ، فكره
 جميع من الى بوهيا انتسب ، ولو أن له اصيل النسب او علما ينتخب فطرد
 واغتصب، وتكره واحترب، فاتبع هواه ، الى أن يرديه فى مهواه وينشد حاله:
 نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف
 فقلت :

انفوا المؤذن من بلادكم ان كان ينفى كل من صدقا
 والله در ابن الخياط حيث يقول :

أتظننى لا أستطيع أحيل عنك الدهر ودى
 من ظن أن لا بد منه فان منه ألف بد

وقال ايضا :

لا تنكرن رحيل عن دياركم ليس الكريم على ضيم بصبار
 وعهده شيخ شريف سكن عنده تشيخ ، يتكلم فى الغيب وطيره عنده
 تفرخ ، مرا فى الاعمال ، يعد عند نفسه من الرجال :

نعوذ بالله من اناس تشيخوا قيل أن يتشيخوا
 تقوسوا وانحنوا ربا فاحذرهم انهم فخوخ

الى أن قال : منشد ١ :

صلى وصام لامر كان يطلبه فمد حواه فما صلى ولا صاما
وقال آخر :

تصوِّف كى يقال له امين وما معنى التصوف والامانة

ولم يرد الاله به ولكن اراد به الطريق الى الخيانة

والشريف الحاج محمد جاء مرة الى (رخاوة) وأنا بمدرستها ، فقال :

لفقرائه ان فقيهم لا تسالوه الا فى مسائل الفقه ، فهو اعرف بها ، واما

اخبار الطريقة ، والاسرار الدقيقة ، فليس من أهلها ، ولا حام من حولها .

فأخبرني واحد بما قال ، فقلت : صدق والله فى المقال ، انما أنا من أهل

الظاهر والله يتولى السرائر ، والصواب فى الجواب ، وهو الحق ان شاء الله

بلا ارتياب. ما قاله النبی صلى الله عليه وسلم فى ابن صياد ، خلط عليك

الامر ، وغرضك الاصطياد ، فعند المات تظهر التركات ؛ ولذلك قلت : وفى

النصيحة جلت :

أى فضل لناسك يطلب الفضل الخ ...

- وأنشد هذه الايات المشهورة التى لا نطيل الكلام بذكرها صيانة لعرض

ذلك الشريف الصالح - . ثم قال : هذا ما انجرت اليه القلام ، من فضول

الكلام ، فالكتاب كالمائدة يجمع الفث والسمين ، والسخيف والتمين ، فكل

واحد ينظر بعين هواه . ويرنو لما يهواه ، وينبو عما لا يوافق فعواه ، فإله

يقبل العشرات ويعفو عن السيئات ، وهو المستعان ، وعليه فى الجمع التكلان.

إذا اعتذر الصديق اليك يوما فسامح عن مساويه الكثيرة

فإن الشافعى روى حديثا باسناد الصحيح عن المغيرة

عن المختار ان الله يمحو بصدور واحد ألفى كبيرة)

ذلك ما قاله المؤرخ فى صاحبه ، والشريف المذكور هو الشيخ سيدى

الحاج محمد الدرقاوى البوزاكرنى المذكور مع ولده استاذنا الاديب مولاى عبد

الرحمن فى (القسم الرابع) فى هذا الكتاب .

كيف تولى القائد المدني

رايت كيف كان عماء سعيد وعمر ، وكيف سقط سعيد بدسياسة عمر .

وكيف كان عمر صاغية القائد بوهايا ، وكيف كان المدني يمتعض لما أصاب

عمه سعيدا . فلا ريب أنه يتطلب الفرص ليبرز الى الميدان ، وليتقلد الرياسة

التي ما خلق الا لها ، وفى سنة 1316 هـ . اشتدت الحرب فى وجان بين

الكلولى والولنتيين . وقد كان يزحف مع الكلولى كل القبائل المنضوبة تحته ،

ومن بينها قبيلة الاخصاص ، فقد كان خيلهم ورجلهم مرابطين هناك ، وعلى

رياستهم خليفة القائد بوهايا واخو قرينته ، عبلا بن حمو بن عمر ، اخبرنى

من حضر معهم اذ ذاك أن عهده بالمدني اذ ذاك انه كانت له ولبعض اله خيمة من الله متر يارون اليها . فكان الخليفة عبلا بن حمويكثر خصومتهم ويستغشهم ، فكان المدني يراجعه الكلام حتى بلغ بهما الحال يوما الى مخاصمة عنيفة ، فصمد اليه المدني يقول : لا والله لا تكون معكم بعد اليوم ، فانتم (ايت اسحاق) ونحن (ايت بوفولتن) والمخزن لا ينظر الالعدد الكوانين ، ولا يريد الالخدمة . وهناك صال المدني عليه ، وقد كان الآخر رعديدا جيانا ، ثم عمد المدني الى صاحب ابيه القائد محمد بن هيبه الزفاضي ، وقد كان معهم في اخوانه ، فشد عضده ، وقوى امره . ولعل ذكر هذه التفرقة الاخصاصية كان هذا الزفاضي يتطلع اليها ، نكاية للقائد بوهيا الذي صار كل جيرانه يرمونه بالنقص منذ أن انتقض ما بينه وبين القائد الاعلى الكلوي ، فيكون هو السدي دفع بالمدني الى هذه الخصومة ، ثم أنه أوصله الى الكلوي . وقد كان للزفاضي دالة عليه . فذبحا كيشا امام الدار التي ينزل فيها بس (وجان) فصادف ذلك ما في فؤاده على القائد بوهيا ، فقد وجد من المدني رئيسا جديدا يناوئه ، وله شرف واسرة وفخذ تخالف فخذ بوهيا ، فهذه الاسباب أخذه الكلوي بضبعه فقدمه على فخذه في الحين ، والمدني اذ ذاك شاب قوى متين العضلات أجرد لا نبات بعارضيه بعد ، وكانت تلك الخصومة قبل أن يقتل الحاج أحمد الكلوي بثلاثة ايام . ثم جاءه الظهير العزيزي بالقيادة . وهذا هو الظهير :

(خدامنا الارضين ايت بوفولتن وايت اد غزال واد شععود وايت اغرمزان وايت اعلاتنن من قبيلة الاخصاص ارشدهم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد ولينا عليكم أخاكم خديمنا الارضي القائد المدني بن احمد . واسندنا اليه النظر في امركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما وليناه من الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام في 22 جمادى الثانية عام 1317 هـ .)

وفوقه الطابع العزيزي الكبير

ونص رسالة من الكلوي الى الاخصاصيين المضافين اليه بعد ما جلا عن

داره نحو 1318 هـ .

(اخواننا قبيلة الاخصاص كافة قبيلة بني ياسين وآل تيمولاي وايت على وايت العربيا خصوصا طلبتهم وكبراهم وقراهم ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله . وبعد فان أخاكم خديم سيدنا ، القائد المدني ممن اخترنا لكم اسناد امركم اليه . وتحويل صلاحكم عليه ، لما نعلب فيه من القابلية والاهلية لمباشرة اموركم . وانه أحق بالواسطة بيننا وبينكم ، بعد ما أخذنا فيه أن يسمير بكم بسير الرفق ، ومراعاة جانبكم بما يليق بمقامكم ، ، فكونوا ان شاء الله عند اشارته ومشورته ، واجتهدوا في جمع رأيكم لا تفرقوا فتشلوا وتذهب ريحكم . وارجعوا الى مواطنكم ومساكنكم .

ولا يمنعكم منها الخوف ، فقد امانكم بامان الله ما دتمت قسى طاعة السلطان نصره الله . وصدقتم في خدمته ، ولا خوف الا على من خان أو بدل ، والله تعالى حسيبه . وهو حسبنا ونعم الوكيل . والسلام ، فى متم شوال عام 1317 هـ)
وتحنه طابع القائد الذى رأيناه قبل يختم به رسائله .

هكذا ظهر المدنى بالقيادة ، فتمكن امره و صار له مقام كبير بين القواد اذ ذاك . وهو يخالق ويأخذ ويعطى ويعرف كيف يتملص من الانشوطات والربيق وقد عجم اعداء الزمان بما مر له من فقره ، وبما يسرى فى شرايينه مماورته عن اهله . وهكذا السعد اذا لاحظ انسانا فانه سرعان ما يفوق أقرانه .

يرأس أيضا على ايت رخا

هكذا طلع السعد للمدنى فجأة ، فقد قرت به عين الكلوى . فصار يرفع من شأنه . فقد وقفنا بين ظهائره على مكتوب فيه رضى قبيلة ايت رخا به وفيه أسماء رؤسائهم . ونصه :

(وبعد فبحول الله وقوته وبمنه وايمانه اتفقت قبيلة الرخاويين عموما وخصوصا أهل الرأى والخل منهم كالحاج أحمد بن على بن محمد ، ومبارك بن أحمد بن حمو فى فخذ (أوتاتن) . وبلقاسم بن مبارك أزكن به عرف من فخذ بنى على بن أحمد ، ومبارك بن كوتوس بن مسعود أبو الطعام ، به عرف . من فخذ بنى أحمد بن ابراهيم . والشيوخ محمد بن محمد من بنى بولا وبوجمة بن أحمد بن هو من بنى ورحمان وبلال بن مؤمنا ، من بنى عبد الله بن الحسن ، وسيدى على بن الطالب أحمد بن بركا مع جامع بن عمر بن محبوب من فخذ آل (تاكننسا) وغيرهم من القبيلة كبيرا وصغيرا بحضورهم كلهم على الاحاطة والشمول . اتلق هؤلاء كلهم على أن يولوا امورهم للقائد المدنى ابن الطالب أحمد بن عبد الله الحاج الاخصاصى . ويسندوا اليه امورهم فى كل شىء . ومكنوا له اعتناقهم ، ويكون واسطة بينهم وبين المخزن فى جميع التكاليف المخزنية . والوظائف السلطانية . مئونات وغيرها مما يتعلق بهم من جانب المخزن . وبه كتب من اشهدوه بتاريخ 28 يوما من رمضان المعظم فى عام 1317 هـ . عبد ربه بلقاسم بن الحسن بن العردا الرخاوى لطف الله به وعبد ربه عبد القادر بن أحمد بن ابراهيم الوفوغلاوى الرداوى لطف الله به وعبد ربه أحمد بن ابراهيم بن حيميدات الاخصاصى البوفولتى لطف الله به .
وهذه رسالة الكلوى فى توليتهم للقائد المدنى :

(وبعد فبحول الله وقوته ثم من سعادة سيدنا ايده الله ونصره اسندنا الى ماسكه خديم سيدنا دام عزه ، القائد المدنى ابن الطالب أحمد الاخصاصى أمر ربع اد على بن أحمد ، واد أحمد بن ابراهيم من ايت رخا . وكذلك ربع اداورحمان . وايت واقاتن ونصف ربع اداعلى ، كلهم من قبيلة الرخاويين لياشر امورهم بوجه المشيخة ، وجعلناه واسطة بيننا وبينهم فى اللوازم

المخزنية ، والتكاليف السلطانية . والزمناهم الخدمة معه ، ومتابعة ما يقتضيه نظره في المصالح . وأن لا يقدموا على أمر من الامور حتى يكونوا فيه على بصيرة ، وموافقا لهم فيه حتى هو عليه فيهم بمراعاة المصالح ، والوقوف عند حدود الله فالله يسعدهم بهم ويسعدهم به . ويكمل بخيره ، ويسهل جميع الامور . والسلام في 20 من رمضان عام 1317 هـ . وتحت طابع القائد الكلوي المكتوب فيه : خديم المقام العالي سعيد بن أحمد الكلوي وفقه الله .

ويظهر من النظر في تاريخ هذه الرسالة وفي تاريخ ما كتبه الرخاويون، أن هذه الرسالة كتبت أولا للقائد المدني ، ثم طلب بعدها موافقة الرخاويين لان الرخاويين كانوا في ضمن قيادة ال (ايلخ) رسميا عليهم القائد أحمد بن محمد بن الحسين ، ولذلك لم يكن للكلوي ان يجعل عليهم القائد المدني الاعلى وجه الشيخة .

اتسعت ايالة المدني كما ترى ، وارتضاه حتى جيرانه على أن يكون بينهم وبين القائد الكلوي . وما ذلك الا لما كانت أسرته معروفة به أولا ، ثم لما ظهر منه جديدا من حسن ادارة الامور بلباقة وتأن .

جلاؤه الى فاصك

كان القائد المدني أحد عمد القائد الكلوي ، وقد رأيت كيف انبسطت يده في اواخر سنة 1317 هـ. ثم لم يمض الا قليل حتى انقلبت السفينة بمخدومه القائد الكلوي . فغادر تزيت في نحو أول ربيع الاول 1318 هـ . فآثر ذلك في كل الذين يخلصون اليه . كالقائد المدني ، كما فرح بذلك من يناوئونه كالقائد بوهيا . والقائد دحمان الوادنونى ، فهاج الناس . فأوى القائد المدني الى (فاصك) ، وقد جمع اليه لصوصا فتاكا يدافع بهم عن نفسه ، بل وجدهم هناك مجتهدين فنزل بينهم ، وقد كان هؤلاء اللصوص يجولون فيما قرب منهم وفيما بعد، حتى أنهم وصلوا مرة مراعى مرابطينا في ايسافز ازاء الخ في رمضان 1317 . فذهبوا بقم زاوية الشيخ الالفي . فتبعهم العلامة سيدى على بن عبد الله الالفي يستردها منهم ، واذ ذاك هجا أهل (فاصك) بقطعة شعرية معروفة تقدم ذكرها . ثم أن القائد لم يزل يسائر القائد انفلوس الى أن انكشف هو وجيشه الحاحى عن تزيت سنة 1321 هـ .

مع المولى عبد الحفيظ

كان القائد المدني معروفا عند الحكومة في العواصم . وهو في نظرها من القواد المخزنيين ، ولذلك كتب اليه المولى عبد الحفيظ كما كتب الى كل قواد سوس يوم ثار على أخيه المولى عبد العزيز . ونص ما كتب به اليه :

(خديمنا الارضى القائد المدني الاخصاصى وكافة اخوانه الدين الى نظركم .

أخص أعيانهم وتبرأهم وفقهاءهم وشرفاءهم ومرابطيهم وأهل الحل والعقد منهم ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد علمتم أن الله تبارك وتعالى أمر بأمور وحضنا على اتباعها . ونهانا عن أشياء وأمرنا أن لا نتحدث عنها ، أمرنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأمرنا بالجهاد عند مفاجأة العدو واخذه ارض المسلمين ، وطالما رأينا وسمعنا ، ولا زاجر ولا واعظ ولا من يتعظ ، أخذت (وجدة) فاتخذنا أمرها هزءاً ولعباً وتهكما وسخرياً ، ولم يجد أهلها لا ناصراً ولا معيناً . فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى حفر بنا العدو من أمام ووراء ، وحيث علم العدو عجز من يقوم بأمر المسلمين وضعفه ، وركونه الى الدعة ، وترك ما طوق به من الدفاع عن المسلمين وثغورهم عمد الى (الدار البيضاء) التي هي من أعظم الثغور بأرض المغرب ، ومركز البلاد ووسطها . فأخرج أهلها منها . واستولى عليها . ووجهه عدداً من الفراكيط الى جميع المراسى ، بقصد الهجوم عليها كذلك . وشاع وذاع انه بهسد الحول بد (سفاس) و (مراكش) ، وحيث كان هسلنا الامر الهائل الذي تبكى منه العيون دماً وازدادت به النفوس مرضاً وألماً ، وعلم جهيع المسلمين أن بمجرد فجأة اعدو على ثغر واحد من ثغور المسلمين تعين الجهاد على كل مكلف وغير مكلف . اتفق المسلمون على بيعتنا ونصرتنا والدخول تحت طاعتنا للنظر في مصالح المسلمين ، والدفاع عنهم ، وأخراج العدو من ثغور المسلمين فلم نجد بداً من مساعدتهم على ذلك ، لما ورد في ذلك من الايات والاحاديث الشريفة . فأجينا داعيهم لذلك ، ودخلوا تحت طاعتنا ، ونصروا رايتنا ، وأعلنوا بالنصر الموزر لجانبنا الشريف ، سائلين من الله سبحانه أن يعيننا على ما كلفنا به ، ويوقفنا فيما به طوقنا . فإنه ولي ذلك . وهو حسيننا ونعم الوكيل . وها نسخة من البيعة السعيدة تصلكم بطيه لتأخذوا حظكم من الفرح والسرور ، ونوجهوا لشريف حضرنا ببيعنتكم صحبة أعيانكم وكبرانكم . والله يوفقكم لما فيه رضاه ؛ أمين ، والسلام في 10 رجب الفرد الحرام عام 1325 هـ) ، وفوقه الطابع الحفيظي الكبير .

هكذا كان القائد المدني ، من الذين تعتمد عليهم الحكومة . ولكنه هو عرف كيف يمكن له أن يتملص مما يصيب القواد أمثاله اذ ذاك ، كلما جزر مد الجيش الحكومي عن الجنوب . فداخل القبائل ، واسترد ما كانت أسرته معروفة به من الاستناد الى نحلة (تاكوزولت) ، فنفعته ، فاستطاع أن يمتد بها ظله من سنة 1321 هـ . الى سنة 1330 هـ . وقد كان يقنع من القيادة باختيال . فلا يطمع الا أن يكون أحد الرؤساء من أهله . فيخالقهم ويسايرهم ويهطع امامهم في كل ميدان يقصدونه . ولذلك لم يكن يعدو هو وامثاله كالقائد مبارك البشيراني هذه الدائرة الضيقة ، طوال هذا العقد الثالث . ولم

يكن يعتمد الا على ذات يده وحدها . فصار يمعن في تميمها بكل ما يمكن له مما نمو به عادة بين اهله وجيرانه ، من حرث ونسب الى مثل ذلك .

مع الهبة

كان القائد المدني من الذين خبوا ووضعوا في مبادئ امر الهبة . وحصل له شغوف وظهور نبير معه . وذلك الوقت في الحفيقة هو مطلع فجره الصادق . ومبرزه بروزا نبيرا . ولذلك لم يكد امر الهبة ييزغ نوره حتى جعله على كل الاخصاصين . وكتب له هذا الظهير .

(ناعة ابنانا قبيلة ايت اعلا تين وايت على وايت ميرتغت وأهل الاربعاء وايت بوبسين وايت بوتانن وايت اغرئمان وآل تيمنولاي . وفقكم الله وأصلحكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فاننا بحول الله وقوته قد ولينا عليكم اخاكم القائد المدني ابن الطالب احمد الاخصاصي . وأسندنا اليه النظر في امورتكم . فنامركم ان تسمعوا لامره ونهيه فيما يحبه الله ويرضاه ، كما امرناه ان يرعى ذمة الله ورسوله فيكم . اصلحكم الله به . وأصلحه بكم ، والسلام . صدر به امرنا في الثالث عشر من رجب الفرد عام 1330 هـ .) وفوقه طابع للهبة ، كبير جميل الوضع والخط . مكتوب في وسطه احمد الهبة ابن شيخه الشيخ ماء العينين كان الله لهما 1330 هكذا بالتاريخ الهندي . ولقظة الله مكتوبة فوق ما تقدم . وهذا هو المكتوب في وسط الدائرة . وفي المستدير بها البيتان :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجامها تجم

من يعنصم بك ياخير النورى شرنا فانه حافظه من كل منتقم

والطابع بالاريب مصنوع على شكل الطابع الحسنى الكبير وقدره . الا أنه دونه في الرونق - لقد حكيت ولكن فاتك الشنب .

تولى القائد المدني هكذا تحت راية هذا الملك الجديد الذى يقول انما فام غيرة على الوطن . وذودا للاجنبى الذى أغار على البلاد . فتهيات كل القبائل لمصاحبتة . وفي مقدمتها ابالة القائد المدني قبيلة الاخصاص . وعددهم كثير . وقد ذكرنا في اخبار الهبة في (القسم الثالث) أن القبائل الكبرى عينت خمسين فارسا لمصاحبة الامير الجديد . فنقلت القبائل السوسية ذلك تنفيذا .

فى مراکش

سافر القائد المدني مع الهبة من (نزنيث) فى ابهته . ويخالطه فى الطريق كثير من أصحاب أسرته كالعلماء الكبار ، كسيدى الطاهر بن محمد ، وسيدى البشير بن المدنى الناصرى . وقد كان معروفا بأن حضرته يأوى اليها دائما أمثال هؤلاء العلماء والفضلاء وأهل الخير . ولا يجهلن القارئ ان اسمه المدنى

كان مما سماه به الشيخ سيدي المدني الناصري.والد سيدي البشير المذكور.
وقد كان الشيخ بات عند والده ليلة ولد فسماه باسمه تبركا . ولذلك لازم
أولاد سيدي المدني الناصري داتها .

نزل القائد في دراكش وهو يظن أنه سينال مقاما عظيما كما يظن كل
السوسيين . ولكن سرعان ما خاب ظنه كما خابت ظنون كل السوسيين حين
رأوا الهيبة يعرض عنهم اعراضا كما اجمع المتحدثون بذلك عن ذلك الوقت ،
ولذلك حنوا الى سوسهم ، فصاروا يتسللون فرادى ، ومن صبر الى يوم
الهيبة القائد المدني . فغادر دراكش صبيحة الهزيمة، فنجوا هو وأهله بجريفة
الدفن . وكان منزله بمراكش الدار الكبرى في (جامع الغناء) التي هدمت ثم
صيرت سوق الخضر . وكانت في ملك والد ادريس منو ، ثم نزعته منه ،
واتخذت ما شاء الله من منازل الحكومة للاشغال العامة ، ثم هدمت .

في محاصرة تزنييت

أخرج اهل (تزنييت) الخليفة النعمة في أواسط ذى الحجة ، فلم تكذب القبائل
الجبالية تسمع ذلك ، وان ابن دحان قائد المستعمرين قد احتلها ، حتى نزلوا
فاستداروا بها ما شاء الله ، وفي مقدمتهم القائد المدني ، مع كل القبائل
البعمرانية والاختصاصية زيادة عن قبائل (ولتيته) مع ما انضم اليهم من
قبائل (أزغار) لانها اذ ذاك لا تزال مغلقة من قبضة (تزنييت) وذلك في
سنة 1331 هـ .

في مقاومة حيدة أولوا

كان القائد حيدة بن مائيس بطل الحكومة في سوس ، فقد قاوم الهيبة ،
حتى أخرجه من (تارودانت) ثم تبعه الى أن انتزع من قائده الناجم قبيلة
(هشتوك) ثم زعزعه أيضا من . اسارنسييف) ثم من (تيمكر) ، فأوى
الهيبة الى (كردوس) وكان ذلك في زحوف متعددة . وقد امتدت يد حيدة
مرة حتى وصلت (أزغار) فتجاوز (تزنييت) فطلع الى الاختصاص ، فوصل
دار القائد المدني التي في الظهر فانتهبها، ثم صالحه الرئيس مبارك أبو الطعام الرخاوي
فرجع بلا حرب . وقد كان المدني منحنسرا في داره من (بنوزكارن) بنوى ان
يلتحق بالصحراء ان زحف اليه حيدة . لانه يوفن أنه لا يطبق ملاقاته اذ ذاك .

كاتب القائد يتحدث عنه

قلت لاء العيينين ملازم القائد المدني وكاتبه ، في أى سنة ولادتك . قال :
في سنة 1310 . في (الصمارة) . ووالده محمد فاضل بن نوى بن محمد بن
أحمد بن خليل . من فخذ أهل الطالب عثمان . من قبيلة أهل الطالب المختار ،

قبيلة الشيخ ماء العينين . واهم موانا بنت الشيخ ماء العينين . سميت باسم
ام الشيخ نفسه . اخذ القران عن الاسناد محمد بن النوبالزة . والعلوم عن
الشيخ نفسه في (الصمارة) ثم انقل من الشيخ الى (تزنييت) حيث بقي مع
الشيخ الى أن توفي . وقد كان سافر مع الشيخ اثر البيعة الحفيظية الى
(مراکش) وقد كان نوى فاسا . فاذا ببيعة مولاي عبد الحفيظ . فمال اليه
فبايعه ثم رجع . وفي 1327 هـ . سافر ايضا مع احمد الهيبة الى (فاس) وقد
مروا من (مراکش) على (فطواكة) (فدمنات) (فتادلة) (فزيان) وقد حاول
الزياني أن يرد الهيبة عن فاس بدعوى أن عبد الحفيظ نقض العهد ، ومال الى
النصارى ، ولكن الهيبة ابي من الرجوع . ثم مكثوا في (فاس) ثلاثة اشهر
وعشرة ايام . واذا ذلك اطلق على يد الهيبة الشيخ عبد الحى وسيدى المهدي
الكتانيان من السجن ، بعد موت الشيخ الاكبر الكتاني ، ثم رجعوا على طريقهم
الى (مراکش) الى (سوس) الى (الصمارة) . واذا ذلك تهيأ الشيخ ماء العينين
الى الجلاء الى (تزنييت) ثم سافر على نية (فاس) ولكنه رجع من الطريق . ومما
قاله الشيخ اذ ذلك بعد مروره في جبل دون يوم رجع .

رأيت ما رأيته من جبل وغابة والامر لله العلي
والآن ها انا اليه راجع وعالم الحال مقالى سامع

ثم بعد وفاة الشيخ في آخر 1328 هـ . بقي المحدث في (تزنييت) حتى وقعت
بيعة الهيبة لسافر معه الى (مراکش) وقد كان مع عمه محمد الامين حاجب
الهيبة كعمينه . ثم لم يفارق الهيبة الى ان حل في (كردوس) وقد كان مع
القائد الناجم في (هشتوكة) فجرح في احدى الحروب مع حيدة . فكان عند
بعض الناس في (ايت والياض) يمرض الى أن يبرى .

في مصاحبة القائد المدني

قال : سبب اتصالي بالقائد انه اعجنني حاله حين كان يفد مع البعمرانيين
وغيرهم الى (كردوس) فقد رأيت ثباته وعقله ووراثته ثم صار الاتصال بيني
وبينه الى محرم 1335 هـ . فانقطعت اليه ، فوجدت الفقيه احمد بن ابراهيم
كاتبه الخاص . وبعد سنة عينني كاتبه الذي يلازمه ، مع ملازمة الفقيه وتصديه
للقضاء . واول ما حضرته معه حرب حيدة يوم قتل 13 من ربيع الاول 1335 هـ .
وقد خرجنا من (بنوزاكارين) واجتمع الناس . فترلنا مع القائد في دار
بقرية ازا (اسنك) وهناك عيدنا . وقد كان القائد ارسل جاسوسا ، فاتصل
بالقائد العربي الضرزوري من جيش حيدة . يطلب منه ان يعين له الطريق
الذي سيسلكه حيدة . فاجاب بان حيدة لا يشاور احدا ، وانما يأمر فياتمر
من معه ، ولكنكم انتم في جبال ، وستتلون منها ، فترون اية طريق سلك .
فكذلك فعلنا . فقد بعثنا حراسا الى قمم الجبال ، لينظروا اى طريق يسلك

حيدة . فمن شاهد أنه يسلك جهته فليرفع الدخان ، فنعلم كيف نقاوم . فلما
 تبين متوجهه ، وقد ركب الفرسان ، واجتمع الناس ، فتقدم القائد وهو على
 فرسه . فنادى في الناس أن حيدة قد أتى على طريق (أيت برايم) فإذا أردتم
 أن تقاوموه ، فتنظموا أنفسكم كراديس ، يتبع بعضكم بعضا ، وإن أردتم
 الفرار فدوتكم وما تريدون ، فنادى الناس كلهم بالعزم على المقاومة . فتقدم
 الإصبويانيون خيلا ورجلا . وتبعهم أيت بوبكر كذلك ، ثم الإخصاصيون
 ثم أيت الخمس ، ثم أيت جهل الوادونيون ، ثم أيت بلا قبائل تكنا ، ثم
 أيت عبلا وأيت يعزى البعمرابيون . وأكل كراديس كراديس متتابعة ، فكان
 الأولون الإصبويانيون أول من تلقى الصدمة . فكان فيهم قتلى وجرحى ، فانهزموا
 فاذ ذاك نادى القائد المدني في الناس أن يدفعوا جميعا دفعة واحدة . فوصلت
 الحملة مواقع المدافع . فقتل الطبعيون . وقد كان المكان متسعا . ثم لما ماج
 من دح حيدة وكوا هارين . واذ ذاك وقع الزحام في مضيق ، حين قتل حيدة
 جاءت رصاصة من حيث لا يعرف رامبها . وهو على بغلته . وقد غنمته هذه
 البغلة فيما غنم . وقد حازها القائد المدني ممن غنمها من أهل الخمس ،
 بخمسمائة ريال . ثم لا تسئل عما غنمه الناس من الخيل والآتات والبغال والأبل ،
 وقد كان القائد المدني يشتري من الغنائم الفساطيط والسلاح والخيل . هذا
 وقد اشتغل الناس بعد هزيمة الجيش بالغنائم . ولم يعلموا بموت حيدة ، وقد
 كان وقت القتال المذكور نحو الحادية عشرة إلى الثانية عشرة ، ثم تفرق
 الناس بعد جمع الغنائم إلى ميبتاتهم على عاداتهم اذ ذاك على أن يجتمعوا غدا .
 فلما اجتمع الناس في الغد . ووصل وقت الظهر اذا باناس أتوا برأس حيدة
 قال : فلها طرح الرأس بيننا في المجمع ، لم يستبن ملامح وجهه الا أنا
 ومبارك أبو الطعام . وقد كان عرفه ولاقاه في الزحف قبل هذا . فاذ ذاك
 أرسل الرأس إلى (كردوس) عند الهيبة ، وقد كان الأستاذ سيدى علي بن عبد
 الله الالفي حاضرا ، وكذلك سيدى الطاهر . وقد طار أهل الجمع الخافض بالفرح
 حين فوجئوا برأس حيدة ، ولم يكونوا ينتظرون مثل هذا النصر العظيم .
 ثم بعد ذلك بقبيل كانت وقعة الجنرال (لاموط) التي حشر فيها انقواد
 الكبار من الحوز وحاحه ورأس الوادى وأزغار حشرا . فبقوا في (وجان) حين
 أخرج عنه الشيخ النعمة وقد احتله الكنتافي ، قال ثم جاء رسول خاص من
 عند الحاج التهامى إلى القائد المدني يقول له ان الحاج التهامى يقول لكم اننا
 جئنا دغم أنوفنا . وأريد أن نتلقى قبل الحرب ، فسان اتفقنا فذاك . والا
 للحرب . فاجابه القائد بالمساعدة . فجمع الفقهاء والرؤساء للمشاورة . فوقع
 الاتفاق على ذلك . وعين المكان والزمان ، فحضر القائد المدني مع كاتبه
 الحاكمي دح كثيرين من كل من نه رياسة . في نحو 500 - ثم لما قاربوا المحل
 انتخب نحو ثلاثين للملافة ، قال : فكنت أنا أحد هؤلاء ، مع القائد . فتكلم

الكلأوى وقال : ان المقصود حقن الدماء . ولا سبيل لذلك الا رد تلك المدافع المخزنية التي بقيت عندهم يوم موت حيدة فقال له المدني : ان جميع آلات المدافع متوزعة ، وتشتتت في الايدي ، ولم يبق الاسلحة المدافع - على حسب تعبيره - فقال الكلأوى : اعطونا هذه السلال ، فاننا نكتفى بها فابى الناس من رد المدافع بلسان واحد . فقال الكلأوى : ان الاولى ان نفرق عليه هو ان يرجع كل فريق على المشاورة . بهدنة ثلاثة ايام . ثم بعد الاقتراق اجاب القائد المدني بان الناس يابون رد المدافع . كما اجاب الكلأوى كذلك ان الجنرال (لاهوط) ابنى كذلك ان يرجع الابل المدافع (1) . ثم زحف الجنرال ومن معه . فطلعوا في (تيزى) ففر من هناك من الحرس ، وذلك في الليل . وما طلعت الشمس حتى وصلوا (اسنك) فنزلوا على البير التي اقيت فيها المدافع ، فاستخرجت منها . فربضوا هناك اياما . لا يتصل بهم احد من الالهالى . والناس مستديرون بهم من بعيد . وفي عشية يوم جاء جاسوس فاخبر بان الجيش يجمع متاعه . وسيرحل مبكرا . فتراسل الناس على ان يبيتوا متهيئين . قال وعند الفجر سمعنا طلقتين فركبنا فوجدنا الجيش متوجها من (تاكراكترا) الى (ايت يعزنى) والكلأوى هو واصحابه في الطليعة ، فدفع الناس في نحر العدو ، وقبل الشروق صارت الموتى والجرحى ترد علينا. قال: ونحن مع القائد في قرية (أدنار) من (ايت يعزى) ، فاستمرت الحرب من الصباح الى الثانية بعد الزوال ، فصار الجيش يتياسر شيئا فشيئا لينزل على (سيدى بوغبدلتى) وقد هيئت من يحارب وراه ، وفي العشى نزلنا ازايمهم ونحن جياع عطاش ، قال : والفقيه سيدى على بن عبد الله على فرسه في نحر العدو ، يقبل أحيانا ، ويدبر أحيانا . والقائد المدني على فرسه واقف ، ينظم الناس على قدر وسعه ، ثم نزل جيش العدو في (تالعينت) فنزلنا نحن ايضا في (ايت الاربعاء) فوق (ميرغنت) وبقي الامر كذلك خمسة ايام، واذ ذاك ارسل ابو السلام الخليفة المتوكل النازل تحت (ميرغنت) ثورا ليذبح على ضريح في (ميرغنت) ووصى ان يتصل مع من تيسروا هناك ، ثم قال لمن اتصلوا به : اريد ان يرسل الى القائد المدني رجلين من اصحابه لا تكلم معهما. فوصل الخبر الى المدني، فارسل الى سيدى على بن عبد اللوسيدى الطاهر ، فتأمره على انه يجب الاتصال بأبى السلام . لان الناس اعياهم ما هم فيه حتى صاروا يتفرقون الى ديارهم ، فارسل القائد صاحبيه ، فرجعا بان ابا السلام يقول: ان الاولى الحيلة ليتفرق الناس انتم ونحن معا ، فقد اعياء الجميع . فان ارسال جهل وثور الى الجنرال (لاموط) يفتح هذا الباب. فاستشار المدني الفقيهين قبل ذلك . لارتكاب اخف الضررين، فارسلوا رسالة الى الهية

(1) قابل بين رواية هذا المتحدث وبين ما تقدم في رواية الاساذ المانوزى الذى ذكر أنه حضر يظهر لك ما يظهر .

فى ذلك ، فاجاب بان عندهم الاذن المطلق فيما استوجهه نظرهم، قال : فارسل
المدنى عشرة من وجهاء الاخصاص بجمل وبقرة . فقدم ذلك للجنرال فى يوم
مشهود ، على انه هدية جميع القبائل المحاربة من بعمرانة وغيرها . وقد قيد
اسماء العشرة على ان كل واحد منهم من قبيلة من القبائل . فعل ذلك تعمية
لان هذه القبائل لو طلب منها ان يمثلوا هذا الدور لايوا كل الالباء ، ثم طلب
ابو السلام من القائد المدنى بوساطة فارسين من اصحابه ان يكتب وقوع
الصلح بين الفريقين ، قال الحاكى : فامرنى بذلك فنزلت ونحن على ظهر
طريق الى ظل شجرة . فكتبت ما يدل على ذلك ، وقد املى على ما كتبه لى
ذلك :

(يعلم من كلامنا هذا اننا جعلنا الهدنة مع الجيش الذى يقوده الجنرال
لاموط . من حد قبيلة ايت عبلا وادواؤى كرى من ايلالين الى حدود الساحل
ببعمرانة . وان حدث امر ما من احد الجانبين من زيادة او نقصان على المعتاد
الان فيعلم به صاحبه على يد ابي السلام المتوكى ، والسلام) .
قال : وبذلك صار الاتصال بين المدنى و ابي السلام دائما الى ان مات ابو
السلام (1) .

قال : كان ايت الخمس من البعمرانيين وايت جمل من الوادونيين دائما
ضد القائد المدنى . واصبونا وايت بلاثة معه ، وكان ايت يعزى وايت عبلا
اولا معه ، ثم قلبا له ظهر المجن اتباعا لراى سنى احمد نطالب ، فكان مع
اعدائه . فذلك هو السبب حتى اوقع المدنى بسنى احمد نطالب . وقد كان
سى احمد نطالب تعين قائدا على قبيلتى ايت يعزى وايت عبلا من اول عهد
الهيبة . فكان له شأن كبير ، وقد كان امر هؤلاء فيما بينهم غير مجتمع .
فلن فيهم من هو ضد هذا القائد الجديد . وفى عهد مربيه ربه الذى خلف
الهيبة بعد وفاته 1337 . كان من العادة ان يخرج مربيه ربه فيلور على القبائل
ومعه الرؤساء ، وفيهم دائما المدنى . وحين نزلوا فى الاخصاص و ارادوا
ان ينزلوا فى ايت عبلا ارسل هؤلاء مع ايت الخمس يرحبون بمربيه ربه ، على
انهم لا يقبلون ان ياتى معه المدنى . فذهب اليهم سيدى على بن عبد الله اللفى
فراودهم على ان يرجعوا عما يقولون فابوا ، فركب المدنى راسه ، وقال لا بد
ان اذهب . والا صرت ذليلا . فراح مع مربيه ربه . فتقدم ايت عبلا مع قائدهم
الى مربيه ربه . فرحبوا به وتقدم ايت عيسى فخذ من (ايت عبلا) تضاد احمد
نطالب . فرحبت بالقائد المدنى ومن معه ، ثم لما تم اللور من (بعمرانة) الى
(وادى نون) صار المدنى يعبك الشبكة حول سى احمد نطالب . فاتصل
باعدائه من اخوانه ايت عيسى وايت حمو ، فقام هؤلاء فى سحر فهاجموه فى

(I) قابل كل هذا بما قاله الاستاذ المانوزى رحمه الله فى الموضوع تعرف
الحقيقة كما هي .

داره ، فخرج ليهرب ، فضرب برصاصة ، فهلك أمام داره فى مزبلة . وقد كان الاخصاصيون مهئين فى جوارهم : فحين سمعوا البارود هجموا بدورهم . فكان ذلك هو السبب حتى انضاف ايت يعزى وايت عبلا الى ايلة المدنى . وكانت هذه الواقعة 1339 هـ . فى رمضان ، وقد كان ايت يعزى يعدون من ذلك الحين من عداد الاخصاص ، يدفعون أعشارهم ، ويغرمون كالاخصاص بخلاف ايت عبلا . فان المدنى يكتفى منهم بالمواولة ، وبها تيسر . ولا يعطونه اناوة كما يعطيها الاخصاص ومن اليهم .

ومما وقع فى عهد المدنى محاربته مع الكنتافى فى (ميرنخت) فانهمز الى (تزيت) وفى تاسع رمضان 1341 وقعت حرب بين القائد عياد الجرارى . والقائد المدنى ، مات فيها محمد بن عبد السلام الخليفة لعياد ، ثم لم تعلن الهدنة حتى اعطى القائد عياد ستة الاف ريال للمدنى . فرقتها القبائل التى تلعن المدنى .

ثم ان المدنى تقدم خطوة اخرى الى توسعة ايلته باستيلائه على (ايت همنان) وما حواليتها من قبيلة (ايت برايم) . وهذان ظهيران لمريه ربه يصدران له فى ذلك .

الاول :

(يعلم من كتابنا هذا اسمى الله قدره وجعل فى الصالحات طيه ونشره ، اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته . ولينا عاملنا الارضى القائد المدنى ابن الطالب احمد الاخصاصى على قبيلة ايت همنان كافة من ايت برايم ، ونوصيه كأنفسنا بتقوى الله العظيم والرفق بهم . والعدل فيهم كما اوصيناهم على طاعته . والوقوف عند امره ونهيه ، أسعده الله بهم ، وأسعدهم به وجعل الكل عملا منا مبرورا ، وسعيا مشكورا . ووفقه لما يحبه ويرضاه . فنام الوافى عليه أن يعمل بمقتضاه وأن لا يجيد عنه ولا يتعداه ، صدر به امرنا القائم بالله اواخر ذى الحجة عام 1342 هـ .) وفوقه طابع من طوابع مريه ربه فى وسطه : محمد المصطفى مريه ربه . الله وليه 1337 ، ولفظة الله فوق . وفى دوائره : (ان ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والله يعصمك من الناس) وهو طابع مستدير لا روتق عليه لا شكلا ولا خطا . وهو وسع لا يس بكبير ولا صغير .

الثانى :

(يعلم من مسطورنا هذا اسمى الله قدره، وجعل فى الصالحات طيه ونشره ، اننا ولينا خديمنا الارضى القائد المدنى ابن الطالب احمد على بنى ايتسرد . وايت اليسر وتياك وايت يعيش وبنى بمنصور وايت محماد من قبيلة ايت برايم . وامرناهم أن يتلقوا ولايته عليهم بالقبول والسمع والطاعة واتفاق الجماعة . صدر به امرنا القائم بالله فى 8 من شهر رمضان عام 1343 هـ .

وفوقه ذلك الطابع نفسه .

(تفاصيل أخرى عن حروب المدني مع مجاط وغيرها)

حكى لى سيدى مبارك بن عمر المجاطى قال :

وصل حيدة الى (اِنْجِينْتُونُف) فأهدى له مبارك الرخاوى وقد ذهبت
مجات الى (تَمَكْرَتِ اِخْسَان) ولم يهد أبو الطعام حيدة الا برأيه الخاص .
وكان له شأن اذ ذاك . وكلامته نافذة فى (تَبِزْ كَمِى) قبل ، ومن تلك الساعة
حين أهدى بغير اذن مجاط تناقص نفوذه بين المجاطيين ، وقد كان الشيخ
أحمد الاماززرى له كلام مع حيدة ليخرج الهيبة من (كردوس) فارسل الى
حيدة ليأتى الى (كردوس) فجاء حيدة الى (وِجَان) بسبب ذلك . ليدخل من
بعقيلة حين تآبث مجاط . فقال أبو الطعام وعلى الشلحجيني ويحيا بن بلا

من ايت موسى : اننا قد اعلنا السلم مع حيدة فى بلادنا فليتفرق الناس
فقام القائد سعيد البعقيل ضدهؤلاء . وقد كان جاء مع شيعته البعقلين الى

(تَمَكْرَتِ اِخْسَان) فقال للمجاتيين ان اَنتم . اوجدتم السلم فى بلادكم
فان حيدة يقصدنا فى بلادنا ، فانا اطلب منكم المعونة . فاختلف المجاطيون

بينهم ، فمن اطاعوا ابا الطعام وشيعته رجعوا الى ديارهم ، والذين ابرز
اليهم القائد مبارك البييتيراني ، فقال لهم : من ارادوا ان يجاهدوا فليذهبوا

معنا . فاننا نروح الى (اِيغِير مَلُولُن) ومن ذلك الوقت ظهر القائد مبارك
وعلا شأنه من جديد . فراحوا الى (اِيغِير مَلُولُن) (توماتار) وفى الصباح

سمعوا البارود فى (وِجَان) وقد بكر اليه حيدة ، فبادر فقراء من مجاط
كانوا سمعوا ما فى الجهاد يوها فى الزاوية الالقية من سيدى سعيد التتاني ولم

يقف فى (وِجَان) سوى الوجانيين ، ولكنه احتل (وِجَان) الى (اكادير اَوْفَلَاك)
فاذا بالمجاتيين اطلوا من الجبل . ولم يكونوا كثيرين فظن حيدة انهم كثيرون

فاجعل منهم من فى القرى بـ (وِجَان) فغادروها . وقد كاد سيدى النعمة يُوخذ
باليد . فقد دخل المهاجمون الى وسط الدار الذى كان فيها . ولم يبق الا

ان يدخلوا الى البيت الذى كان فيه . فاذا بهم انسجوا . وقد كان فى قرية
(اد على بلا) ثم نزل المجاطيون حتى احاطوا بكل أسوار قرى (وِجَان) وقد

ترك حيدة 40 مرتى حين انسحب ، وفى اليوم التالى رجع حيدة ، ولم يقدر على شىء .
وفيه ، وشيعة القائد سعيد البعقلين ، وقد حضر القائد الناجم وبهيه خليفة

اربعاً كما عرف به . وقد دامت الحرب فى اليوم الثانى الى العصر من الصباح
- فماتت خيل كثيرة حيدة . وقد اب بموتاه - وقد تولى الحرب المجاطيون ،

فلم يقع الا جرح واحد منهم . وقد كان الهيبة كتب اليهم حين كان يستنهضهم
ان قفوا ، فاننى ارجوا الله ان لا تقع منكم نقطة على الارض . وعدت من

كراماته . وقد تواتر اخبارا الوليتيين كالمحشر فهادنهم حيدة فرجع .
هذا وقد رحل كل الاخصاص امام حيدة . ونوى القائد المدني ان يصنجر

ان اتاه حيدة الى (بنوزاكادان) وبعد موت حيدة وقبل ان ياتى الجيش
الجنزالي كانت الحرب بين ابي الطعام والمدنى . وسببها ان ابا الطعام كان مع
الجرارى . فادعى المدنى انه يريد ان يدخل الاعداء ، فاستثار اليه بعمرانة
ومجاط كلهم ، فقامت الحرب يوما بينه وبين تلك الجهة التى فيها بعمرانة .
فبادر ابو الطعام فذبح على مجاط . فدخل المجاطيون . فاستولوا على (ايت
رخا) وقالوا للبعمرانيين لا تدخلوا بلدنا وهذا اخونا . فخرجوا من بعد ما
دخلوا قرى قليلة . وقد كتب المجاطيون رسالة الى المدنى ومن معه يقولون
قلوا حيث انتم . فان صاحبنا قد ذبح ، فسنصلكم هناك . وذلك بعدما باتوا فى
(ايت رخا) وفى اليوم الثانى ذبح المجاطيون بديجة (ايت رخا) وطلبوا منهم
ان لا تمتد ايديهم الى (ايت رخا) فأسعفوا ، الا أنهم طلبوا أداء ثمن الخيل
الميتة فى الحرب . فقومت بخمسة آلاف ريال حسنى . فضمنها المجاطيون .
وقبل الاداء جاء الجيش الجنزالي . وبعد رجوع هذا الجيش جاء الرخاويون واقدن
الى القائد مبارك لطلبوا منه ان لا يؤدوا ذلك المال . فأبى لهم وقال : اننى
قد ضمنتم المال ، ثم اتوا بدبائح الى المجاطيين الآخريين مع بعض رثا الى
الرؤساء منهم . فاختلف المجاطيون فتفضى الرخاويون من المال . فكان ذلك
هو السبب حتى فسد ما بين الرخاوى وبين المدنى ، وذلك ان المدنى كان
يقول معه اننا لا بد ان نزيل الرخاوى تماما من طريقنا، وحين ابى المجاطيون ان
يؤدى الرخاويون ذلك المال أرسل اليه القائد مبارك يقول له اننى قد عجزت
وقد أبى اخوانى ان يسلموا فى الرخاوى ، فعد المدنى ذلك منه غدرا . وحين
لم تغد هذه السياسة المدنى رجع الى مواخاة الرخاوى ليمهدا (تيزلهمى)
فكان ذلك هو السبب لما ياتى :

ثم لما طلع الكنتافى الى (ايت ودريم) جلا الحسين بن عمر والتجا الى
هذه الجهة ، فوصل مربيه ربه . فخرج معه حتى دار دورته السنوية ، فانفتحت
القبائل على أن يعجى البعمرانيون من جهتهم الى الكنتافى ، والاختصاص من
جهتهم ، ومجاط وبمقيلة الى (ايت حامد) وقد كان الحسين بن عمر يسكن
فى (ايت حامد) بعد جلانته . فكانت حرب شديدة هناك بينهم وبين الكنتافى
فى (ايت حامد) فانهمز الكنتافى . فوصلت هذه القبائل الى (ايت موسى
أ بنگو) و (ايت التوكان) ثم صارت الهدنة مع الكنتافى . واما البعمرانيون
فانهم نزلوا فى (يونعمان) فاصلتهم الطيارات بقنابرها ، فقتلت كثيرا من
خيولهم . وقد نزل القائد المدنى الاختصاصى اذ ذاك على الجرارى ، ولكن لم
يتحاربوا . ثم تبعتها الحركات الى (اداوزكرى) فذهبوا مرتين وفيهم مربيه
وبه والمدنى والقائد مبارك الى (اداوزكرى) فى جيش كثير ، وسببها ان
الزكريين بعد ما كانوا مع التسيب . وتى نافروه فاستجاشوا اهل الجنوب . فكانت
الحرب فى (تافراوت) (اداونزوتوت) وفى المرة الثانية كان السبب ان

الزكري تصالح مع التسيبوتى ولم يعد الزكري يامن من اهل الجنوب وقد قيل ان المدنى ومن معه نوا ان يحتلوا داره ويقبضوا امواله التى ملات اعينهم ثم ثار حمون بلقاسم على التسيبوتى. فتعاون عليه مع الزكري ، فاجلوه فذهب يستجيش بقبايل الجنوب . فوصل (كردوس) وعند المدنى . فجاشوا وذهبوا على نية نهب (اداوزكرى) فانقسم المجاطيون وغالهم كان ضد المدنى . فاذاك تفرق ما بينها . وقد كان ابن حيدة والمدنى يتكاتبان . ومقصود ابن حيدة هو اهلاك التسيبوتى . الا أنه بليد لا سر له . فكل ما أبرمه بالرسائل مع المدنى يعرفه التسيبوتى فيوصله الى الحكومة . فلما توجه مريبه ربه والمدنى والجيش الجنوبى . وقعت النفرة من بعض المجاطيين فدروا الى (اداوزكرى) وقد كانوا يردون عليه . وقد كان (ايت الخمسى) ايضا ضد المدنى . فلم ياتوا فى هذا الجيش الا بعد تحققهم ان المجاطيين كانوا ضده . وقد كان الشيخ سعيد الخمسى يراده فى الجامع . وقد قال المدنى اذ ذاك فى مجمع (ايت عبد الله) يا (قبائل الجبل) يعنى قبائل تلك الناحية ادوا وثائق عن الخيل المبتة للقبائل التى جاءتكم ، فرد عليه المذكور لماذا ؟ فكل قبيلة ماتت خيلها تؤدى لبنيها . ثم التقى المدنى مع ابن حيدة ، فقبل رجوع حمو بن بلقاسم فقاموا على الصلح. ومنذ رجوع القائد المدنى من هذه الوجهة صار يتهاى للحرب بينه وبين مجاط ، لمهدا حتى يتمكن منها . فقد قال للرخاوى صاحبه . اجتهد ان تثير خلفا فى (تيزلمى) حتى يتحاربوا . وقد كان القائد مبارك البيرانى يساير الجرارى ضد المدنى فضمن له الجرارى ان يودى كل ما صرف ضد المدنى فى الحرب ثم كان ان نهب سيدى على بن محمد التازاروالتى دار مولاي البشير ابن عمه . فكان القائد مبارك من شيعة مولاي البشير . فامرهم مبارك ان يدور بدبائحه على المجاطيين. فائتمرت شيعة ان يقفوا حتى يسكن مولاي البشير فى (تازاروالت) قهرا . فنزل القائد مبارك معهم الى (الزاوية) فجاء الرخاويون الى (تاجاجت) بجيشهم . فرجع البيرانيون من (تازاروالت) الى بلدهم كيدافعوا عنه ، فطلع سيدى على التازاروالتى مع كثيرين من مجاط معه الى الرخاويين . وكان (ايت موسى) و (ايت تاجاجت) مع الرخاويين و (ايت على) و (ايت همان) مع البيرانيين وايت وفقا . فقام الجرارى فدفع المال للبعهرانيين ، فقاموا ضد المدنى فى تلك الجهة الاخرى. وقد كان الاخصاصيون جاوا الى (تاجاجت) فتلقى القائد مبارك مع محمد ابن القائد المدنى فجعل يسأله عما يريد . فقال له انما انا مع الناس والرأى العالى فى (بوزاكارن) فارسل القائد مبارك ولده الى (بوزاكارن) يجس النبض من القائد المدنى فقبل له : لا بد من أن تدبجوا وتقبلوا الانقياد انتم المجاطيين . وقال له القائد المدنى : ما اريد انا مجاط الا للقائد مبارك ليخدموه ، واما الآن فانهم

دعاء يلعبون بالجميع . وكانت كل هذه المخبرات من القائد مبارك انما هي
 تطويل حتى يجتمع اليه مجاط . وحين نزل البعمرانيون في تلك الجهة انسحب
 الاخصاصيون مع محمد ابن القائد المدني . ف وقعت الحرب هناك في حدود (ايت
 يعزى) فذهب علماء ، وصلحاء فاصلحوا بين الفريقين . وكذلك عند الفريق
 الآخر . فقد رجع أهل (تاجاجت) وأهل (ايبغير مئولن) الى شيعة البنيرائي
 وكانت حرب يوما واحدا . ولم يطل الزمان . فقدر القائد المدني (تاجاجت)
 بجيش سرية ليلا . فأجفل الناس . وكان العام عام مجاعة ، وذلك عام 1345 هـ .
 ففر الناس . فوجدوا الرخاويين والاختصاص دخلوا (تاجاجت) فكانت الحرب
 في (اكادير نيت الطالب يعزى) فأخرجهم منه المجاطيون . وكذلك دخلوا
 (ادبشيران) فاندحروا منه . ثم تلتها حرب (افران) فقد اتفق القائد
 المدني مع فريق من رؤساء (افران) فاتوا به . فتمكن القائد المدني الى
 اعالي (تانكرت) فاستجاش الفريق الآخر بالمجاطين ، ونعى بالمجاطين شيعة
 القائد مبارك البنيرائي (ايت علي) و (ايت هممان) وأما (ايت موسى)
 فمع الرخاويين . فلما استغاثوا بهم اجتمع الجيش الذي يصاد القائد المدني
 من مجاط في بلدهم ، فذهبوا الى (تانكرت) فأخرجوا القائد المدني الى حدود
 (السوق) فبقى في (ادوشقرا) وقد كان المجاطيون غرهبوا كل فريق القائد
 المدني خمسة آلاف ريال حسني . ثم جاء مربيه ربه . فنادى بالسلم . وقد كان
 العادة من القائد المدني انه كلما أعيا يستغيث بمربيه ربه . فقال لهم مربيه
 ربه لا بد أن تذهبوا معي كلكم يعني مجاط . فذهبوا معه الى (تيمولاي)
 فخطب هناك سيدي الطاهر بن محمد خطبة عظيمة ، معناها : أيها المسلمون
 « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » فان الجوع والاشرار انما هي
 أسواط يضرب الله بها من عصاه . وهناك سوط عظيم باق ستضربون به ان
 لم تطيعوا - يعني الاستعمار - ومن هناك رجعوا ، فبقى (ادوشقرا)
 و (امسرا) في يد القائد المدني ، ثم تفرق (ادوشقرا) فأراد فريق منهم
 مجاط . فاتوا بالقائد مبارك البنيرائي ، فتمكنوا من (ادوشقرا) الى (ادسالم)
 فرحل اصحاب القائد المدني . فكانت حرب شديدة . فجاء ايضا مربيه ربه .
 فنادى بالسلم . فغرم البنيرائي (ادوشقرا) وقد أدوا ثمن الخيل وقد
 قومت بـ 6000 ريال . ولم يعط البنيرائي للمجاطين مما أخذه من القرامة
 شيئا . فكان ذلك هو السبب حتى تباعد المجاطيون عن القائد مبارك . وقد مال
 الفقيه مبارك بن عمر من مجاط الى القائد المدني ، فكان السبب ، وذلك لان
 القائد البنيرائي تراسى على (تومانا) فنزعها من سيدي علي التازاروالتي
 ياذن من الجراي . فارتفض قلب الفقيه من ذلك لان سيدي علي بن محمد
 التازاروالتي أخوه في الطريقة الالغية فهما معا من اصحاب الشيخ الالفي ،
 فآذهر الفقيه مع اصحابه . فكتبوا الى القائد المدني ، اننا خالفنا القائد مبارك

فكتب اليهم أن اقدموا الى . فذهبوا اليه بـ 22 فارسا . ووجدوا عنده محمد ابن القائد مبارك مع خيل يريدرن اصلاح ذات البين . ويخبطون بنته للظاهر ابن القائد مبارك . ثم خرجوا حين دخل المجاطيون . فقال لهم هل تقدرون أن تاتوا بجيشكم وآتي بجيشي حتى نلتقي في وسط (اديبشيران) فقالوا له لا . فقال لهم لماذا : فقالوا لان الناس مرونا أن يتبعوا القائد مباركا ، الا أننا نضمن لك اذا جئت بجيشك أن لا ياتي (ايت على) الى البشيراني . فلم يعجبه ذلك، فرجعوا من عنده ، وقد واعدتهم مجيء مريه ربه الى (افران) ولكنه أخلف الموعد . ثم صار القائد المدني يكتب اليهم بعد فلم يصلوه، ولم يزل على أوبخيس الموسوي رسوله اليهم حتى ذهب بهم، وهم 12 فلما رجعوا من عنده ، صار القائد مبارك ينادي في موسم الشيخ (سيدي المدني) في (تانكرت) أن من ذهب الى القائد المدني دمه هدر . فجازوه بأن نادوا بمثل ذلك في (سوق الاثني) في (انكرتن) فكتبوا الى القائد المدني بذلك . فجاء بجيشه حتى نزل في (ادي سالم) أسفل (اداوشتفسرا) فصار القائد البشيراني يطلب من يكون معه من ايت على المجاطيين فلم يجده . فجاء احمد ابن ابر الطوام بجيشه الى (ايت موسى) فتواعدوا مع القائد المدني أن ياتي من أسفل (افران) وهم من أعلاه ففعلوا فالتقوا ، وقد حارب الافرانيون فهلك قليلون . واذا ذاك قال القائد المدني للمجاطيين يطلع الجسر الى (تيزيلي) فأبى (ايت على) فتملصوا ، وذهبوا الى ديارهم . فرجعوا الى القائد مبارك البشيراني لما فهموا ما يريد القائد المدني . من الاستيلاء على مجاط . وفي ليلة قريبة نزل المجاطيون فاستولوا على (تانكرت) في ليلة واحدة . ثم اتفق (ايت موسى) والقائد المدني ، فجاء القائد من أسفل (تانكرت) و (ايت موسى) من فوق ، فخرج ايت على هارين، ثم طلع القائد المدني الى (ايت موسى) . فاستجاش المجاطيون ايت همان وايت على وايت بشيران ، فكانت حرب شديدة . وقد جاء الرخاويون وايت (تاجاجت) تحت يد الخليفة الحنفي أخي القائد المدني . وكانت الواقعة في (زكون) وفي (ايمى) تتفراوت تبيت كرمون) وكانت الحرب في الواجهة الرخاوية فقط . فحصر المجاطيون ، وأما واجهة (ايت موسى) فلم تكن فيها حرب . فلما رأى القائد المدني ذلك دعا الى السلم . فرجع وغرم الافرانيين ثلاثين الفسا . وقال ان فصل دعاويكم في (بوزاكارن) وردوا سلاح الاخصاصيين الموتى . ولم يطل الحال أن استجاش الافرانيون كلهم بالمجاطيين ، فاتوا فأخرجوا القائد المدني من (افران) حتى (امسترا) وهناك مرض المدني فهلك .

وهكذا دامت الحروب طوال عهد القائد المدني . وكان يضرب البعض بالبعض ويجمع ويفرق . وقد جاش مرات الى نواح أخرى الى (اقة) مرة

الى القائد ابراهيم فى شان قافلة نهبت هناك كما بعث ايضا فى قضية الشيخ
محمد ازتكض اخاه الخفى ، ومرات الى (اداوزكرى) والى (ايت عبلا) اخيرا
فى الحرب مع التشيستويتى . كما بينا ذلك فى مواضع اخرى فى هذا الكتاب
وآخر حروبه تلك التى ذكرناها فى (افران) .

أخريات أيامه

ابتدا فيه مرضه الذى هلك به فى جوفه . ويحجو انه مسموم . فيقل
اكله . وتنجل صحته . وكان يدعو الله دائما ان لا يلتقى وجهه مع النصارى ،
وهو الطلب الذى يطلبه دائما من الطلبة كلما أكرمهم . فقد جاءه أجله يوم
الاثنين بعد العصر 7 رمضان 1352 هـ . ودفن فى اليوم الثانى فى قريته
(بوزاكارن) بل عاصمته التى أحاط بها سورا بأبراجه وأبوابه . فكانت
تزرخ أزمانا بالذين يقصدونه من جميع النواحي .

من أخلاقه

كان يتلو دائما خمسة احزاب من (المصحف) ولم يكن حافظا للقرآن .
ولكن لكثرة تلاوته صارت تسهل عليه القراءة . وكثيرا ما يسأل عن تفسير
آية . وكذلك كان يقرأ (دلائل الخيرات) ولم يكن يتركهما ، ويجب اهلل
الخير محبة امثاله لامثالهم . ويفتح بابه لكل وارد . الا انه غليظ الحجاب
وقلما يلقاه انسان الا بصعوبة ، وكان محببا اليه ان تعمر بابه بالواردين
وكان سياميا يعرف كيف يخالط كل احد بما يوافقه ، فيلبس لكل حالة
لبوسها . وقد صير عاصمته (بوزاكارن) متابة لكل تلك النواحي . فيها
يكون الابرام والنقض . لا (كردوس) وقد صارت قبلة الجنوب فى عهده
يقصدها الفقهاء والرؤساء والطلبة والصحراويون والغرباء وطوائف الفقراء
وله حسن ظن بأهل الخير . وقد قام بكل مواد الحياة للشيخ سيدى الحاج
محمد الشريف البوزاكارنى فوجد بركة ذلك ، ومع كل هذا الكرم والاخلاق
لم ينح من السنة الناس رحبه الله فقد قال فيه صحراوى :

قد كنت احسب ان القائد المدنى قبل استضافتنا اياه غير دنى
حتى استضافناه يوما فاستبان لنا ان لادنى سوى المدعو بالمدنى

أولاده

- 1 محمد الخليفة الكبير . كان توفى بالجندى فى حياة ابيه . وترك اولادا
ادركوا الان نزلهم جدهم المدنى منزلة ابيهم .
- 2 على هذا الذى لا يزال حيا . وقد ذهب الآن الى الحج 1379 هـ . وهما من
بنت عهه عمر بن عبلا .

3 القائد الحسين الذي سندرته ، وقد توفي

4 الحسن لا يزال حيا

5 القائد الطاهر الآتي

6 عبد الله لا يزال حيا

7 ابراهيم لا يزال حيا

8 أحمد هو أصغرهم لا يزال حيا . وهؤلاء الخمسة من زوجته البشيرانية

أخت القائد مبارك .

القائد الحنفى

هو شقيق القائد المدنى ، وهو الذى تولى مكان أخيه يوم مات . كان خليفة لأخيه . ويوم مات المدنى جاء أولاده وقبلوا رأسه وقالوا له مات أبونا ، وانت أبونا اليوم . فسلموا له الأمر . وقد وقف معهم حتى قسم بينهم مالهم ، فأسدى لهم بذلك كل خير . قال الحاكم ما، العينين : المتقدم - لما أجمع المخزن على احتلال تلك الناحية اثر وفاة القائد المدنى بقليل ، نزل جيش فى (بونعمان) ونزل جيش الإخصاص مع الحنفى فى (تيمنجاض) من (ايت برايم) وكانت من اياتهم ، قال : فدهم قبل من خيلنا هذا الجيش فى (بونعمان) فاذا بخيلنا منهزمة تركت قتلى . وفى الصباح اصبحته حادثة وعشرون طائرة على (بوزاكارن) ترميها بالقنابر . فهربت النساء والعيال الى الجبال . قال : فارسلنا رسالة الى القائد قنور الكرائمى فى (ترنيت) نفتح به باب الاتصال فأجاب بأن على القائد الحنفى أن ياتى غدا الى (ميرغت) حيث يلتقى مع من يبعث للاقائه . فذهب الحنفى ووصانى أن اكتب الرسائل الى رؤساء القبائل لياتوا الى للمشاورة . فاتى من اتى منهم ، ومن بينهم ابو شامة الاصبونثائى فقال لى هذا سرا اهدى البعهرانيين اتصلوا بالقائد الحسن فى (أكلو) وقد ارادوا أن يتقربوا بكم انتم . ولذلك بادروا فى النظر لانفسكم ، ثم فى العشية اجتمعنا فى دار مع الحنفى . فقال لنا الحنفى ان من لاقيتهم واعدونى ثانيا بملاقاة اخرى غدا . وفى الليل طرقتنا على ابن القائد المدنى . فافضى الينا بما وقع فى (بوزاكارن) من التخريب بالطائرات فبعثناه لحفاظ على المال والمتاع والنساء . قال : وفى الصباح وقفت فى الناس المجتمعين اعلن لهم ما نحن فيه الآن ، واننا محاطون من كل ناحية . والجيوش توجهت الينا من كل جانب وهى احد عشر جيشا . فارونا ما هو المصنوع ، فقال القائد سعيد الخمسى : يا فلان ادع للناس ليذهب كل واحد الى داره ، يصنع ما تيسر له . فدعونا دعاء اختتمت به مجتمعاتنا فى سنى الكفاح، والناس فى بكاء ونحيب عمّا وقعنا فيه . ثم أن الحنفى ذهب أيضا الى (ميرغت) فرجع فى طليعة الجيش يقدمه بنفسه الى قبيلته . فنزل بهم فى (سوق الثلاثاء) فاتى بالهدايا

تقدم علامة على الاستسلام . هذا والجند الزاحف واقف عند حده لا يمس شيئاً ، فجاه الاعيان البعيرانيون كلهم الى (سوق الثلاثاء) فاذاً ذلك أعلنوا للناس أن البعمرانيين يكونون تحت نظر (اسبانية) وهذه القبائل الاخرى تحت نظر (فرنسة) وفي اليوم الثاني تقدم الجيش فاحتل (بوزاكارن) وهناك التقى هذا الجيش مع الانى من (أقسا) . فظويت بذلك صحيفة لتنشر صحيفة أخرى (والله الامر من قبل ومن بعد) .

هكذا تم الاحتلال لهذه الجهة بهدوء . ولم يواخذ أى انسان بجزيرة ، الا أن السلاح كله حتى الخناجر التى ألف الناس التقلد بها دائماً قدم والقى أمام رئيس الجيش مع رياتين حسنتين على كل دار . واذاً ذلك نودى بأن الحنفى هو القائد على اياته كما كان ، ثم ذهب الى (الرباط) فتوصل بالظهير على ذلك . فبقى الحنفى قائداً الى أن توفي ليلة الجمعة عاشر شعبان 1364 هـ . ويظن أن عمره - 65 - وله ولد واحد صغير ، بلغ الآن 1379 هـ . مع بنت أخرى . وللحنفى أخلاق كادت تكون معاكسة لكل ما ذكرناه لسلفه ورحم الله الجميع .

القائد الحسين

ثم تولى الحسين ابن القائد المدني فى مقام عمه ولاية خاصة . من غير ظهور ملكى . وقد كان رجلاً مذكوراً بكل خير بشوشاً هشوشاً ، يحاول مجارة عصره بكل ما فى امكانه . فبراعى ويخالق ويظهر بمحاسن الاخلاق . اقول قد عرفته قبل القيادة . وكان اهلاً للرياسة . ثم انه وقع له انقلاب فى سيارته يوماً ازاء (بوزاكارن) وكان فيها وحده . فهلك من غير أن يحضره احد . وذلك فى زوال الاثنين مختتم صفر 1367 هـ . عن خمسة اولاد .

القائد الطاهر

تولى بعد اخيه . وقد عرفته ايضاً ، وهو دون اخيه الحسين فى اخلاقه حتى فى السعد . فقد نالته اهانات من المراقبة متوالية . لم تزل تتوالى عليه الى أن جاء الاستقلال . فكان نحسه مستهراً ، فجالت فيه اليد التى جالت فى أمثاله من قواد سوس . فاعتقلوا الى أن أعدموا اثر واقعة الطائرة التى حملت الجزائريين الذين اعتقلهم الفرنسيون غداً فى طريقهم الى تونس فى رفقة الملك سيني محمد الخامس الذى خفرت ذمته فيهم . وبه انقضت الرياسة فى هذا البيت . فلم يبق لهم من الاملاك الا قليل ، وقد حكم على هذا الاخير من (جئة البحث) بمصادرة بعض أملاكه . فرحم الله الجميع ورحمنا واياهم وحفظنا بما حفظ . به الكتاب المبين .

القائد الحسن بن أحمد

البنيرانى المجاطى

قبل 1255 هـ ... 1304 هـ

نسبه

الحسن بن أحمد ويرتفع النسب الى من يسمى مبارك بن الحسن الجد الاعلى هذه الاسرة يقول ابناؤها ان لها اتصالا بايت (بغزنى وهنسى) وجندود هؤلاء الذين يسمون اليوم (ادنتبرك الحسن) انتقلوا الى (أكتشيم) من قرية (اد على الحاج) من قبيلة (اد او شقرا) وهناك ضريح مشهد قديم يذكرون انه جدهم الاعلى . ويدهم الآن مشجر نسب يؤيدون به هذا ، ولم اتوصل به . ثم ان الرياسة قديمة فيهم من عهد مولا اسماعيل ، لان عندهم من الاثار الاسماعيلية ما يشهد بذلك ، كما سمعت ممن له اتصال بهم . وأول من سمعت عنه من هؤلاء المتأخرين . امغار احمد الذى كان رئيس قبيلة (اد بشيران) فى اواسط القرن الماضى ، ويذكر المتحدثون انه كان شجاعا بطلا . اشتهر بالاقدام ، وخوض المعامع ، ككل أفراد أسرته الى الآن . ولا يمكن ان يرى واحد منهم الحرب مشبوبة ، فيعرد عنها مع المردين (1) . بل يخوضها يمينا وشمالا ، ولسان حاله ينشد :

أنا الرجل الذى حدثت عنه اذا الخفرت لم تستر براها
اكسر على الكتيبة لا ابالى افيها كان موتى أم سواها
وكانت لامغار احمد حروب لا تنقطع بينه وبين قبيلة (اد او شقرا)
(ايت تزنومته) وهم آل (السوق) وايت (أوساكا) فلما رأى هؤلاء من
امغار احمد ما راوا ، انحاش كل فريق منهم الى مجاط ، فايت (أوساكا)
ذبحوا على (ايت على) و (اد او شقرا) على (ايت موسى) وايت (السوق) على
(ايت همدان) ، هكذا ينحاش هؤلاء الى مجاط ، واما (تانكرت) و (امسترا)

(1) التعريف : الاديار فى وسط الحرب .

فاهلهما أقوياء أباة . لا يسامون بسوء ، ولا يطرق حماهم ، لاجتماع كلمتهم
ولكونهم جعلوا لانفسهم هبة امام جيرانهم . فلم تخنث قط (تاكثرت)
و (امنسترا) لمجاطى الى الآن . ولم يقع فى ذلك الا (اداشقرا) ومن اليهم .
ثم ان امغار احمد جرت ايضا حرب جديدة بينه وبين هؤلاء ، فكانت
(ايت موسى) عندهم فانجدل فيها رئيس من رؤساء (ايت موسى) يسمى
احمد بن احمد من قرية (اتامر) ثم انهزم البستيريانيون ذلك النهار هزيمة
منكرة ، فاصيب امغار احمد . فقطره جواده (1) ، فلم يقدر اخوانه ان يحملوه
للهزيمة التي لم ينتظر القادى فيها الرائج ، فتمكن منه اعداؤه فاما ادركوه
جثة هامدة ، واما ادركوه بذمائه (2) ، ثم دفعوا (3) عليه لا يستحضر من
حكى لى ايهما كان . وكان ذلك قبل 1286 هـ . ثم تولى ولده الحسن مقامه فى
رياسة (ادبيران) ، فكان خطيرا لما فيه فى التراعى على الامور . وقد وصفه
لى من عرفه بأنه يميل الى الطول . ابيض ، جميل الوجه ، ناضر البشرة ،
لحيته مجتمعة على ذقنه . ثم انقطعت على حد الذقن ، ثم كثر ايضا شعر
عارضيه . وكانه وهو يجول فى قربوسه البرق اللامع مع خفة ونشاطا ، وكان
البنيريانيون ينقسمون فى ايام الحسن قسمين (ادنبارك اولخسن) فخذ
صاحب الترجمة (اد واوزال) و (اد على) هؤلاء فريق ، و (ادبلا وولاج)
فريق آخر وهو كثير . ورئيسهم الذى يدير امورهم بوسته ، وسبب هذا
الانشقاق بينهم ان عميدا لبوسته هذا سرقوا ، ولم يظهر لهم اثر ، فاتهم
بهم بوسته واخوانه الحسن واهله . فاداهم ذلك حتى امتشقوا الحسام بينهم .
ثم لم يلتئموا بعد حتى جاء الكيلتولى ، فمال عليهم القائد مبارك ، فشتت
شملهم . وقد دارت حروب متعددة بينهم فى اول تلك المنازعات ، فكان
(ايت موسى) و (ايت رخا) يعينان بوسته وذويه دائما . (وكان ايت على)
يكونون من شيعة الحسن بن احمد وفريقه . فهكذا انشقت عصا مجاط شق
الابنلثة ، والباقي من (ايت كرمون) و (ايت همتان) و (ايت تاجاجث)
يوما عند هؤلاء ، ويوما عند هؤلاء . فكانت الحرب والاغارات وتخريب الديار
من الغالب للمقلوب لا تقتر . وخصوصا بين (ايت على) و (ايت موسى) ، فكل
من علت رايته فانه يفرم الآخر الغرامة الحربية . ثم ان للآخر عليه ان يعيد
تلك الشدة بعينها يوم ينتصر ، ثم لما جاء الى سوس السلطان مولاي الحسن
سنة 1299 هـ . نزلت مجاط الى (ازاغار) مع الجزولين ، فقدمت له الطاعة
والهدايا . كما جاءت كل القبائل السوسية مهطعة ، وكان لرافته وحسن
سياسته وزهده فيما فى ايدى الناس . قد تلفاه كل السوسيين بالتوقير
والاحترام والاجلال . فعين لجميع القبائل عمالا ، فتعين بوهيا على (الاخصاص)

(1) قَطَّرَه فرسه بالتشديد رماه .

(2) الذماء بالفتح : بقية الروح . (3) التدنيف على الجريح : الاجهاز عليه

وتعين على (إدبشيران) و (ايت ناجاجت) و (ايت همنان) القائد الحسن صاحب الترجمة ، وعلى (ايت كرمون) و (ايت على) القائد سعيد المجاطى ، وهكذا عين لجميع القبائل عمالها ، ثم فى ربيع الاول سنة 1303 هـ . طلع قبل نزول السلطان المرة الثانية الى سوس صاحب الترجمة ومعه الفقيه الحسن التياسينتى الالقى كاتباً معه . كما طلع القائد سعيد المجاطى مع الفقيه سيدى محمد بن عبد الله مؤسس مدرسة (السخ) . فجددا ملاقة السلطان بمراكش ، فأكرمهما بفرس لكل قائد ، وبكسوة لكل فقيه . ثم رجع أيضا صاحب الترجمة مرة أخرى الى مراكش لهذا القصد . وهذا وليس له فى القيادة الا الظهير الذى هو حبير على ورق . واما ان ينفذ كلمة مخزنية ، او يفتح للحكومة باب منفعة ، او يعول بسطوة ، فذلك كله لم يكن . فبقى احد كبار مجاط ، غير ان له شفوفا بينهم بالفضائل التى ارتداها واتزر بها ، ولا يخلوا مجمع من مجامعهم ، ولا معترك من معتركاتهم ، فقد خاض معهم معمة (تازاوالت) المسماة بحرب (تمندا ارعمان) وكانت نحو سنة 1304 وكانت له اليد الطولى فيها ، حتى انهزم البعقيليون . كما تبجح ايضا معركة (أكادير نطال ب يعزى) و (ناجاجت) حيث استنصر الناجاجتيون بالبعقيليين ، فأجازوهم من (ايغير ملتونن) ليرفعوا كابوس (ايت على) عن (ايت موسى) بعد ما غلبوهم أيضا ، فالتقوا عليهم بكلاكلهم . فانسحب للناجاجتيين ومن معهم من البعقيليين القائد الحسن مع شيعته ، فعاصروهم فى ذلك الحصن المتقدم ، بعد أن هزمهم ، ثم استخرجهم منه ، وجردهم من سلاحهم بعد أن قدموا اليه يد الاستسلام ، وقد حكى احد البعقيليين الذين حضروا ذلك النهار انه يشاهد صاحب الترجمة اذ اراد أن يدير بندقيته، يبرق تحت ابظه قميص أزرق ، ثم لا تخطى رصاصته الهدف الذى يصوبها اليه . وكان مشهورا بالرماية شهرة متواترة . ثم لما تم أجله انتشبت حرب من ذيول تلك الحروب المتقدمة بين (ايت على) و (ايت موسى) على حين أن خيلا كثيرة من الاولين كانت عند من كانوا شيعتهم فى قبيلة الاخصاص . وقد قامت حرب أخرى هناك . قال الحاكى وهو من بين اولئك الفرسان الذين فى الاخصاص ، فوصلنا الخبر بموته . فقمنا ونزلنا على (ميرغت) فايت جرار ، فبتنا فى (ايلبخ) عند الشريف سيدى محمد بن الحسين . فأخبرنا أن الحرب اشتدت اليوم، وأن منازل (ايت على) بين البعقيليين الذين نزلوا ب(اكضاض أوساكسا) وبين (ايت موسى) فحين تعشينا أخرج الينا الشريف رصاصا وبارودا ، فتناولنا منهما ما شئنا . فطلعنا ليلا من جبل (تاكجكالتم) فأصبحنا فى منازلنا ، فاذا بايت موسى قد غمروها ، وانتهبوا ما فيها . فديل للموسويين علينا من جديد . ففى أول هذه الحرب مات القائد الحسن . وذلك أنه خرج ثالث فرسان معه ، ومعه نحو عشرين من الرجال . فوصلوا قرية جمعة (تغيرنت)

فقال له بعض من معه اننا قليلون . فلنرجع، فقال لهم لا بد ان نسير قدما . ولا يمكن ان نتخلف عن حلفائنا (آيت علي) فلإفاه ومن معه رجال كثيرين من الموسويين ، فهزموه ومن معه لقلنتهم فأطلععوهم فوق دار (أكعموس) فانتدب اليه الحسن بن بلخير أخو أحمد بن بلخير أوبخيس فصابه برصاصة فى رقبته ، ففطرتة عن جواده ، فمات حينه . فهكذا اختتمت حياة ذلك البطل الحنيد ، ولسان حال ينشد لكل رعيده :

وانا لقوم ما نرى القتل سبة اذا ما رآته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنسا وتكرهه آجالهم فنطول
فما مات منا سيد حنق انفه ولا ظل منا حيث كان قبيل
تسيل على حد الظباسة نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل
ثم خلفه فى مقامه ولده القائد مبارك بن الحسن. فقد تولى بظهير شريف .
وكن لم يظهر مقامه كقائد الا فى عهد الحاحين . وانما كان أحد فرسان
قبيلته ، واحد شجاعها . يحضر دائما فى المعارك التى يخوضونها . فلمسا
جا الحاحيون 1315 هـ الى (مجاط) ظهرت رياسته . فبقى الى أن جلوا فقبلت
منه التوبة أمام القبيلة . وقد دافع عنه اخوانه . وقد كان يصانع ولم يكن
جبارا كالقائد سعيد بن امغار محمد ، فوجد بركة ذلك ، وفى وقت الهيبة
كان من أكابر (مجاط) ومن المسموعة كلمتهم . وقد آانت ذات يده مسبعة .
وقد اخلصت له قبيلة (ننيران) ، وله مقامات محمودة فى معارك الكفاح
ايام مقاومة تلك الجبال فى نحر الاحتلال . وقد كان يضاد غالباً صهره
القائد المدنى الاخصاصى ، وبينهما حروب ذكرناها فى ترجمة المدنى . وان
كان سرا لا يخلو من مكاتبة القواد المنضوين تحت صين الحكومة . كالجراى
القائد عياد . وحين تم احتلال تلك الناحية 1352 هـ . وظهر برنامج الاحتلال
فى عرك (مجاط) خاصة بين تلك القبائل : تصدى له المراقبون فى مركز
(افران) يتطلبون أن يتسربوا اليه . وقد حدثنى الفقيه سيدى بريك بن عمر
أن مرافبا هناك يسمى (كرواس) يتطلب منه أن يشهد زورا ضده بأشياء ،
ليتوصل بها الى مواخذته . ثم سمحت له فيه فرصة . فاعتقل أولا ، ثم نفى
الى (درعة) حيث بقى سنين الى أن قرب أجله . فاتى به فتوفى فى داره بعد
1360 هـ . بسنوات ، ولم يكن بمرضى عنه فى نواح شتى على ما يحكى .
وكان على عكس أخيه الحاج ابراهيم ، فانه ينحاش الى الخير . ويعتقد الشيخ
الشريف سيدى ابراهيم بن صالح . فقد قال يوما ما كنا نطن سيدى الحاج
على الالفى الا مرابطا فقيها فقط . فلم نعرف مقامه العظيم الا بما يحكى لنا
عنه سيدى ابراهيم بن صالح . فاذا به مثل سيدى أحمد بن موسى ونظرانه ،
وعند ما توفى الحاج ابراهيم خلت دارهم من مثله . وللقائد مبارك اولاد

متعمدون موجودون الآن . ولم اكن توسعت قبل اليوم في خبر رجالهم ،
ولذلك اختصرت الآن فيهم اختصارا . وقد قال الرفاعي في الحاج ابراهيم
المذكور :

(ومنهم الشيخ الحاج ابراهيم ابن القائد الحسن البنيراني المجاطي ، توفى

في 12 رجب 1348 هـ .)

مبارك الرخاوى المجاطى

1263-28-3-1366 هـ

نسبه

مبارك بن كوثوس بن مسعود (أبو الطعام) من فخذ بنى أحمد ابن ابراهيم من اخذ قبيلة (ايت رخا) من رجالات مجاط المشهورين . طال عمره فخاص بخاضات نشيرة ، وهو اى تغالب المجاطيين الا أنه مستقيم معروف بالنودة ، وحسن المعاملة ، والسعف عن اموال الناس . وبالكرم الفياض حتى لا يوصد له باب . فبذلك احبه اخوانه الرخاويون جبا جما . كان له ظهور قبل ان ينصرم القرن الماضى بين الروساء . فكان أحد الذين شاركوا فى مفتح هذا القرن فى حروب (تازار-والنت) وكان قبل ذلك ممن ينتحسون الى سيدى الحسين بن هاشم الايلغى . ثم كان ضده يوم حاصره المجاطيون 1302 هـ . وفى عهد الكلثول نالته على يده معنة عظيمة بالاعتقال ثم نجا من ربقتها . وأخوه على هو الذى فتك به القائد سعيد المجاطى الفاه من الجرف فى (ناكجىكالت) ، ثم كان ابن اخى المقتول الفقيه احمد بن مبارك هو الذى أخذ منه الثار بنفسه يوم أقبضه له احمد الهيبة فى (اسرنسيف) .

وحين تهوجت سوس بحركة الهيبة كان المترجم الفقير مبارك ممن ذهب فى خيل اهله مع الهيبة الى (مراكش) ، ثم فر معه يوم الهزيمة الى (تارودانت) ثم فى نحو 1335 هـ . يوم زحف القائد حيدة الزحف الاول الى تلك الناحية . ووصل الاخصاص . وفر منه الناس ، وقف المترجم حتى هادنه عن تلك الجهة فرجع . وقد ليم مبارك على ذلك كثيرا ، ووقع به ما مر فى

ترجمة القائد المدني مينا . ثم ظهر اسم مبارك ظهورا بينا يوم بنا للقائد المدني ان يبسط يده على مجاط . فكان مبارك ممن فازم حيننا . فرجعت اليه اطراف مجاط للاعانة بعد ما انحاش بعضهم الى القائد المدني . ثم طلبت منه غرامة فضمنه القائد مبارك البنيرائى الا ان امرها لم يتم كما بين في ترجمة القائد المدني . وقد كان الشيخ النعمة نزل عليه فرحب به مع حاشيته ، منذ خرج من (وِجَان) وقد ظهر ولد مبارك الفقيه سيدى احمد . فصار يقوم مقام ابيه الذى شاخ ، فلزم داره . وقد جاء الاحتلال وهو على ذلك . فطال به العمر الى ان مات عن 117 سنة فيما قيل .

كان عاقلا متزن الرأى . وبهذه انيزة كان يحل كثيرا من الامور ، منها هدنة بين السماليين والايقشانيين الانفيين . فقد كان الحاج ابراهيم يساند صهره الباشا بن عابد بن صانع من (اسيف مققون) - الوادى الكبير - تزوج بنت الحاج ابراهيم . وكان لما يرفع من شأنه . ويقصف اليه اهل (امانوا اذرار) وقرية (ايمولا) . وقرية (اونزارت) وقرية (تاكاضوين) فلم يعجب ذلك الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم . وقد صار يأخذ بيده زمام امور القبيلة . ثم لم ينشب الحاج ابراهيم ان توفي 1333 هـ . فتفاقم ما بين احمد بن الحاج ابراهيم وبين الباشا . حتى ادى ذلك الى حرب بينهما . وقد تفرق عليهما السماليون . وحين كان احمد صاحب جبل لطيفة اوغز الى اصحابه المجاطيين . فاتوا بمبارك الرخاوى الى السماليين ، ليصالح بينهم ، كانه اتى بنفسه لا بايعاز من احمد ، فدخل من مخرم سوق الجمعة . ثم وصل الى (ايفشان) عند المدرسة . فحين رأى كثرة اللوز ، قال : ان هذا اللوز هو سبب هذه الحرب . ثم جمع الشمل بين الفريدين . بعد ما عجز عن ذلك غيره . واما ولده الفقيه احمد فانه تخرج بالاستاذ المحفوظ الادوزى ، ثم صار رئيس (ايت رخا) ثم بعد الاحتلال صار قائدهم . وهو كريم متدين ملازم للمروءة فياض بالكرم . وقد بارك الله له فى ذات يده . وبعد الاستقلال كادت السيول الجارية لامتانه تجرفه الا ان الله سلمه . ولا يزال الى الآن : 1380 هـ فى حسن سمعة .

وابن عمه الفقيه الحسين بن على من الذين اخلوا عن شيخنا سيدى الطاهر وعن ابنه سيدى محمد . ثم شارط حيننا فى مدرسة . ثم توفى قبل الشيخوخة ، وقد قال فيها المؤرخ ابن الحبيب :

« ومنهم العلمان المشهوران والاخوان النيران الفقيه سيدى احمد بن مبارك أبى الطعام الرخاوى وابن عمه المتوج بتاج التكريم والمتحلى بحلل التبجيل والتعظيم العلامة البدر الفهامة : سيدى الحسين بن على أبى الطعام الرخاوى . وكان كل من هذين السيدين الجليلين خلد فى صحائف تلك الديار مآثره . ونشر فيها مفاخره . الا ان الاول منهما انتظم فى سلك السوالة والاعيان ،

فصار واليا على من بتلك الدير من السكان . وما ضاعت فيها وظائفه ولا مناصبه ، ولا ضعفت فيها جوانبه ولا مراتبه ، مع سخاء وافر وأدب باهر . وأخلاق وسعت الناس ، وأزالت بجوانبه الباس ، أدام الله في الخيرات مهجته وأبقى في الناس حلتته ، وأما الثاني ففاطن حتى ليس له في حل العويصات ثاني ، فاضل جرى في بساتين فضله ، فوقف دون مداه حسدته ، خذقه ونبله ، فطما بحرته ، وارتفع قدره ، وزهر عمره . فحاز في العربية فصاحة نجد ، واقتنصى أو ابد المعارف فانجلى به لسحره فرند . فمعمل أمورها عليه ، ومنصرف وجوها اليه ، حتى أصبح حاله حاليا ، وحظه مرتفعا عاليا ، وقد حضرت مجلس أقرائه يوما للنحو ، فأعجبني ذكاؤه ، فلم يترك شاذة ولا فاذة في الاعراب الا استحضرها مع تلامذته . حازما مجدا وفاح عنبرا ونلا . والله جميل يحب الجمال ، والدهر يسعده وان كان عموا لاهل الكمال .

عطاء ولا من . وحكم ولا هوى وحلم ولا عجز ، وعز ولا كبر ومجده عصامي ، وأخيرا دخل باب العدالة . فصار يحضر مجالس الحكومات عند فصل الخصوم ، ويتولى القسم للاملاك ، حتى توفاه الله .

اقول توفي آخر سنة 1370 هـ .

أمغار محمد المجاطي

نحو 1225 هـ - 1322 هـ

نسبه

محمد بن محمد - فتحا فيهما - بن مسعود بن علي أوباهما . تركه أبوه في بطن أمه . ولذلك سمي باسمه أمغار محمد هذا . كان من حسنة (أيت علي) في أيامه . وممن تأسست رياستهم على أسس متينة راسية . من كرم ودين وخلق وحسن عهد . وحفظ ميثاق . مع حسن صمت يتحل به بين أقرانه يوم ينتدون . كان كثير الصمت في المتعاطل . فلا يكاد يتكلم حتى يرى أنه يصيب الهدف . فيلقى كلمة واحدة - فتقطع جهيزة قول كل خطيب - حتى عرف في قومه باصالة الرأي . وقرطسة الغرض . والابتعاد عن السفاسف والدنايا في المقاصة . فاولته قبيلته الرياسة العليا عن جدارة . فكان أمغارا لا يتجاوز بالاراء . ولا يبرم أمر بدون أن يكون له فيه نصيب نظر . وهذه الرياسة التي تكون في هذه القبائل في ذلك الوقت رياسة طبيعية . لا يتزوج بها الا من كانت له في القلوب مكانة مكيئة . وسبقت له سوابق وايداع على قومه . يعرفها له أقرانه ، ويشكرونه عليها . فيجعلون هذه الرتبة علامة شكر ينبعث من أعماق القلوب . فلا استبداد بالرأى ، ولا تفوق على الأقران ، ولا عنجهية بالأوامر والنواهي . بل لا بد لمن كان في هذا المقام أن يضع نفسه في منزلة خادم قومه . يصدر عن أغراضهم . وأن كان يظهر لمن كان لا يدرك الحقائق أنهم هم الذين يصدرون عن غرضه . ويكون تابعا في صفة متبوع .

كان أمغار محمد كرهيا مفضالا . لا يعرف من ماله الا ما يهينه للنازلين والمعتمدين . فتراه اذا كانت القبيلة تفرق أضيافا المتوا بساحتها . أو جيشا استجاشت به لتنفيذ المنابر التي تريد أن تجتني بها النصر من متن الحديد الأخضر . يقف وأهاليه يلذّب كل واحد بما قدر عليه من الأضياف ، حتى يبقى خمسون أو ستون فارسا ، فيقودهم هو الى رحله مستبشرا بساما . فيعلف الخيل بالشعير . ويدور على الفرسان بالجفان المكلفة بأطيب اللحوم . لا يهل من ذلك ، ولا يزداد في ذلك الا كرما على كرم . وقد كان له ازاء ذلك اولاد مغاوير اشداء ، صحاح الاجسام . يجرون يميننا وشمالا ، فيقومون

بالحرف والكسب ورعى المواشى أحسن قيام . فيسندونون الى دار والدهم
 سيولا متدفقة من الخيرات من وراء جريهم المتواصل ، وكدهم الذى لا يسام .
 ومن لا كسب له فلا كرم له . ثم أنه قبل أن يدركه ولده القائد سعيد
 كان قرّة عين لفخذ (ايت على) خاصة ، ولقبيلة (مجاط) عموما . حيث
 يدير بيده الحكمة دفعة للسياسة برفق وهوادة وحكمة . ومخالفة للناس .
 ومدارة الاقران . ثم لما ادركه ولده القائد سعيد على رأس هذا القرن ، وقد
 توصل بظهير القيادة من السلطان مولاي الحسن ، صار الولد يمشى مشية
 الناقة العشواء . فلا يبال ولا يدارى ولا يخالف ، مع أن يده صفر الا ما كان
 من الظهير الذى هو حبر على ورق لا غير فى تلك البيئة - فكان والامانى
 تحفزه والقرارة . يتخطى الحدود . فثارت بسبب ذلك بين (ايت على)
 و (ايت موسى) فتن ومشاجبات وحروب . كان الشيخ الالقي يراب منها
 ما استطاع ، ويجعل العقدة باناته وحكمته ، ووعظه المؤثر . حكى لى ان حربا
 قامت مرة بين هاتين الفخذين بسبب أمور أعظمها ما اثرته يد القائد سعيد
 الاليمة الظالة ، فبقى الشيخ اثنى وعشرين يوما ، وهو يجرى بينهم
 بالصاح ، ويسعى غاية السعى ، لشعب الانصداع ، حتى تقارب ما بينهما .
 فتواعد مع رؤساء (ايت موسى) أن يجتمعوا مع رؤساء (ايت على) ليتناولوا
 هم بأنفسهم ما بينهم . وليتعاونوا على حل العقدة ان أزالوا بينهم سوء التفاهم .
 فجاه الشيخ يقدم الرؤساء العلويين ، وبينهم أمغار محمد ، ، وهو على رمكته
 يسير وحده ، ويده سبخته . والوسن يرتق على أخطائه . ورأسه فينة بعد
 فينة يهوم تهويمات خفيفة الى الامام . فصار من معه يتناغونم ، ويفمز
 بعضهم بعضا عليه ، فكانهم يتكلمون فى ذلك ، فسمعهم الشيخ وهو يقدمهم
 على بقلته امام . فالتفت فقال ما ذاك ؟ فقال له قائل منهم : ارايت أمغار
 محمدا وما هو فيه من عدم الاهتمام ، حتى صار ينام فى هذه الساعة التى
 تطير فيها القلوب فرقا . وترفرق فيها النفوس فرعا . كان الامر لا يهمه .
 او كانه ابله مغفل لا يدرى الى أين يسير الآن . فقال الشيخ : دعوا أمغار
 محمدا . فانما وقع قيما وقع فيه بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يوم أحد حين ألقى عليهم النعاس . فأنسى الله عليهم : وندد بالآخرين
 الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . كما ذكر ذلك فى القرآن . ثم
 وصل الشيخ بهم الى خصومهم ، فانتدب كل فريق يلقى ما فى ضميره .
 فكان كل ما اشتكى منه الموسويون قضايا ظلمهم فيها (ايت على) وغالبها من
 تأثير يد القائد سعيد . ثم ما انفض المؤتمر حتى ردت المياه الى مجاريها .
 وتعانق الفريقان فى قصة طويلة تتعلق بالشيخ الالقي مبسوطة فى كتاب
 « من أفواه الرجال » وهو أولى بها من هذا الكتاب .

وكان أمغار محمدا هو مستند اسرتنا نحن بـ(الخ) حيث اتخذها جدنا أحمد

ابن محمد هو الحفير الذى يندود عن الاسرة . فكانت دارنا بـ(الخ) منزل
امغار محمد . كلما اعمل رحلته الى تلك الجهة ، فحافظ ايضا مع الشيخ على
عهد السلف ، حتى ان ولده القائد سعيدا بعد ذلك لا يزال يراعى ، وينافع
فيما يزعم ، وكذلك كان مع الرئيس الشريف سيدى الحسين بن هاشم ، فلا
يكاد ان يختلفان الا ريثما يقضى احدهما غرضاً شخصياً فى بعض الاوقات من
بعض اجانب . ثم لا يلبثان ان يرجعا الى ما كانا عليه . ثم ان امغار محمدا
بعد ان اسلس لولده القائد سعيد . ولقى اليه عنان سياسته ، وارخى له
كل ما يريد . اذاه ذلك الى ان خالف ايضا اخوانه (ايت على) أنفسهم
فقاموا الى داره فحاصروها ثلاثة ايام ، وقد انحاش اليها بعض من لم يسلم
منهم فى الاخوة ، وعظفته الرحيم . ثم اقلت ليلا مع ولده القائد سعيد فخرت داره ، حتى
لم يبق منها حجر على حجر . وذلك فى اواسط 1315 هـ . ثم لم ينشب
الكلولى ان مد ظله على ما فى اخبار القائد سعيد الكلولى ، ومنذ هذا الحين اتزوى
صاحبنا المترجم فى رحله . واقبل على شأنه . والناس يتناجون بان كل ما
يصنعه ولده كان عن رضا منه . وايا كان فانه نفض يده من السياسة ظاهرا .
وليس له فى كل وقائع ولده من ايام الكلولى الى ان مات اية جولة فى المجامع
بين رؤساء القبيلة ، وان كانت تؤثر عنه كلمات ينصح بها ولده . ويريه
به كيف يسود . وقد قال له فى اواخر ايام انفلوس : ما دمتا لم تهدم قرية
(بيعلثش) فلا تطع ان تستقيم لك (مجاط) توفى المترجم 1322 هـ .
ودفن فى مقبرة (اد الحافر) عند قبور اسلافه . هو وزوجه ، وكانت
هذه وهى ام القائد سعيد ايضا ممن يتدينن ، حتى انها كانت لا تتناول
من مخزن دارها ما يطحن من زرعها الا بعد ان تتوضا . كان ذلك قبل ايام
ولدها . ثم اتى الوادى فطم على القرى . وقد ماتت هى وزوجها فى عام
واحد ، ولم يكن بينهما الا ايام قليلة . كنت حررت ما تقدم عن اناس . ثم
اتصلت بولد المترجم الفقير ابراهيم بن محمد فاستفدته منه ايضا ما ياتى :

سبب تولى امغار محمد رياسة (ايت على) ان المجاطين كانوا حاربوا
البعقلين محاربة عنيفة دامت سبع سنين . ثم حاربوا ايضا حربا اخرى
مثلها فى (اداى) فرجعوا وايتروا فيما بينهم ان يجعلوا رئيسا منهم
يشولون الى رايه ، ويصدرون عن حكمه ، ويكون بمنزلة قطب يدورون حوله
كما فعل (اد بتيران) حين اقاموا الشيخ احمد رئيسا عليهم . فبينما هم
ياتمرون اذا بسيدى الحاج محمد بن ابراهيم اعنجلي . قد نزل بانسنة مع
تلاميذه فقصده يستشيرونه تبركا برايه . وتبنا باشارته . فازاهم محمد
ابن محمد هذا . وقد كان له اخ عفيف صالح يسمى سعيدا ، فعاتب اخاه
على قبول هذه الرياسة ، وقال له لقد استاصلت جلورك وجلور اولادك ،
منذ الآن ، ولكن امغار محمد قال له ان هذا السيد المبارك عينتى ، وما كنت

لاخالف رايه ، واتجاوز اشارته . وكان هذا نحو 1260 هـ . فهذا اول امره . وقد ذكر ان سيدى الحسين بن هاشم كان فى حين معتديا على (مجاط) ومن اليهم بواسطة موسم (تازاروالت) حتى ادى ذلك الى ان ألقى القبض على القائد سعيد بن محمد نحو 1302 هـ . فثار أمغار محمد دفعا عن كرامته فمد يده الى (اداوبعيل) اعداء ابن هاشم ، فكادوا يقوضون (ايلغ) لو لم يرسل ابن هاشم من سفر بينهم ، حتى رجعت المياه الى مجاريها . فثابت (مجاط) الى ابن هاشم فى صف واحد . فكانت الحرب المشهور بحرب (تامندا ايرعثمان) سنة 1304 . بتازاروالت مع سيدى محمد بن الحسين ابن هاشم حين زحف البعقيلون ليهدموا (ايلغ) فتأجج نحو ستين فارسا من الصحراويين ، كانوا فى (ايلغ) دائما اذ ذاك ، حتى جات (مجاط) فانهمز البعقيلون هزيمة منكرة . القوا فيها كل ما معهم من السلاح فى تلك الغابة . حتى ان النساء الحاطبات ليقعن على البندقيات فى ذلك المهمه طوال سنتين فيما تقول الاحاديث .

وقد ذكر لى أيضا كيف خرج صاحب الترجمة مع أهله جالين عن قريتهم (ادعلى اوبها) قال لما اقبل الكلولى ونزل بـ (ترزيت) ارسل ثلاثة جيوش: واحد يطلع من (اداوبعيل) وقد فتحوا له الطريق اذ ذاك حين تكفل لهم قوادهم كالقائد على الكردوسى وغيره ان لا يعطوا درهما . والثانى طلع من (ايفير: مكلوان) والثالث من (الاحصاص) بينما تنهيا هذه الجيوش طلع قبلهم احمد بورغا مع ستين فارسا . فنهبت قبيلة (ايت واقفا) فى خير بين فى ترجمة الحاج ابراهيم الايفشانى فى (القسم الثانى) ، ثم ايام الموسويون اذ ذاك - وامغار محمد غائب عنهم فى ايت واقفا ، والقائد سعيد فى ازغار - ان ينهبوا دارهم فى (ادعلى اوبها) فتجمع الموسويون قريبا من الدار . فانسل بعض من يسير سير امغار محمد فانلر أهله . فاذا بالدار ليس فيها الا النساء فقط . فاطلقت الطلقتان اللتان هما علامة الخوف . فابتدر بعض اصحابهم فعمر الدار . ثم ان غنهم فى (امتنقى) مع ابراهيم اخيهما هذا الذى يحكى لى هذا الذى اكتبه عنه . ثم انقض عليها أيضا الموسويون فذهبوا بها . ثم جرى هذا الى الدار . ثم جاء ابوه واخوه ، فحاربوا فى الدار . وعندهم رؤساء من (ايت على) فاجتمع مجمع المجاطين فى (قانتقى) فقرروا ان يهدموا فى الغد ديار الذين يقون مع امغار محمد وولده القائد سعيد . فسرى الخبر الى هؤلاء . فقرروا هم بلورهم ان يخرجوا ليلا ، ويتركوا الدار . فقالوا لان تهدم دار واحدة اولى من ان تهدم ديار كثيرة ، فخرجوا بين العشامين ، قال الحامى فخرجت الى (الغ) لالتجى الى شيخنا سيدى الحاج على ، ليقف على الدار حتى لا تهدم ، فمر بالفقيه سيدى على بن عبد الله . فركبا بغالهما . فلحقيا فى الطريق من قال لهما ان الدار لم يبق منها حجر على

حجر . وكان هذا كاذبا اذ ذاك . ولكن المخبر يريد بذلك ان لا يذهب من هذين من يمنع من هدم الدار . فرجع الشيخ والفقير ، فمال المجاطيون على الدار . فغادروها قاعا صلففا . ثم جاءوا الى (الخ) ليتحككوا بالحاج ابراهيم الذى هو من اوتاد امغار محمد . فقالوا لا نجد ما نرزاه به الا الاستيلاء على (تانكالترا) فاطلقوا خيولهم الى حصنها . فحارب أهله دونه ، حتى اغناهم احمد بن الحاج ابراهيم فى مائة . فدخلوا الحصن من جهة (السخ) فارتد هؤلاء على اعقابهم . فاجتمعوا فى (والتكوت) فى مجمع ضخم . وفى ذلك الحين اتصلوا بخبر الحاج احمد بن محمد الكلولى انه نزل بـ (الاخصاص) وانه يقصدهم ، فنادوا بالفير العام ، فاجفل الناس جميعا الى (تانكالترا) يخسنان حيث انهزوا ، فركبتهم الحكومة بجيوشها ، واستولى القائد سعيد ، فصار يبنى (تانككالت) فكان الامر للولد . وانسحب الوالد امغار محمد ظاهرا . هذا ما حكاه لى الفقير ابراهيم ، ذكرته مختصرا ، رحم الله الجميع . و ابراهيم هذا فقير وقير اليوم 1356 هـ . مسن يرحمه كل من يعرفه .

هذا هو امغار محمد معاصر على نبوهوش واقرانه . العمر نحو مائة سنة . وكان من امائل اهل زمانه تعففا وتكرما وتدينا ، رحمه الله . وبموته انقضت الرياسة فى دارهم . فان ولده القائد سعيد الجبار العنيد الذى ابدأ واعاد فى اهلاك العباد ، وتخريب البلاد ، قد جلا عن (تانككالت) فى تلك السنة نفسها . ثم لم يزل فى غربة ودوران وترام على الحكومة ، الى ان اختتم عمره بترام على الفرنسيين يوم احتلوا (مراكش) فرجع ليشوش على المجاهدين من السوسيين . فاعتقل فى (هوارة) ثم اخذ منه الثار اهل ابنى الطعام الرخاويون الذين كان قتل عليا اخا مبارك ابنى الطعام فى ايام جبروته القاه فى ذلك الجرف الذى ازاء (تانككالت) على عادته فى الذين يعدمهم وقد مكنه منهم الهيبة ، بعد ما جمع المجاطيون لذلك ما قدموه للهيبة ، وقد استوفينا اخباره فى محلات من كتابنا « من افواه الرجال » فلنكتف منه بذلك وقد قتل فى حدود 1331 هـ .

واما الفقير ابراهيم فانه تاخر عمره الى ما بعد 1360 هـ « فتوفى بعد ما تملى من الاذكار ومن الفقر معا ، فسبحان مقلب الاحوال .

علي نبوهوش المجاطى

نحو 1225 هـ - نحو 1313 هـ

كان من اولاد فخذ من (اد بوبكر) من (ايت علي) من (مجاطم) اواخر
القرن الماضى وافتتح هذا القرن من اقران امغار محمد - فتحا - والرئيس
الحسين بن الحاج الايدى كورتانى ، والحاج الحسن ازكوك . وابراهيم بن
الحسين الوهاوى . والفقيه على المشهور ببولنهات . هؤلاء هم رؤساء
(ايت علي) فى عصر واحد . فهم الذين يرمون وينقضون . ويصدرون
ويوردون . وكان اذ ذاك الشريف سيدى الحسين بن هاشم التازاروالى فى
عنفوان قوته . وفى علو كلمة انبسطت بها يده على هذه القبائل المتاخمة
لـ (تازاروالى) من جميع الجهات . فكان لمجاط وهم معتمد الشرفاء الهاشميين
من قديم اليد الطولى فى كل ما يزاوئ فى (ايلغ) عاصمة الشرفاء . حتى
انهم ليمهدون لهم بعض القبائل التى هى مستضعفة ، فيجوز لهم منها
المغارم . ويوظفون لهم عليها الاتاءات ، فقد كان مرابطو (تاغلولو)
اولاد سيدى محمد بن يدير من هؤلاء المستضعفين الذين لا يقدر ان يلودوا
عن نفوسهم ولو ذبابة ، متى حامت منهم حول الاماقى . فحبا منهم سيدى
الحسين بن هاشم خمس ريبالات لكل كانون . ثم مدت تلك الحباله نفسها لقبيلة
الوقاويين الذين كانوا ايضا بمجاورتهم للمجاطيين العفاريت . لا يقدر
ان يقاوموا اى يد تمد اليهم . متى كانت لها صولة وجبروت . فكادوا
يؤدون ما ادى السابقون . وكان على نبوهوش هذا وبعض الرؤساء المذكورين
ممن قاموا فى ذلك . وزاروا وسلوا سيف ابن هاشم العضب فوق هامات
الوقاويين المساكين . وادادوا ان يزحفوا مع جيش لفقته الشريف من
البحرانيين والبعقيليين . والبعقيليون اذ ذاك لا يزاوئ والشريف يسير
سيرا واحدا . ولما يتفاهم ما بينهم . ولما يدقوا بينهم عطر منشم . ثم دب
الحلاف بين رؤساء (ايت علي) هؤلاء فانبعثت منهم طائفة لمناصرة الوقاويين ،
يراسها الحسين ابن الحاج المذكور . فلما عزم امغار محمد ان ينزل الى
(تازاروالى) ليقود الجيش المجتمع فى (ايلغ) تمارض على نبوهوش ، حين
راى انصداع صفاة (ايت علي) فقال لامغار محمد : لا تطلع بالجيش من جبل
(تاكنجكالت) لئلا ينقض عليكم هؤلاء المناوئون ، وانتم تتسلقون من
الثنية . فطلع امغار محمد بالجيش من الثنية التى فوق (تاوونيرنت ايفغلال)

فنزّلوا في (ايت بُودنريم) وسط فخذ (ايت علي) هؤلاء المنسقين وعلى الرئاسة العليا في الجيش الشريف سيدي محمد بن الحسين بن هاشم . وفي الجيش سوى من ذكرنا السملاليون الذين يتصوون ذاتها الى الشريف الحسين بن هاشم وقلما يفترقون أسرته منذ القديم . لما بينهم من الرحم . ثم تجمعت شيعة الحسين بن الحاج الايدكوراني لصدها الجيش والحسين اذ ذاك غائب في تطلب من يعينه وشيعته في مقاومة هذا الضيم الذي اراد هؤلاء ان يلقوه على الوافقوايين المساكين . ثم تداولت شيعته الامر . فقالوا : ماذا تنظر بهؤلاء منذ الآن . فانقضوا على الجيش . فقامت المعركة له فجنّد فيها اليزيد العروسي احد رؤساء السملالين ، ومحمد بن حمو الملقب باكيرار الوانكصاني البعقلي . وفي الحين طلع الحسين بن الحاج بمن وجدهم من المعينين . فجال الناس وماجوا . ثم ولى الجيش الايليقي ادياره ، ونجا من فيه برأس طمرة ولجام . هكذا تمارض على تبوهوش ، ولم يحضر لا مع هذا الفريق ولا مع ذلك . ولعل ذلك يدل على سياسة ودهاء ، واما الجبن فما كان ممن يتدرعه . بل يخوض الحرب العوان مع الخائضين . فقد جرح مرات ، مرة في (تامانارت) ومرة في (اكمصاص اوساكتا) ومرة في (تازاروالت) وجرح في غير ذلك . وقد اصابته في بعض المعارك رصاصة يوما فطارت ببعض شفته العليا فبرئى فوه على عوج . وكان من الاركان التي يعتمد عليها الحاج ابراهيم الايفشاني طوال حياته . كما كان ايضا في مثل تلك المثابة للشرفاء الايليقيين .

كان مرة في ماديء امره نحو 1261 هـ . في وادي الساموكنين . فلذا به سمع أن الشرفاء القواد التامانارتيين فتك بهم اولاد سيدي محمد ابن ابراهيم الشيخ . فكان من الذين اغاثوهم . وهو اذ ذاك لا يزال شابا كما قام بنفسه فكان يجول مع شباب مجاط على عادتهم من هنا الى هناك . فكان ذلك سبب حضوره في تلك الهيئة التي سمعت انها كانت احدى المعارك التي تكون بين الفريقين ، وكان ممن حجب اليهم ان يقضى بين الحصوصم بالعرف وان اصطدم والشرع . فكان الشيخ الالقي يقول للمجاطيين كلما كان يخاصمهم ويعظهم ويريد ردهم الى الخير : انتم لا تریسون الا شرع على تبوهوش . يقول ذلك تنديدا وتحذيرا ، واما اخلاقه فقد كان شجاعا كما ذكرنا ، غير انه مسيك . فكان بينه وبين قرينه امغار محمد - المذكور قبله - في ذلك بون بعيد ، فبينما هذا يرفل في مطرف حاتمي ، اذا بذلك ملروز باغلالة في خلق مادر وامثاله . واما عهوده وموائيقه فكما كانت عهود غالب الرؤساء من غالب المجاطيين الذين يدورون مع الرياح كيفما دارت ، وكان كرازة يده استمدت من حزونة اخلاقه ، فكانت له خلائق لم تكن مما يرتضى فيما يحكى . فقد قصده مرة الشيخ سيدي سعيد بن هو المعنري مع طائفته

لارشاده الى الخير ، فقابلتهم زوجته ورحبت بهم . ثم لما جا' على ووجدهم في بيته ، كاد يتميز ، لولا ان قرينته هذه الكريمة ، كففت من غربه . ثم لما سمع من مواعظ الشيخ . ودب بعض الليونة والرقة الى قلبه ، قال له : بالله عليك يا سيدى الا ما ارغمت أمثال على سماع هذا الخير . فان أمثالى فى واد ، وهذا الخير فى واد آخر . ثم بعد ان جال ما جال بين القنا والقواضب . وغادرته المعامع وليس منه جانب لم تنشب منه رصاصة . فاظت نفسه على فراشه . ومات كما يموت البعير . فلا نامت أعين الجبناء . كما قال خالد بن الوليد . وله اخبار كثيرة تقتصر منها على ما ذكرنا . وقد خلف ستة ذكور أشهرهم محمد والمحموظ وسيدى بريك . وبنت غريبة فى بنات جنسها . تسمى ما مئاس ، كانت تخوض ايضا مع الخائضين فى السياسة .

الحسين بن الحاج

الأيديكوراني المجاطي

قبل 1240 هـ - قبل 1295 هـ

ولد من أوتاد فخذ (ايت على) ممن أدرك الرياسة بكرمه . كانت له
فلاحة دسمة . وعبيد ودواش ، فبسط سباطه لمن كانوا أكبر منه من
رؤساء قبيله . فكانوا يتخلون داره دار الندوة . فيها يرمون وينقضون .
ويصعون البرامج ، يحفظ التي يرسمونها لكن قضيه . توجهت اليها انظارهم .
وارادوا أن يديرزا دفتها وفق ما نهب به ريجهم ، ان حفا او باطلا . فكان
احسين يبسط اراءه على حاسية سباطه . ففصح له المسامح . والمواند بويده .
والجدد بدلى بحجج لا برد . والبصون شهود ، والامعاء بقول عدا شو احكم
المسقط . حدى ريسه مريكة اولاً على عدا . ثم لم يكن الا عشية وصحاه
حتى زاسم بن هم افران ابيه . فصار بدرزه يجز النار الى فرصه . وكان
أبوه رجلاً عاقلاً سائناً النامة . ممن حجوا بيت الله احرام . وما كان يحوص
مع الخاضين . ولكن رده نبغ في ذلك نله . حتى تسان الرئيس الحسن
أزكوك وامغار محمد . زمن في قرنهما ممن يحسبون له الف حساب . وقد
انصل الحسين في ريق شيبينه بالسيد البركة سيدى ابراهيم بن سليمان
الانقى فراه وهو أعور . فدعا له ان يجعل الله بركة اعين اداهيه في العين
الباقية . ثم انه كان ممن يشتغل بالسياسة الداخلية من وسط القبيلة . ولا
يكاد يتعداها . ولا كان يشرئب الى الخارجية ، كما كان اقراؤه يصنعون .
وهو الذى قاوم الشريف سيدى الحسين بن هاشم حين أراد أن يجبي المغارم
من الوفق ويمن فيها له شيعة تعينه . وكان هو في فريق المناولين رئيسا .
وكان امغار محمد الرئيس العلوى في الفريق الآخر الذى يعاون سيدى الحسين
ابن هاشم في ذلك . وقد استدعاه اذ ذاك الشريف المذكور الى (ايلغ)
ففرح ذيل قطيفة كان تحتها مال مركوم . فقال للحسين : تناول عدا .
وكن لى خير معين فى هذه القضية . فاستنكف من اخذ الرشوة عما كان
صمم عليه . فركب فرسا جموحا فى هذا العزم . فأبى ان يحنى هامته تحت
طمع هذا المال الممدود اليه . ثم أنه قاوم جيش ابن هاشم فى (بنومريم)
فهزمه ومن كان معه . فكانت كلمته هى العليا . فنجت قبيلة (ايت وفقا) وما
كادت تنجو ، لولا هذا البطل المغوار . وقد كان أيضا يستنكر مقرما جباه ابن
هاشم قبل هذا الوقت من مرابطى ايت (تاغلتوئسو) ولكن لما كان

التاغلولوثيون ممن يمد عليهم نفوذ (اداويعفيل) لم يكن له في ذلك ما يفعل . فكانت هذه الواقعة التي نفذ فيها رايه على رعم الاسوف . وقاوم فيها الاسد الهصور ابن هاشم . دح تل من انحاش ابيه من رؤساء مجاط ، هي المنارة التي علا فوقها علمه الخفاق الذي يشاهده كل أحد . ثم بعد ذلك علا كعبه . وانفي جانبه . فلا يحترس له ضب بعد ، ولا يقع به بشنان . وكان ممن انتصروا للاسكرا الاعنسانى . وايت بيوروك في احرب المشهورة بينهم وبين السملالين ، وقد كان له من الكرم - كما ذكرناه - احاديث تظيب بها النواحي وتشنف بها المسامع ، فقد ذكرنا ان ذلك هو سبب نبوغه بين رؤساء قومه بعد ان لم يكن ما شاء الله شيئا مذكورا ، ولم يكن يطمع من مال أحد . ولا كان يتمصص ما يتمصص منه الرؤساء اقرانه . فلا يطمع الا من كد يده ، فجعل الله البركة فيه . حتى كان اغنى غنى في قومه . وكان ييلره يلدك ما يناهز اربعمائة غرارة فاكثر دائما ، مع رباط خيل متعددة بين ذكورها واناثها . وقد كان من عادته ان يستدعى طلبة القرآن ليقرأوا له ختمة في كل اسبوع من اسابيع رمضان . ثم بعد موته حافظ اولاده على هذه العادة المستحسنة ففرقوها على حساب موارثتهم ، فكان اولاده ثم احفاده الى الآن في كل اسبوع من اسابيع رمضان لا بد من استدعاء الطلبة عشية آخر يوم من الاسبوع لذلك . ثم يفيضون عليهم من الخيرات ما يفيضون . ثم انه بعد موته حثف انفه خلف خصسة ذكور : محمدا ، وعليا ، وابراهيم وبلقاسم ، ويريكا ، فكان الصيت لبلقاسم وعلى . فكانا ايضا من الرؤساء كان الثانى اوليا ، ثم تبعه الاول . وكان على هذا متدينا حسن الاخلاق . كثيرا ما يزور الشيخ الالفى ، ويذكر انه شاهد منه امورا خارقة للعادة ، فيذكرها كرامات له . وقد زاد الشيخ بعد رجوعه من الحج سنة 1306 هـ . فى (الغ) فقال له الشيخ : اننا ما تدنا نساظر حتى اثرتم ما اثرتهم ايضا بينكم من الفتن . وانكم لتشيرونها هوجاء قاصفة ، ثم لا تدرون ما يتبع ذلك . ثم مات قبل 1310 هـ . ثم خلف هذه الطبقة فى الرياسة ولدهم على ابن محمد الذى يسمى اليوم (على ايشلحين) وهو اليوم أشهر من نار على علم . وهو رئيس اخوته (ايدكوران) الرسمى ، بعد ان امتدت يد الحكومة الى تلك الجبال 1352 هـ . وقد تنا ونحن صغار نسمع بذكره يروج كثيرا فى الاندية . ونراه فى مقدمة الرؤساء المجاطيين الذين يديرون دفة فيلنتا المستضعفة مع صفر (الخ) الحاج ابراهيم الايغشانى ، وكان ممن يبدون ويعيدون فى كل ما يخوض فيه المجاطيون قبل عهد احمد الهيبة وبعده ، تكون له الصلادة دائما . وبعد من أركان الندوة الجزولية فى سننى الكفاح من 1330 هـ الى مختتم 1352 هـ . وهو أحد الذين ابرموا مع الجنرال (لانمط) على يد الكلاوى ، تلك الهدنة المصطنعة 1335 هـ . ولم يكن بمصون فى امتصاص

أموال المستضعفين، اشتهر بذلك عند كل أحد . وقد يفتيس العهد في حلفائه
بإبراهيم معدودة . وله بالاستاذ علي بن عبد الله اتصال كبير . يقف معه في
فصل النوازل . وفي الوساطة بين أهلها حتى يصطلحوا أو ينفذ الحكم على
المحكوم عليه . وكذلك كانت له عروة وثقى مع استاذنا سيدي الطاهر بن
محمد التامانارتي . وأظن أنه من يده تلقن الطريقة الاحمدية التي يحافظ
عليها دائما . ثم له وراء ذلك اذكار يقوم بها صباحا . ولا يمكن ان تطرقه
سنة منذ الاستيقاظ مبكرا حتى ياتي عليها . وقد عركته المراقبة بعد
الاحتلال عركا شديدا ، فيسجن ويمتنع ، مع ما كان له في اوله من ظهور .
ثم امتد به العمر الى أن جاء الاستقلال ، وكاد يرفع رأسه لولا أن رأى أن
ذلك غير ممكن ، فانخس ، الى أن رثم العهد الجديد . فها هو ذا الآن ستة
1380 هـ . مستكين مسكين يرحمه اليوم من كان يغبطه أمس . والدهر قلب .
حفظنا الله من عواقب السوء . ولا ريب أنه وجد بركة ما فيه من ناحية الخير .
فمال اليه في آخر عمره ، والله لطيف بعباده .

أحمد أوبخيس المجاطي

نمر 1270 هـ نمر 1320 هـ

نسبه

أحمد أوبخيس بن أحمد

كان أوبخيس بن أحمد قطبا من أقطاب (أيت موسى) . وشجاعا من شجعانهم في القرن الماضي . فكان دائما من الرؤساء الذين يتقدمون بآرائهم وبخوضهم للمعارك . فلم تسوده قبيلته عن كلاله ، ولكنه يحمي حماها ويتنقى اذاها ويرمي من رماها بمنسب . فما زال يسدى ويلجم ، ويتنقى ويبرم مع أقرانه من (أيت موسى) حتى سقط في بعض الحروب ، يغلب على ظن من حكى لي أن ذلك في حرب بين (أيت علي) (و أيت موسى) وذلك نحو 1290 هـ . ثم تولى مقامه ولده الأكبر محمد أوبخيس ، فكان نظير أبيه كرما وبسالة . فملا المكانة التي غادرها والده بكل ما تتطلبه من الكفاءة ، وكانت الفلاحة والأماك التي لهم بوادي (نانكرت) وحظائرهم التي تعج بالغنم تدر عليهم ما يقابلون بهم كل صادر ووارد . وكانت دار أوبخيس وولده محمد في قرية (بوييغند) هذا والحروب بين (أيت علي) و (أيت موسى) لا تفتقر . وبينما هو ذات يوم في مداعسة بينهما إذ تردى أيضا بين الصفوف وقد وصف لي من حكى لي هذا الخبر وهو من (أيت علي) أنه كان يحمل عليهم . فاذا به قد أصيب برصاصة . فمال عن السرج حتى وصل الأرض . ثم تجارى العلويون الى الفرس . فتحامل حتى اتصل بعنقها . وأراد أن يركبها ليفر ، فرماها رجل من العلويين أيضا برصاصة . فأفقت الفرس على رجلها الخلفيتين ثم سقطت . فتجارى اليه الموسويون اخوته فمنعوه ، ثم لم ينشب بعد يومين أن مات ، وذلك نحو 1300 هـ . ثم تولى أخوه أحمد . فكان هو وأخوه الحسن رجل طعان ورأي . ثم تفاقم أحمد هذا مع (أيت بوهيا) حول رئاسة (أيت موسى) فكل يريد أن لا يعلى كعبه . ولا يستأنف رايه . فكان ذلك هو سبب افتراق (أيت موسى) فيما بينهم . فكان (أيت بوهيا) يستقبلون اليهم (أيت علي) ورأس (أيت بوهيا) هؤلاء يسمى جمو . فكان هؤلاء يقبلون أحمد أوبخيس بذلك . فمات جمو قبل 1314 هـ . فكان هذا هو سبب اتصال أحمد أوبخيس بالقائد سعيد المجاطي ، حين كان هذا ينظر اليه

بين قبيلته وغالب اخوته (ايت على) بالنظر الشزر . والآخر كذلك مغلوب من قومه (ايت موسى) باستفعال (ايت بوهيا) والاعراض تجعل علو العدو صديقا طبعا . ثم اطلت سنة 1314 هـ . فاهتزت سوس بصدى الكلوئين الذين يتحدث بانهم نازلون بجيوش عظيمة الى سوس . فكان القائد سعيد واحمد اوبنخيس ينطلقان الى مجيئها ليستولى كل واحد منهما على اخوته . فكانت حركة من مجاط الى جهة ازغار مع سيدي محمد بن الحسين بن هاشم ولكن القائد سعيد واحمد اوبنخيس يمنعان من اليهما من الذهب مع الذهبين ثم اهزمت مجاط من (تامكرت ايتخسان) وكان القائد سعيد واحمد اوبنخيس مهروفين عند الحاج احمد الكلوي . فجعل احمد اوبنخيس رئيسا رسميا على اخوته (ايت موسى) تحت قيادة القائد سعيد ، ولكن (ايت موسى) توجست خيفة منه . فظهر منها تمرد وعدم انقياد ، فكان ذلك سبب حملته الحاج احمد الكلوي عليهم ، حتى اتاخ على حصن (تيكيدا) فحاربوه ولكنهم غلبوا بعد ثلاث . فهربوا من الحصن . وقد حشروا فيه كل من ملكوه . فذهب كل ذلك سطر سطر . ثم بقي الحاج احمد هناك نحو 20 يوما . ثم القى الربض على الحسن وعبد الله من (ايت بوهيا) والمهدي من (ايت على) وولده ، وعلى بن حمو ، ومحمد بن كرئوم ، وابوكاض محمد بن مبارك بن ابراهيم ، فسلسلهم ووجههم الى (نزنيت) حيث هلكوا كلهم . فخذل الجو لاحمد اوبنخيس يقبل ويدبر بلا معارض . ثم انه بعد ذلك رجع الى اناس آخرين فقتلهم غدرا . وهم احمد من (ايت بوهيا) واخ له يسمى اخسين ومحمد من (ايتبوهرو) من ابناء اعمام (ايت بوهيا) قتلهم وهم ديارهم حتى ليس فيها انيس الا اليعافير والا العيس . ان كانت اليعافير والعيس هناك هكلما طحن (ايت موسى) وعركهم عرك من لا يشفق ولا يرحم ، ولا ينظر في العواقب . فصار يبني داره الموجودة الى الآن في مخرم ما بين الجبلين حيث الطريق الى (تانكرت) ، فقد بنتها له قبيلة (ايت موسى) في اواخر 1316 هـ . واول التي بعدها . هكذا صفت له حكومته فيما يزعمه ولكن سرعان ما انقشع سحاب الكلوئين . فنارت الثورات من كل جهة على القواد واعوانهم من الناس بدورهم . فقام الثائرون يهدمون ديارهم او يحاصرونهم فيها ، حتى يستلهم بالايدي صاغرين . فقام المجاطيون الى القائد سعيد واحمد اوبنخيس هذا ، والقائد مبارك البنيراني ، فحاصروا منازلهم ، وقد انحاش الى كل واحد من هؤلاء الثلاثة اصحابه واعوانه . فبقوا كذلك والقبائل اوثلية قد امدت مجاط برجال لاعداد لهم . والشيخ احمد الامازري بلغ مقامه عند هؤلاء الثائرين مبلقا لا يعلى عليه . ثم لما افرج عن هؤلاء المحاصرين جيش الحكومة الذي قاده القائد انفلوس الذي نزل اواخر سنة 1318 هـ . رجعوا الى ما كانوا عليه . فرجع احمد اوبنخيس الى قبيلته بكل

ما اراده منها . ثم ان القائد سعيدا الذى كان اعانه امس خاف منه اليوم ، فاعد له سما فى طعام بعد ما جربه القائد فى عبد له ارداه فى الحين فيما يقول الناس . ثم ما طعم احمد اوبخيس من ذلك الطعام فى دار القائد بـ (تاجنكالت) حتى سقط . قال لى الحاكى : وكنت ذلك النهار حاضرا امام دار القائد ، فرأيتة محمولا على بغلته الى داره . ثم لم يلبث الا يوما او يومين حتى كان من الرموسين . هذه حياة هذا الرجل وقد صدق فيه المقال المشهور من اعان ظالما سلط عليه . ثم ان اخاه الحسن وكان بهمة من الجهم قد لبس للقائد سعيد جلدة الاسد . وانقطع فى داره الى ان وصل وقت الحصاد . فطلع من دارهم بنك الشعبة الى دار صهره بوهوش بن حمو بن ابراهيم . فكان خبره عند القائد . فارسل اليه من حاصره حيث هو ، فمر بهم الشيخ الالقى ، فطلب منهم ان لا يحدثوا شيئا حتى يرى القائد . لعله يتركه ، ولكنه ما غاب عنهم حتى نالسبوه الحرب ، فرجع الشيخ فوجدهم قد قسى الامر فولعوا فيما اراد ان يكلمهم عنه حقنا للدمه . فتولى عنهم وتركهم فيما هم فيه يعمهون . ثم فى وسط الليل خرج الحسن اوبخيس هاربا الى داره حيث بقى مع اعوان له ما شاء الله ، حتى خرج منها مرة اخرى لغرض ، فصادفه اعوان القائد فقتلوه . وهكذا جندل كل افراد هذه الاسرة الاباة كما قال الشاعر :

وانا لقوم لا نرى القتل سبة اذا ما رآته عامر وسلول

ثم ان على بن احمد هذا الذى هو اليوم الرئيس الرسمى لقبيلة (ايت موسى) منذ احتلال الحكومة هذه الجبال . قد تركه ابوه صغيرا . ثم لما شب صار ايضا يسلك غير طريق قبيلته . لما كان بينهم مما ذكرنا . ولكن لم يكن له كبير امر ، حتى اتصل بالقائد المدنى . فصار هذا يصله ويفوى جناحه بالعطايا . واعطى له ولاخيه سلاحا جديدا من آخر طراز . فصار امره يظهر نانيا حتى تفوى امر القائد المدنى بعد 1335 هـ . فاتخذ (افران) الى (تالكورت) منطقة نفوذه . فاحتاج الى اعوان من (مجاط) ليكونوا له فى (افران) خير نصير ، فوجد من صاحبه على بن احمد اوبخيس طلبته . فاتخذ له من بين (ايت موسى) شيعة تقول بقوله . وتؤمن برايه . حتى لما انتشبت الحرب المشهورة بين القائد المدنى والقائد دبارك ، وكان المجاطيون من شيعة الاخير . كان فريق كبير من (ايت موسى) تحت راية على اوبخيس ممن انضوا الى القائد المدنى . وهكذا استرجع مكانة آباءه . وعلا له شأن ، وانتشرت له شهرة وشجته اهله الرياسة التى نالها اليوم من الحكومة . وهو اليوم 1357 هـ . ابن نيف واربعين سنة . ولا يزال الكرم المشهورة آباؤه محتلغاعلى دارهم هذه الى الآن . فيما يحكيه الناس (ولا يزال على حيا 1380 هـ .) .

الحاج الحسن ازكوك المجاطى

نمر 1225 هـ 1295 هـ

إذا كان العلماء المصلحون والقواد الفاتحون والباحثون المكتشفون، والنقابون المدققون ، يدرون وراءهم دويبا كأنهما تداول سمعك أناملك العشر - فان هناك أيضا فتاكا مغاوير خلفوا وراءهم صدى لا يزال يتردد فى الاجواء ما دام فى الوجود صمخا يسمع احاديثهم القريبة ، وينصت لما يفتحمونه من المهالك ، ثم ينقشع الغبار فاذا هم ناجون ، فمن السليك بن السلكة والشنفرى وعنترة غير فتاك لا يبالون اوقع عندهم الحمام ام وقعوا عليه ، فغادروا بعدهم ما غادروه من الانباء التى تنغلغل فى العجب . كانت (ايت على) فى القرن الماضى (وايت هوسى) وهما فخذان كبيرتان من قبيلة (مجات) فى تناطج وتطاحن دائما ، والحرب بينهما سجال ، فمن غلب منهما صاحبه فان يده تجول فى (افران) و (ايت وفتا) و (ايت حربيل) التى هى كما قيل فى مصر من قديم هى لمن غلب ، وكان ازكوك هذا صقرا من الصقور، شجاعة وقوة ، فكان ربما يبيت عندهم جيش فيضيفهم هو بكل انواع الضيافة ، حتى اذا ناموا طار الى (ايلخ) فى (تازاروات) فيقطع تلك الجبال ليلا ، عدوا ثم يصبح أيضا بين الاضياف فكانه نائم معهم ، مع انه ابرم ونقض مع آل (ايلخ) ما يريد ، وكان مع ذلك فتاكا لا يبالي بازهاق الارواح ، ولا بهتك الحرم ، هكذا أمضى عمره ، ولا يجول مع أحد الا تبعا . حتى ان امغار محمدا لم يعل مقامه بين اهله الا بعد ما هرم هذا واعيا . واما قبل ذلك الحين ، فانما كان يسايره . فدام على ذلك طوال شبابه ، ثم لما انحنت سعده ، وجفت نطفته ، بدأ امره فى النقصان ، ثم صارت ذات يده تفيض شيئا فشيئا ، حتى ذبلت ، ثم كان حينه على ايدى (اداونسلام) لدماء كانت بينهم وبين المجاطيين يوم اجلاهم هؤلاء عن اوطانهم (تاغونى) تحت (اساكا) بـ(افران) فقام المسلمون وهم اباة لا ينامون عن نار . فصاروا ياتون على كل من قدروا عليه من خصومهم المجاطيين فكان صاحب الترجمة من الهالكين على ايديهم ، جاء من (تاماانارت) فمصر بـ (تانتوت محمد بيزنريكن) حوالى (اداي) . فلم يرمن اختباوا له حتى اطلقوا فيه الرصاص فجدلوه ، وهكذا سقط الفضنفر بعد ان صال زمتا ، وقد خلف ولدا له صغيرا يسمى سعيدا حوله الله من دم ابيه الى دم هادئى ساكن. لا يعرف الا الاشتغال بشأنه ، ومراقبه ربه : فسبحان الله الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى . ويخرج الحمل الوديع من الفضنفر الهائج ، ولا تزال الاغانى الشلجية من مجاط وما اليها تلهج بذكرى الحسن ازكوك الى الآن، وله اخبار كثيرة لم نر داعيا لتبعتها ، ويكفى من القلادة ما احاط بالعنق . وفى كتاب (منية المتطلعين) ترجمة سعيد ولده . لانه من المنقطعين فى الزاوية الالفية

القائد الحاج احمد التامانارتى

1244 . 22 . 7 . 1336 هـ

نسبه

أحمد بن حمو بن عبد الرحمن بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن منصور بن محمد .

قد اشتهر ان هذه الاسرة شريفة النسب من الكثيرين المنتشرين فى سوس ، وقد تكلمنا على الكثيرين غير ما مرة فى بعض التراجم المقدمة فى الكتاب . ووجد مكتوبا كما قال ثقة - ولم أراه انا - أن جد هذه الاسرة الكثيرية تان من جابية الاندلس ، خرج نحو القرن السابع ، لما احتلت اواسط الاندلس كمرطبة وغيرها ، فتوجه الى سوس ، كما توجه الى سوس من تلك الجاليات آل يزيد والاعترابويينون ، وابناء أبى بكر القاضى ابن العربى المعافى . يقول هؤلاء الكثيريون السوسيون انهم سكنوا اولاً فى (ماعازا) ازاء (تينبكتنو) ، وبعد حين دخلوا مع عربان اولاد دليم والسباعين وتكنة الى صحراء سوس ، ثم تخللوا عمران الجبال . فخالط منهم من خالط ببناء الديار ، وتانيل الاملاك ، وان كنت انا استبعد أن ينتقلوا الى بادية الصحراء ، من حاضرة الاندلس ، وانما أريد أن اسوق تل ما يقال ، على أن الكثيرين لا يزالون فى فاس الى الآن . ومن بينهم هذه الاسرة التى الفت فى سوس رحلها فى (تامانارت) وقد ذكر الفقيه سيدى محمد الكثيرى السنى مات قريباً أن اصل اهله الكثيرين الجبليين كان من (تامانارت) ولا تزال عند بعضهم رسوم املاكهم القديمة - وقد تقدم فى ترجمة هذا الفقيه ما يتعلق بنسبه فى (الفصل الاول) من (القسم الرابع) .

رياستهم

ان اشتهر كثيرون من الكثيرين بالعلم فى (جزولة) فان هذه الاسرة مع أسر اخرى كثيرة كاسرة آل القائد محمد بن ابراهيم التيشيوتيسى ، اشتهرت بالرياسة الدائمة . وقد عرفنا عن التامانارتيين انهم اتصفوا بالرياسة من اوائل القرن العاشر . منذ انبثقت الدولة السعدية ، ولا ندرى اللهم اتصال بالرياسة قبل . الا ان أخبار اوائل هذه الاسرة وانباء رياستها .

من السعديين ، قد فقدناها ، لعدم اعتناء الناس بكتابة التاريخ ، وان كانت رياستهم في القرن العاشر في الايام السعدية محققة، وانما فقدت آثارها لما أصاب الاسرة على يد محمد العالم العلوي. حين خرب (تامانارت) كما سيأتي قريبا. فقد أحرق كل الرسوم وأتى على جميع ما في دارهم . مما عسى أن يستمد منه التاريخ . ويذكر ان في قرية (اِكِيَوَاَز) مخطوطا عند آل القاضي سيدي احمد بن ابراهيم حفيد الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم ، يتضمن وصية للشيخ هذا بأحد افراد هذه الاسرة الرئيسية . وقد سماه هناك قائلا: انه آواني فأحسن نزلي . وقام بواجبي مع كل ايلته . اوصى اولاده ان يتصرفوا لاولاده ذلك . لما لاولاد الشيخ عند السعديين من الشغوف ، فانت ترى ما في هذه الوصية . فان ذلك يدل على ان الرياسة اقدم في هذه الاسرة من اوائل السعديين ضرورة ان السعديين ما ثبتت قنمهم في الرياسة في سوس على الاقل، الا في العقد الثالث من القرن العاشر ، والشيخ سيدي محمد بن ابراهيم الذي كان نزل في (تامانارت) قبل 930 هـ بسنوات احد من اخذ باعضادهم . وقام بنصرهم ، فدل هذا - ان صح كله - على قدم الرياسة في هذه الاسرة قبل السعديين . ولنتتبع رؤساءهم على حسب ما عندنا من أسماء رجالهم، وما وقع لكل واحد منهم معتمدين على ما عند الاسرة التي اكتب هذا وسط دارهم . معولا على أحد فقهاءهم سيدي عابد بن عبد الرحمن من نسبهم وغيره من المسنين في الاسرة ، فاكتب كل ما يمل على ، كما اسوق الوثائق والظواهر التي تكسبت حولى الآن ، واضعا كل ظهير او مكتوب في محله .

١ - الشيخ محمد - فتحا -

هذا هو الموجود في نهاية السلسلة المتقدمة ، وقد ظهر انه يكون حوالى آخر القرن العاشر ، ولا ندرى من اخباره شيئا .

٢ - منصور بن محمد

يلدكر بشرة هائلة ، حتى انه ليملك ثلاثمائة من الرقيق على ما اشتهر وهو أحد الرؤساء بلا ريب . ولعله يدرك أواخر السلطان احمد المنصور الذهبي السعدى برياسته التي يظهر انها امتدت كثيرا في ايام الدولة الايليغية، وسنرى ان هذه الاسرة من عمد دولة الامير على بن محمد بودميعة .

٣ - عبد الله بن منصور

ولد من قبله وهو بلا ريب يكون في دولة بودميعة . فيقال انه كان قائدا كبيرا . ولم يؤثر عنه ما يكتب الا هذا الكتاب الصغير

الذى وجدته بين الاوراق الرسمية للاسرة. فاحسب انه له من احد العلويين او
ممن قبلهم . وذلك بعد تولى اخيه محمد الآتى .
ونصه :

« الى عبد الله التامانارتي و ابراهيم بن عبد الله ، سلام الله عليكم مع
الرحمة والبركة ، وبعد فاذا وصلكم كتابى فاقدموا الى عندى بالعزم بامان
الله عليكم ، وان قعدتم فلا تلوموا الا انفسكم ، ونشتت شملكم والسلام » .
هكذا الرسالة بلا تاريخ ، والله اعلم .

٤ - القائد محمد - فتحا - بن عبد الله

ولد من قبله . هو اول رجل عظيم وجد بعض ما يدل على مكانته العظيمة،
فقد امكن ان يعرف من ثانيا ما وجد من مخطوطات نسوقها ، ببعض ما يتعلق
به .

ذكروا ان القائد محمدا - فتحا - كان من اركان الدولة الايليقيية ، واحد
الناسئة اذ ذاك ، كالمولى الرشيد ، والمولى اسماعيل ، ثم انه بعد الآتى - وقد
قوادها الكبار ، فكان ذلك بلا ريب مما تقلى عنه عيون ملوك الدولة العلوية
دخا الناس من سوس فى ايالة المولى اسمعيل ، وتمكنت ولاته فى النواحي -
راى ان يجبر الصدع ، فيدخل فى الجماعة . فيكون دخلا فى ايالة السلطان
او فى ايام احمد بن محرز . ثم يراجع السلطان . ويتعهد بالهدايا ، وفى
مرة عوا على مثل ذلك ، فاستدعى قاضى حضرته ، وهو القاضى الذى كان
جد آل (ايكسواز) شعبة من ابناء الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم
التامانارتي الشهير . وقد كانوا اشتهروا بالقضاء من قبل ذلك الحين ، فامرهم
ان يتها للسفر الى مكناس حاضرة السلطان ، فكتب رسائل عن فم القائد ،
وهيا له القائد هدية كثيرة من الذهب . ويقولون انه ملء جلد عنق جمل ،
فلما ودعه القائد ليلا على ان يبكر على المسير . بيت هو واهله ما يتنوا ،
فقد احرقوا الرسائل المكتوبة عن فم القائد. فكتبوا هم من عند انفسهم شكوى
يتشكون الى السلطان من ضيم القائد محمد . وما يلاقيه منه ضعفة الناس .
خصوصا ابناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ. وانه لا يجب اللولة العلوية(1)،
وقد جعلوا تلك الهدية هديتهم انفسهم. وكذلك احنالوا ومكروا مكرا كبارا ،
لمنافسة الرياسة . ولكن المجاورة التى لا يرضى فيها بعض ببعض . فحين
اوقعوا بالقائد الذى هو من اسرة بينهم وبينها عداوة من قديم .

(1) هذه حكاية هؤلاء . واما حكاية ابناء الشيخ فتحالفها . وقد تقدمت
فى تراجم آل الشيخ فى (الفصل الثانى) من (القسم الثالث) فى
(الجزء السابع) .

تغير خاطر السلطان بسبب ذلك على القائد فاعزى الى ولده محمد - فتحا -
العالم خليفته على سوس أن يزحف الى (تامانارت) ليلقى القبض على القائد .
فقضى الابر - فحاصر محمد العالم (تامانارت) شهورا ، يقول بعضهم انها
سنة ، وبعضهم تسعة . حتى اقتحم على المدافعين حصنهم ، فاعتقل القائد ،
وساق محمد ' العالم كل ما وجده على دار القائد من العبيد والاثاث ، حتى
الرسوم يذكرون ان الذى أحرق منها اذ ذاك مقدار حمل جمل . ويقولون ان
ذلك فى مخطوط عندهم لم اره فيما رايت ، وانما الذى رايت هو هلا - وقد
كتب فى ايام الشيخ ابراهيم الآتى ، ونصه :

يعرف شهوده اتم المعرفة واكملها . ويشهدون أنهم عرفوا وحققوا القائد
محمد بن عبد الله التامانارتى ، حين حصره مولانا محمد ابن مولانا اسماعيل
نصره الله ، حتى قبضوه وربطوه فى الحديد ، وطلعوا - يعنى واطلعوه -
لمدينة مكناس عند ابيه مع جميع متعلقاته - وفى الاصل مع تعلقه - ولم
يرفلوا فى دارهم - يعنى لم يحمل من دارهم - قليلا ولا كثيرا . ودخل
حصنه وأكل جميع امواله ، وحرقوا فيه وثائقه - أى رسومه وغصبوه ،
وجعل الخليفة فى حصنه، حتى مات مولانا محمد. وخربت حرييلة حصنه الخ ()
ثم ساق اسماء الشهود . ثم ارخ الرسوم بتاريخ سقط المقصود منه .

ويقول هؤلاء اليوم ان اهل الحصن بعد ان خربه الحريليون تفرقوا شذر
مذر . فمنهم من ذهب الى قرية (اضبانويمان) براس الوادى ازاء تيبوت ،
ومنهم من ذهب الى (تارودانت) او (حاحة) ، ويقولون ان السكان اذ ذاك
كانوا كثيرين جدا فى الحصن وما حواليه ، وانهم اثنتا عشر فعلا ، ثم انهم
لم يرجعوا بعد . ولذلك قل البيض الى الآن فى سكان (اكرض) على حين ان
السمود كثيرون

وبعد جلاء هؤلاء تولى المرابطون ابناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ
(تامانارت) باعانة الحريبيين ، وكان هؤلاء اذ ذاك اقوياء كثيرين . لما تغل
شباتهم ، وتبرد نارهم . فاستولوا على املاك القائد محمد واهله . وقد رايت
استرعات كثيرة يستمرعى بها ابناء القائد محمد على من عمروا املاك ابيهم
القائد . بعد ما حصلوا فى رسوم اخرى على شهادات كثيرة بتعيين كل الاموال
التي كانت تحت يده الى وقت الجلاء . ويذكر ان هناك رسما فيها شهادة
كثيرين من الحريبيين بانهم يتحققون ان املاك القائد اغتصبها الناس بعد جلائه ،
فعمروها ظلما . واعلنوا انه مصدق فى كل ما يدعى انه له .

لم ان القائد سبق معتقلا الى سجن مكناس ، فالقى فى السلاسل والاغلال .
ويقولون ، ان السجنائين يفجأونه فيجئونونه قائما يتنفل ، وقد تملص من
قيوده . وقع ذلك منه مرارا . فانها امره الى السلطان ، فاستعاه فساله
عمن يحل وثاقه . فقال انه يقف على النبي صلى الله عليه وسلم ودفه سيدى
محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتى - جد خصومه - فيحلان سلاسل واغلال ،

ثم استفسره عن قضيته التي سجن بسببها . فادل اليه بالحقيقة ، وانه مظلوم بإيدي أبناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ . فحينذاك اطلقه السلطان من السجن ، وامره بالرجوع ، فتضرع اليه القائد ان يُسامحه في الرجوع ، فانه وجد الامن في مكناس والراحة. فاحب ان يمضى باقى عمره في العافية. وهو اذ ذاك شيخ كبير . وحينئذ ارسل السلطان اولاده كما سيأتى، وسياتى ما يدل على ان السلطان راي ان محمدا العالم انما ظلم هذا القائد . ولذلك اطلقه بعد صفر سنة 1118 هـ . حين قتل محمد العالم ، ثم ان القائد بقى هناك حتى مات فى وقت لم يعين ، وسياتى ما يدل على ان وفاته كانت قرب 1130 هـ .

اما ما عندنا مما يتعلق به من الوثائق فاننا نسوقه قريبا . لان ذلك يتعلق باولاده اكثر مما يتعلق به .

ومما يتعلق به انه كان مليا كثير الاملاك ، معينا بالحرث ، ويقولون انه كان اذ ذاك فى (تاهانارت) اثنتان وسبعون عينا ، فكان يسوق مياها فى ساقية كبيرة لا تزال آثارها بالية الى الآن . حتى يصل بها المكان المسمى الى الآن (القصبات) وهما قصبتان متجاورتان ، فيزرع هناك ما يريد من الحبوب . وهذا ما يدل على كثرة العيون حينئذ . واما الآن فقد غار غالبها ، وان كانت آثارها لا تزال بادية للعيان . والقصبتان المذكورتان يقولون انهما من بناء الامير على بودمعة سلطان (ايلغ) (1022 هـ - 1049 هـ) .

ومما يتعلق ايضا بالقائد محمد عند القاء القبض عليه ان فقيها يسمى داود ابن احمد وهو المدفون امام باب الجامع الكبير فى هذه القرية ، كان اذ ذاك مشارفا فى جامع (آكرنض) وهو اجنبى عن البلدة ، وشريف النسب كما ذكره . انه قاله الشيخ ابو على التيمكيدشتى ، وحين آن وقت ان يلقي القائد بد الاستسلام خرج القائد من داره، وخنجره فى يده . يشير به الى كل من مد اليه يده من اصحابه الذين يحاولون ان يمنعوه من الذهاب الى المحاصرين . فيجرى وهو يقول انا فى طاعة الله ورسوله ، وفى طاعة السلطان . فلم يزل يمشى قلما ، وهو يعلن بذلك حتى تجاوز القنطرة الصغيرة المبنية على مسيل عين (تيملت) فاذ ذاك استفاق من شبه شىء استولى على عقله ، حتى اندفع الى ايدي المحاصرين ، فوقف فالقى عليه القبض حينئذ . ويقولون ان ذلك الفقيه هو الذى سحره حتى صنع ذلك، وهذا ما يقولون، والعهد عليهم . والمحل الذى ارسيت فيه المدافع من المحاصرين للقائد اذ ذاك لا يزال معلوما عندهم الى الآن . كما علم محل فسطاط محمد العالم . ياثرونه ابا عن جد . ويقولون انه كانت عند القائد زوج لها بنات منه ، فبمجرد ما استسلم القائد البست بناته ثياب الحداد الموهودة عندهم ، وهو الابيض من الكتان ، ولم تزل بناته على ذلك الى ان نقلن الى (تارودانت)، ويقولون ان احدهن تزوجت الى

رؤساء (امازِر) بـعقيلة . وتلك الزوج تسمى هما - فاطمة - بنت احمد
وكان ابوها احمد من الرؤساء الكبار ، وهو من شرفاء (اتينينو) بـعمرانة .
وقد قالوا انها وكل عيال القائد طلب الرؤساء الجزوليون من محمد العالم أن
يطلق الجميع بعد ما استولى على القائد وعلى امواله ، فاسعفهم . فرجع الجميع
الى (تونين) فى (الف) عند المانوزيين .

أقول : لفت بصرى الاحداد باللون الابيض مع انه ليس من عادة اهل هذه
البلاد ، وقد اخبرنى التامانارتيون هؤلاء ، أنهم كانوا مختصين بهذه العادة
اولا . الا انها الآن عنت كل هذه الجهة ، فالنساء المحدات يلبسن البياض -
ومعلوم أن الاحداد بالبياض عادة اندلسية .

٥ - القائد ابراهيم

هو ابن القائد محمد المذكور قبله، وقد كان للقائد اولاد منهم عبد الرحمن
وهو كبير ذهب مع ابيه الى مكناس ، وبقي معه هناك . وسترى قريبا اذمان
المولى اسماعيل له فى زيارة له لبلده (تامانارت) والواحد الثانى ابراهيم الذى
نذكره هنا والثالث منصور ، وهو مع أخيه ابراهيم .

قالوا ان ابراهيم كان صغيرا فى حضن امه ، حين جلوا عن بلدهم . حوالى
1110 هـ . وحين تشفيى فى العيال الجزوليون - كما تقدم - رجعوا الى قبيلة
(امانوز) فبنوا لهم دارا فى قرية (تونين) فمكثوا هناك حتى شب ابراهيم
قالوا : وكان حين ادرك يختلف الى مرابط من مرابطين (الف) فيطلب منهم
الدعاء بالرجوع ، فبشره بذلك بن اربعين، يعنى اربعين رجلا . فكان نصره
اولا بهذا العدد ، والموجود اذ ذلك هو احد احفاد الشيخ عبد الله بن سعيد
الذين انتقلوا من (ايمور) وقد اتوا باولادهم الى (الف) وقد كان الحريليون
الذين هدموا دارهم بـ (تامانارت) قد عمروا البلدة مع المرابطين ابناء الشيخ
فلما بلغ ابراهيم ، وعرف كيف يعمل سلاحه ، وكان شابا لبقا احوذيا ،
سررا ليلا حتى وصلوا وادى (تامانارت) فى الهاجرة ، وكان ذلك فى شهر
غشت من سنة لم تعين ، فى ايام موسم سيدى احمد بن موسى ، وبينما الناس
فى القيلولة ، اذا بابراهيم واصحابه تقلدوا بنادقهم بحبال . فهجموا من جهة
شجرة خربة لا تزال الى الآن موجودة ، فادال الله لهم على خصومهم ،
فاستولوا حيناً على البلدة . فاجفل من بها الى الفرار ، ومن بينهم ابناء
القاضى الذى كاد ذلك الكيد الكبار - فقد رحلوا الى قرية (ايكيوواز) وتخلف
غيرهم من ابناء الشيخ، وقد فتك القائد ابراهيم بسبعة منهم كلهم طلبية ،
وفيهم عالم كبير يسمى محمدا ، وكان فاضيا (1) ، ويقولون انه هو بعينه

(1) يقول ابناء الشيخ ان قضية الفتك بالقاضى سبقت قضية القائد محمد
وانما كانت هذه القضية جوابا عن تلك وربما تعدد ذلك فكانتا قضيتين .

الكائد للقائد محمد ، ومن بين المقتولين مؤذن المسجد . أدركوه في الصومعة فأردوه لانه أعلن بعد الاذان بشعر شلحي يعلم فيه زوج القاضي بقتله ، وهذا الشعر متداول في الافواه ، وقد كان من بين من جلوا اذ ذاك الفقيه سعيد الكثيرى ، فذهب الى (قران) وله شهرة في اقران الى الآن . وهو من ابناء اعمام القائد محمد ، وهو سعيد بن محمد بن أحمد بن محمد بن منصور ابن عبد الله . وكان السبب الكبير في تنشيط ابراهيم منذ عقل ان ابيه كان يسرب اليه المال حين يجد متملصا من سجنه ، ويذكر انه كان ربما ارسل اليه كرة اللعب مملوءة ذهباً بين متاع كثير ، يرسله اليه على يد التجار . فتتصل به أم ابراهيم فاطمة بنت احمد سوكانت من لبيبات النساء . فتستخرج الذهب فتؤثل به الاملاك لابنها ابراهيم ، ومن بين ذلك ارض (فلاحة في الذنوب) في (السغ) الشرقى لا تزال معروفة لوس . الى الآن . وبهذا المال الذى يواصل القائد محمد ارساله تمكن القائد ابراهيم في المانوزيين ، حتى تهيأ له ما تهيأ من الرجوع ، وقد سلك القائد ابراهيم مسلك السياسة في تقوية اجنحته ، واعداد العدد ، فيصاهر باخوانه ذوى البيوتات . كالاماززيين الذين كانوا رؤساء بعقيلة ، والחסونيين التزيتيين . وقد كانت احدى اخواته ايضا عند اهل سيدى أحمد بن يحيى ، من ابناء سيدى محمد بن ابراهيم ، كما كانت اخرى عند الشيخ مسعود جد الفقيه الحاج عبد الله الذى توفي اخيرا بتامانارت 1360 هـ . مرت ترجمته في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) .

ثم لما تمكن القائد ابراهيم من (تامانارت) وقف معه المانوزيون والايسيون فيرسل اليه كل فريق منهم 50 رجلا . فأجميع 100 نصفهم لبناء الكدار ، ونصفهم للجراسة . ويأتون بزادهم من عند اهلهم بقوا على ذلك سنة تامة ، ثم أنه صار يتتبع جميع املاكه من تحت الايدى المستولية عليها ، وقد رأيت له ما يدل على كل ذلك كما تقدمت الاشارة اليه . كل هذا يزاوله بيده ، ويد السلطان مولاي اسمعيل وان كانت مبسوطه في كل نواحي المغرب ، قصيرة في هذه الجهات . كما هي العادة دائما في هذه الجبال . تكلمنا زحف جيش قاهر يعنون الرؤوس ، ويسلسون القيادة ، ومتى جزية المد . او شغل السلطان أو جيشه هذا بشاغل ما ، فسرعان ما ينتثرون من عقد الطاعة ، فيترجعون الى ديدنهم ، فترجع القبائل لما يعهد منها ، ويجب ان لا يستثنى المؤرخ من هذه الكلية حتى ايام المولى اسمعيل من هذا الحكم المسمط ، فقد وقفنا على ما يدل على هذا دلالة واضحة لا شك فيها (1) . ولهذا لم ينتفع

(I) عندنا رسائل من محمد العالم الى أحد الجزوليين حوالى 1112 هـ . عديدة صرحت بذلك ، وقد نشرناها في كتاب (ايلىخ قديما وحديثا) ولا يزال فى مسودته ، يسر الله تخريجه وطبعه بفضل وكرمه .

أولاد القائد محمد بكل التوصيات الرسمية الآتية الا بمقدار عند الرؤساء الرسميين في مركز الحكومة بـ(نارودانت) وأما ما سوى ذلك ، فقد اتكلوا فيه على سواعدهم التي رجعت بهم الى دارهم فاستقروا . ولا يفترق القارىء بكل ما نسوقه من الظواهر فيخال أن الحكومة تأخذ دائما في كل مكان من هذه الجبال بأزمة الحكم . فان ذلك لا يكون الا فينة بعد فينة تلي حسب ما حدرناه في الموضوع .

وهاك ما وجدناه متعلقا بالمقام :

1 - « انعمنا على خدامنا أهل (تامانارت) اخوان خديمنا القائد محمد التامانارتي كافة احرارهم وحرطينهم بالرجوع لبلادهم واصولهم وارضيتهم وجناتهم المعروفة لهم . وأمرناهم بالارتجاع ، والسكنى ببلدهم (أكرض) كما كانوا ، وأن يعمرها . فقد رددنا عليهم جميع متاعهم واملاكهم وديارهم واصولهم ، واسقطنا عنهم من ذلك جميع التكاليف والمطالب والتبعات ، وحررناهم منها تحريرا دائما ، محمولين فيه على كاهل المبرة والاكرام انعاما كليا . دائما بلوام الشهور والاعوام ، من غير معارض لهم ولا منازع ، رعا لوجه اخيتهم خديمنا الارضى القائد محمد التامانارتي ، فاننا اردنا أن نوجهه لبلاده قائدا كما كان . وثبطناه قدر ما يسكنون ويوطنون له موضعه وحسب الواقف عليه العمل بمقتضاه ، والسلام . في الرابع والعشرين في الربيع الثاني عام 1118 هـ . »

2 - « دملوكننا أحمد العليج الذي عمدتنا بمعدن (تازالانخت) سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فان كتابك الذي وجهته لخديمنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتي بلغه لنا وقرانه . وعرفنا مضمون خطابك ، وما أنت عليه في خدمة ذلك المعدن ، جزاك الله عنا خيرا . وهذا خديمنا القائد محمد التامانارتي المذكور، كثيرا ما أخبرنا بأنك انت محتزم ، وواقف على ساق الجد والحزم في أمورنا ، وخدمتنا العلية بالله ، جزاك الله عنا خيرا أحسنتم احسنتم ، الله يرضى عليك ، ويزيد على عنايتك - لعل - والدي نؤكد به عليك انك تشد روحك في موضعك . واحترم اليه ، ورد بالك من كل جانب ومكان ، ولا تقيب عنا الاخبار - كذا - تلك البلاد حيث كان . ورقاصك لا ينقطع عنا أبدا . ونؤكد له عليك ثانيا انك تهلا في اولاد خديمنا القائد محمد التامانارتي ونستوصى بهم خيرا . وان احتاجوا الى شيء عندك فاقضى لهم . وعندك (1) أن تفرط فيهم . أو تتعالم عليهم في كل ما يحتاجون عندك . واتهلا فيهم ، ثم اتهلا فيهم . وهؤلاء اخوانه اذا وردوا عليك بهذا الكتاب الكريم نأمرك أن تهلا فيهم . وتستوصى بهم خيرا واحسانا ، وثق بهم في كل ما يبلغه عنا اليك - كذا - من أمورنا العلية بالله ، وهذا

(X) كلمة يقصد بها في اللهجة الدارجة : رد بالك .

أخوهم خديمتنا القائد محمد التامانارتى، ها نحن ان شاء الله نبعثه فى اثرهم
بلاده ، ليبنى داره ان شاء الله . ونوليه تلك البلاد ان شاء الله تعالى بحوله
وقوته ، وشد روحك ثم شد روحك فى موضعك ، ورد بالك لنا : والله
سبحانه وتعالى يعينك على ما أوت عليه :: والسلام . وكتب رابع من جمادى
الاولى (أعله من سنة 4118 هـ) .

انتهى على ما هو عليه من التصحيح ، وقد طبخ فوقه بطابع وسط ، لم
استبين منه الا أنه اسماءى ، وهذا لا ريب فيه .

3 - « بلدنا الارضى مولاي عبد الملك أصلحك الله ، سلام عليك ورحمة الله
وبركاته ، وبعد فالؤكد به عليك أصلحك الله وأثمر غرسك ، هو أن تتهلا فى
حملته اولاد خديمتنا القائد محمد التامانارتى ، هذا الذى جاءنا ، والذى هو
بالبلاد ، وعاملهم باحترام والاحسان ، وراعهم تحفة والدهم ، وللازمته الينا ،
وطول مكته عندنا . حتى توفى رحمه الله ، وان احتاجوك لبعض المقضيات
القضية لهم ، واستوص بهم خيرا واحسانا، فلا تسمع فيهم لقول قائل ، والله
تعالى بمنه يوفئك ، ويرشدك بمنه ويمنه آمين ، والسلام . فى اواسط ربيع
(ثم لفظ المائة او كلمة الثانى) عام ثلاثة وعشرين - لعل - وألف (او سقط منه
عشرين وبقيت المائة) . »

صح من أصله مع ما هو عليه . وطابعه فى وسطه اسمعيل ابن الشريف
الحسنى وفقه الله . دون ما فى دائرته مما لم اتبينه جيدا . فان صح ان تاريخ
هذا الظهير 1123 هـ . نعلم منه أن القائد محمدا توفى قبل 1123 هـ . وان كان
يظهر فيما يلى أنه مات بعد . و لعل التاريخ الصحيح ثلاثة وثلاثون ومائة وألف .
4 - « كتابنا هذا أسدى الله امره ، وأدام مجده وفخره ، بيد خديمتنا
الانصح ومرتب نعمتنا الاصلح : القائد محمد بن عبد الله التامانارتى وولده
وأخوانه ليعرف به بحول الله وقوته، ويمنه وبركته، اننا وقرناهم واحترمانهم
وحررنا لهم بلادهم وأرضهم وديارهم ، و جنتهم وأهلاكم ، وبن انشأف اليهم
من الاحرار والحراطين ، والمرابطين القاطنين معهم ، وكذلك أهل الدمة ، وكل
من هو معهم ؛ - (اكرض) وكل ما لزمهم ، ووجب عليهم من الزكوات والاعشار
يدفعونها لدار خديمتنا القائد محمد التامانارتى ، فهم الينا ومنا اليهم ، فلا
يلزمهم شىء من المغارم والتكاليف السلطانية من كل ما سيجرى على أهل
(تامانارت) وغيرها من قبائل سوس . فقد صرفنا ما ينوبهم على دار خديمتنا
المذكور ، لا يزاخمهم فيه مزاحم ، ولا يعارضهم معارض . ونأمر ولدنا مولاي
عبد الملك أصلحه الله أن يتهلا فى اولاده ويحترمهم ويوقرهم ويعمل لهم
بمضمون كتابنا هذا . أعزهم الله ، ولا يترك من يتعدى عليهم فى شىء، ومن
ظلمهم أو تعدى عليهم فليحفر جدره - ولا يكلفهم احد ولو بشربة ماء .
والواقف عليه يعمل به والسلام فى اوائل صفر احير سنة 1127 هـ .

واعلاه طابع فيه مثل ما تقدم .

5 - « على خديمتنا الشيخ ابراهيم ابن خديمتنا القائد محمد التامانارتي ، سلام الله ورحمته وبركاته ، عن اليمن والمافية ، وبعد فاعلم ان والدك مع خديمتنا القائد عبد الملك اماهدى اعطونا خبرك ، انك تحزمت في دارنا التي هي داركم . فذلك الظن بك ، والمعتقد فيك . بارك الله فيك واصلحك ، والآن نامرك ان تشد روحك فيها ، فانها قضيتنا ، وكلامك معنا لا لغيرنا ، ولا تنصت لكلام احد كاننا من كان - ولا تعتر في امورك ، واحترم في شغلك والله تعالى يعينك فيما انت بصلده، ولا تخرج منها آناء الليل اطراف النهار. فان تلك البلاد بلدة الغدارين (حربيل) قبعهم الله . واياك ، ان خديمتنا الشيخ مبارك بن عبد الله المرابطي واخوانه ، والشيخ احمد أويهي المانوزي واخوانه ، والشيخ عبد العالی واخوانه الساموكني تحزموا معك ووقفوا معك ووقوف الجد والاجتهاد ، في مصالحننا ، وبنیان دارنا . واعانولوا على اعدائنا (حربيل) فانه يجازيهم عنا خيرا . ويعمرهم ولا يروا منا الا ما يسرهم ويرضيهم بحول الله وقوته ، ونامرك أن لا تغيب عنا اخبار ذلك البلد . ما يزداد وما ينقص في تلك النواحي كلها . وكتبك لنا تاتينا على يد والدك ، وعلى يد عبد الملك أوماهدى ، فانهما كثيرا ما شكروك ومدحوك بثناء الخير ، فانه يكون في عونك ، ويصلح حالك آمين والسلام ، في الثامن عشر من ربيع الثاني سبعة وعشرين ومائة والف » .

واعلاه ذلك الطابع المذكور ، وفي اواسطه بتر كما يرى .

6 - « الابر الارضى ولدنا مولاي الشريف ، اصلحه الله وخديمتنا الباشا عبد الكريم بن منصور ، سلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فاعلموا ان اخوان خديمتنا القائد محمد التامانارتي حضروا لدينا بدارنا عليه . واتوا بما لديهم من ظهائرننا له ولاولاده ، وبلادهم وما احتوت عليه من الاملاك والاجنة والسواقي ، ، وكذلك اهل (أكرض) بوادی (تامانارت) من حراطين وأحرار وذميين وما انحاز اليهم من سكان وغيرهم ، يدفعون زكاتهم واعشارهم ومطلبهم بيده بدار القائد محمد المذكور بـ(تامانارت) وأخرجناهم من القبائل الذين هم بازاءهم ، فلا مدخل لهم فيهم . فقد انعمنا لهم بهم ، فلانه خديمتنا ومعتوقنا الينا ، - يعني والينا ، ومحبوب علينا فقد عرفتم ما كان بيننا وبينه ، ونؤكد عليكما أن تنهلا فيهما . ولا تترك من يطوف باختما ، ولا يقربهما ، وكذلك نؤكد على وصيفنا سعيد بن الحياط انهلا فيهما . هذا قليل في حقهما عندنا ، وكل ما يحتاج اليه فافصوه لهما من الزرع وغيره ، ولا تتركوا من يزاحمهم ، ولا يتراعى عليهم . فلان القائد محمد خديمتنا ، وملازم بابنا ، وعزيز علينا . دون من كان بسوس ، فوالله الا كنا بنصروه ونستحيوا منه ، - كذا - فايكم ثم اياكم ان يطوف احد بساحتهم والسلام . وفي سابع

وعشرين رجب الفرد سنة ثمانية وعشرين ومائة والـ ؟ وضمير التثنية
لإبراهيم ومنصور . كما يظهر ، واعلاه ذلك الطابع نفسه .

7 - كتابنا هذا اسمى الله تعالى أمره ، وأطلع في المعالي شمسه الثمينة
وبنزه : ليعلم من وقف عليه من خدامنا ووصائفنا وأولادنا ، اننا حررنا
خديمنا القائد محمد التامانارتي وأولاده بلادهم وأملأهم ، واجنتهم وسواقيهم ،
أبقيناهم بها ، وكذلك أهل (أكرض) بوادي (تامانارت) من حرطين وأحرار
وذميين ، ومن انحاز اليهم من سكان وجيران ، يدفعون زكاتهم وأعشارهم
ومطلبتهم ووظائفهم لدار خديمنا القائد محمد المذكور ، فلا مدخل لهم من
غيرهم من القبائل في كل شيء . جليلها وحقيرها ، فقد انعمنا له بهم ، فلأنها
دارنا ، وهم خدامنا ، وله الحق علينا . فلا ينازعه في كل منازع - ولا
يعارضه معارض ، والوظائف عليه يعمل بمضمونه ومقتضاه في سبع وعشرين
من رجب الفرد سنة ثمانية وعشرين ومائة والـ ؟ وفوقه طابعه المتقنم

8 - ولدنا الأرضي مولاي الشريف ، أصلحك الله ، وخديمنا الباشا عبد
الكريم بن منصور ، ووصيفنا سعيد بن الحياط ، سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ، وبعد اعلموا أن اخوان خديمنا ، ومرابي نعمنا ، القائد محمد
التامانارتي وردوا على مقامنا العالي بالله بهديتهم ، وفرحنا بهم لوجه خديمنا ،
وحررناهم له ليتعاون بهم . وانعمنا عليه بقبيلته (أكرض) أحرار وحرطين
وأهل الامة ، وجمع ما احتوت عليه (أكرض) انعاما كليا يجمع زكاتهم
وأعشارهم ومغارمهم ، وجميع ما يلزمهم من الوظائف الخزنية ، والتكاليف
السلطانية . قلت اوجلت ، فمنهم خديمنا المذكور ومنه اليهم ، فلا مدخل لاحد
غيره فيهم ، كائنا من كان . واستوصوا خيرا بأولاده وقبيلته ، وجميع ما
يحتاجون عندهم القضاء لهم ولا بد . والسلام وكتب في الثاني من رمضان
المبارك عام ثمانية وعشرين ومائة والـ ؟

وفوقه ذلك الطابع

9 - خديمنا الحسن الحرييل ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد اعلم
أن القائد محمدا التامانارتي حين سمع أن الشيخ محمد بن كريش الاداوي بن لالي
هو وولد السيد محمد تاركماط كتبنا لهم على البلاد التي ذكروها لنا وعشونا
فيها ، جاءنا بعد ذلك التامانارتي ، وقال لي : نصرك الله ، البلاد بلادى ،
وانا اشتريتها ، وفكرنى (I) في الشراء حين كنا محاصرين (تارودانت) حين
كان مولاي الحران رحمه الله ، وحضرنا له للشراء ، وبأذننا خالص ثمنها .
ويخبرنا فيها ، فاترك له بلاده ، ولا تترك من يقربها له بوجه ولا بحال ،
فانه رجل مسكين جربناه كم من مرة . فوجدناه لا ينقر على متاع الناس ،
وحين كانت بلاده وفي حوزة وفي ملكه وعلى يدنا ، وهو هنا عندنا ، فاتهلا

(I) هذا يدل على أن لمولاي اسمعيل اتصالا بالقائد قبل أن تقع له الواقعة .

فيه . ولا تترك من يتجاسر عليه وعلى اولاده واملاكه وساقيته ، وايضا كان
 يبعث في تامانارت) وغيرها لا يقربه احد فيها الا اولاده ، فانهم معاتيقنا ،
 والقبض له متاعه من عند من كان لا ولديه ولا غيره - كذا ولعله لا الدوناللي
 ولا غيره - وكل من تعدى عليه اقطع له ظهره ، واولاده محزونون موقرون ،
 هم ومن معهم من اهل (اكرض) اعمل لهم انت الخير ، كما عمله لهم ولدنا
 مولاي الشريف ، اصلحه الله، وخدمنا الباشا عبد الكريم، وجازيناهم بخير،
 واتهلا فيه انت كذلك ، والسلام ، في اوئل جمادى الثانية عام تسعة
 وعشرين ومائة والف ؟ .

وفوقه الطابع المتقدم .

والملك المتقدم في هذا الظهير (تامزاورت) سالت عنه الاسرة . فارونى
 تبريحات للقائد ابراهيم عليه ، وقد بقيت في يد الحرييلين ، ولم ينصتوا
 لكلام السلطان ، فكان ذلك احد الشواهد على ما ذكرته آنفا من ان يد
 السلطان قصيرة في هذه الجهة ، وان كان في هذا الوقت (1124 - 1132)
 تمكن الباشا عبد الكريم في توطيد جبال سوس من جديد ، وقد مر بالغ .
 ويظهر ايضا على ان العامل على وادي (تامانارت) من غير قرية (اكرض)
 هو الحرييل المذكور الساكن في قرية (القصيبة) وان (اكرض) صيرها
 السلطان كزاوية معهرة . تخدم دار القائد محمد فقط ، على ما يظهر ، وان
 كان ذلك انما وقع في اول الامر ، ثم رجعت الرياسة الى دارهم . كما استرى
 ذلك فيما سياتي :

10 - الى خديما الشيخ ابراهيم واخوانه اولاد القائد محمد التامانارنى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد ورد علينا ولدنا مولاي الشريف
 اصلحه الله ووصيفنا سعيد بن الحياط ، وخديما عبد الكريم بن منصور .
 ذكروا لنا انكم احرزتم معهم ارواحكم ، ووقفتم وقوفا بالجد . وظهرت فيكم
 نصيحة الخدمة مع جيشنا السعيد الذى كان هنا لك ، فحتى الان نحن انعمنا
 عليكم من فضل الله بقبيلة اهل (اكرض) احرارا وعبيدا ، وما احتوت عليه
 من ذميين وغيرهم ، من اهل (تاكاديرت) وال (تيسلكتيت) واهل (تاتغزوت)
 وكافة (امر يبنض) يدفعون لكم مكاليقهم وزكاتهم واعشارهم الواجبة عليهم،
 منهم اليكم ، فلا مدخل لاحد فيما انعمنا به عليكم ، كما ان كان . فقد
 حررناكم ، ومن طاف بساحتكم او قربكم فلا يلوم الا نفسه ، وكتبنا به
 والوافى عليه يعمل بضمنه ، والسلام . وفي ثانى رجب الفد سنة تسعة
 وعشرين ومائة والف ؟

وفوقه ذلك الطابع نفسه .

يعلم من هذا ان هذا الجيش مع مولاي الشريف وعبد الكريم كانوا في
 (تامانارت) ولا يزال محل وسط قرية (اكرض) معروفا بنزول السلطان، وهل

يعنى به ولد السلطان هذا . او كان ابن محرز . او مولاي اسماعيل حين كان في الصحراء . يطارد أعراب الصحراء ، وربما مر بتامانارت عند الرجوع او محمد العالم يوم نولى الملك نائرا على ابيه هذا . وقد وقعت في يدى ورقة مكتوب فيها ان جيشا يضم عشرين الف فارس نزل بقرية (اكلى) (بدالغ) سنة 1124 هـ . تحت امرة القائد عبد الكريم . فهو هذا ، وقد امتد وجود ذلك الجيش في سوس الى ما حوالى 1132 هـ . وايا كان فقد عرفنا بعض الاخبار عن هذا الجيش .

ثم ان الشيخ ابراهيم نراه الآن يتولى على هذه الامكنة فكان موظفا رسميا ، مستوتيا بعد ما كنا نراه كرب زاوية ، حظه ان يحترم هو واهله ، وان تنفذ له زكوات اناس واعشارهم .

11 - كتابنا هذا اعزه الله واسماه بيد الشيخ مبارك بن عبد الله المرابطي وخديمتنا الشيخ محمد بن داود ازوكنى ، وخديمتنا الشيخ محمد بن ابراهيم . وخديمتنا عبيد ، وخديمتنا الشيخ عمر ، وخديمتنا الشيخ اخسن . يعلم الواثق عليه اننا انعمنا عليهم بطلب اهل (تانقورت) واهل (تاكاديرت) وزكائهم واعشارهم ، يقبضها الاشياخ المذكورون من غير منازع لهم فى ذلك . وكما اسقطنا عنهم الكلاف ، والوظائف المخزنيه . فلا يقربهم احد ، ولا يطوف بساحتهم ، ومن رام التعدى او ترامى عليهم ، فلا يلومن الا نفسه ، والواقف عليه من خدامنا ووصائفنا ، يعمى بمضمونه ويبقيه بايديهم ، والسلام وفى وسط صفر الخير سنة ثلاثين ومائة والى .

وفوقه الطابع المقدم

ثم ان هذا مشكل ، لان هذه القرى لم يمض على تنفيذها للشيخ ابراهيم الا سنة او دونها ، ثم نرى هذا الظهير ينفذها لآخرين . وهذا عجب ، ولا يدري الا الله ما وقع . فهل عوض السلطان للشيخ ابراهيم بمكان آخر ، او ماذا وقع ولا يحسبن متخرص ان محمد بن ابراهيم هو ابن الشيخ ابراهيم الذى سياتى ذكره ، لان ابراهيم ان كان لا يزال صغيرا نحو 1114 هـ . فكيف يكون له ولد اذا ادى ما نفذ السلطان الى ما لا تعمد عقابه ، فاختر ان يتالف بخراج هذه القرى هؤلاء الرؤساء وبقي (آل مرييض) فسي يد الشيخ ابراهيم . وكيفما كان الحال فالامر مشكل . ولهذا سفنا هذا الظهير هنا . وان لم ينص بالشيخ ابراهيم .

12 - كتابنا هذا اسماء الله تعالى واغز امره . واطلع فى المعالي شمس المنيرة وبلره . يستقر بيد اولاد خديمتنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتى ، وقد انعمنا عليهم ببلادهم وقبيلتهم اهل (اكرض) جملة ، وما احتوت عليه من الحراطين والمرابطين واهل اللمة - يقبضون منهم الواجب عليهم ، منهم اليهم ،

واسقطنا عنهم الكلافت بالكلية ، والوظائف المخزنية لانهم اعتقاؤنا ، ووالدهم ملازم بابنا . فقد فوضنا لهم يقبضون منهم مطلبهم ووزكاتهم وأعشارهم يستعينون بها على أنفسهم فمن قريهم أو طاف بساحتهم ، أو رام التعلنى عليهم فلا يلومن الا نفسه . كائنا من كان ، ونؤكد على الواقف عليه من خدامنا وولدنا عبد الملك أصلحه الله أن يتهلا فيها ، ويستوصى بهما خيرا ، ويبقيهما على ما أنعمنا عليهما به . فلا يخرقن عليهما عادة سوى ما ذكرنا كما فعل معهم ولدنا الشريف أصلحه الله ، وخدمنا عبد الكريم بن منصور ، ووصيفنا سعيد بن الحياط فقد أحسنوا اليهما . وسرنا احسانهم اليهما ، فلأنهم اعتقاؤنا ، ووالدهم خديم نصيح فى جانبنا ، فلا نحب أن نسمع فى جانبهما الا خيرا ، والواقف عليه يعمل بمضمته وبقية بايديهم ، والسلام .

فى أوائل ربيع النبوى المعظم سنة ثلاثين ومائة والف ؟
وفوقه الطابع المذكور .

اقول : ربما يستروح من هذا ما يلقي ضوما على ما اشكل علينا فى المتقم . وربما كان هو عبد الملك ابن السلطان ، الذى كان الخليفة على كل سوس . ولا يبعد انه هو اء من اليه هو الذى تسبب عنه ما تقدم ، فقد راينا كيف اكاد على عبد الملك ليكون على بال فى هؤلاء ، كما كان اخوه المولى الشريف ، ولعله لو كشف الغشاء لوجدنا الامر على ذلك ، والله أعلم .

13 - كتابنا هذا اسماء الله تعالى وأعز أمره ، وأطلع فى المعالى شمسه المنيرة وبدره . ليعلم الواقف عليه من اولادنا وخدامنا ووصائفنا انا سمحنا للشيوخ ابراهيم ولد خدمنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتى . وانعمنا عليه ببلاده وما احتوت عليه من قبيلة اهل (أكرض) وما انحاش اليها من اللمين وغيرهم يستعان بزكاتهم وأعشارهم . فمنهم اليه احرارا وعبيدا ، فلا مدخل لاحد فيهما ، فلا يقربهما احد . ولا يطوف بساحتها بكلفة ولا وظيفة ، كائنا من كان ، فقد أنعمنا عليه انعاما كليا ، والواقف عليه يعمل بمضمته ، ولا يتعدى ، والسلام . وفى منتصف جمادى الثانية سنة ثلاثين ومائة والف وفوقه طابعه المعهود فيما قبله

14 - خدمنا الحسن الحربلى ، بعد السلام عليك . وبعد اعلم اننا حررنا لخدمنا القائد محمد التامانارتى ، واولاده بلادهم وأملاكهم واجنتهم وسواقيهم وابقيناهم بها . وكذلك اهل (أكرض) بوادى (تامانارت) من حراطين واحراد وأهل اللمة . وما انحاز اليهم من سكان ، فلا مدخل لهم مع غيرهم من القبائل فى كل شىء ، جليلها وحقيرها ، فقد أنعمنا لهم بهم فلانهم خدامنا ، ولهم حق علينا ، فلا ينازعهم فى ذلك منازع . انعاما تاما شاملا عاما . والواقف عليه يعمل بمقتضاه . ولا يتعرض لمن احتاج به ابداه . والسلام فى مستهل المحرم الحرام فاتح سنة احدى وثلاثين ومائة والف ؟

15 - خديمتنا القائد ابراهيم بن محمد التامانارتي . سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . هذا وان اخاك خديمتنا الشيخ منصورا ورد علينا مقامنا الاصمى بالله ، زائرا فلرحنا به ، واقام عندنا في كرامة ، واحسن ضيافة ، حيث دخل مع مقدمنا على يد خديمتنا وربى نعمتنا الاحظى الباشا عبد الملك ابن عبد الله امأهري اصلحه الله ، واثمر قرسه . وها هو اليوم رددناه اليك ردا جميلا ، ونائبنا عنك لدينا في الزيارة لعل اعتابنا ، فاتهلا فيه ، فاتهلا فيه ، واستوص به خيرا واحسانا . وقد اعجبنا عقله ومروءته ، ولا تفرط فيه . وهو ان شاء الله بالواسطة لك معنا بحول الله تعالى وقوته . وانت نامرك امرا اكيدا محتما شديدا ان تشد روحك في الخدمة والحلجة . وبذل النصيحة لنا . ولكن هو على ايدنا ، تريح وتغنم ان شاء الله دنيا وآخري وانت عندنا تمت بمشابة والدك في كل شئ . وكلام قبيلتك وجماعتك اهل (تامانارت) حملناه بذك ، والى تحت نظرك كافة ، من غير معارض لك فيه ولا منازع ، عليه ولا مدافع . وحددنا لك على كل ما كان بيد والدك المرحوم بكم الله تعالى خديمتنا القائد محمد ، فشد روحك في الخدمة والخدمة ، كما وصفك لنا خديمتنا قبا الباشا عبد الملك ابن عبد الله امأهري ، فانه يمدحك ويشتر بخبر عليك . وحمم وجهه فيما قال لنا فيك . وها فيه عندنا بمحضر الخاص والعام - يعني حل فاه - ولا لك فينا ان شاء الله ان كنت على هذا الا تحب التام العاجل والاجل بحول الله تعالى وقوته . والله تعالى تبارك يعينك ويوفقه بمنه آمن . وفي اواسط ربيع الثاني عام ثلاثة وثلاثين ومائة و الف ؟ . وقوفح الطابع المذكور

اليوم تولى القائد ابراهيم القيادة الرسمية ، ويظهر ان الذي حدا السلطان الى ذلك امران : احدهما انه رأى موالاته للاحترامات له . مع عدم احترام جيرانه له . فرأى ان يصرح بما يمكنهم ، فجعله قائدا رسميا . والثاني ان والده كانه توفى قريبا من 1133 هـ . فأراد ان يوليه مكانه في القيادة رسميا . وربما يكون هذان الاحتمالان صحيحين . والقرائن تعطى ذلك .

16 - ليعلم الواقف على مسطورونا هذا اعزه الله اننا اذانا حامله خديمتنا عبد الرحمن ولد القائد محمد التامانارتي ان يقدم لبلده ، يتفقد اخوانه ، وينظر اهله واحواله ، فلا يتعرض له احد على ذلك ولا يمنعه منه . فمن ولف عليه فليترك سبيله ويباعد جانبه ، والسلام في الثاني عشر من رمضان المبارك عام ثمانية وثلاثين ومائة و الف ؟ . واژه طابع اسماعيل على شكل آخر كانه بيشاوى الشكل .

عبد الرحمن هذا، هو الذي قلنا انه كان مع ابيه القائد محمد في مكناس . ولا ريب انه تولى هناك خدمة مخزنية ، فمكث هناك بعد موت والده ولم يظهر له عقب الآن .

17 - كافة أهل (تامانارت) اخص منهم الطالب ابراهيم ، ولد خديمتنا القائد محمد التامانارتى. سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد اعلموا ان من فضل الله علينا ومن عوائده الجسيمة لنا ان ولانا الله سبحانه امر هذه الامة المحمدية ، وصرف لنا بمنه رعاية هذه الرعية ، ويوم الكتب اليكم اخذنا المعهد مع الله ومع أهل البيعة من العلماء والفقهاء والمرابطين ، وانكلمت بيعتنا لله الحمد وله المنة . واليوم بنفس وصول كتابنا هذا اليكم اقدموا علينا عزمًا دون توان ولا تراخ لتكمل بيعتكم بين ايدينا ، وترجعوا لبلادكم واسبابكم ومعاشكم ، سالمين غانمين ان شاء الله ، لان الله تعالى قال : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، ولا عنوا لنا الا الشيطان ومن يجرى مجراه ، وأمان الله عليكم فى أموالكم وانفسكم ، ولا اردناكم الا أن تاتونا برما تكم بين أهل هذا القطر السوسى ، فنقد اعناق العادين وغيرهم من أهل الفساد والضلال . وكفى الله بحديث المصطفى صلى الله وسلم عليه : ان من مات من غير امام مات موة جاهلية . والله المستول ، ومنه ارجوا الاعانة والقبول فى توفيقكم وهدايتكم الى واضح الطريق بالنبي و ابا بكر الصديق والسلام ، فى ثالث عشر من شعبان عام 1139 هـ .

وفوقه طابع كبير ، فى وسطه عبد الملك بن امير المؤمنين الله وليه ومولاه ، وفى دائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد فى آجاتها تجم هذا وقد علمنا أن عبد الملك تولى الامارة بعد احمد الذهبى بن اسمعيل ، ثم ان هذا آخر الظواهر التى عندنا الآن من ايدى هذه الاسرة ، مما يتعلق برجالها القداماء. وتحتوى على اخبار كثيرة لمن تتبعها ، وعرف كيف يستشف ويقيس ويستنتج ، وقد حرصت على أن ابقى الظواهر على عباراتها الاصلية ، التى يكثر فيها التصحيف . وغالبها مكتوب بخط ردى . واننى لانتعجب من السلطان المولى اسمعيل كيف يرضى لنفسه هذه المكانة لمكتب رسائله ، مع ما أوتيه من طول وبسط يد . ومن كثرة الخطا والمترسلين فى الحواضر وغيرها ، اذ ذاك . وقد وقفنا فى المنسوخات على ذلك ، والكمال لله . ثم لم تغير خط الظواهر الا فى عهد حفيده سيدى محمد بن عبد الله .

أمور أخرى تتعلق بالقائد ابراهيم

قد رأيت له من بين مخطوطات قوانين وضعتها آل (اكرض) فى ايامه كيف يتمشى فى الحقول والماء ، كما كان فى مرسوم آخر ما يتعلق بامور السرقة من الحقول ومن الديار . وهو مؤرخ بمفتح جمادى الثانية 1172 هـ . وذلك مما يدل على أن عمره لا يزال ممتدا الى العقد الثامن فى القرن الثانى عشر . وقد

شاع عند أهله أنه معمر . كما بدل على أنه سياسي ماهر يلبس لكل حالة لبوسها . فانه بعد ما زالت الحكومة الاسماعيلية، وتقلص ظلها عن هذه الجبال، اتخذ من اهل (أكرض) رؤساء . يكون لهم حظ في ادارة البلد ، وقد عينوا باسمائهم في تلك القوانين .

ومن اخباره ايضا ان الشيخ الصالح سيدى حسين الشرحبيلي حين زار جبال جزولة حوالي 1140 ردوا اولاد سيدى محمد ابن ابراهيم الشيخ الى ديارهم في قرية (أكرض) وقد كانوا جلوا يوم هاجمهم القائد ابراهيم كما تقدم، وبعد حين تناصر المرابطون أبناء الشيخ مع الحربيليين وغالب آل (أكرض) على القائد ، فثاروا عليه ، وقد تسرب اليهم من الحربيليين 200 من الرماة ، فدافع القائد والذين يقطنون معه في (أكادير) فادبل لهم على أعدائهم ، فقتلوا من الحربيليين 40 رجلا . فجلا بعض أبناء الشيخ ايضا ، وهم الذين صح أنهم مكروا ودرسوا لهذا الغدر . وبقي غيرهم في ديارهم . ويقولون انه خلف ثلاثة اولاد : سعيدا ، ومحمدا ، واحمد . والاولان لا عقب لها الآن؛ ولم يبق الا عقب احمد . وقد ذكر ان هناك رسالة موجودة فيها ان الشيخ السمي أبو تريم المانوزي التونيني ارسل الى القائد ابراهيم يتطلب منه ان يرسل اليه فارسه المشهور ولده سعيدا . ليقف معه حتى يفصل امر قتيل سقط من آل (تاختلوتو) بأيدي آل (أكرض) و (ايت وافقا) . فان اولياء القاتل يتطلبون فصل القضية

ويذكر انه رأى مخطوطا فيه تقييد شعير كثير قد فرضه ووزعه القائد ابراهيم على قري (تامانارت) وقد بين هناك ما اعطاه اهل كل قرية . فدل ذلك على ان بيد القائد صولة وبسطة في كل (تامانارت) في ذلك الوقت الذي عادت فيه القبائل بعد موت المولى اسمعيل الى عاداتها، فمن عزز بز ، ومن غلب سلب .

وقبر القائد ابراهيم في مقبرة الرؤساء القديمة التي في شرق المسجد الموجود ازاء مسجد الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم . وهو لا يزال معروفا عند رجال الاسرة الى الآن .

محمد بن ابراهيم

هو الذي تقدم انه احد اولاد القائد ابراهيم ، وهو الذي خلفه في الرئاسة، واهله وام اخوته تسمى الزهراء بنت احمد ، وهو شيخ رئيس من آل قرية (تافغوت) واصله من قبيلة (تكنة) من (احمداد) ولا يزال رسم جهاز الزهراء موجودا الى الآن . ويذكر الشيخ محمد بن ابراهيم باخلاق والده من الشجاعة والاقدام ، وقد جرت بينه وبين قبيلته آل (أكرض) حرب شعواء امتدت ما شاء الله . حتى تكافأت الكفتان ، فوقع الصلح بين الفريقين ، ثم

وقعت حرب أخرى بين الشيخ محمد بن ابراهيم ، وبين الحربيليين . وكانت شيعته التي يعتمد عليها دون آل (أكرض) آل (أمانوز) وآله الذين سكنوا معه في (أكادير) وعبيده ، وكانوا كثيرين ، فبينما هو يوما في حرب مع الحربيليين والوغي قائمة ، وقد حمى وطيسها ، اذا يقال (أكرض) خرجوا الى ملعبهم يلعبون ويرقصون رقصهم المعتاد . لعدم ميلاتهم بما وقع . وكانت لهم قوة وعدة وكثرة . فوجت امرأة وسط الملعب ، فتناولت حجرا فرمت به الى فوق ، ثم رجعت فسقط وسط الملعب ، فقالت لهم تبا لكم . اي موت اخوانكم في مدافعة اعدائهم ، وانتم هنا سادرون ، فلا مناص لكم من الرجوع الى اخوانكم ، كما رجعت هذا الحجر الى مكانه وان بعد ما بعد في السماء . فاحفتمهم عتابا اثارهم فيه فخرجوا الى سلاحهم . فلحقوا بصوف الشيخ محمد بن ابراهيم ، فدحروا الحربيليين وهزموهم . فبذلك انام الصمدع ثانيا بين الفريقين . وقد كان الشيخ الحضيكي زار (تامانارت) فراود آل (أكرض) ان يشتروا فرسا للرئيس منهم . فاشتروها فامر الشيخ الحضيكي محمدا هذا فركبها ، فثار آل (أكرض) فقال لهم الحضيكي هي له بلا ريب ، فصحح الله كلامه ، وهذه الحكاية يشك الحاكمي من وقعت معه ، امحمد بن ابراهيم ام اخوه ، والله اعلم .

وقد تزوج محمد من اسرة (اذ بلات) من (ايمي انوكادير) ويكثرفيهم العلم . وكانوا اذ ذاك ارباب ثروة كثيرة .

أحمد بن ابراهيم

اخو المتقدم ، وولي في الرياسة حين توفي عن عهد قليل قصير في الرياسة . كما وقع لهذا ايضا . فانه لم ينشب بعد فترة من عهده في الرياسة ان سلوا خافرا مع 100 من جيمال المرابطين ، ذهبت بالملح الى جهة الجبال . فتعرض للجبال المجاطيون في بطحاء (تافلتتاست) فقتلوه ، ولم يعرفوه ، ولا ادركوا انه يخفر القافلة ، وسرعان ما ردوا كل ما نهبوه حين عرفوا ما صنعوا ، فحمل الشيخ أحمد الى مشهاسيدي عيسى بن صالح الايزنزيبي فدفن هناك .

وقد اعقب عبد الله وعبد الرحمن ، لا غير .

عبد الرحمن بن أحمد

ولي بعد والده ، وان كان اصغر من اخيه عبد الله . الا ان اخاه قدمه وظهره . ويذكر بمال كثير . وقد ثارت حرب بينه وبين الحربيليين فاستجاش المجاطيين ، فحاربوا يوما ، فمات منهم تسعة ، ثم داخلهم الحربيليون بمال كثير . فانفضوا عن الشيخ عبد الرحمن بغير توديعه ، اثر اكلة قدمت لهم في

فصاع كثيرة فى جبل (ايزرينكى) فاعتاظ عبد الله من فعلة المجاطين . فقال له اخوه الشيخ عبد الرحمن لا ردهم الله . فانما اثنى الله بهم حتى اخذنا منهم نار ابينا ، فهو واحد ، وهم تسعة . ثم ان ذلك لم يفت فى عضد عبد الرحمن ، بل تابى مع اخوته على حرب الحربيليين ، حتى دخلوا فى الهرة .

توفى الشيخ عبد الرحمن فى وباد 1214 هـ .

عبد الله بن أحمد

ثم برز عبد الله الى الميدان ، حين لم يجد ازاؤه مثل ذلك الاخ الجسور الذى كان يكفيه المهمات ، ويدرا عنه الملمات . وكان مشهورا بالجرأة وخوض الحروب بنفسه . لا ينكص اذا قامت قائمة الوغى ، ولا يقدر ان يملك نفسه . وبذلك كان شواظا منلظيا على الحربيليين . حتى اُجلى غالب المرابطين من قرى ما فوق وادى (تامانارت) وكان ينكى على حزب (تاكوزولت) وهؤلاء المرابطون على حزب (تاحتكات) ، وسبب اجلائهم عن تلك القرى أنهم يتعدون على عين (تيمنت) ، ويفسدونها ، وقد عمدوا مرة الى ثياب الشعر فملئوها بالنوى ، بعد ما يخطوها . فيلقونها فى مجرى العين ، ثم اذا انتفخ النوى يسد مجرى الماء . فادى ذلك الى الاضرار العظيم بـ (تامانارت) فشمى الشيخ عبد الله عن ساعده حتى لم يدع هناك مرابطيا ، ولم يقطنها الا غيرهم من الخراطين ، وضعفة اناس آخرين . حتى هذا الحصن المنسوب الى (ايت) على المرابطين ، يتقوا الا بعد . وهو الذى خرب كثيرا من حصون تلك الجهة المنسوبة للمرابطين ، كـ (تاكاديرت) ومقل (اموش) كما خرب (امزوروا) أسفل (تامانارت) .

وكانت يده متصلة بيد رئيس (ايلخ) الهاشم بن على ، الذى كان اذ ذاك يعسوب جبال (جزولة) كلها . وهذا هو السبب حتى لا نرى عنده اى اثر رسمى للهوى سليمان الذى كان سلطانا اذ ذاك - كما لم نر عند ابيه اثرا لسلطان سيدى محمد بن عبد الله . كان رجال هذه الاسرة اذ ذاك يفهمون أنهم لا ينتفعون الا بقوة جيرانهم هؤلاء ، فزهدوا فيما فى يد الحكومة . وان كان ذلك لا يليق بأهالهم . وقد كان الجيش السلجقانى الذى يفوده محمد بن يحيى اتعتاج الحاحى خاض الجبال هذه من سنة 1224 هـ . فأجفل من أمامه الرئيس سيدى الهاشم الايلغى . وباتصاله بنال (تامانارت) نكسوا أيضا عن ملاقاته اتعتاج . بعد ما أرسل الى الشيخ عبد الله هذا فلم يصله ، وقد اجابه بان قبيلة (تكنة) يحسب منهم ، فما يريد من فليذكره لهم ، وقد اعتذر اليه بالخوف . وبعدم مفارقة داره ، لئلا ينقض على داره اعداؤه الكثيرون . توفى الشيخ عبد الله 1242 هـ .

الشيخ حمو بن عبد الرحمن

خلف أهله في مركزهم وفي غناهم وفي بسالتهم ، وقد نالت دارهم في عهده ثروة لا تكيف فيما يقولون - وكان يقايض في تجارة السودان . فبذلك بجزت حقايبه ، ويذكر القائد أحمد ولده أنه يعرف وهو صغير جلودا كثيرة وضع بعضها على بعض ، في نواحي دار من ديارهم . قال وكانى بها ونحن صغار غلف نضع أيدينا على الجلود ، فتنثر الدرهم في أيدينا . فتعمد أمهاتنا الى الدرهم التي تفيض مما يتمزق من الجلود . فيرددنها الى محلها . ثم يخطن الجلود ، قالوا : وكان له تيسر كثير في اكياس تكال بالموازينه واشتهر بمحبة أبناء الشيخ ابن ابراهيم ، وكان كريمًا فكلما هم احدهم بالزواج اعطاه مائة مثقال ، كما يعطى مما يتزوج من آل (أكرض) خمسين ، وكان عمه عبد الله ينهاه حين رآه يصنع ذلك يقول له : فارق آل الشيخ ، فانك سترى منهم ولا بد وترى، فان الاحسان الى الاعداء يعده الاعداء ضعفا ، وفي الحديث : اتق شر من أحسنت اليه .

وقد ذاع عن الشيخ حمو محارباته مع الحريبيين . فقد نارت حروب شديدة بين الفريقين . والحزبية اذ ذاك بين آل (تاكوزولت) وآل (تاحكات) باللغة اشدها . ينصر كل فريق صاحبه ظالما أو مظلوما ، وبتصال الشيخ حمو بمركز (تاكوزولت) (ايليغ) كان جانبه دائما قويا ، ولم يزل على الشان ، مبسوط اليد في ايبالته، حتى قتله المرابطون أبناء الشيخ غدرا في سنة 1236 هـ . في وسط غوشت والفواكه موجودة ، والناس في ظلالهم يقيلون .

ومحصل الخبر ، أن فقيها من أبناء الشيخ يسمى سيدى محمد بن عبد الله كان يحمل معه مصحف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم تحت ابظه . فكان كلما لاقى من أنس منه انصاتا ورجولية ، من آل (أكرض) يميل به الى ناحية . فيستخلفه فى المصحف ، على أنه اما أن يتبع ما يقترحه ، والا فانه يكتم عن كل الناس أيا كانوا ما سيسمعه . ثم يسر اليه بأنه يهيب حملة يفتك بها بنال حمو . ثم ان استخلفه فاما أن يسلس له القياد فى الدخول فى حربه . والا فانه كاتم لما سمعه ، وحين أبرم ما أبرم ، والناس كلهم فى امان . والقرية تجمع كلا أبناء الشيخ والرؤساء وغيرهم . اجتمع أناس من أبناء الشيخ فى مسجد الشيخ على اضياف نزلوا عليهم . وهم اناس من (ادبوفولون) من آل القائد المدنى الاخصاصى ، وقد اتى بهم أبناء الشيخ ليتقوا بهم فيما يهتمون به . فأرسلوا الى عبد الرحمن ولد الشيخ حمو . وكان رجلا باسلا كبير القدر بين أهله . له أولاد قبل . يقترحون عليه أن يوافيهم فى الليل الى المسجد فجلس الاضياف فسهروا هناك يتصاحكون . ويتراون فيما بينهم خناجرهم . أيها أجود ، فأراهم عبد الرحمن خنجره أيضا . بطلبهم بعد ما

مده اليهم بحمائله . لسلامة طويته ، ولم يخطر بباله ما يقصدونه به . فحين
توصلوا بالخنجر اعتقلوه . فاخرجوه من المسجد الى المتوضا فذبجوه ذبح الغنم .
ثم لزموا محلهم من غير أن يشعر احد بما كان . وحين أصبح الصباح هياؤا
ما يريدون . فانتظروا حتى جلس الشيخ حمو امام درب (ايت بوونورتغ)
في الهاجرة ، فرهوه برصاصة . فاشتعلت فيه النار . ثم قتلوا الشيخ
مبارك بن عبد الله امام المسجد ، وامغار باها اخاه عند الدرجة السفلى من
دوج (اكادير) ثم ولجوا باب (اكادير) فقتلوا امغار على ابن الشيخ حمو امام
دويرة بنى يعيا ، داخل (اكادير) كما مات عبدان آخرا ، وكانت زوجة الشيخ
حمو جريجة في الدار ، ثم ماتت بعد ذلك ، لانها تدافع عن الدار مع ابنها
محمد . وقد كان امغار حمو بن عبد الرحمن الحربيل في بستان له جالسا مع
محمد ابن الشيخ حمو في ذلك الوقت ، ومحمد يقول له : احب منك أن تتوسط
بينى وبين أبى أن يسرحنى الى الحج ، فاذا بطلقات البارود ، فقال له حمو
الحربيل ان أباك مقتول ، فخذ سلاحى كله ، وتسليح به ، وادخل الى الدار
فاصنع ما امكن لك . وارسل معه عبده . ثم ان العبد مات دون الدار ،
واما محمد فانه تجلد حتى دخل الدار . فصار يدافع مع أمه المذكورة بالرصاص
عن الدار . ومعهما رجل آخر ، وهذه الدار وسط (اكادير) وتسمى :
(تكمى اوفلا) - الدار العليا - فصبروا ذلك النهار والنهار بعده . وفى
النهار الثالث عند العصر ، جاء الايشتيون ، فوقفوا لهم حتى أخرجوهم
بالحفارة بين سماطين من آل (اكرض) وخصومهم أبناء الشيخ ، والحربيلين
وشيعتهم ، فجلوا على أرجلهم رجالا ونساء وصبيانا . ثم توجهوا مع آل
(آتامر) الساموكنين وآل (ايشت) وقد عزموا على الذهاب الى (ايشت)
خوفا من ان يغلبوهم الساموكنيون ، وحين وصلوا قرية (ايفير ويكولن)
راوا خيل المجاطين تغلبه نحوهم لاغاثتهم . وقد وصلتهم الاخبار على يد
بعض آل (ايفير ويكولن) فجاء كل فرسان مجاط ، فحين لقوهم رجعوا
بهم ، فنزلوا عند مشهد الشيخ ابن ابراهيم اسبوعا تاما . ريثما هينى لهم
الدخول الى دارهم بحيلة ، وذلك أن المجاطين حين نزلوا بغيل كثيرة داخلوا
اهل (اكرض) ومن اليهم بلطف ، فقالوا لهم ان مقصودنا الوحيد ان يرجع
هؤلاء الاولاد والنساء الى الدار ، واما الرياسة فاختاروا انتم من يصلح لها .
فاذن هؤلاء لذلك . فاسلسوا لهم القيادة فى انجاز ذلك ، فنادى اهل (اكرض)
بان يكون الرئيس سيدى ابراهيم بن محمد من آل الشيخ ، نادوا بذلك على
المسجد ، فتناجز الناس وتصالحو ، وتم الامر . وكانت دور الراحلين قد
انتهب المحتلون متاعها كله ، الا ما كان من الحبوب والتمر ، فانهم قالوا بقى
لنا متكتنا فى الملمات . ثم انهم يضعون على باب (اكادير) حارسا وفى ليلة خلا
فيها (اكادير) وليس فيه احد . ذهب الحارس مستخفيا الى مشهد الشيخ ،

فوجد القائد محمدا جالسا . فاعطاه مفتاح (أكادير) وذكر له انه لا احد هناك فارسل مائة من رماة (مجاط) الى جوار (أكادير) عند مصلى العيد . استداروا اليه من بعيد . وامرهم ان يبقوا هناك . وانه سيدخل في الباب ، فان وصل الدار فذاك، والا فانه سيناوش الحرب عند باب (أسكا) واذ ذلك يتسلقون الى الدار . فجاء القائد ومن معه . فلم يجدوا عند باب (أسكا) أحدا ، فدخل مع أربعين من الرجالة معه . فطلعوا الى (أكادير) فنادى فيه بالسرع . ثم أخرج من معه بارودا كثيرا ، فاندفع من كانوا بالخارج من بقية (مجاط) فاحتلوا البلد ، فاجلوا آل الشيخ كلهم بنسائهم وصبيانهم ، ولم يأخذوا معهم قلامة ظفر . لكونهم لا يظنون مثل هذه الفعلة . فدخل اولاد الشيخ حمو دارهم . وأكبرهم القائد محمد وهو اذ ذاك شبه ابله . لا يرتجى منه ان يكون ربان السفينة ، الا أنه ظهر منه خلاف ما يحسب ، فحين تمكن في داره التي لم يبق فيها الا الخبواب وحدها ، وصلتته رسالة من أهفار حمو بن عبد الرحمن الخربيل الذي كان مكنه من سلاحه من بنسائه أنفا ، يقول له : ان آل الشيخ نزلوا أمام داري بعالهم . هل اقبلهم أو لا . فاجابه بان الاولى ان يقبلهم هو ، لا أن يذهبوا الى أحد الجزوليين . فتختلف كلمة (ناكوزولت) لذلك هو السبب حتى نزل آل الشيخ الى الآن في (القصبه) . وقد تركوا ديارهم ، فاحتلها آل (أكرض) الى اليوم . وهي كلها معلومة . هكذا خبر هذه الواقعة التي لم ينسها الفريقان الى الآن ، وهذه رواية أهل هذه الاسرة . وقد بقى الشيخ حمو مع المقتولين خمسة أيام في حفرة . وقد هم بعض السفلة بحرقهم . فمنعه العقلاء ، الى ان جاء السادات اولاد سيدي علي بن ياسين فدفنوه وسط المقبرة الجديدة ، وقبورهم معروفة الى الآن . ولم يكن الشيخ حمو بمسن حين مات ، وان ترك ثمانية من الذكور . وانما تزوج مبكرا . وشغله الشاغل التجارة الواسعة مع تجار السودان ، وقد بنى لذلك دارا خاصة وتسمى (دار اكثيد) لانها مبنية في محل منسوب لسطان من السلاطين كما تقدم .

ومن اخباره أنه كان مرة حاضرا في حرب بين (مجاط) و (بعقيلة) فانهزم البعقيليون حتى وصل المجاطيون (دار آل عدى بن أحمد) الكردوسيين فعال دونهم ودون نهبها . وكان بهمة من البهم . وفارسا كرارا في كل مجاله . وهو مع المجاطيين لانه من (ناكوزولت) .

القائد محمد بن حمو

أمه فاطمة بنت أحمد بن محمد بن ابراهيم . بنت عمه . وهي التي تقدم انها دافعت في سطح الدار يوم الفتنة بزوجها ، حتى جاءتها رصاصة من ثقبه فجرحت . ثم لم تشب اثر الرحيل أن ماتت في الطريق . قبل ان تقر

عينها برجعها الى دارها .

وأول ما فعله القائد محمد ان خرب بعض ديار خصومه آل الشيخ . ثم صار يتتبع قتل رؤساء الراحلين ، دسا لرجال يثق بهم ، لان كثيرا من حراطين (أكرض) كئال (اصفارانن) تماثلوا مع آل الشيخ . فرحلوا برحيلهم . ثم دامت حرب بين الحربيليين الذين شايعوا آل الشيخ المغلوبين ومن معهم ، وبين آل (أكرض) سبع سنوات . حتى استجار بعد حروب عنيفة أبناء الشيخ بالرئيس الحسين بن هاشم . فأرسل الى أهل (أكرض) فلم يزل بينهم حتى تصالحوا ، فدفع آل الشيخ اثني عشر قنطارا من الفضة ، أو اثني عشر ألف ريال . ومصطلحهم أن يطلقوا القنطار على الف ريال ، واذ ذاك فقط توصل آل الشيخ بأملاكهم من (تملت) فصاروا يستغلونها بعد ما كان القائد محمد هو الذي كان يستغلها . ثم ارتفعت عنها يده ثم يد من بعده من اهله الى الآن . ومن حروبه أيضا حرب كبيرة بينه وبين (آل مريض) على قضية (ايشت) وكانت من الحروب التي تناطح فيها حزبا (ناكوزلت) و (ناحكات) جاء اليها رئيس (ناكوزلت) الحسين بن هاشم يجر اليها جيشا لتجيبا . فيه من الولتيتيين والبعمرانيين رجلا وخيلا ، حتى انهم ليعبرون عن كثرة الخيل بأنه ولدت اذ ذاك مائة رمكة ، قبل أن يتفرق الناس (ولا يفين عن القاريء أن أهل هذه الجهات انما يستخدمون الرمكات كثيرا في ركوبهم وفي حروبهم ، وقليل جدا من يملك الفرس الذكر ، لأنهم يريدونها للولادة وللحرت) وذلك أن (ايشت) احتلها حزب (ناحكات) جاءوا من (طاطة) ومن (أقا) ومن كل من في تلك الجهة ، فهاجم الجزوليون (ايشت) الى أن تبجحوها ، الا أنهم غلبوا وهزموا من وسط القرية . وقد نزل هذا الجيش كله في المرود في (تامانارت) فقام القائد محمد بضيافتهم كلهم . فتعجب سيدي الحسين بن هاشم مما رآه ، فقال اننا لانعجب للحبوب فانها تشتري من الاسواق ، ولكني اتعجب من التبن الذي يكفى لهذا القدر الكثير من الخيل .

ويؤثر أن القائد محمدا كان مشهورا بطول الاناة في المحاربة . وبذلك أمضى كل عمره . ومما جرى اذ ذاك أن الحربيليين والمرابطين اعنى (آل مريض) كما اشتهروا به - زحفوا مرة الى (تملت) سنة 1286 هـ . فحاصروا القائد وحرقوا كل نخيل (تملت) وقد وصلت خيولهم هذا المكان الذي بنيت فيه السوق الجديدة اليوم . وحتى وردت عين (امانيو) التي في مقابلة قرية (أكرض) وفي سنة 1290 جزاهم بالجزء الاوفا . فحاصر قرية (القصبه) التي منها جرتوة (ناحكات) وهي قرية بينها وبين (أكرض) نحو ثلاث كيلومترات فقط ، الا أن بينها الاشجار . يحجب بعضها عن بعض ، والا جبيلا صغيرا ناتنا ، وكل ضروريات الفريتين متشاركة دائما - فلم ينكشف عنها حتى القى أهلها يد الاستسلام . وخضعوا وذبحوا الذبائح أمامه - وهي علامة الاستسلام

عند كل الشلوح - ثم استنقذ من تحت أيديهم قرية (ايغير ويلتونن) وقد كان ذلك الحزب انتزعها من حزب (تاكوزولت) فكان ذلك اعظم نصر ناله ، لتكون قرية القصبه بين (أكرض) و (ايغير ويلتونن) (1) .

أما ما يتعلق بالقائد محمد من اتصاله بالحكومة على ضعفها في ذلك الحين، فإنه تتجلى في هذه الظواهر التي نسوقها، وهي كلها في عهد المولى عبد الرحمن. 1 (خديمة الارضى الشيخ محمد بن حمو ابن القائد التامانارتى ، وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد اخبر محبنا الفقيه البرتبة الارضى سيدي أحمد بن محمد التيمكيدشتى بما وفقك الله له من الخدمة ، وما هذاك اليه من كمال دينك ، والسعى لآخرتك . من الدخول فى الطاعة ، والانخراط فى سلك الجماعة ، واحياء خدمة داركم . وتجديد حرمتها كما كان سلفكم الصالح مع سلفنا . قدسهم الله . وحقق لنا ذلك خديمتنا الارضى حماد ابن بومهدى الهوارى. فقد أوتيت بذلك رشدا . ولقيت سدايا وهدى . واستبرأت لعرضك ودينك واحتطت لديناك وأخرتك ، وقد ورد على حضرتنا الشريفة أخوك أحمد . وقام بواجب السمع والطاعة ، وناب عنك فى المثول بين أيدينا ، ومعاودة حضرتنا . وها نحن وجهناه صحبة ولد الفقيه . وقد وليناك أمر قبائل جبل سوس الاقصى (زُدوتة) الى (ايشت) ومن (وادى الغاس) الى (وادى نول) وجعلناك واسطة بينهم وبين خديمتنا القائد حماد المذكور ، وخليفة عنه عليهم ، لتتولى قبض جبايتهم ، وتدفعها له ؛ ليوصلها الينا . وأمرناه أن يكون معك على رأى واحد . ونظر متحد ، وأن يشد عضدك ويعينك فيما تحتاج اليه من أمور خدمتنا الشريفة . فكن معه ذاتا واحدة ونفسا متحدة فإنك تجد منه خير معين ، وأفضل ناصح ان شاء الله . وقد كتبنا له فى ذلك ، وعليك بتقوى الله وطاعته ، والقيام بما كلفته جهد الاستطاعة ، والله يتولى هداك ، ويعينك على ما أراك . وقد اطلعنا على ظواهر اسلافنا الكرام قدسهم الله ، التى بيد أخيك . ونحن على أثرهم والسلام ، فى 16 شعبان عام 1262 هـ) . وفوقه طابع وسط فى أثنائه عبد الرحمن ابن هيشام ، الله وليه ، وفى دائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد فى آجامها تجسم
2 (خديمتنا الارضى الشيخ محمد بن حمو ابن القائد التامانارتى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وليناك على جبل سوس الاقصى من (زدوتة) الى (ايشت) ومن (وادى الغاس) الى (وادى نول) وما بين ذلك من القبائل الجبلية ، وأسندنا اليك أمورهم الخاصة والعامة . وبسطنا لك يد التصرف عليهم ، وجعلناك واسطة بينهم وبين خديمتنا القائد

(1) فى تراجم آل الشيخ تفاصيل أخرى عن هذه الحروب وقد تقدمت

فى (الجزء السابع) .

حماد بن بومهدى الهوارى . لتولى قبض جبايتهم ، وفصل دعاويهم . واخذ الخوق منهم ولهم . اسعدك الله بهم واسعدهم بك أمين . ونعهد اليهم بالسمع والطاعة ، وحسن الخدمة معك ، بذل النصيحة . ومن حاد عن السبيل الاقوم فليرتقب سطوة الله وانتقامه ، ولا يلوم الا نفسه (وائله عزيز ذو انتقام) وعليك بنقوى الله تعالى وطاعته ، والقيام بخدمةنا الشريفة جهد الاستطاعة ، والاعتناء بأمور الدين ، والهداية الى سبيل رب العالمين ، والرفق بالضعيف والمسكين ، والتشديد على أهل الفساد والمنهردين . والاهتداء بهدى العلماء العاملين ، والافتناء للخدام الصالحين ، والسلام فى 16 شعبان عام 1262 هـ) .
وفوقه ذلك الطابع نفسه .

(وهو وما قبله شىء واحد ، مدلولاً وتاريخاً ، الا فى بعض العبارات .

كما يراه القارىء)

3 (خديمنا الارضى الطالب محمد بن حمو التامانارتى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك ، وعرفنا مضمته ووصل عيادة قبائل ايلتك صحبة أخيك أصلحه الله ، وشهدوا العيد ، ودعوة المسلمين ، وقاموا بواجب السمع والطاعة . وادوا الهدية كثر الله خيرهم ، وشكر برهم ، وعوضهم خلفا أمين ، وما طلبت من الخدمة مع خديمنا الهوارى ، وجعله واسطة بيننا وبينكم . فقد وفقنا وارشدت ، فانا امرناه بذلك ، وأوصيناه عليك غاية ، والسلام ، فى فاتح المحرم الحرام فاتح عام 1263 هـ .
وفوقه طابع صغير فيه : عبد الرحمن بن هشام الله وليه .

4 (خديمنا الارضى القائد محمد بن حمو التامانارتى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك . وعرفنا مضمته . ووصل احمد بن على الهشتوكى الذى وجهنا اليك مع الخيل للخدمة معك . حسبما طلبت ، فاخبرت أنه لم يقف عند حده . واشتغل بالخوض والوسوسة والافساد عليك ، وحذرته وانذرته . وحين لم ينته من فعله قبضت عليه ، ووجهته لخضرتنا العلية . فذلك جزء من تعدى طوره ، فانا انما وجهناه لقصد الاصلاح والمعونة ، والكون عند اشارتك وامرك . وقد ذكر أن خيله وحوادثه بقيت هناك ، وها زمامها يصلك ، وجه له ما خلفه . وما طلبت من اعانتك ، وشد عضدك . وانك لا تقصر فى الخدمة . فما قمناك الا لذلك ، لانك من دار خدمة وصلاح . وعلى بالنما ما كان عليه سلفك الصالح من النصيحة والارشاد ، وحسن الخدمة ، مع اسلافنا رضوان الله عليهم ، والفرع تابع لاصله . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم . ولتكون ولايتك ارشادا للضالين ، ونصح المسترشدين . وجميع كلمة المسلمين . فان الله تعالى ييسر أمرك ويشرح للخيرات صدرك ، قال الله سبحانه « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » والسلام فى 29 فلحرم

الحرام فاتح عام 1263 ؟) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير المذكور آنفا .

سالت عن الهستوكى هذا فقيل لى انه كان لا يبالي بالقائد محمد . ويختلف

الى (آل مريضة) والى الحرييلين ، وينصت اليهم . وكاد يشير ما يشير

ولذلك بادر القائد محمد ففعل به ذلك .

5 (خديما الارضى القائد محمد بن الشيخ حمو التامانارتى ، وفقك الله واعانك ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بزمك على القنوم على حضرتنا العلية بالله . وانك خرجت من دارك على نية ذلك . ووجهت على اعيان قبائل تلك النواحي لتصحجهم معك ، استيناسا لهم ، وتديبا لما شرح الله له صدرك من امور خدمتنا الشريفة ، والدخول فى سلك اهل لا اله الا الله ، والسعى فى هداية تلك القبائل وارشادها . والوقوف فى استقامتها ، فاقدم على بركة الله . فمرحبا بكم واهلا . فلکم لدينا من الاثرة والعناية ما تطيب به نفوسكم ، وتقر به اعينكم ، ولا تروا بحول الله الا ما يسركم . اصلحك الله ورضى عنك ، والسلام ، فى 28 من ربيع الاول عام 1263 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الصغير الموصوف قبل الظهير المتقدم

6 (خديما الارضى القائد محمد بن حمو التامانارتى ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد فقد وصلنا كتابك صحبة اخيك ومن معه وعرفنا مضمونه . وقد قاموا بواجب السمع والطاعة ، وادوا الهدية التى وجهت صحبتهم كثر الله خيركم وعوضكم خلفا ، آمين . وعلمنا العذر فى تاخر ورودكم على حضرتنا الشريفة ، لما رأيت من دخول الناس فى الطاعة ، واعطائهم البيعة على الخدمة والنصيحة ، وتجديد النظر فى امر القبائل . فهذا من أكد الامور وأولاهها بالتقديم . واحقها بالسبقية والاهتمام ، فقد احسنت فى ذلك ، وقد قام اخوك مقامك ، وادى عنك . ولك لدينا المكانة والعناية ، سواء أتيت او أقمت . اصلحك الله . وما ذكرت على شأن المرابط سيدي الحسين بن هاشم والحديم الشيخ مبارك بن عبد الله بن سالم ، فها نحن كتبنا لهما . وامرناهما أن يعيناك على قبائل ايبالك . ويكونا معك دائما يدا واحدة ، ونفسا متحدة فى المعاونة على الصلاح ، وشد العضد ، فطب نفسا وقر عينا . وما ذكر على شأن توجيه المحلة . وانك انما تحتاجها بركة وهمة . والقتال يتولاه قومك ، واهل الخدمة معك ، فاعلم ان هذا وقت اشتداد الحرارة - والناس حديثو عهد بقاء الاقوات ، ولو طلبت منا هذا فى اول الربيع ليسرناه لك . فسدد وقارب ، واحمل الناس اليوم على الاستقامة والصلاح . وآف بين قلوبهم ، واجمع كلمتهم على الخدمة والمناصحة ، حتى يدخلوا فى الطاعة افواجا ؛ ويألفوا الخدمة والاستقامة . وفى العام القابل تنهيا لك المحلة على الوجه الذى

ينبغي في ابانها ، ويفضى الغرض ان شاء الله تعالى ، والسلام . في 2 رجب
الفرد الحرام عام 1263 هـ .)
وفوقه الطابع الكبير المتقدم .

والشيخ مبارك بن عبد الله بن سالم ، هو من قبيلة (اِزَافَاضَن) ، وهم
عرب رحالة ، وهم قبيلة من (تكنة) وقبائل تكنة : اد حماد - واد مسعود ،
وايت الحسن، وازافاضن، واينكوت؛ واد ياسين - واد زكري . واد بوهو . واد
بوعشرا ، واد موسى بن ناود ، واد ابراهيم، واد اداو-التكان . ويقال لهم أيضا
(ايت جمل) ولا تزال الرياسة في (آل مبارك) المتقدم . ومركزهم في المحل
المسمى (تيفمونت) بـ (وادي نول) ولزفصين رياسة أخرى كانت الآن
1363 هـ . في يد القائد محمد بن يحيى ولد الهيبة في (اسرير) .

7 - (خديمتنا الارضى الطالب محمد بن حمو التامانارتي ، اصلحك الله .
وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بجذك
واجتهادك في الخدمة الشريفة. وسعيك في امور الصلاح، وتاليف القلوب على الطاعة.
ذلك هو الظن بك . والمعهود من عمال الصلاح وولاة الجِد . وعلمنا ما عليه
قبائل اباتك من الوفاق والائتلاف، وانه لم يخرج عن نظرك غير قبيلة (حريل)
ومن انصاف اليهم من شلاذ القبائل . ولم يقصروا في الفساد حتى غرمت
على حربهم واخذهم ، فتوقفت على الاذن منا في ذلك . فبوصول كتابنا هذا
اليك تقدم لهم بالاعدار والانذار ، والوعظ والتذكار . فان رجعوا عن غيرهم ،
واقصروا من قبيح سعيهم ، فذاك وان اصروا على بغيتهم وعنادهم، فقد اذنا لك
في قتالهم وجلادهم حتى يفيئوا الى امر الله ، اعانك الله وارشدك . واخبرت
ان خديمتنا الارضى الشيخ مباركا ولد عبد الله بن سالم التيكني امثل امرنا
الشريف في شد عضدك ، والوقوف معك ، والغير لم يمثل . فان فائدة
العمال تبيحتهم هي شد العضد بعضهم بعضا . وامثال الامر والنهي ، ولا
يزالون كذا بخير ماداو شادين عضد بعضهم بعضا . متعاونين على الخدمة
والصلاح . وما ذكرت في شأن ما وقع في ايلة الطالب حماد بن بومهدى ،
وما شاع فيهم من الفساد ، وتكرر قتاله معهم ، حتى مات من الفريقين عدد
كثير . وان ذلك من قلة سياسته ، وعدم الرفق في سيرته . فقد صار ذلك
منا على بال . وقد اديت ما عليك اصلحك الله ، والسلام . في 3 ذى القعدة
الحرام عام 1263 هـ .)
وفوقه ذلك الطابع الكبير .

8 (ولدنا الابراىضى سيدى محمد اصلحك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته ، وبعد فيصلك كتاب وجهه لحضرتنا العلية بالله الخديم
القائد محمد بن حمو التامانارتي . في شأن فتنة واقعة بينهم وبين الحربيلين
حسبما تطالع فيه مع كتاب وجهه له البركة الفقيه السيد أحمد التيمكيدشتي
في شأن ذلك . فطالعهما . والله تعالى يقول « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فاصلحوا بينهما» وقال: «لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو صلاح بين الناس» وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا التقى المؤمنان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار. فيجب السعي في حقن دماء هؤلاء المسلمين. واطفاء نار الفتنة التي أضرم بينهم الشيطان اللعين. ونحن نحب الرفق بعباده. لأن الله سبحانه وتعالى أمر به. والنبي عليه السلام نذبه إليه «ان أريد الا الإصلاح ما استطعت» وعليه فبوصول كتابنا هذا اليك وجه لهم من هناك طائفة من المسلمين تصالحهم. وتذكرهم وتندبرهم، حتى تزول الضغائن من صدورهم، ويرجعوا لاجسأ أحوالهم، واكتب لهم كتابا من عندك بهذا، وعرفهم وخامة رأيهم، وحذرهم شؤم سعيهم، وان الالفة رحمة؛ والفرقة عذاب، والفتنة نائمة، من أيقظها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ووجه لهم أيضا كتابنا هذا ليقرأوه ويعلموا ما أمرناك به في شأنهم وانما يمثلون أمر الله. وهذه الطائفة التي تعين، وجهها لسيدى أحمد التيمكيدشمتى ليوجهها اليهم على يده، مع أناس من عنده. والله تعالى يوفق للخير ويهدى إليه، والسلام. في 12 المحرم الحرام فاتح عام 1268 هـ.) .
وفوقه الطابع الكبير المذكور .

هذه هي الظواهر التي أخرجها لنا القائد محمد بن البشير . وقد انقطعت هنا ، وعمر القائد محمد مدتد الى 1293 هـ . فما الذي وقع حتى انقطعت المراسلات، ان انقطعت حقا . ولم تضع بين الاوراق الكثيرة المكذبة في دأروهم؟ فهل غلبت الحزبية التي يرأسها سيدى الحسين بن هاشم يعسوب هذه الجهة اد ذاك . فادى ذلك حتى انكمش القائد محمد عن التعلق بالسلطين ، وخصوصا ان رأينا أنه يتطلب الجيوش التي يتقوى بها فتعوزه ، ولا يفوز الا بالمواعظ ان تلق لمن يحسن دينه ، وتنتفج عقليته . وتلطف شمائله . فانها لا تصلح لامثال هؤلاء الهمج الرعاع ، الذين يقول فيهم الشيخ الحضيكي ان أموالهم يجعل للنهاب منها أن يشتري بها أضحيتها ، لانهم مبتدعون. ويؤثر مثل ذلك عن الشيخ أبى العباس التيمكيدشمتى . وقد سمعنا حكاية ربما تلقى ضوءا ما على هذا ، فقد كان مرة القائد محمد عند سيدى الحسين بن هاشم . فقال له هذا : بالله ماذا نفتش عنه بعد. وهل يسرك ان نلت القيادة— وكانه يرمى الى ما يتطلبه من السلطين . - فاجابه القائد محمد بأنه انما يتطلب القيادة التي تنثر هنا في (ايلينغ) على كل عبد ، فلا نسمع الا القائد قترجى ، القائد صتبا ، القائد معظلا . حتى كان كل العبيد بـ(ايلينغ) قوادا. ولكنك انت يا سيدى الحسين ما تطلبه بعد ؟ . يومى الى ما يتهم به الناس سيدى الحسين من تطلب السلطنة . وكذلك ان عرفنا ان القائد محمدا احد أركان حزب (ناكوزولت) كان مكرها على ان لا يفارق شيعة ، لانه لا يجد ازاءه سواها في محارباته مع أعدائه . وربما نجد هذا السبب

قويا في تعليل انقطاع الاتصالات بالسلطين.. ان كانت انقطعت حقا - فهذا الحسين هيا جيشا من اهل نحلته كلهم ليقاوم المولى الحسن ، حين ارسلهوالده السلطان سيدي محمد الى سوس . حوالى 1282 هـ . ولا ريب ان امثال هذا القائد لا يجد مناصا من موالاته حزبه . ومن مماشاة جيرانه ، لئلا يتعرض لهدم داره ، ثم لا تنفعه الحكومة بذرة ، لان اهل تلك الجهة لا يخضعون لها الا ما دام جيشها عليهم . والا فانهم يقلبون لها ظهر المجن وان كانوا دائما يعترفون بالجالسين على العرش تدينا ، وقد بينا هذا في محلات من هذا الكتاب وغيره . وقد كان الواجب ان يلتفتوا دائما حول العرش . ولا يخرجون عن دائرته .

توفى القائد محمد 1293 هـ . عن خمسة ذكور وبنتين . ودفن في المقبرة الحديثة التي كان هو بنفسه ادار عليها السور .

وهما يتعلق بالقائد محمد أنه كادت تقع عليه حادثة كبرى بيد (ايت عبال ابن حمو والمسمين الآن) ايت على بن حمو) اولاد عمه ، فقد ادخلوا الحربيلين وآل مريض وخصصين ، فتمكنوا في كل القرية الا (اكادير) الا ان القائد ادبل له عليهم . فاخرجهم بعد ما هلك القادرون . وكان ذلك ليلا . ووقعت له اخرى مثلها من ايدي (آل الاشكر) ، لكنها ايضا خرجت بسلامة .

القائد أحمد

هذا هو الذى اعلنا به اول هذه التراجم ، لانه هو الذى ادركنا له اتصالا باهاليينا ، وان كان هؤلاء كلهم يعتنون بهم كل الاعتناء . افلا يشكر له ولهم قلم الالغيين هذه اليد . فيخلدهم في الخالدين . في كتاب الالغيين . كان له المام بالقراءة والكتابة ، وكان من رجال الدين والسياسة ، مشهورا في عصره بعمال الامور ، وبالكرم وبمحنة اهل الحبر دائما، فكان له مقناطيس يحذب به كل عالم سوسى . او مرشد له سمعة . فلا يهدا حتى يحل بداره . تقدم ان ولادته كانت 1244 هـ . ثم لما وقعت الواقعة بوالدهم الشيخ حمو برز الى الميدان في اعانة اخيه ، وقد رايت أنه في سنة 1262 هـ . زار حضرة الملوك . وهو اذ ذاك دون العشرين . ثم أنه يشارك اخاه القائد في كل ما تقدم انه يجول فيه . وقد حج الحجة الاولى 1279 هـ . والثانية 1307 هـ . وقد كان صاحب معه العلماء . وقد رايت رسالة فيها ان العلامة الشيخ سيدي الحاج الحسين الاقراني لباه فيما اقترحه عليه من المصاحبة في حجة 1307 هـ . وقد كان هذا الشيخ لا يغيب داره ، ولنسق اولانا يتعلق به من الظواهر ، ثم نعود الى ما يمكن ذكره عنه .

1 (يعلم من كتابنا هذا اسمى الله قدره ، واغز امره ، وجعل فيما يرصيه لفه ونشره ، أننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته . جددنا لماسكه

خديمتنا الارضى الحاج احمد ابن الشيخ محمد التامانارتى حكم ما تضمنته
 ظهائر اسلافه . قدس الله ارواحهم . ونعم في الفردوس اشباحهم . من
 التوقير والاحترام . والمراعاة والاكرام ، وتحرير بلادهم واملاكهم وجناتهم ،
 وسواقيهم التى بايدهم بوادى (تامانارت) تجديدا تام الرسم ، نافذ الحكم ،
 حسب الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا أن يعمل بمقتضاه ، ويقف عند
 حده ومنتهاه . صدر به امرنا المعزز به فى 21 ربيع الاول النبوى
 عام 1295 هـ) .

وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن محمد الله وليه ومولاه .

2 (خدامنا الارضين اهل (تامانارت) وقبيلة (اد ابراهيم) وقبيلة (اد حمد)
 وقبيلة (مجاط) وقبيلة (ايت واقفا) وقبيلة آل(امانوز) وقبيلة (تاستريرنت)
 وقبيلة (اداويزيد) وقبيلة (تحت ادرار) واهل (امينيسى) و(عناق ارمال) وآل
 (سموكن) وآل (ايشمت) وقبيلة (اكنان) وفقمكم الله واعانكم وسلام عليكم
 ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فاننا وينا عليكم خديمتنا الارضى
 الحاج احمد ابن الشيخ التامانارتى ، مكان اخيه الشيخ محمد المتوفى .
 وبسطنا له يد التصرف عليكم . نيابه عن خديمتنا الارضى الحاج عمير
 ابن سعيد المنوتى . فاسمعوا له واطيعوا فيما يامركم به من خدمتنا الشريفة ،
 اسعدتم الله به ، واسعدنا بكم ، وعليكم بمراقبة الله تعالى ، والتقوى والطاعة
 جهد الاستطاعة وبالمحافظة على صلاتكم فانها عماد الدين ، قال تعالى :
 (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وفيهوا الصلاة لاتكونوا من المشركين
 وباداء زكاتكم نيبارك لكم فى اموالكم ، فان اداها سبب للنماء . ووفور
 النماء . قال تعالى : (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقال
 جل وعلا : (وافيةوا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال صلى الله عليه وسلم حصنوا
 اموالكم بانزاة . وورد فى صحيح البخارى أن ساقطها - كذا - فى النار ،
 وينقاتل عليها . قال سيدنا ابو بكر : والله لو منعونى عناق لفاتلتهم عليه .
 وكونوا فى ذات الله اخوانا ، وعلى الخير اعوانا . ولا تحاسدوا ولا تباغضوا
 (انما المومنون اخوة) وليكن لكم باهل الخير والدين اقتداء واسوة ، ونسال
 الله تعالى أن يوفقكم ويرشدكم ، ويسلك بكم سنن المهتدين ، ويعينكم على
 التقوى والدين ، آمين . والسلام فى 21 ربيع الارل عام 1295 هـ .) .

وفوقه طابع كبير حسنى فى وسطه الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله
 وليه ومولاه . وفى طرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان نلقه الاسد فى اجنابها تجم
 من يعتصم بك ياخير النبوى شرفا فانه حافظه من كل منتقم
 3 (خدامنا الامجاد (آل ابراهيم) كافة وفقمكم الله وسلام عليكم ورحمة الله
 وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد احمد التامانارتى ،

وأسندنا له النظر في أموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الكل لما فيه رضاه .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

4 (خدامنا الارضيين آل (امانوز) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الامجد القائد أحمد التامانارتي ، وأسندنا له النظر في أموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي من أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به ، وأسعده بكم ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام، في 14 جمادى الاولى عام 1300هـ.)

وفوقه ذلك الطابع الكبير

5 (خدمنا الانجاد آل (أقة) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

6 (خدامنا الانجاد آل (تامانارت) كافة وفقكم الله وأرشدكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

7 (خدامنا الانجاد آل (النص) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

8 (خدامنا الانجاد آل (النهوتات) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

9 (خدامنا الانجاد آل (ساموكن) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله

تعالى وبركاته، وبعد فقد ولينا عليكم خدينا الارشد القائد احمد التامانارتي واستدنا له النظر في اموركم فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اولينا من الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة . اسعدكم الله به واسعدكم بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

10 (خدامنا الانجاد قبيلة آل (طاطة) وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد ولينا عليكم خدينا الحاج احمد التامانارتي ، واستدنا اليه النظر في اموركم ، فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اولينا من الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة ، اسعدكم الله ، واسعدكم بكم ووفق الكل لرضاه والسلام ، في 7 جمادى الثانية عام 1300 هـ .)

وفوقه ذلك الطابع الكبير

11 (خدامنا الانجاد اهل (الويدان) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خدينا الارشد القائد احمد التامانارتي . واستدنا له النظر في اموركم فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اولينا من الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة ، اسعدكم الله به واسعدكم بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

12 (خدينا الارضى القائد الحاج احمد التامانارتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد وصل كتابك متضمنا فصولا خمسة : الاول الاعلام بسلافة اهل هانيك النواحي ، واحسانهم لملاقة الموجهين من قبلنا ، والمبالغة في البرور بهم ، والوقوف بهم ، حتى عاينوا جميع الثغور . الثاني الاعلام كذلك بتوجيه الخديم ابن الحاج العبوبي مع البعض لـ (اركسيس) لتوقوف على وضع التجوب من الياجور ، وابقاء الخديم ابن حمو مع العسكر في المحلة بـ (بيت بويكر) الثالث كون خدمة البناء بـ (مزنييت) في غاية الاجتهاد . الرابع الاعلام بكون ما وقع من الخلف بين القبائل هنالك كـ (رسموتة) و (المدر) و (بغيلة) و (ماسة) لا باس به . الخامس كون الناس عند السمع والطاعة ، وكونك تطلب صالح الادعية من قذرة الطاعة وصار بالبال . فاما احسانهم للملاقة مع الموجهين فذلك المعروف منهم اصلحهم الله . واما توجه العيوبي لما وجه له . وابقاء ابن حمو فقد علمناه . واما اجتهاد خدمة البناء بـ (مزنييت) فيه فبذلك ابروا تقبل الله . واما كون خلف اولئك القبائل لا باس به ، فقد صار بالبال . واما طلبك صالح الدعاء فقد اجبت لذلك ، واستوجبته بحسن اعلامك . اصلحك الله ورضى عنك والسلام ، في 3 ذى الحجة الحرام عام 1300 هـ .)

وفوقه ذلك الطابع الصغير الموصوف اول هذه الظواهر .

13 (خدينا الارضى الحاج احمد التامانارتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله ، وبعد وصل جوابك عما امرناك به من الساهب ملافاة جانبنا السعيد
 (الكلميم) بأن الحال وجدنا متهيئا لذلك - غير انك تأنيت حتى يتحقق لك
 حلول جانبنا العالی بالله هناكم ، وصرنا من ذلك على بال . فقد حللتنا يوم
 الاحد المؤرخ بهشهد سيدى بيبي من بلاد هشتوتة حلول يمن وعز وسعادة
 والاحوال والحمد لله صالحة ، ونعم الله غادية ورائحة . وها أنا فى الاثر بحول
 الله ، والسلام . فى 20 رجب الفرد عام 1303 هـ .)
 وفوقه ذلك الطابع الصغير .

14 (خديمتنا الارضى الحاج احمد التامانارتى وفقك الله وسلام عليك ورحمة
 الله ، وبعد فقد وصل كتابك مخبرا بحلولك مع من ورد معك من اياتك
 ملافاة ركابنا السعيد ، بمحلة ولدنا مولای محمد اصلحه الله . واستفهمت
 هل تقدمون أو تنتظروننا هناك ، وصار بالبال . فابقوا هناكم منتظرين
 قرونا السعيد ، والسلام . فى 15 شعبان عام 1303 هـ .)
 وفوقه ذلك الطابع الصغير .

15 (خدامنا قبيلة (اداوزيد) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله
 وبعد وافى جوابكم عما أمرتم به من الوفود على اعتبارنا السريفة بأنكم عند
 السمع والطاعة فى كل ما نشير به . وانكم الى نظر خديمتنا الحاج أحمد
 انتامانارتى فنع . وانه بحضرتنا العلية بالله بقصد النيابة عنكم ، وقد أخبر
 بذلك ، وقام مقامكم ، وناب عنكم أحسن مناب ، أصلحكم الله وأصلحه .
 ورضى عنكم أجمعين أمين . فى 26 من شعبان الابرك عام 1303 هـ .)
 وفوقه ذلك الطابع الكبير الموصوف آفا .

16 (خديمتنا الانجد الحاج أحمد التامانارتى وفقك الله ، وسلام عليك
 ورحمة الله تعالى، وبعد فقد وصل كتابك بنفور القبائل التى الى نظركمناك .
 فاستملهم بالرفق والاحسان والسياسة . فقد ورد أن الله يعطى مع الرفق ما
 لا يعطى مع العنف ، والنفس مجبولة على حب من احسن اليها ، والانسان
 صنيعة الاحسان . أى مصنوع بالاحسان . يؤثر فيه ، وينفعل من أجله
 بالحكمة الازلية ، فالايلاف بما ذكر أنفع وأوثق فى الثام الافئدة، لانه طبيعى
 للقلب والقالب ، وبغيره بالقالب ان حصل فقط . وليس به وثوق ، والسلام .
 فى 24 ربيع الاول عام 1309 هـ .)
 وفوقه ذلك الطابع الكبير

17 (خديمتنا الارضى القائد احمد التامانارتى وفقك الله وسلام عليك
 ورحمة الله وبعد فنأمرك أن تفرض على خدامنا اياتك ستمائة من الرجال .
 الكل يكون منتخبا من اعيان اخوانك ، ووجوه قبيلتك، يكونون من ذرى قوة
 ونجدة ، يستعد بهم أقوى علة ، ورجالة فعالة صوال . وتقدم بهم على ولدنا
 البار مولای محمد اصلحه الله فى (رداءة) وتخيم عليه بحر تنك المذكورة، وان

وجدته نهض فالحقه حيثما رجده ، واصحب ركابه للافاة جانبنا العالى بالله ان شاء الله بالمحل الذى نعينه لكم بحول الله ، والسلام . فى 5 حجة الحرام عام 1310 هـ .) .
وفوقه الطابع الكبير .

18 (جددنا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه وهمنه، لماسكه خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى حكم ما بيده من ظهير سيدنا المقدس بالله ، سقى الله ثراه شتاييب رحماه . المتضمن توليته على اخوانه على التمام . واستندنا ادرهم اليه فى كل مقام . والامر لهم بان يكونوا عند الامر والنهى لما يامرهم به من اوامرنا الشريفة ، السامية الاعلام ، تجديدا تام الاحكام . فى كل نقض وابرار . فنامر الواقف عليه من الخدام ، ان يعلمه ويعمل بكرم مقتضاه . والسلام فى خاتم محرم الحرام عام 1314 هـ .

وفوقه الخاتم العزيزى الكبير فى وسطه عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه . وفى طرته (ومن تكن) البيتين .

19 (خدامنا الانجاد آل (تامانارت) وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واستنادنا النظر له فى اموركم . فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اوليناه من الامر والنهى فى امور خدمتنا الشريفة، اسعدكم الله به واسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . فى 19 صفر عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير .

20 (خدامنا الانجاد (آل النص) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واستنادنا النظر له فى اموركم . فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اوليناه من الامر والنهى فى امور خدمتنا الشريفة، اسعدكم الله به واسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . فى 19 صفر عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير .

21 (خدامنا الارضين آل (ساموكن) كافة، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واستنادنا النظر له فى اموركم . فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اوليناه من الامر والنهى فى امور خدمتنا الشريفة، اسعدكم الله به واسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . فى 19 صفر عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير

22 (خدامنا الارضين آل (امانوز) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واستنادنا النظر له فى اموركم . فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اوليناه من

الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الحير عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير

23 (خدامنا الارضين (آل ابراهيم) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمتنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الحير عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير

24 (خدامنا الارضين (اداوزيد) كافة وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمتنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الحير عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير

25 (خدامنا الارضين آل (أهوتات) - اتنان من ايسى - كافة وفقكم الله وسلام عليكم الله ، وبعد اقررنا خديمتنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الحير عام 1314 هـ .) .
وفوقه الطابع .

26 (خدامنا الارضى القائد احمد التامانارتى وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد فقد بلغ علمنا الشريف أنكم لا زلتم مع القبائل في قتال . ولم تصرفوا وجهتكم لما أمرناكم به من النهوض للحركة في الحال . وعليه فنأمرك أن تجعل معهم سدادا حتى يفوت غرض المخزن، وحينئذ يظهر ما يكون بحول الله . فلتعجل بذلك ولتقم على ساق فيه فقد أمرناهم بمثله ، والسلام . في 9 جمادى الاولى عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الصغير المذكور آنفا .

27 (خدامنا الارضى القائد احمد بن محمد التامانارتى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد وصل كتابك مخبرا بأن تلك الناحية بخير وعافية ، وانه نزل بها مطر غزير ، وانتفع الناس به ، وحملوا الله على ذلك . وان الخديم القائد سعيما الكلولى قد سكن بـ (تزنيت) في هذه الساعة ، ووجه خلافه لافران - وجل أهل افران هربوا لما حصل لهم من الخوف طالبا الكتابة

للقائد المدني الاخصاصى فى شان (ايت ابراهيم) و (ايت جرار (1)) بأنهم من اياتك منذ أزمان . وصار بالبال . أما ما ذكر من فرار جل اهل(الفران) فسكن الله روعتهم . واما ما طلبت من الكتابة للخديم القائد المدني فى شان ما ذكرنا فقد أصدرنا أمرنا الشريف للخديم الكلولى بتحقيق الواقع فى ذلك . والسلام . وفى 15 من ذى القعدة الحرام عام 1317 هـ .) .
وفوقه الطابع الصغير .

28 (خديمنا الارضى القائد أحمد التامانارنى . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فبوصوله اليك نامرك أن تقوم على ساق الجد فى جمع حركة اياتك ، من اهل الثروة والملا والاشياخ والاعيان والكبراء . وتنتخبهم من أنجاد فرسان القبيلة ورماتها الذين يعتد بهم فى جلائل الامور ومهماتها . ذوى عدة معتبرة مغنية فى كل كفاح . وخيل جيد صواح . وتنهض بها لحضرتنا الشريفة عاجلا . وفى أقرب حين تكون بها واصلا . أعانكم الله تعالى والسلام . فى 18 حجة عام 1320 هـ .) وفوقه ذلك الطابع الكبير العزيزى أقول ان هذا من الاستنفار العام ايام ثورة ابي حمارة من (تازة) ، ولكن المرسل اليه لم يلب الاستنفار .

29 (خدامنا الارضين قبيلة (تامانارت) كافة أخص أعيانهم وأشياخهم وكبراءهم وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد بلغ لشريف علمنا ما حدث بنو أحيكم من التشوش والاضطراب وتشوف العامة من قبيلتكم الى احياء الفتنة واستفزاز الالباب . حتى صار ذلك من جهة الى أخرى . وكاد أن يتشب فى أهل الصلاح منهم ظفرا ، واستبعدنا وقوع ذلك بينكم مع تهاونكم فى احماد ناره ، وعدم مبادرتكم الى تسكين روعته وحسم اضرامه ، لاننا نعدكم من قبائل الصلاح والدين ، وممن لا يدخلهم فى جانب الخدمة تقصير . ولا فى أمر الطاعة توهين . وعلى تقدير أن لو صدر ذلك من بعض الفوغاء منكم والعوام . فالمعتقد من العقلاء والكبراء منكم أن يردوهم لطريق الرشد والالهام ، ويسعون فى هنائهم وتسكينهم ، ويصلحون ذات بينهم . ويقومون بما اوجبه الله عليهم من نصيحتهم ، والاجتهاد فى استخلاصهم من مصيبتهم ، حتى لا يحترق الاخضر باليابس ، ولا يلنطخ البرى بعمل الذين ارتلوا من الفساد اسود الملابس ، فغير خاف أن فضاء الله موكل بمعاقبه المعتدين . وان من لم يتسكروا نعمة العافية فقد ضلوا عن طريق المهتدين . وأى مفسد للناس كجدوث اخلل فيهم والافتنان ، بعد أن كانت نفوسهم مطمئنة واجفانهم رفودا فى ظلال الامان . لم تعتبروا بعول النبى صلى الله عليه وسلم « الفتنة نامة فمن يعظها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » ، وعود

(1) لعنه يهصد ايت جرار اراء اهران جيران اد ابراهيم بتاعاجيجت .

صلى الله عليه وسلم : عقوبتان معجلتان في الدنيا البغى والعقوق . وقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وعليه فنامركم ان تقوموا على ساق الجد فم كف المشتغلين بالخوض والفساد . وقمعهم واطفاء شرورهم . والضرب على ايديهم، وأن تكونوا عليهم يدا واحدة. وأنفسا متعاضدة وتجتهدوا في تطهير ساحتكم من تلطيح فتنتهم . واسباب محتتهم ، حتى يستقر حالكم على ما رجونه لكم من الهناء العام ، والصلاح التام . وان لحكم ضرر من أحد أو اذية فاعلموا به جنابنا الشريف . فتحن أولى برفعه عنكم وازالته، لكون أهم الامور عندنا هو حفظ دين الرعية وصلاحها وهدايتها وارشادها ، ورفع الضرر عنها والرفق بها الا من ورطوا انفسهم في الفساد والعدوان فتقبة الله تعالجهم في كل مكان (ولا يحق المكر السيء الا باهله) وقد كتبنا لغيركم من قبائل سوس بما عسى أن يلهمكم رشادكم ، ويجعل لكم من التوفيق والهناء ملاذا ، وما نحن في انتظار ما نسمعه عنكم ، أن يرد الله بكم خيرا والسلام ، في 5 جمادى الثانية عام 1321 هـ .) .
وفوقه الطابع الكبير .

صدر هذا الظهير وظهائر أخرى مثله الى قبائل سوس يوم ثارت القبائل على قوادها اثر ذهاب القائد الفلجسي الحاحي وحشيه المرابط في (تزيت) الى (تازة) كجميع جيوش الحكومة لمقاومة ابي حمارة .

30 (خديما الارضى الحاج احمد التامانارتى ، وكافة اخوانه الذين الى نظره، اخص اعيانهم وكبراهم وفقهائهم وشرفائهم ومرابطيهم ، واهل الخل والعقد منهم ، وفقم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، فقد علمتم ان الله تبارك وتعالى امرنا بأمره، حضنا على اذاعها ؛ ونهانا عن أشياء وأرشدنا الى اجتنابها ، وسكت عن أشياء رحمة منه سبحانه غير نسيان . وأمرنا أن لا نبحث عنها . امرنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج . وأمرنا بالجهاد عند مفاجاة العدو واخذه ارض المسلمين ، وطالما رأينا وسعنا ، ولا زاجر ولا واعظ ولا من يتعظ ، أخذت (وجدة) فاخذنا أمرها هزءا ولعبا وتهكما وسخرية ولم يجد أهلها ناصرا ولا معينا . فلم يكن الا كلام البصر او هو أقرب حتى حقنا العدو من امام ووراء . (الى آخر المنشور - وقد تقدم في ترجمة القائد المدني الاخصاصى برمنه - وقد كان المولى عبد الحفيظ وزعه في كل نواحي الایالة على جميع المسئولين ، لا سيما الجنوب الذى كان فيه خليفة رسميا ، وقد رأيت منه نسخا في جهات متعددة . والمقصود استفزاز الناس للانجاش اليه ، وللقيام ضد أخيه مولاي عبد العزيز ليصمد الناس أمام العدو المهاجم للبلاد اذ ذاك ، حين كان ملك الوقت لم يتصد للكفاح، ولكن لم يكد المولى عبد الحفيظ يتم له الامر ، ويحتل فاسا ، حتى عجز عن المقاومة بدوره . فكان ما

كان مما طم به الوادى على الفرى . والله الامر من قبل ومن بعد) .
بقية من أخباره

هذه هي الظواهر التي وجدناها عند الاسرة ، وناهيك بها دلائل قاطعة على المكانة التي تحب الحكومة أن يتبناها المترجم ، لو تيسر له ذلك . ولكن الحقيفة انه لا يعدو حكمه قرية (أكرض) ، ولا يستولى الاعلى من هناك من الحراطين ، وعلى ما هناك من النخيل ، وقد قيل له مرة كم عدد اياتك ؟ فقال عشرون ألفا . فشدته السائل من هذا الجواب ، فاستفسره عن مقصوده فقال له : ان في سقى (تيملت) عشرين الف نخلة ، ولى عن كل نخلة قننو ، فهي التي تصح لى ايالة . والمعناد أن يؤخذ من كل نخلة قنو للقائد أو لشيخ القبيلة ، أو لهري الجماعة - هذا هو عرف تلك الناحية الى أن جاء الاحتلال . وقد كان مع مولاي الحسن فى سفره الى (تافيلالت) فظهر له مال عتيد بين أقرانه من القواد السوسيين، فقد انقضى للغالب ما معهم من الزاد والمال . فصار هو يرشهم مما عنده . وقد انتفع اهله وكل افراد أسرته بما تدره عليهم حقول (تيملت) وبما يحرثونه خارجها من (المعدر) وغيره ، وقد كانت حرب شديدة مرت بينه وبين أعدائه الحربيليين نحو سنة 1307 هـ . بسبب ما وقع حول (ايشت) حيث حلفاؤه ، وكذلك اخرى نحو 1327 هـ . اثر قتل الفقيه أحمد الايفرى (1) . فذهبت فيهما مدخراته الكثيرة ، ثم صار يستدين من ذلك الوقت ، فانقصم فقار تموله الذى كان مضرب الامثال ، ثم صار يرهن من بساتينه عند كل ملمة تنزل به ، فتناقص بذلك ما كان عرفت به دارهم من الكرم . وقد كان معتادا قبل من جهود أجداده أن ينادى مناد بعد المغرب كل عشية . بأعلى صوته أن ياتى كل من أراد العشاء ، فبقي النناء وحده . ولكن الناس أدركوا انما ذلك عادة لا غير فلا يليه احد الا من يجهل ذلك من الواردين ، فيرجع خائبا . وقد كانت ثلاث ديار فى جنوب سوس لا توازى تمولا وكرما وشفوقا دار (ايلبخ) ودار (آل بيروك) ودار هؤلاء التامانارتيين ، وكانت كلها ديار نخلة (ناكوزولت) ثم صارت كلها الى تضعضع فى وقت واحد بعد 1325 هـ . الا ان هذه لم تنهر بالكلية الى الآن 1362 هـ . كما ستراه أمامك . وقد صار الحاج أحمد ينمشى بالهوينى أخيرا . مع انكماش وانجياش الى العبادة ، والى اهل الخير ، وقد صار موثلا لكل من سافته الاقبار الى (تامانارت) من القواد الذين لعب بهم الدهر ، كالقائد أحمد الصوابى قائد (ايت يعزى) البعمرانى الذى أوى اليه حتى توفي هناك فى منتصف جمادى الاولى 1346 هـ . ومن العلماء الساتحين ، ومن السدين (1) ذكر ذلك بتفصيل فى ترجمته السابقة فى هذا القسم نفسه .

يلازمونه ، كالفقيه الشافعي السكناي . كاتبه الحاضر الذي استورده من (نيهكيدشت) وابني عمه محمد الطيب ، وعابد ابني محمد بن عبد الرحمن ، فصار الشافعي امامه وجليسه وكاتبه ومستشاره ، وقد ألم به التميخ الصالح سيدي الحسين الزرهوني الجديدي سنة 1316 هـ . فنزل عليه ما شاء الله ، ثم أركبه فرسا ، وكذلك لا يغف زيارته علماء تلك النواحي ، كالفقيه أحمد الايفري ، الذي كان قاضيه ، حتى انه لما قتل قام لآخذ ثاره بحرب زبون - كما تقدم - وكالفقيه القاضي ابن بداح الذي أوى اليه اخيرا بعد ما فارق آل بلعيد ، واما فقهاء (الغ) فان (تامانارت مغدام وممساهم وخصوصا الشيخ الالفي ، والاستاذ علي بن عبد الله اللدين لهما هناك بساين كثيرة ، وكم أحاديث بينه وبينهما ، كما كان لآبائه مع آبائهم كذلك مخالطات شتى. وقد ألمنا في كتاب (من أفواه الرجال) وفي (خلال جزولة) في (الرحلة الثالثة) ببعض اخبار عن هؤلاء الرؤساء التامانارتيين .

قولة الرفاكي فيه

ومنهم ابو العباس : القائد الحاج أحمد التامانارتي الجزولي ، كان رجلا عاقلا ، وبمزيد الصبر كافلا ، يتهوع (1) لذباب رآه ، ولا يأخذ عند ذلك مأواه ؛ يوهمه بعض الخذاق ان رآه ، وانه أخذه ورماه ، فيتركه ولا يتعشاه ، وعينه لا تقشاه ، وطريقه لا يتمشاه ، بل يتهوع ، وبطنه يتجوع ؛ شنشنة (2) لا يفارقها ، وبلية يدافعها ، بني حصنا أمنع من الابلق (3) وحماه بكماة (4) على قلب ابن الأزرق (5) ، ولا يجوجه للخندق ، ولا يطمع فيه الا الاحمق ؛ وان شئت قلت : انه الحورنق (6) وبريق الفيظ راميه أشرق ، يقول لابن هند أرعذ وأبرق (7) ولساكنه اصطبج واغتبق (8) وارج عفو المعتق (9) ومثل ذلك في السوس لغيره لم يتفق ، ويقال لطالب التمر حصيه انطلق ، ولا

(I) يتنيا ، (2) شنشنة : طبيعة .

(3) الابلق (الفرد) : حصن للسموال بن عادي ، بناه أبوه بأرض تيماء

(4) الكماة ج . كمي : الشجاع ، أو لابس السلاح .

(5) ابن الأزرق : أحد الشجعان من الحوارج واسمه نافع. واليه ينسب الأزرقة

(6) الحورنق قصر للنعمان الأكبر باليمن (7) ابن هند : هو عمرو بن عند منك

العراق تحت الفرس ، ذكر في (المعلقات) وازعد وايرق : أي تهدد وتوعد

(8) اصطبج : أي شرب الصبوح وهو ما يشرب صباحا ، واغبيق أي شرب

ما يشرب عشية ويسمى العبوق بفتح أو لهما

(9) المعتق : أي لله سبحانه وتعالى .

عار على المسترفد (1) الملق ، وعنده يمتاره العافون (2) وبسحائب جوده يستكفي النازحون لا يرد سائلا ، ولا يعده ثاقلا ، شهد بذلك الزائرون ، ويريه عن الرئي الرائيون (3) استفاض ذلك وذاع ، وأدرك ذات الخدر في المخدع (4) كم ذي رتبة قعسا ، اصبح عنده وامسى ، وهلا حفاثه واكسى (1) فلله ما أبدى وما أعسى (6) .

الناس اكيس من أن يمدحوا رجلا حتى يروا عنده آثار احسان ومن تمام عقله ، أن اختار لمجاورته ووزعته الخراطين اذ لا غرض لهم في رتبة السلاطين ، لا يانفون اذا ضربوا ، ولا يعصون متى استصحبوا منهم الخراثون ؛ والفسالون والجزارون ، ومنهم القلم والابارون (7) وفي اعراض (8) المواكب يسيرون ، يصلحون للخدعة ، ولا أنفة عندهم ولا حرمة ؛ يرضون بالدون ، ويخفون بالزبون ، أمن منهم من الاعراض ؛ وفقد منهم الامتعاض . ويتبعون من مخدمهم الاعراض ، بأدنى أمر ينقادون ، ولحزبه يتحاشدون ؛ لا يطمعون في الامرة (9) ولا يلتفتون في خدمتهم للاجرة ، وكفاهم ذلك فخرا (10) ، اذ غنموا بالتواضع اجرا ، وهم ايضا اخوان أفضل النبيئين؛ واجل المرسلين ، من أختهم هاجر حليلة ابراهيم الخليل ، وام اسماعيل النبييل الجليل . ولهم المرتبة العليا ، وان كانوا ظاهرا في السفلى ، وان انحط قدرهم من جهة حام ، بعصيانه دعوة آدم عليه السلام . فلهم المزية من الجهة الاخرى وفاقت هذه اليمنى تلك اليسرى ، فتوجه اليها الواحد بالشخص ، والتفضيل بالتهخيص والفحص .

(1) المسترفد : المستعطي المسنعين ، والملق : الفقير جدا .

(2) امثار : طلب الميرة بالكرس ، المؤونه والزاد ، والعافون : الفقراء .

(3) نداء ، ولعله يقصد : (الراوون) أو (الراعون)

(4) كذا ، والمعروف المخدع .

(5) كذا ، والمعروف كعسا : تلاتي .

(6) ما أعسى لعه يقصد قولهم : اعس به ، أى أجدر به .

(7) القام : يقصد به الدين يقلمون الاشجار ويقدمونها ، والابارون : الدين

يابرون النخل أى يصلحونه ويلقحونه .

(8) كذا ، ولعله يريد عرض يضم فسكون ، أى جانب المواكب الخ .

(9) الامرة : الامارة والحكم .

(10) مستلحة :

يحكى أن حرطانيا من الخراطين هؤلاء سافر الى جزيره ، فستل من هو ؟ فقال اننى صهر صاحب ابن عم خماس القاتد . فاكثسب الشرف هكذا حتى صار يتباهى به . وهذا مصداق ما قاله مؤرخنا الاكرارى الاديب الاريحي رحمه الله .

الى هنا جرى بنا خيل الكلام فلتعف مولانا علينا والسلام
توفي رحمه الله في أواخر جمادى الثانية عام : 1336 هـ . بداره ، المسمى
بلده : بـ (أكرض) ، بتمنرت ، بلدة الولي الصالح ؛ والخير الرابع : سيدى
محمد بن ابراهيم النميخ المتوفى في صفر عام : 971 هـ .
اقول : ان المترجم لزم داره ، ولم يكن له فى أعمال الهيبة أى يد ، ولعل
ذلك مما يراه وفاء للدولة العلوية المجيدة .

القائد البشير

كان للقائد الحاج أحمد ولدان ، من الذكور : عمر ومحمد ، ثم توفيا قبله ؛
فأعقب عمر ولده البشير ، وقد صار رجلا مذكورا بين أهله ، يعرف ما يفعل
وما يدر عن تجربة . وقد كان حفظ القرآن حفظا لا بأس به على يد الأستاذ
مبارك بن هـ وهو الأكرضى ، كان يشارط فى مسجد (أكادير) حيث دار القيادة ،
توفى نحو : 1346 هـ . ثم أخذ المبادئ العلمية حتى استطاع أن يطالع ، عن
الاساتذة الملازمين لدارهم ، الشافعى وسيدى عبد الله بن مسعود الألفى
وسيدى محمد الطيب ابن عمه .

وبهؤلاء انتفع اخذا ومجالسة ، وقد قام بأمر دارهم بعد جنه ، وكان هو
الرئيس على (الكزوليين) أمام (الحاكين) فخاض لذلك على رياسة اهل نخلة
(تاكوزولت) ثلاث حروب ، ضد النحلة الاخرى (تاحتات) التى يرأسها آل
القائد بلعيد المريضى - وقد رأيت ترجمته وتراجم كل أهله قيما تقدم -
واحدى هذه الحروب كانت حوالى 1327 هـ . فى قيادة القائد الحاج أحمد واكنه
اذ ذاك هرم عاجز . فكان المقواد فى يدحفيده اللبق البشير . وتسمى هذه
الحرب : حرب بوسعيد . وهو رجل من (اد ابراهيم) قتل فيها ، وسببها
هو قتل الفقيه سيدى أحمد الايغيرى المشهور . وقد طالت ما شاء الله من
الشمهور - وقد تقدم ذكرها فى ترجمة الفقيه - والحرب الثانية سببها المنازعة
حول قرية (ايغير ويلتولن) لان الحرييليين انقضوا على هذه القرية لينزعوها
من اهل (تامانارت) فقامت الحرب اثر جلاء هذه القرية الى (أكرض) دامت
سنة ، فوقف القائد بلعيد حتى رجعت السيوف الى اغمادها. والحرب الثالثة
نشأت أيضا على هذه القرية. فقد دهم اهل (تامانارت) هذه القرية ليسترجعوها.
لان السلم المتقدمة تأسست على أن تبقى (ايغير) خارجة عن منطقة (تامانارت)
ولذلك نقض هؤلاء ذلك ، ولكنهم اندحروا بعد ما احتلوا القرية . وهكذا
بقى الجالون من القرية الى (أكرض) لا يزالون فيها الى الآن ، وكانت هذه
الحرب الثالثة سنة 1340 هـ . والذى اوقف الحرب يد (المعدر) فقد اعلنت الهدنة
ليشتغل الناس بالحرف. ثم دامت المناوشات بكل مناسبة الى أن جاء الاحتلال

فلم تقع حرب بعدها هنا بين هانين النحلين .

ومما وقع على يد القائد البشير المداحسة الواقعة في زاوية (تيمكيدشت) بين رئيسها سيدى محمد بن هاشم . وابن عمه سيدى العربى ابن الحنقى . كما بين فى كلام المانوزى - فى القسم الثالث - وكان القائد من شيعة العربى ، ولكن هذه الشيعة قد اندحرت أمام خصومها .

ومما وقع اذ ذاك أن القائد المدنى ومعه القائد الناجم ذهبوا فى جيش فيه فرسان كثيرون الى (أقا) فرروا بـ(تامانارت) فنزلوا على القائد البشير ، فباتوا، وفى الصباح صاحبه الى (ايمى أوكادير) على نية أن يصاحبهم لطيفهم الا أنه أخبر سرا أن المدنى ينوى أن يفنك به ، لانه هناك هو الحاجز دون ما يتمناه المدنى من الاستيلاء على تلك الناحية، ففارقهم الى (ايشت) فنزل على بنته هناك - ثم رجع . وقد بعث معهم بعض أصحابه وأولاده ، ولذلك لم يمروا بـ(تامانارت) يوم رجوعهم عن(أقا) ، والغدر اذ ذاك بين الرؤساء مسترسل ، حتى لا يأمن معصهم بعضا ، وان كنت انا اكبر المدنى عن أن يرتكب مثل هذا . هكذا كان القائد البشير هناك رجلا مهيبا ناعما وضارا . لا يعرب حماه .

وهناك تان منزل محمد بن بلقاسم النكادى حين جلا من(نافيلات) هو و (ايت سفول) و (ايت حو) و (ايت خباش) . وذلك بعد ما فكوا بانقاند ابراهيم ابن بلعيد - نما تقدم فى تراجم آل بلعيد فى هذا (القسم الخامس) نفسه - ونان قلهم له 1349 هـ . وبعد شهور ذهب النكادى الى (تاغجيجت) وقد كان اكرم وصادقهم لما نزلوا عليه ، مع ان اصحاب النكادى قيل انهم نورا ان يغادروا القائد البشير ، وان يحتلوا داره، كما فعلوا بعد ذلك باعل (ايشت) ويقال ان ذلك بايعاز من ابناء الشيخ ، وابن هاشم التيمكيدشتى ، والقائد المدنى . غير ان القائد البشير ومن معه استفاقوا ، فانحل الآخرون الى (تاغجيجت) وذلك بعد ما استيقنوا ان (اكرض) ليست لهم بلاد مقام .

هذه ابناء عن القائد البشير من هذه الجهة ، وعن جهة أخرى كان رجل الماندة والفائدة ، يأنف ويؤلف ، استطاع أن يجعل حوله حاشية تنظر اليه باكبار . وقد كان اخى احمد رحمه الله ممن يطرقة كثيرا ، ثم صار يذكره لى كثيرا بعد ذلك فى احاديثه . وهو الذى وقف له وللأخ الحبيب حتى توصلا من عند أهل (ايشت) بثمان ما اغتصبوه منهما من الاملاك التى اشتراها الوالد بالبيع البات ، ثم استرجعها هؤلاء ظلما ، زمن اخبار القائد البشير انه استرد كثيرا من املاك أهله المرهونة . واستتمها ولده القائد محمد ، فانفقوا بذلك . فاستطاعوا ان يحافظوا على ثارهم بالثروة ، وهكذا مضت ايام القائد البشير قبل الاحلال . ثم صار بعده أحد الرؤساء المحترمين ، ورئيسا على (اكرض) و (ايت تيكنى) و (ساموكن) ولم يزل يمشى با لسياسة

الى أن توفي ثاني ربيع الاول 1362 هـ . وهو الذي أحدث الدار السفلية ،
 وبني فيها بناء حسنا ، وهى التى زاد فيها ولده محمد الآتى حتى كانت منزلا
 مرموقا ، مستتجيبا لجميع الضروريات ، والمنازة المشرفة ، والقباب الفسيحة .
 القائد محمد بن البشير

ولد سنة 1336 هـ . فى الوقت الذى توفى فيه جده القائد الحاج أحمد ، وقد
 كان والده يرشحه لدهال . والى أن يكون خير خلف لسلفهم الباسل . ولذلك
 لم يكده والده تقمض عيناه ، ويزور الرمس جنباه ، حتى برز للميدان خير
 فنى يكاد يكون كله عصريا ، وقد كان يسمع فى مجلس أبيه أخبار الوطنيين
 حين يذكرون فى تلك المجالس ، اما باعتقاد واما بانتقاد . فصار يتطلع الى
 أن يكون أحدهم . فيتساءل كثيرا عما يقع فى الحاضر . خصوصا منذ حوادث
 1944 م . فيتناجى بها مع بعض جلاسه وأودانه . ولم ينشأ فرع من فروع
 حزب الاستقلال السرية أن برقت بارقة منه هناك . فانخرط فيه سرا ، وحين
 كنت فى (مراكش) بعد 1364 هـ . صار كلما زار المدن يتردد الى ، وربما بات
 عندى . فكنت أراه لقنا حاذقا غيورا عيوفا . لولا أنه يلبس بعض خصال
 اتمنى لو أنه تباعد عنها ، وقد كنت زرت (تامانارت) فى رحلتى (الثالثة)
 المدونة بين مجالاتى (خلال جزولة) فنزلت عليه ، فرأيت كل ما يعجبني من
 بناء حسن . وطهو حضرى ، وزرابى مبهوثة ، ووسائد مصفوفة ؛ ثم ركبت
 من هناك معه الى (ايمى أو كادير) فرأيت اخلاقا وخصالا وشمما . ثم لما تحولت
 الى (البيضاء) سنة 1370 هـ . وقد اكفهر الجو ، واحمر الحدق ، وظهرت
 السرائر . وقد صار الطيب يتميز من الخبيث ، وأعمال جوان وكيوم تسعى
 فيما تسعى فيه . صرت أسمع عنه ما يسرنى سرا . وان كان يحاول أن
 يغطى ما فى قلبه عن الحكومة ، لانه موظف معها . ثم لما ابنا من الصحراء
 يوم انطلاقنا من الاعتقال ، وقد كاد الفجر يطلع والاستقلال على الابواب .
 ورد علينا انه كشف عما فى صدره ، وأنه كاد يصرح بفكرته الوطنية ، ثم
 بلغنا خبر انتحاره ، واليك وصف ما وقع له ، نرويه عن أحد خلصائه قال
 كان القائد عارفا لوقت . يستفزه الشعور الوطنى ، وقد كان الفقيه السيد
 الحسن بن أحمد الرسموكى التيمكيدشتى (1) مشارطا فى (أكرض) فكان هو
 الذى تأسس على يده فرع الجمعية الاستقلالية هناك . فدخل فيه أناس بينهم
 القائد الذى سبقت اليه الفكرة ، فدخل معه هناك فى الحزب أناس معروفون
 من كبار القوم . وقد كان من بينهم انسان يسمى العريبي من (أكادير أزجرو)
 من (أقا) وآخر من (ساموكن) يسمى محمدا ، ويلقب بابن بوفوس . وقد
 كان الاول دفعته الحكومة الى القائد ، ووصفته عليه أن يرد اليه باله لئلا

(2) قاضى مششوكه بسوس الآن 1379 هـ .

يهرب، وقد وصت أيضا العربي سرا على أن يكون عبنا على القائد ، والناني
الساموكنى مخلص. وقد كان القائد يوم اختبرت فيه الفكرة، اشترى دارا فى
(أكادير) فيقطع إليها . ويخالط احمد بن الحاج التمل الوطنى المشهور.
وغيره من الاولين فى الوطنية بسوس، ويتصل بالحزب بوساطتهم، ثم تسرب
الى رجال الاحتلال ما يصنعه القائد فى (أكادير) فمنعوه من (أكادير) وقد
كان يعطى من ماله للحزب فى كل فرصة . وقد اعطى لصدوق الحزب فرصة
واحدة سبعين الف ريال . ثم لما انقطع عن (أكادير) وقد اشتدت أعمال
الفدائيين . صار يستنهض من الناس ، بوساطة أصحابه . فقد قام يوما محمد
ابن بوفوس الساموكنى الى منعب فى قرينته (ايغير) بوادى (سادون) فنادى
فى مجتمعهم ، : ايها المسلمون ، ايعنل سلطانكم . وتنتهك حرمة عرسكم
ثم يطيب لكم اللعب ؟ فنسرب على الناس اخضرين فى الملعب. وصار يدكرهم
أعمال الفدائيين الابطال . فقاومه مقدم الغرية . فتحصمه ، ثم خرج هاربا
فورد المندم الى رجالات الاحتلال على مركز (اييمى اركادير) فاخبرهم بما فعل
الرجل ، وقد وصفه لهم . فنبه المراقب جميع المرائز على اغفاله اينما وجد.
فصودف فى (بنوز اكاران) فاعنل واتى به الى القائد . وهو القائد محمد
صاحبه . فلما قدم اليه فى المحكمة ، قال لهم ان هذا لاحمق . فكان ذلك هو
السبب حتى سرح بعد ما سجن نحو شهر . وبعد استنطق لم يصح عليه
فيه شئ . ثم اصبح خيط من خيوط التليفون مقطوعا يوما هناك حول المركز
فبحث عنم فعل ذلك بحثا مدققا ، حتى نودى بأن من اخبر الحكومة عن فاعل
ذلك سيعطى أربعة آلاف ريال . فقام ذاك العربي الاقاوى المقدم ، تاوصل
الى الحكومة كل ما يعرفه عن القائد ، وأن أصحابه هم الذين قطعوا الخيط
بأذنه ، وأن القائد ينوى الثورة . فعنده السلاح ، وكثيرون من الناس
استحلهم على ذلك ، فحقق لرجال الاحتلال ما يقوله هذا الجاسوس أن القائد
قد صار يتعاطم عليهم ، ويقابلهم بالخشونة أحيانا . والحقيقة ان العربي
نفسه هو الذى أمر ثلاثة حراطين فلانا وفلانا وفلانا . أن يقطعوا الخيط، وزعم
ان القائد هو الذى قال له ذلك وقد تكرر قطع الخيوط التليفونية قبل هذه
المرّة ، ولكن الحكومة لم تتهم به احدا . ثم أن المراقبة فى (اييمى أوأكادير)
ارسلت الى القائد أن يقدم اليها والمسافة قريبة - فاعتذر بالمرض ، فارسلت
اليه يوما طبيبا فتحصه ، ويوما آخر ممرضا كذلك . ثم لما ابسى أن يصل
المراقبه واكثر من الاعذار . جاء المراقب نفسه مع اعوان كثيرين فى حافلتين.
فوقفوا امام الباب . فارسل الى القائد أن يخرج اليه فخرج . فطلب منه
المراقب أن يذهب معه ، فاعتذر ايضا بمرضه . فقال المراقب للاعوان احملوه
الى السيارة . فاهووا اليه ليحملوه ، فاذا برجل من بنى عمومة القائد يسمى

الحسن بن زبير اطلق من بندقيته ثلاث طلعات ، فقتل العون الذي اخذه باحداها ، فاجفل المراقب والاعوان . فرجع القائد الى داره ، فاعلق البساط دونه ؛ وهى الدار السفلى المحدثه . ثم ان المراقب ومن معه انحازوا الى (السوق الجديدة) بعد ما كانوا يطلقون بنادقهم تخويفا بكثرة ، وقد ارسل الى المركز فى (ايمنى أوكادير) فسرعن ما جاءت الجنود والرشاشات ، وقد كان وقع ما تقدم نحو العاشرة صباحا . كما كان المراقب ارسل الى كبار القرية ، فأرسلهم الى القائد لياتى ، ولكن القائد ابى من الاجابة ، الا انه قال للناس اما انا فلا يمكن أن أنالقي مع اعداء الله واعداء وطنى ، فان اردتم انتم ان تذهبوا بى الى اعداء الله فافعلوا ما شئتم . فقالوا له حاشا ان نذهب بك الى اعداء الله . فرجعوا الى المراقب معتذرين عنه بالمرض . هذا وقد وقف مع القائد اذ ذاك حراطين من اعوانه نحو عشرين . وهم يقولون له اعطنا السلاح ان كان عندك . فقال لهم : لا سلاح عندى . وقد كان الناس أول مرة كثيرين نحو مائة ، فلما علموا انه لا سلاح عنده ، صاروا يخرجون عنه متسللين ؛ حتى لم يبق معه الا نحو عشرين من اعوانه ، ثم رجع رؤساء القرية من عند المراقب فيقولون له عنه : ان أبى أن ياتى الينا فاننا سنوجه أفواه المدافع الى القرية لنحطمها . فقال لهم القائد : اذهبوا الى المراقب ونادوا عليه بشرع الله لنلا يهلك قريبتكم ، وأما انا فلا يمكن لى أن يرى وجهى . قال الراوى : فذهبنا ، فاعلنا ذلك أمام المراقب ، فأمر باعتقالنا . وسلسلونا بالاغلال ووجهوا الينا أفواه البنادق ، تقابل صدورنا . واجند اذ ذاك يطلق من الرشاشات نحو القرية . قال الراوى : ثم ساقونا حتى قربنا من دار القائد . فأرسل المراقب من يطلب ثانيا من القائد اما أن يخرج، واما أن يرسل بندقيته فدخل عليه الرسول ، ووجهه قد سدد بندقيته نحو فسيان كان مع الجند ، وقد تراءى له فى محل تمكن فيه اصابته، فمعه من ذلك . ثم حاوره أن يخرج الى المراقب أو يدفع سلاحه ، فأبى كل الأباء ، ثم رجع الرسول . فأخبر عنه أنه لا يخرج ولا يعطى سلاحه ، ثم عمد هو اذ ذاك ، فجعل فم بندقيته تحت حينه فأطلق الرصاص على رأسه ، فخر ميتا . وقد غادر الدار كل من كانوا فيها فى ثقب من جدار . فأمر المراقب أن يوتى بجثته الى الوادى ، وذلك فى نحو الرابعة والنصف عشية . ثم أمر المراقب ، فأتى ببقرتين من دار القائد . فذبجتا فى الحين للجند . وقد ذهب الاعوان حتى اختاروهما ، هذا . وقد تفرق جميع رجال اهل القرية فارين . قال : ثم أتى بنا نحن المعتقلين الى وسط السوق ، فأطلقونا . ثم خطب المراقب فى الناس قائلا لهم : ان أبواب الراى منكم يردون بالهم ليجمعوا كل السلاح . فقد قال لى العرييسى الاقواوى ان تحت يد القائد سلاحا كثيرا ، ثم تفرق الناس . فذهب المراقب ومن معه ، وقد حملوا جثة القائد الى المركز فى (ايمنى أوكادير) فأمر المراقب أن لا

يدفن . بل يطرح في حفرة ، وتكن صاحب المراقب - الشاوش - راجعه في ذلك ، حتى انعم بأن يغسل ويكفن ويدفن . وهكذا فعل به . فصلي عليه :
 دفن في مقبرة (ايمى او كادير) رحمه الله . وقد كان انتحاره في مفتتح صفر
 قبل أن يرجع الملك بشهر ، وكن من يعلم كيف الجو اذ ذاك يعلم بديهة ما
 هو السبب حتى لم يفك المراقب ومن معه بأهل (الرض) كعادتهم في أمثالها .
 قال الراوى : وفي اثناء الليل المقبل جاء ثلاثون ناقلة مملوءة بالجند ، فبانرو
 فى السوق . وفى الصباح جاء رجال الشرطة و نوماندارات و فباطين ، فاستنار
 الجند بالقرية ، فدخلوا الى دار القائد ، يفتشونها ، لعلمهم يجنون سلاحا .
 ولكنهم لم يفوزوا ولو ببنديفة واحدة . نعم اختلسوا على عادتهم ما خف حمله ،
 وامكن ان يجعلوه فى الجيوب . وكذلك ما لغت أعينهم من الاواني ومن الزرابي ،
 وقد ذكر أهل القائد انهم فقدوا كثيرا من الذهب والفضة ، ومن الامتعة . ونل
 ما يمكن ان يستميل عین المفسسين من الاجانب ، وقد قلبوا كل ما فى الدار
 ظهرا لبطن فلم يتركوا صنوفا ولا حجرة ، حتى الكتب فتنسوها ، لان لهذه
 الاسرة مكتبة متسعة فيها ذخائر فيما قيل .
 هكذا ذهب هذا البطل الوطنى ولسان حاله يقول : بيدى لا بيدى عمرو .

الشيخ أحمد بن البشير

هذا هو الذى قام بالرياسة فى هذه الدار اليوم على صغره ، وهو سيبط
 الفقيه عابد بن محمد بن عبد الرحمن ابن عمهم ، وقد تخرج هذا الفقيه من
 (نيمكيدشت) وتوفى 1365 هـ واخوه الفقيه محمد الطيب توفى قبله 1363 هـ .
 فبقيت سمعة دارهم طيبة . وقد نفعت المترجم هذه الحادثة التى وقعت لآخيه
 فكان رئيسا فى كل ما يرأس عليه أخوه . بل زيد له كثيرا و ايلته هم :
 (أكرضى) و (ايت على) و (ساموكن) و (القصبه) و (ايكينواز) و (ايفير)
 و (تاكجكالتى) ، وهو الآن شاب لبق ، كان أخذ اخذا لا بأس به ، فقد
 كانت له ثقافة مزدوجة من العربية والفرنسية . ولد 1360 هـ . وقد حضر
 عندى اثر الاستقلال ، فوصيت عليه ، فنفعه ذلك . فاتصل بالملك ، وامكن
 له ان تبقى الرياسة فى دارهم وحدها دون جميع الدور التى كانت فيها
 الرياضات الموسمية فى عهد الاحتلال . وقد كتبت هذه التراجم فى
 دارهم يوم زرتها فى رحلتى المذكورة . ثم بقى كل ما كتبت عند القائد محمد
 لينسخ منه ، ولم اتوصل به الا اليوم سادس ربيع الاول 1379 هـ . فقد اتانى
 به الشيخ أحمد هذا ، فاتممت ما بقى فيها عن رواة مسنين حضروا كل ما
 رذته اليوم ، فكان هذا ما فازت به هذه الاسرة الماجدة حفظها الله .

كان احمد بن البشير يزور (اكادير) فاتفق ان بات فيه ليلة الزلزال ليلة
 3 من رمضان 1379 هـ . فقد بين المفقودين . ولم يترك اهله مستشفى ولا

مركزاً الا زاووه، الى أن وقع على اثر له بين انقاص نزل بات فيه . فكان
آخر رجالات هذه الاسرة الماجدة . ولم يترك من يخلفه في اهله . فبقيت
دارهم شامخة الى الآن : 2 رمضان 1380 هـ .

نجز الجزء العشرون . وبه تم كتاب (المعسول)

نجز الجزء العشرون

وبه تم كتاب (المعسول)

بفضل الله



خاتمة

(كتبت هذه الكلمة سنة 1360 هـ وأنا لا ازال فى المنفى)

اليوم نجز بحمد الله كتاب (المعسول) باقسامه الخمسة . فقد رسمت معاله . وبينت مناهجه . وحررد فى كل قسم ما عندنا الآن من تراجم الذين يليقون لكل قسم من الاقسام الخمسة . ولم يبق الا تحرير ذلك وتصفيته . وتميم ما لا يزال منه ناقصا واصلاح ما عسى ان تقع عليه من خطأ . ومتى انحلت العقدة . وازيل عنا هذا الحصار الذى نحن فيه . نبدل جهودنا ان شاء الله فى تحرير كل ما سودناه الآن . وتخريجه من مبيضته وادخال ما لا يزال نرجو الحاقه بالاصل . وعلى الله وحده التكلان . وحسبنا الله ونعم الوكيل : اكتب هذا فى دار اهلى بـ (الخ) حيث جمعت من مواد الكتاب ما جمعت وأنا فى عزلة تامة عن العالم الذى يتلظى بهذه الحرب الثانية . وفى غربة أرخت على عزاليها . وأنا مفرد فى غرفتى هذه البدوية الساذجة . وولدى عبد (1) الله يفقر امامى . واخوه سعيد المولود لنا منذ شهور ، يرقد فى مهده . وامه تحركه بيدها ليتم وهو لا يزال فى بكاء مستمر . لكن لبكائه الحان ونغمات . وأنا اجد منها ما لا اجد من الحان أم كلثوم . ومن نغمات عبد الوهاب . وعادتنى ان اشتهل وافراد اسرتى الصغيرة يذهبون ويتاونون حولى . وظهري الى جدار ، ففى النهار استند ازا . قويس صغير مفتوح الى دائرة وسط الدار . فاستمد من نور النهار . وفى الليل استند فى حجرة الى جدار آخر . وعن يسارى ازا راسى مشكاة (2) فيها سراج من السرج المعتادة (3) ذوات الشعب الاربع وبنور فتيلته الغريقة فى الزيت كتب بعض هذا الكتاب الذى سيقراه غدا ان شاء الله من يتصلون به من اهل الخواضر الذين لا يالفون الا الكهريساء الوهاجة . نى قصورهم الشماء البهجة . هذا وأنا احمد الله حين وجدت الان هذا المنزل فى هذه الحرب الضروس التى تنهوج فى العالم . وتقضي على الناس بغلاء الحاجات الضرورية . فلا شمع ولا ملبوس ولا سكر . والى الله المشتكى . وعسى ما نحن فيه ان يكون له فرج قريب بحول الله .

(1) استأثر الله به بعد رجوعنا الى مراکش

(2) المشكاة : توة غير نافذة من الجدار . وهى التى يوضع فيها السراج

الصغيرة عادة عند الالفين .

(3) هذا النوع وایتة بعينه فى متحف قرطاجنة . وهو مما اعتيد من عهد

الفينيقين .

كان الغرض الاساسى فى الكتاب من اول يوم هو نخليه اهل هذا البسيط (الخ) فى التاريخ. اداء لحق هذه الأسرة الصالحة العالمة ؛ أسرة آل عبد الله ابن سعيد . ثم لما جمعت منهم ومن يساكنونهم اخبار صلحانهم وعلماهم وادبانهم ورؤسائهم ما أمكن ، تعالت همى أن امد السماط لغيرهم من جميع السوسيين الذين يمكن لى أن ادخلهم فى الكتاب . على شرط اشتراطه على نفسى. ففتحت بذلك الباب على مصراعيه. فأتبع أشياخ الالفيين من الصوفيه والعلماء . ثم الذين أخذوا عن الالفيين من العلماء والصوفية . وقد اقتصرنا فى الاخذين عن الالفيين على الذين اخذوا من المدرسة (الالغية) ومن الزاوية الدرقاوية (الالغية) خاصة . فسرت أتبع من الفريقين كل من يقعون تحت شرطى هذا فأجندنى أودى أكبر واجب لغالب السوسيين المخالطين للالفيين من اهل دندين اجيلين الماضيين ، بل ومن اهل هذا الجيل أيضا . فقد أمكن لى أن اتصل بوساطة من هم على شرط الكتاب من أشياخ الالفيين ، وممن اخذوا عن الالفيين . بكثير من رجال الأسر العلمية الجزولية ، وحين اشتطت أن اذكر أسرة كل من هم على شرطى ، ذكرت ليعقوبيين اولاد سيدى عبد الله بن يعقوب السملالى . والمافانيسين السملالين والسوكاكين والاكضيبيين والكوسالين . وآل يعزى السملالين ، والعباسيين والبوشيكريين . والواسخنيين والازاريفيين والتشرفاء التازروالتيين ، والانساكين الافرائين . وآل سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ النامانارتيين وآل محمد بن عمرو الاسريريين . وآل يعزى وهندى الاساويين ، وآل محمد بن مبارك الافاويين ، وآل الطيفور الساموكتيين ، واليزيديين الايسيين ، والسالمين الايسيين ، والتمكيدشنيين الايسيين ، والايديكليين التملين والجشتمين التملين ، والتاسككتليين ، والتينكيين العبالوين والكرسيفيين ، والدودملانيين ، والتمليين الردانيين ؛ والخطاطيين التملين الردانيين ، والتاكوشتيين . والكرراكيين التاوريرتيين ، والاقارضييين الصوابيين ، والبوشواريين والواغزنيين ، والاسفاركسيين ، واليعقوبيين الابلانيين ، والاكناويين الابلانيين ، والريشيين ؛ وآل عبد الله بن داود الايسانوسيين والاسكاريين ، والكيريين ، والازواريين الرسموكيين . وآل تامرة ، وآل انراض والمجويين الرسموكيين . وآل سبدي على بن أحمد الرسموكيين ، والمضانين الرسموكيين ، والتاغاتينيين الرسموكيين وآل ابن عمرو البعقيليين . والاغرابونيين البعقيليين . وآل سيدى عمر البونعمانيين ، والسكردادين الجراريين ، والرهميين الجراريين ، والمستكاديين والتوماناديين، والاكرايين ، وآل السملالين الساحلين. وآل

تأدرات البعمرانيين، وآل العبالو الماسيين ، والالاسيين ؛ والناصرين ؛
السوسيين ، والبنتسعيديين ، وآل حسين الطاطانيين ، والركنيين ؛
الساتلنيين ، والشرحيليين ، وآل تاغارنغرن ، وآل سيدى ابراهيم بن عى
التيفانيهينيين، وآل الشيخ ماء العينين الذين صاروا يعدون من السوسيين
ومن أشياخهم . وغير هؤلاء، مما سنقف عليهم فيما بعد ان شاء الله، يوم نملك
أنفسنا فنذهب ونانى كما نريد ، ممن لهم تعلقو بالالفين . استاذية او
نلمذية او صداقة وربما جرى ذكر بعض أسر اخرى ان ذكر بعض رجالتها
اتنا، تراجم أسرة من هذه الاسر . كثال حمزة ، وآل تختيسنت ، وآل
أكرتامو السملالين ، وكثال البرج الرسموكيين ، فهذا عملنا فى كل من
لهم اتصال بالالفين من العلماء . ثم لم ننس الرؤساء أصدقاء الالفين .
إزاء هؤلاء العلماء . فأتينا (فى القسم الخامس) بذلك من القواد والشيوخ
انسياسيين الذين لهم مواصلة تامة مع الالفين . والمقصود افادة المؤرخين غذا.
هذا عملنا فى هذا الكتاب ولا ريب أنه لا يدخل تحت شرطنا فيه الا قليل من
العلماء والرؤساء من مطلق السوسيين . ما لم يكونوا من رجال هذه الاسر
العلمية او الرياسية . ولذلك خصصنا كتابا عاما جمعنا فيه من يذكرهم
مورخونا السوسيون فى كتبهم . كالبعقيل فى (كراسته) والتامانارتى فى
(الفوائد الجمة) والرسموكى فى (وفياته) والكراى فى (بشارة الزائرين)
والخصيكي فى (طبقاته) والجشتمى فى (خضيكيين) والاكرارى فى
(روضة الافنان) وابن الحبيب فى (تعطير الطروس) وضممنا الى ما فى هذه
الكتب ما تيسر لنا من غيرها . وسنبنى على هذا ان شاء الله فنجمع كل
سوسى من اى كتاب آخر الى ذلك . ليكون سجلا خاصا بكل علماء سوس .
وقد سميناها (رجالات العلم العربى فى سوس) (I) كما أن هناك مجموعا آخر
خصصناه للرؤساء . ولما تمش فيه الاخطوات . قلنا هذا لئلا يفتر القسارنى
بـ (المعسول) فيظن أنه تاريخ عام لكل علماء سوس ولكل ادبائه . بل هو
صوان لطائفة خاصة يجمعها شرط خاص . نعم انفراد (المعسول) بسوق كثير
من الاثار الادبية المختلطة مع الاسهاب فى التراجم . فتلك ميزته الخاصة وازاء
ادبياته . كتابان آخران . أحدهما (مترعات الكؤوس) خصصناه لآثار أدبية
حسنة لمن ليسوا على شرط (المعسول) والثانى (جوف الفراء) جعلناه
كسلة المهملات نلقى اليه ما غث وما سمن بحسب رزقه مما يبقى عن تراجم
(المعسول) وهذا كله عمل من يجلس وحده نى هذا المنفى ، بزجى الايام
بتسويد الطروس ، ومداعبة القلم ، حتى يفرج الله ولعل كل ما سودناه يكون
له شأن فيكون أفضل هدية لمن ستفد عليهم غذا ان شاء الله يوم تنفرج الازمة
(I) كان هذا هو الجزء الثانى لكتاب (سوس العالمة) ولكن آثرنا أن نفرق
بينهما ليؤدى كل واحد منهما ميمته الخاصة .

بحول الله . كيف أحرر التراجم

يالف المؤرخون كالبعقيل ، والتامانارتسى ، والرسموكسى ، والحفيكى والكرامى ، والجشتيمى ، والايكرادى . وابن الحبيب . منذ صاروا يكتبون عن رجالاتهم الايجاز المطلق فى تراجم كل من يترجمونهم فى كتبهم . ويكون ذلك غالبا ايجازا مخللا لا يستفيد منه المطالع الباحث عن النواحي التى تركز عليها معرفة حياة الرجال . فكنت أتألم كثيرا متى احتجت الى معرفة رجل من الرجال المذكورين فى تلك المؤلفات التاريخية . حين لا أجد ما أطلبه من الاحاطة بترجمة من ابحت عنه . ومن هنا حرصت كل الحرص أن أسهب فى التراجم غاية جهدى حتى لا يقع غيرى بعدى فيما وقعت فيه فالتزم أن أذكر كل ما استطعت اليه سبيلا مما يتعلق بنسب المترجم مع ذكر ما عرفه من وقت الولادة ووقت الوفاة أولا تحت اسم المترجم ، ثم أذكر نسبه ومن له من الاساتذة فى القراء والمعارف . مع ذكر الامكنة التى أخذ فيها القراء والمعارف (والمعهود أن يغفل اساتذة القراء فى التراجم) ثم أذكر اعمال المترجم من كل ناحية فى التدريس وفى غيره مع التزام ذكر المدارس التى درس فيها . وذكر التلاميذ الذين أخذوا عنه - ان عرفتهم - ثم أذكر مختلف الانباء التى تتعلق بالمترجم ، والاطوار التى تطور فيها . والاثار الادبية ان كانت له . وبالاجمال أذكر كل ما عرفه عن المترجم . الا أننى من كتاب اليمين لا من كتاب الشهال - الا لبيان ما لا بد منه - وان باشارة من بعيد ، ثم أختتم بذكر اولاد المترجم وبمراثيه ان وجدت لها . هكذا سرت فى التراجم التى وجدت لها مستملات تمدنى بكل ما أريد . ثم ان كلن المترجم من أسرة علمية أذكر جميع رجال أسرته . من اوله الى آخره . بكل ما عرفه عنهم نسبا ومولدا واساتيد وتلاميذ واعمالا واثارا ادبية . وان لم تكن الا تافهة كرسالة ساذجة أو قوافى موزونة معربة ، فلذلك أمكن فى الكتاب جمع رجالات الاسرة الواحدة فى صعيد واحد . فيخرج القارئ من كل أسرة ، وقد ألم بغالب احوالها . حتى ليمنن للقارئ ان يعد مجموع كل أسرة مؤلفا خاصا ، فيكون كتاب (المصول) مجموعة مؤلفات شتى ، بعدد ما يحتوى عليه من الاسر التى جمع شملها . وهى عشرات فعشرات .

اننى احرص فى الكتاب أن أذكر الاحياء (1) بين الاسر ، متى وجدت لهم الماما بالعلوم ، بحيث يقرأون العربية ويكتبونها بلا لحن ، او بنحن قليل ، مع مرورهم على المتن ، وان اسوق الاثار الادبية ، وان لم تكن ذات قيمة فى نظر اصحاب الاذواق السليمة ، لا يقانى ان ما لا يصلح للاديب الماهر ، يصلح

(1) صار غالب الاحياء اذ ذلك 1360 هـ . فى عالم الموتى الآن 1380 هـ .

للمؤرخ الماهر . التي يستنتج من اثر سقيم ما يدل عليه سقمه . فاذا بذلك يعود عليه مع غيره بفائده عامة . عن آثار ادبية عن عصر من العصور او فسي اقليم من الاقاليم . او لا يرى المؤرخ الماهر الحريص على الاستنتاج ان هذا من الفوائد العظمى؟ والكتاب ليس كتابا مدرسيا ينتقى له . بل كتاب تاريخ يحضر فيه كل ما امكن كيغما كان جيدا او غير جيد . ما دام عربيا وان لم يكن من الروائع . فقد يستفيد المؤرخ من عبارات الرسائل الساذجة ما لا يستفيدة من الرسائل الرائعة ، كما اننى اذكر الصوفية كما هم فى بيئتهم وعند معتقديهم فان ذلك ان لم ينقل كما هو فى بيئته لا يفيد المؤرخ ، سواء كان ذلك على مبدأى انسلمى ام لا . ولت شعرى كيف يعرف رجال عرفوا بخرق العوائد ، ان لم يذكر معهم ما عرفوا به .

الشلحيون والعلوم العربية

ينشا الفاسى فى بيئة تتكلم اللغة العربية اللادجة . يسمعا من ابويه ومن اخدم ، ومن القرانه فى ملاعب الازقة . ثم اذا دخل مكتب القران يجسد قويا كتاب الله الفاظا لا يقب منها عن فهمه الا بعض كلمات لا تستعمل فى بيئته . ثم لا يكاد يدرك التمييز حتى ترى والده يصاحبه الى مجالس العلم خصوصا بين العشاءيين (1) والى المساجد حيث يحضر خطب الجمعة . فيمكن له ان يفهم ولو تفهما بسيطا ما يقوله الاستاذ فى مجلس علمه . واخطيب فى خطبته . هذا اذا كان والده عاميا . واما ان كان الوالد احد العلماء . فان الولد يسمع ايضا فى وسط الدار العربية الفصحى من بعض العلماء الزائرين لايه . فى اثناء المذكرات مما لا بد ان يفهم منه القليل ان لم يفهم الكثير . ثم اذا جمع القران او كاد يدفح به الى تعلم اسس العربية الفصحى . فسرعان ما يتنوقها . فلا تمضى عليه الا شهور ، حتى يعرف مواقع الكلام العربى المترتب بمرفوعات ومنصوباته ومخفوضاته . ثم لا يقطع الا شوطا او شوطين حتى ترى كفه يتفتح عن الزهرة . التي تتبعها الثمرة وشيكا .

هكذا يكون ابن فاس الذى ينشا فى بيئة عربية علمية . فلا يمضى عليه فى تلقى العلوم الا قليل حتى يظهر بفتنة وذلاقة وفهم مكين . قبل ان يمضى عليه احيانا حتى سنة .

واما الشلحي البربرى الفح الذى يعيا فى مثل جبال (2) جزولة الذى

(1) هذا وصف لاهل فاس فى الجيل الماضى حين تحتفل بمجالس العلم بين العشاءين كما كانت عليه كل المواضر اذ ذلك .

(2) هذه الجبال لا عربى فيها ، وانما تسكن لقبائل العربية ، هواره وأولاد يعيا والمنابهة فيما حوالى (تارودانت) فى السهول . وأولاد جراز حوالى لآتينيت) ولم تزدهر العلوم العربية بالدراسة منذقرون الا فى جبال جزولة، حتى أن اب زيد الجشتيمي قال : لا يكون قضاة او عدولا فى (تارودانت) الا من قبيلة أمكن من جزولة، يعنى ان ذلك كثير لا أنه لا يقع الا ذلك .

ينشأ في بيئة لغته الشلحية البعيدة عن العربية ، فإنه قد يحفظ القرآن - وكثير منهم لا يستمتون حفظه الا عند البلوغ أو أكثر - وهو لا يدري حتى معنى الحز والسمن والبصل والخصير والفاس ، لأنه ينشأ في اقليم مترو متكش على نفسه ، قلما يزوره عربى اجنبي عنه - كما هو الحال في جبال جزولة قبل الاحتلال - وقلما يخرج منه اهله الا تجارا قليلين اذ ذاك . وهم الذين يلمون وحدهم بالعربية الدارجة ويبقى سواهم مرتطمين في لغتهم الخاصة فمن حفظ منهم القرآن لا يفقه من معناه أى شىء . ما لم يلم بدراسة العربية في المدارس . وهكذا يكون حافظ القرآن الذى تبلى سنه غالباً نحو ثمانينة عشر عاماً . فتراه اذا افتتح الجرومية يتحير في معنى (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع) ثم يزداد تحيره يوم يفرق في (باب معرفة علامات الاعراب) فلا ياخذ كل ذلك الا تلقينا وتقليداً وحفظاً لما يكتب له (وقد يتم الجرومية ثم يعيدها مع (الجمل) و (الزواوى) وهو لا يفقه ما يزاوله الا توهما . وترديد كلمات يحفظها كالترصيف في (اللامية) على قواعدها . يلقنه اياها الاستاذ تلقينا ليجيب بها . وهكذا يسير كما يسير الاعمى المقود بيده . وقد تمضى سنتان أو ثلاث ، وهو بعد بعيد عن تفهم ما يتعاطاه حق التفهم (1) . حتى أن الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الألفى يقول :

ند يمك قبل ثلاث سنين فلا تهجرنه أخير أنيس
فإن الشلاوى مصدره أجل مواضيه غير مقيس

يقصد أن الاستاذ لا يتطلب من تلميذه تمام الفهم فيما يقرأه من العربية الا بعد مزاوله ثلاث سنوات (2) فاذا ذاك فقط يؤاخذه اذا لم يفهم ما يزاوله . وضرب لذلك مثلاً بالمصادر التى تبني من الأفعال الثلاثية) فان غالبها غير مقيسة بخلاف الأفعال الرباعية فما فوق فانها مقيسة .

ذلك هو التلميذ الشلحي الذى تدرس له العلوم العربية باللغة الشلحية على ما هو العادة فيقرأ الجرومية والألفية حتى مختصر خليل بلغته المعتادة (3) ، فمتى يا ترى يتمكن في اللغة العربية؟ حتى اذا تمكن من قواعدها بكترة الاكباب

(1) أكبر مؤخر للشلحيين عن الفهم الباكر هو التدريس بغير العربية . وقد كنا في مراكش ونحن لا ندرس بالشلحة بن بالعربية الفصحى نرى فهماً مسرعاً منهم . وفي المعهد الرداني اليوم وفروعه دليل قوى . فلا يكاد الشلحي يظن عليه الا قليل حتى يفتتح فهمه بسرعة ، بل يظهر من ذكائهم نوادر عجيبة . نعم ان لعموم العربية الدارجة المنتشرة اليوم لسبباً كبير في ذلك . (2) قد تنخرم هذه القاعدة في بعض الشلحيين الذين ينشأون في الأسر العلمية ، ولكن العبرة بالكثرة الساحقة . وهذا أمر نشاهده هناك الى الآن (3) والعجب أن نحو العربية يقرأ ويفسر بالشلحة . كما يقع مثل ذلك بالفرنسية . فقد حدثني الوزير المعمرى أنه ماقرأ نحو العربية اولا بالفرنسية .

سنوات فانه لا يتلوق لبابها وأدائها الا بعد جهود اخرى بين تسلوات الكتب
أدبية كثيرة خارج الدروس المعتادة - كما هي عادة بعض المدارس التي تكتب
على اهنال هذه الكتب في عطل الاسبوع يوم الخميس والجمعة والعواشر ويعد
مدارسه امثال المقامات ، ولامية العجم ، ولامية العرب ، والشعر اطييسية .
وبانت سعاد ، والهمزية ، والبردة ، وقلائد العقيان وديوان المتنبي . والمعلقات
السبع وامثالها مما يدرس في كل المدارس او في بعضها . ثم لا بيئة علمية الا
في المدارس او في مجالس العلماء . اثناء الدراسة فقط . واما لغة التخاطب
فهى اللغة الشلحية دائها .

فلتسمح الآن ايها الفاسى ما يقاسيه صنوك السوسى فى تطلعه الى التمكن
فى اللغة العربية . والتفلسح منها . حتى يمكن له ان سافر من بلده الى
(القرويين) ان يجاورك فى الاخذ عن اسانذة (القرويين) فربما لم يمض
لك أنت فى الدراسة الا ستان او ثلاث مع انه مضى له هو فيها زهاء عشر
سنوات . ثم لا يفوق مستواك غالبا . والعلة فى ذلك ظاهرة بينها غاية
البيان . ومنى ظهر السبب ، بطل العجب .

(وبعد) افلا تشكر هذا الجزولى المكب على العربية وآدابها حتى استطاع ان
ينذوق منها بعد سنين كثيرة فى فقر واقلال فى باديته الفاحلة . ما تذوقه
أنت ، وانت فى أعظم حاضرة تجبى اليها ثمرات كل شىء . افلا ينبغى ان
تعتبر ما كان يلاقه حتى استطاع ان يتطلع الى التعبير بالعربية وأن يقول
فيها ما يقول ، ميدانا عظيما تجلت فيه التصحية فى أعلى مجالها .

ثم لا يحسن القراء أننا ننيد بكل ما فى هذا (الكتاب) من منظوم
ومثور . فلسنا والحمد لله من أهل الغباوة حتى نحسب الجرة ترة . والقصة (1)
فضة . وانما كل مقصودنا أن يدرك القارئ يتمهل أن ما فى هذا الكتاب صدر
عن أناس شلحيين . تربوا فى غير العربية . ثم لا يتصل سلك أحدهم بالعربية
الا بعد جهد جاهد ، فان أحدهم لا يزال يتخطى من الاجرومية فالتى تلوها من
الكتب المدرسية شيئا فشيئا . وهو يأخذ من القواعد العربية بلسان ابويه .
ثم لا يزال يتعالى الى العربية فتسرب اليه قليلا قليلا بمقدار ضئيل . حتى
ينأتى له بكثرة المزاوله وشدة الامعان ، وبطول الحرص ان يسلس له قياد تلك
اللغة ، وأن لا تجب الفاظها المعانى التى تقمصتها ، ثم ان كان قدر له أن
يكون كاحد هؤلاء الادباء المذكورين فى هذا الكتاب . فانه يسير قدما .
يواصل الاسناد بالتأويب . ولا يفتا عن سير الميقاب (2) حتى يتبحج اللجج .

ويسبح فى العباب ، ثم لا يقنعه الا أن يتسربل شملة عربية ، ويستلم فكرة

(1) القصة ، الحصة .

(2) الاسناد : سير الليل كله . والتأويب : سير النهار كله . وسير الميقاب :
السير فى الليل والنهار معا بلا نزول

مضرية . وان يتصور انه من جبلى (نعمان) فيستخلص اليه نسيمه . او انه احد بنى عذرة فيتهالك على نفسه هياما أن توهم أنه سنحت له احدى الحسن . او أنه عنتره العبسي فيلحظ جلده كأنه خافية الغراب . ويرفع عقيرته وقد اغلظ من صوته فينشد كما يحسب أنه عنتره ينشد كذلك :

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل: الفوارس ويك عنتره أقدم

او انه ابو نواس فيغازل الكاس والطاس . ويثأثى بالسبين ان جرى على لسانه ذكر محبوبه عباس (1) أو أنه ابن زيدون فى اكناف (الزهراء) وهو يرسل ولادة بقواف رقيقة . ومعان تفعل بالالباب ما تفعل الحمير)

هكذا يعود ذلك الشلحى عربيا مبينا . وقد سلخ عنه مسلاخ أبويه ، وعادات قومه ، ونسى كل ما يسامته . أو يكون على أيماهه وعن شمائله من الشلحين والشلحيات . يطير كل ذلك عنه . كما طار عن جده الاول كغره يوم خلق دين الاسلام عليه بأجنحته البيضاء ، وقد اعار أمس للعرب قلبه وشعوره على عهود أجداده . ثم أتبعه اليوم لسانه وذوقه فيستطيب السبح فى بحور أشعارهم وآدابهم . كما يستطيب الصب السبح فى مغازلة من تميّت قواده وملكت عليه مشاعره . كآين من شلحى جزولى تراه فى شملته السوسية وفى سحنته الجزولية . تكشف لك عما فى طواياه . لرايت أديبا عربيا يهد اليك راحته ليصافحك ، كأنها انتساخ الارواح صحيح . فجالت ارواح بعض أدباء العربية فى العالم . فلم يطب لها ان تتقمص الاشباح بعض افراد من السوسيين الكرام ومن تختارهم الارواح من عليها . فتعود بهم ثانيا الى هذا العالم . افلا تختارهم أنت أيها القارئى الذى تحدّر جسمه من أصلاب عربية حقيقية ، فتقدم اليهم يدك فتشكرهم على ما قاموا به من الجهود الجبارة ، حتى حرصوا على لغة اباؤك العربية ، فحنوا عليها حنو المرضعات على الفطيم؟ لا يهمننا من هؤلاء الادباء أنهم مجيئون فيما يقولون أو غير مجيدين ، بل هل كل أدباء الحواضر يجيئون دائما . فالاجادة وهن الحظ ، وهن بنات البخت وكم من اديب كبير عالم بالفنون التى أنقنها حتى فى الحواضر لا يحسن ان يضم كلمة الى كلمة عند مناجاة ربه القريض . كما هو المعتاد عن المفلحين فى القريض ، ولهذا ينبغى ان تكبر من هؤلاء الادباء الجزوليين هذه الهمم التحفزة الطيارة التى تقطع جوا ، فجوا ، فيحاء واسعة ، قبل ان تطل على ما هو الادب العربى الذى كان منها بمنزلة السماء السابعة ممن هم فى الارض السفلى . لا نشك فى أن غالب هؤلاء أدباء ، ما دما نجد الادب بأنه الاطلاع الواسع على اللغة العربية . والنفوذ الى روحها المكنونة . والاتصاف باوصافها تخلقا ، حتى

(I) قال ابو نواس فيما اسمه عباس :

وشادن سألت عن اسمه ، فقال لى باللسخ عبات
فصرت من لثفته النفا فقلت أين الكاث والطنث ؟

يكون خلقا راسخا ، ذوقا وأريجة وشعورا . فاننا ما دام هذا هو الاديب العربي ، وان المتصف به هو الاديب العربي . نحكم بان غالبهم مع تفلوت افتداهم ادباء . بلا شك يعترينا في مجموعهم ان كان بعض شك يعترينا في بعضهم ان سحب عليه وصف كاتب بارع ، او شاعر مطلق ، او علامة كبير .

قد يتراءى من بين بعض عباراتهم اختلال في التراكييب . وضعف في التعابير ، وهلهلة في النسخ ، ولكن لا ينسين القارئ ان هؤلاء المذكورين في هذا الكتاب متوزعون على عدة قرون ، كما لا ينسين ان الادب العربي بسوس جزء متصل دائما بوساطة (القرويين) و (الجامع اليوسفي) و (تامكروت) بالادب العربي المغربي العام وما جزرا ، افلاقا واسفاقا . فليدرس الادب المغربي العام في هذه القرون كلها في جميع اجزاء المغرب وليدرس هذا الجزء في ضمن ذلك . ثم لا علينا ان صدر حكمه لهم او عليهم ، فان الجهود المبذولة - وهي وحدها مفخرتهم الوحيدة - لا يمكن ان ينسأها هذا الحكم . وان أمكن ان يكون عليها . فمهما بلغ ان يلسعها من الشدة والعنف ما يلسع ، فان جهودهم لا تنسى في اتقان العربية وعلومها وآرائها . وعلى المرء ان يسعى وليس عليه ان يساعده الدهر . ومن بذل جهده فقد أعذر .

علي أننا لو قدرنا ان أمة من أمم الهند أو أمريكا أو أوروبا اعتنى أفرادها من عند أنفسهم باللغة العربية كما اعتنى بها هؤلاء الشلحيون الاقحاح حتى برز في علومها من بينهم في أعصار متتابعة كثيرون تحصيلًا وتأليفًا وآدابًا وشعراء . ثم احصى باحث علماءها في ذلك ا فوجدوا نحو أربعة (1) آلاف ، والمؤلفون في علومها عشرات عشرات عشرات ، ثم القيت نظرة عجيلى على أدبائها فحشر من تيسر منهم ان توضع اليد على الاثار التي بها يكتنه القدر ويسير الفوذ فيلفون عشرات عشرات وبينهم نخبة منتقاة منتخلة ممن مروا في قرون قليلة . ولعل اضعافهم موجودون . ولكن انما هي جولة قليلة في زمن قصير تحت شرط خاص ملتزم . من رجل ليست يده بطولى علما ومتناولوا . لو قدرنا أمة ما هكذا . ثم خفي أزمانا عن الاعين كثير مما تنطوى عليه هذه الامة من آثار العروبة . وءايات لسانها الدلق . ثم قام اليوم احد الباحثين فاكشف لنا ما اكتشفه هذا الكتاب المتواضع . فليت شعري كيف يقابل عند القراء في هذا العصر الذى تقدر فيه جهود الامم . ويشار فيه بنبوغ النوابع؟ فما هؤلاء الشلحيون واعمالهم تحت لواء العربية الفصحى . وما قاموا به خير قيام قرونا متوالية بلا ملل ولا فتور . الا مثل أمة من تلك الامم فاذا لم ترسل صيحة عالية تعجبا واستغرابا تمثل امام الاعين جهود ادبائها المستعربين . كما لا شك أنها ترسل مثل تلك الصيحة لو ظهر مثل ذلك فجأة من احدى

(I) فى يوم من أيام المنفى الطويلة ، جلست اعد علماء سوس فى كل القرون ، فجزرتهم بهذا القدر .

تلك الامم. فما ذلك الا غماض في الحق . ونكران مجهود بعض الامم دون بعض
واشادة بقوم . واحتقار امثالهم من افوام آخرين .
وختاما أقول ان كل طلبتنا وراء هذا العمل أن يعرف أن هناك في قاصية
الجنوب المغربي لعلوما عربية، وآدابا مسترسلة ، منذ اوائل القرن الخامس .
يعتريها اتباعا للحركة العلمية المغربية العامة جزر ومد ، وقوة وضعف ، ولم
يرن ذلك مسترسلا الى الان . وما هذا المجموع في هذا الكتاب الا كعموان من
ما يروج في عصور مختلفة . خصوصا في الاجيال الاخيرة ، فاذا قرأه قارئ
أو قرأ بعضه ان لم يتركة ذوقه العصري أن يقرأه كله . او تصفحه ورقة
ورقة ، كما يفعل أناس غير قليلين من انصاف المتعلمين ، أو القى نظرة على
عنوانه . ثم ألقاه كما يفعله بعض من أولعوا بهس كل كتاب في دكان (الكتبي)
ثم لا يشترون أي كتاب . اذا قرأه أحد هؤلاء كله أو بعضه ، ثم ألقاه استنقالا
لادبه القديم . أو تصفحه متعلما أو لمسه من أولع بصدع رأس (الكتبي)
ثم أدرك أن هناك منذ اوائل القرن الخامس في (سوس) علماء وأدباء عربيين
كانوا يعيشون بالهواء المغربي في قرون مختلفة كما عاش امثالهم من العلماء
والادباء في الحواضر والبوادي التي في ضواحيها ، وتحت احضانها . اذا أدرك
القرء هذا ، وادركوا من ورائه أنه من فسي تلك الزاوية الجنوبية المغربية
شاركوا أيضا في النبوغ المغربي في العلوم العربية وآدابها . فان ذلك هو
مقصودي الوحيد الذي انقطعت له منذ سنين .

ثم لم يبق لي الا كلمة ان لم تكن في ذهن بعض من يطالع هذا الكتاب . فانه
يتأخف ان وصل بعض من كانوا عاشوا في هذا الجيل ، ثم درجوا أخيرا .
لأنه يصب عليهم جام غضبه حين لا يزالون عاضين بالنواجذ على ما يزعم انه
ادب أمشاج كموبياء . لا روح فيه الا المحاكاة . والقاء اللفاظ في بحور
العروض بترصيف أو بلا ترصيف . ويقول قد كنا نقرأ ذلك لمن عاشوا قبل
هذا الجيل فتقبله منهم . لأنهم عاشوا في عصور لا تعرف الا ذلك . ومن يكلف
أحد أبنائها ما ليس في استطاعتهم من نبوغ في عصورهم . وعلو عما كان
معهودا بين أيديهم من غير أن يعثهم الى ذلك فكر عال ، وشعور وثواب
وقريحة جياشة ، فقد حكم عليهم بالمحال ، وحاول منهم أن يطيروا بلا جناح ،
وأما من عاشوا في هذا العصر الذي انبثت فيه الاداب العربية كما هي في
عصرها الذهبي العباسي . وصرخت بصرخاتها الصاخة ، حتى ارتجت بها
المسامع ، وتهاوت بها من الادب المهلهل الفقاخ . وحتى ابصر الاعمى الصراط
المستقيم ، وسمع حتى الاصم كيف يكون الادب العربي ابن الشعور الخي . لا
ابن افكار ميتة معانيها كالودع الملقى في سيف كل بحر ، وفي تناول كل
يد لا قيمة لها . ولا يهتبل بالتقاطها عاقل ذو عيتين . من عاش في عصر
هذا أدبه المتواطء عليه ، ثم لا يزال يغمض عينيه ، وينكر الشمس ، وينسج

بحيوط العنكبوت ، فانه لا يستحق الا ان يرفس من قراء هذا العصر اخاصر برتلة يندحرج بها الى الدرك الاسفل. اليه يقود مثل ذلك الادب المنحط اليوم . ذلك بلا اذتياب ما سيقوله بعض القراء الخاذقين او المجتذلقين او جلهم ، ولكننى تنازلا لهم على فكرتهم وان لم يكن بعضها الا خطلا . اقترب من اذن احدهم فالقى اليه سرا . لئلا يسمعا سامع من هؤلاء السادة الذين احترم شعورهم . واحافظ على ود راسخ وشجرت بينى وبين كثير منهم او اصره من قديم . وكان فضلهم على عظيما ، فاقول : ان اهل تلك الناحية لا يزالون الآن 1360 هـ . بعيدين عن عذاب تائبك. لأن البعثة الى الآن لا تزال متوقفة دونهم او لم تحفظ قوله تعالى « وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا» فليلحقوا بأصحاب الفترة كلهم أجمعون اكنعون ايتعون ابصعون الا ما كان من ثلة منهم كانوا هاجروا فراوا كيف ترفى الادب العربى اليوم . واما ما عدا هذه الثلة ممن كانوا يعيشون فى هذه الجبال ، فلا يزالون بعيدين عن تأثير روح شوقى وحافظ والزهاوى والرائعى والرصافى والمنفلوطى فى الآداب العربية اليوم والواجب ان يغال كل من فى تلك الجهة الدارجين منهم والاحياء بشكر جزيل على محافظتهم على اللغة العربية الفصحى فى ذلك الاقليم . وعلى الادب العربى من حيث هو الادب العربى . فان الزمان كفىل اذا أراد السعد أن يستمر الادب العربى فى (سوس) بتلقيح الفكر الادبى هناك ، بروح حية وثابة . حتى يترقى التعبير . ويتفوق هناك الشاعر اليوم ، كما تفوق سلفه امس . وتباشير فجر ذلك على الافق . وحسبنا بالبنوعمانى والثنائى والردانسى (1) وأمثالهم دليلا ناصعا .

هذا ما يجب نحو اولئك الفضلاء المستعربين الكرام الذين جعلوا مناغاة العربية هجيرا هم . وموضوع أسماهم ، وعاهدوه معاهدة مستمرة الوفاء . لم يخسها الابناء ، كما لم يخسها الاباء ، يضحى الاستاذ بجميع عمره فى تعليم التلاميذ كما يضحى التلميذ بشرخ شبابه فى اتقان الفن مع المحافظة على المثل العليا الاسلامية .

تذييل

ذلك ما كتب عن (المعسول) يوم كتابته الاولى . وظن ان اتمام ما ينقصه ربما يكون على طرف الثمام . وان تنقيح تراجمه المكتوبة . وزيادة تراجم اخرى أمر سهل ، لا يستدعى جهودا اخرى . ولا مواد أوسع . ثم لما أفرج عنى الافراج الاول . فى (سوس) وحدها مختتم 1360 هـ. فصرت آتقل فى الاسفاد السوسية التى سجلت رحلاتها فى كتاب (خلال جزولة) وقفت على ما أزيده

(1) ولم أكن أدري وأنا أكتب هنا أن النايضة العثمانى شرقت شمسها نى الادب الحى ، فى هذا الوقت نفسه .

فى التراجم التى كنت كتبتها فى تلك العزلة . كما وجدت بحرا زاخرا من
 تراجم اخرى يدخل اهلها تحت شرطى فى الكتاب . فمالات ما بين 1360 هـ .
 الى مختتم 1364 هـ . بالكتابة فى ذلك ، حتى تضخم الكتاب وقارب ما يراه عليه
 القارئ اليوم . ثم لما انتقلت الى سكنى (مراكشى) فى مختتم 1364 هـ . واندمت
 فى الدراسة مع طلبة جدد ، اجتمعوا ايضا حولى فى (باب دكالة) بقى
 الكتاب فى حقيبته كبرى منسيا يندب شجوه . حتى كانى لم اكتبه ، فلا يعجز
 ذكره على لسانى ، ثم لما دهمت الازمه سنة 1370 هـ ، وانتقلت الى (اليضا)
 صرت التفت الى ما فى هذه الحقيبة فايزد الكتاب اشياء ظفرت بها جديدا .
 وحين غام الالف وكان الاعتقال على الابواب ، وخيف من تفتيش الشرطة
 الفرنسية . نقلت كل مخطوطاتى فى حقائب . ومن بينها حقيصة (المسول)
 الى انسان أمين . ثم اعتقلنا فكان ما كان . وحين رجعت من الاعتقال ، كان
 اول ما اشتغلت به وشغلت به من يلتفون حولى . كالاستاذ سيدى احمد
 الاقوى - لسان الحق - والاستاذ الحوزى سيدى محمد بن همتاد الكلمىوى .
 والاستاذ سيدى محمد بن مبارك السوسى المراكشى . ان اكبنا على تخرىج
 كل مسوداتى فى ذلك المنفى . ومن بينها (المسول) ، وقد عزمتم على ان
 انتهز الفرصة السانحة من خلوى من الدروس ، ففطنا اشواط تلك السنة
 فى ذلك العمل . ثم جاء الاستقلال . فدهمت الوظيفة على غرته . فكنت فينه
 بعد فينه ، التفت اوقات فراغى الى عمل الخاص هذا ، فاذا به قد اشرف على
 التمام . فاذا ذاك خطر فى بالى ان الكتاب اذا لم يطبع فى حياة صاحبه ، وتحت
 اشرافه . فانه يكون عرضة للضياع . وهذه مجلدات بقيت من تاريخى استاذينا
 الكبيرين : المراكشى والمكناسى . فآين هسى الآن ؟ وهل يحصرص على انجاز
 اكمال المؤلفات الا من أسسها من اول يوم . وقدرها قدرها . وعرف مواقع
 الاغلاط فيها . وما الطبع تحت نظر المؤلف حقيقة الا النظرة الاخيرة التى يتم
 بها العمل . على ان هناك امورا ازيدها كلها الآن من جديد . والكتاب تحت
 الطبع مثل حياة (القائد الناجم) التى زيدت كلها اخيرا . والمنة لله اولا وآخرا .
 (وبعد) فليعلم القارئ اننى اعرف الناس بكل ما يستهدف له المؤلف ان
 نشر مثل هذا الكتاب . فى مثل قطرنا هذا . فى مثل وقتنا هذا . فانه سيسمع
 ما لا يحب كل ذى قلب حتى ان يسمعه . ولكن ذلك كله هين فى سبيل المصلحة
 العامة ، ولكل ورد شوكة ، وازاء كل عمل مادح وفادح . على ان فى اخراج المؤلف
 لكتابه وهو حتى لمنافع اخرى . فانه هو بنفسه سيسفيد من التنبيه على اغلاطه
 من القراء ، وخصوصا ان كانت اغلاطا لا يتسامح فيها . ومنذ ايام بعد نشر
 (الجزء التاسع) توصلت من الاستاذ الكبير (لسان الحق) سيدى احمد
 الاقوى ، برسالة ينهنى فيها على اغلاط واضحة فى ترجمة استاذه سيدى
 عبد الرحمن الفاسى . فقد ذكر انسى غلطت فى ترجمة الفقيه سيدى عبد

الرحمن الفاسي . الاقوى في ثلاث نطق اولها حين جعلته اصغر من اخيه
القاضي ، مع انه اكبر من اخيه . والثانية حين قلت انه اخذ عن اخيه وعن
الاستاذ الآخر من (آقا ايكرتن) في المتون مع انه انها اخذ عن الاستاذ سييلاتي
الجاماني . والثالثة اني نسبته لغرية (تاويرت) مع انه من اهل قرية
(تاكاديرت) ذلك ما نهني عليه الاخ المذكور ، جزاء الله خيرا . ولا احب الي
من ان ينهني كل من وقع علي خطأ مني لاستدركه . ولا فائدة في نشر الكتاب
في حياة المؤلف الا ذلك . وقد قال عمر : رحم الله من اهدى الي عيوبي)
والكتاب كالمكلف لا يرفع عنه القلم ولو طبع .

الغث والسمين في الكتاب

ان في كل كتاب - وفي مغلقتها كتاب (المعسول) - غثا وسمينا ،
ورخيصا وتمينا ، وصدا ودرا . وتينا وجوبا . ذلك ما لا ريب فيه ، زيادة
على ما سيحتوي عليه من اخطاء ، عن جهل او عن نسيان . واختلاف بعضه عن
بعضه (ولو كان من عند غير الله لوجبوا فيه اختلافا كثيرا) لكن بعد اقرارنا
لكل هذا ؟ الا تزال هناك اسباب اخرى . ربما كان التمييز بين الغث والسمين
من مسباتها ؟ او ليس ان من ليس في اقليم اذا كان يقرأ بعض تفاصيل اخبار
محلية ، يعد ذلك كله من الغث ؟ او ليس من لم يكن بأديب يستقل ما يقدم
الادباء من الروائع ؟ او ليس ان من هو أديب محض لا يستلذ كل ما لا يمت
الي الادب ، ، واخبار الادباء ؟ خصوصا ما يتعلق برؤساء ووصوفية يزخر بهما
مثل هذا الكتاب ، او ليس ان من له ذوق عال لا يستطيع ان يسمع ولو
منظومة واحدة من غالب ما في هذا المجموع الذي سقناه للمؤرخ لا للاديب ؟
ان النقطة التي تنطلق منها النظرة التي تفرق ما بين الغث والسمين هي
نفسية القارئ نفسه غالبا . ولذلك لا أقدم هذا المجموع الا للمؤرخ وحده .
الذي يستنج من السقيم ، كما يستنتج من الصحيح . ويتشوق الي ان يعلم عن
ذلك الاقليم السوسي الذي هو أحد أقاليم المغرب كما يود لو يعلمه عن جميع
الاقاليم المغربية . واما غير المؤرخ . فانه يعرف وينكر ، ويقبل ويرد ،
ويستحسن ويستهج ، ويستغث ويستسمن ، ولكنه ان اقر ما ذكرته انفا
من مقصودي في جمع الكتاب - على عواهنه - فانه سيجدني موافقه في كل
ما يقر عليه حكمه . ومن باع وبين عيوب مبيعه فانه غير ملوم . ولو انصفه
القراء لنظروا الي الصحيح لا الي السقيم ، والى الصواب لا الي الخطا . لان
الانسان مجبول على الأخطاء الا من عصمه الله ولهذا اعلن اني لا ابيع كتابي على
البراءة . واستغفر الله مما اخطأت فيه فيما بيني وبين الله . او بيني وبين
الناس . وما انا الا بشر أصيب واخطئ . والكامل لله :

اننى قد عمدت الى طبع اجزاء من الكتاب على غير ترتيب لسببين اولهما ان فى بعضها ما لا يزال يحتاج الى مراجعة ما . والثانى اننى انحنى الاجزاء المفيدة من كل قسم من أقسام الكتاب الخمسة . اكثر من غيرها، لاتمام تصحيح هذه السنة من طبع أكثر اجزاء الكتاب ان شاء الله . ولهذا تنكبت الاعلان عن الكتاب فى الجرائد والاذاعة ، حتى يتم هذا العدد ، ان شاء الله . فلم اهد الى اية جريدة ، ولا أوعزت الى من يكتب عن الكتاب ادنى كلمة . ولا عرضته فى المكاتب . فكل من كتب عن الكتاب انما كتب من عند نفسه . مع محاولتى الخاصة توقيف ذلك .

هذا فهاكم ايها السوسيون كتابكم الذى لفته واحد منكم من قبل عشرين سنة ايام نفيه بين ظهرا نيكم . فلولا النفى لتم كتاب (مراكش فى عصرها الذهبى) الذى كنت أجمع مواد قبل النفى سنة 1355 هـ . ولكن أراد الله الاشتغال بكتابكم . لأنه يعلم ان فى أبناء مراكش من العباقرة من سيقومون بهذا الواجب واتى بى اليكم مرغما . لاكتب عنكم راضيا . فالحمد لله على ما اسدى، والشكر له على ما هدى . والفضل له اولا وآخرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تقاريف

بين يدي الآن حول كتاب (المفسول) كتابات كثيرة . للدين قراوا؛ الكتاب، وابتهجوا بصدوره فى عالم الطباعة. وفيهم سوسيون وغير سوسيين. ولما كان الكتاب، سوسيا مفعوما بأخبار السوسيين . اثرت الآن ان لا اذكر هنا التقاريف التى كانت بأقلام سوسية . لأن ذلك كاشادة الانسان بعمله نفسه . فاقترنت على ما تخيرته من تقاريف غير السوسيين . من الائمة الاعلام ، ومن بينهم اناس كانوا هم السبب حتى عجلت بطبع الكتاب ، فلم يزالوا يحفظوننى حتى لبيت مرادهم ، وانى لهم لمن الشاكرين .

هذا ، واننى غير غبى - والحمد لله - فيحملنى ما فى هذه التقاريف حتى اغتر . واننى لبصير بكل ما فى الكتاب مما لا يسلم منه اى كتاب كيفما كان، وانما نشرنا التقاريف للتاريخ ايضا كما جمع الكتاب من اساسه للتاريخ ، فانه يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وساتبع التقاريف على حساب تواريخها ، ان شاء الله . واصحاب هذه التقاريف هم المؤرخون اليوم فى (المغرب) لا يعل عليهم فى هذا الميدان . حفظهم الله .

قال الاستاذ البحاثة الاخ النقادة

سيدى مصطفى العربى الرباطى

لقد كان من دواعى غبطتى فى السنة الماضية تمكنى من الاطلاع على جل انتاج اخينا فى الله البحاثة الكبير ، والمؤرخ الحبير : سيدى احاج المختار السوسى . وبصفة خاصة كتابه (المسمول) تلك الموسوعة السوسية التى تضم تاريخ رجالات سوس ، ومدارسها التى كان لها الاثر العظيم فى تكوين حركة علمية هنالك ، تدعو للاكبار والاعجاب . وهى تحتوى على عشرين مجلدا . وهى كما عبر عنها فى مقدمة الكتاب (مجموعة مهياة لمن سيستقى منها غنا) وقد حرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار والنكات الادبية والمواد والمستملحات والقوافى ، وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية فى الادب . والمقصود اولا وآخرا منها - كما قال - أن يرى القارئى مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب . يضم طائفة من ابناء اتمازيغ الشلحين البلويين فى نشر اللغة العربية ، وعلومها وآدابها . وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا . فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة ، من غير أن تعينهم الدولة .

وكان السبب الرئيسى فى انكباب اخينا لجمع هذا التراث القيم من تاريخ سوس من (المسمول) وغيره منفاه الاول لقرية (الخ) مسقط راسه . التى بقى محصورا فيها خمس سنوات متوالية لا يرى ولا يجتمع ولا يجالس الا بعض من يتسربون اليه فى زاوية ابيه الصوفى الكبير ، والمربى الجليل ، الشيخ سيدى احاج على الدرقاوى . فكان يقتنص منهم ما يفيد فى غايته التى رسم خطتها ، زيادة على كتب عمر عليها فى تاريخ تلك الناحية ، فكان من نتاج هذه الجهود الطيبة التى ملأت فراغ تلك السنوات وأنسته الغربة والوحدة اخراج كتب جزيلة الفائدة غزيرة المادة مع الطرافة فى بحوثها . وهى (من افواه الرجال) و (الترياق المداوى) و (ايلينغ قديما وحديثا) و (مترعات الكؤوس) و (خلال جزولة) رحلاته العلمية الاربع التى استوفت تصوير تلك الناحية الكبيرة من سوس .. وكتاب (المسمول) الذى أتحدث عنه الآن ، وغيرها مما لا يزال لم يخرج من مسوداته ولقد كان انحرافه وحته قبل ذلك على جمع هذا الكتاب - كما يقول - زيارته للزاوية الدلائية من (ايت اسحق) فى سفح الاطلس الكبير ، وعبرته باندثار آثار علمائها وادبائها العظام ، حتى لم يبق لها اى اثر . فكانت هذه العبرة من الحوافز القوية على قيامه بهذا الجهود الجبار ، كان العناية الالهية استجابت لهذه الامنية التى اختصرت فى نفسه بمنفاه مختتم 1355 هـ . لقرية (الخ) ليفترغ كامل الفراغ مدة سنوات لمهمته النبيلة ، ولما استقر به المقام فى المنفى اثار فيه بعض اهله هذا الكامن

الدفين الذي كان يساور ذهنه أثناء اقامته بـ(مراكش) ولكن لم يجد لتنفيذه
وما حين رآه ينقطع ما يستر ممن يحاطهم من اذكاء من يعرفون زاويتهم .
ويستجل ذلك في كتاب (من افواه الرجال) فلاحظ عليه بكلمة استفزت
نشاطه لهذا العمل الذي كان قبل في نفس المؤلف من التمتنيات (المعسولة).
وقد قال له الاجدى من كل هذا ان نهى لنا كتابا ككتاب ال زاوية (تيمكيلشت)
اكدى الله العربي المنرفى الفاسي . فكانت هذه الكلمة من ذلك الاخ - كما
قال - هي البذرة الأولى من هذا الكتاب

ويشتمل الكتاب على غالب أعمال زوايا سوس العلمية الارشادية ومدارسها
التربوية مع الالمام بأخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم ، وجمع رجالات
الاسر العلمية في مكان واحد تفصيلا. وقد رتب المؤلف الكتاب على خمسة اقسام
واشترط انه كلما ذكر رجلا على شرط الكتاب أن يذكر كل ما حو اليه من رجالات
اسرته من العلماء، ومن تلاميذه ومن اسانذته ، وبهذا تضخم الكتاب ، وتفرعت
اجزؤه العشرون ، الى اختصاص ثلاثة منها في الالفين العلماء والرؤساء ،
وخمسة في اسانذتهم ، وثلاثة في تلامذة مدرستهم ، وستة في الأخدين عن
زاويتهم ، وثلاثة في اصداقائهم السوسيين . وصار متسعبا لهذا النوع من
الترتيب الذي اقتضاه حال البحوث المبتكرة ، وسوغته الاحاطة المرغوب فيها
في التراجم المكتشفة ، على تسجيل اكثر ما يمكن تسجيله للغد عن هذه الناحية
المجهولة من تاريخ المغرب . نعم ان القارئ غير المتاني ، المحروم من التركيز
الذهني ، قد يصل لهذه التشعبات، والتفرعات الاسرية. فلا يستطيع ربط الفروع
بالاصل ، فيسام ويدع الكتاب ، فيحرم بذلك من معلومات عديدة ذات الاهمية
والفائدة ، حول احداث ووقائع تاريخية مهمة ، لم تنون في كتاب آخر، كحركة
(الهيبة) بن ماء العينين ، و أسرته المجيدة . وصفحات مجهولة من ثورة (أبي
حمارة) وعن الثائر الذي قاوم الاحتلال بـ(تافياللت) ومذكرات قيمة عن حياة
القائد الناجم الشهير الكفاحية ضد قوات الاحتلال ، والمتعاونين معها من قواد
ورؤساء وباشوات ، التي أملاها بنفسه على المؤلف باه احدانا عظاما في المقاومة
ضد الاجنبي وعملائه ، وقعت في الاصقاع السوسية ، لم ينشر عنها بيننا في
الحواضر اى حديث. فللقارئ ان يفض الطرف عن هذه التفرعات والاستطرادات
التي يعتبرها غير لازمة ، ما دامت تجلب له هذه المعلومات القيمة . وتكشف
له عن كثير من الحقائق تتمم ما كان ناقصا من التاريخ المغربي في تلك الربوع.
ولقد شعر مؤلفنا الكبير بما يمكن ان يحسه قارئ من شبابنا بما يعده في ذوقه
من الخرافات التي لا ينبغي ذكرها في كتاب يستفيد منه العموم . فقال ردا على
هذا الشعور المتوقع بسطور في آخر المقدمة ، تعطيك صورة واضحة عن مهمة
المؤرخ التزيه . (هذا وقد يجد من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط
المتاع ومما لا ينبغي ان يهتم به . مما يعده هو عند نفسه في ذوقه من الخرافات

ولكن لا يشين اننى مؤرخ، و فلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل شىء ،
أمامها حتى ما تغدئ به الأعين . فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة ، تلتقط
الظلال العاتية . فان لم يكن فلم من يجمع للتاريخ كذلك . فانه فلم المصلي
والمسخ للحقائق ، لان واجب المؤرخ ان ينقل فانه بوساطة يراعيه الى الذى
يتحدث عنه، حتى كان القارئ يسأله عيانا. واما ان يهذب أو يسدب ويحدف
ويزيد ، حتى يضل القارئ عن الحقائق . فذلك هو الزور بعينه. ولهذا احرص
انا فى التراجم أن اذكر كل شىء مدحا وقدحا ، وان كنت أعمل فكرى واختار
وارجح ، لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ . ولا خير فى مورخ جماع فقط من
غير أن يظهر أثر فكره فيما يكتب)

هذا والكتاب غير مقتصر على الاحداث التاريخية ، والوفانح الحربية
فحسب ، بل هناك حكايات طريفة ، وأخبار مفيدة : وأشعار عديدة . تصور
الحياة الاجتماعية تصويرا دقيقا ، فضلا عن التروة الادبية الغزيرة من شعر
ونثر، تشر عليها خلال مطالعتك فى تراجم اعلام رجال) نعم فيها الفت
الكثير فى بعض الانظار . ولكن المؤلف يبرر غير ما مرة نشرها فى الكتاب ،
رغم مباينتها للذوق القارئ . للفائدة التاريخية وتسجيلها النظرات
الحق عنها . ولتصويرها للحياة الاجتماعية التصوير الصحيح ، ولكونها كذلك
تفطيك بدقة لا تكلف يشوبها البيان الواضح ، عن حياة المرحم من مجموع
انتاجه . وقد تجد مفهوما وسط هذه الغزارة من منظوم ومثبور ، عيوننا من
الشعر الجيد ، تبلغ أحيانا درجة التحليق ، وصفحات شيفة من النشر الفنى
بفلم المؤلف تستحق الالتفات ، بين رجالات من تراجمه تكون مجموعة ثمينة
من الادب العالى تعزز الادب العربى المغربى، وتقوى مادته الصالحة بالوان طريفة
من القول ، وتظهر ما كان مجهولا من شخصيات ادبية تزيد فى قيمته .

اجل ومن هذه الآلاف من الصفحات الزاخرة بعديد من المعلومات فى جميع
الميادين الحيوية المختلفة عن تلك البلاد ، وعن كل ما يتعلق بها من تاريخ وأدب
واجتماع ، التى جمعها من هنا وهناك مؤرخ سوس الكبير. او دبجتها يراعه
تلقيا من الهواه الرجال ، او استفادة من كتب هزيلة عثر عليها فى الموضوع
وقد يظهر للمطلع على نوع الحياة التى تركز عليها تلك التواحي ، والازمات
التى تتخبط فيها حيناً بعد حين . أن هذا سيكون قليلا بالنسبة لما ضاع .
وخصوصا اذا اعتبرنا تلك الحروب التى كانت لا تفر رحاها الساحقة هنالك
بين القرى والمداشر بين نحتلى (ناكوزولت) و (تاحتات) وتقد نار اوارها
لادنى سبب حتى خلت من اجلها ديار ، فانجلي عنها باقى السكان ، علاوة على
الابنوا والجلاف والجراد العدو الفتاك الدائم لتلك الاصقاع ، فياتى فى بعض
السنين على الاخضر واليابس ، ويخصد الحياة فى المواقع المار بها حصدا ،
ويجتمع مع كل هذا قلة الامكانيات اللازمة فى بناء الدور التى يمكن ان تحفظ

هذا التراث من الامطار الواكفة من السقوف ، وتصونه من الرطوبة الراشحة من الجدران ، ويزيد على هذا انعدام الوسائل الواقية من الارضة والجردان .
والمانعة من الاحداث الداعية للضياع والفساد .

وبعد ، فقد حملنى على كتابة هذه الكلمة حول كتاب (المعسول)
تقديرى واكبارى لهذه الجهود المحمودة التى بذلها المؤلف لتهيئى هذه المجلدات
الضخام كى تكون كمرجع نافع ، ومصدر صالح ، لمن يرغب فى التعرف عن
ذلك الجزء المغمور ، من قبل ان يفكر فى طبعها . فكان من الواجب والانصاف
ان أعلق على عمل وطنينا البجائة ، مع اعترافى بجميله فى تقديم هذه المجموعة
للاطلاع عليها بما سنحت به القريحة ، وتدونين ما عنى لى عنها من ارتسامات
وخواطر يوم طالعتها كلها قبل ان تقدم للطبع ؛ ولعل قارئها المنصف الراجح فى
الاستفادة بعد استيعابه لمعلوماتها الطريفة يشاركنى برايه فيما كتبت
حولها ، ويدرك بذلك الاسباب الوجيهة التى دعتنى للتنبويه بها ، والتشبيد
بذكرها والتعليق على قيمتها . وبطبيعة الحال لا استطيع ان أجد من قارئى اقتصر
على مطالعة فهارسها ، والالام بأسماء اعلامها ، واخترال مواضيعها ، والتنقل
من هنا وهناك ، ان يرى رأى فيها ، وهو قد تجاهل كنوزها ، وتغافل عن
محتوياتها الثمينه ، التى توجد وسط خضم مغمم بالوان عديدة من الكلام . بل
اعتقد انه قد يرمىنى بالمبالغة فيما وصفت ، فى بعض ما ذكرت من قبيل التقريف
المجرد ، لقصوره على هذا النوع من الاطلاع وعدم تتبعه لاقسام الكتاب بامعان
والسلام .
اواخر قعدة 1380 هـ

قال العلامة المؤرخ الكبير سيدي العابد الفاسي

قيم خزانة القرويين

ربما كان من اصعب الصعب ان يكتب الانسان تقريفا او ملاحظة من الملاحظات حول كتاب لمطلق صديق من الاصدقاء ، فكيف بصديق تجمعه معه عدة روابط وعلاقات، من اهمها اتفاق في المبدأ، واخلاص لروح العمل ، وسير فيه الى النهاية . صديق تمثل فيه الاخلاص والتواضع منذ شبابه الى كهولته . هذا ما حدث لي عند ما حاولت أن أكتب كلمة لشرح بعض آرائى فيما نشر من كتب الاستاذ الكبير الشاعر الفحل سليل الائمة الصالحين ابي عبد الله محمد المختار الالفى السوسى ، ولكن ماذا عسى أن أعهل وأنا بين تيارين ! تيار الصداقة الطارفة والتالدة كما قلت ، والتي يرجع شأنها الى عهود سحيقة تزيد على الثلاثين سنة ، فى الوقت الذى كانت نجمعنا فيه حلقات الدروس فى مجالس الاساتذة الكبار بجامعة القرويين . وكانت نواتنا الخاصة لا تتجاوز دائرة البحث العلمى ، ومراجعة النصوص ، ومسايرة مبادئ الثورة الفكرية ، والحركة الوطنية فى مراحلها الاولى ، يتخلل جميع ذلك نكتة لاذعة ، وحكمة لامية ، وشعر متين ينشد ، او قصة ادبية نجعلها محور البحوث ، وهدف الحديث ، وبين تيار آخر تيار حب الصراحة ، وصدق القول . وشرح ما اشتملت عليه كتب الصديق من نقط يتعين لفت النظر اليها ، واستكناه حقائقها ومصادرها ، ونقد ما يتعين نقده منها ، ثم اخيرا معرفة مقدار ما هلك من الادب السوسى من اثر فى الحياة العامة بالمغرب، وما هو حظها فى تاريخ المدرسة العلة فى البلاد، وليس من السهل أن أتحدث عن سائر كتب الاستاذ (المختار) وليس من الهين أن افرده مقالا او كتابا فى موضوع كتاب (المسول) خاصة لاننى اعتقد أن الامر جد وليس فى الامكان استقصاء البحث مهما حاولت فى هذه المجالة الموجزة ، لذلك اخترت أن ابدا حديثى بكتاب (المسول) بصفة عامة لا تعرض فيها للجزئيات ، وعسى ان اكون بهذه المشاركة المتواضعة قد اديت بعض الواجب ، ونجحت فى تقديم هذا الاثر الجليل لعموم الادباء ، وهذه رغبتى . وكل ما أرجوه من افراد الائمة العاملين أن يقبلوا على هذا النوع من الانتاج ، حتى يمكنهم الاطلاع على صفحة خالدة من صفحات تاريخهم المغربى المملوء بحكمة وعبقرية وايمانا .

رتب صديقنا الاستاذ الكبير كتابه هذا على خمسة اقسام ، وفى كل قسم فصول . وقد احتوت الاقسام والفصول على كثير من الغرائب والنوادر بعد وصف (الخ) جغرافيا ، وذكر كثير من عوائد البلاد الالفية فى الاعراس والمثائم ، والحدائق ، وغير ذلك من ضروب معاملات ونوع تجارتها ، مما يجعل المرء على بصيرة من اجتماعيات هذا البلد الامين ، وان الموضوع الذى اختاره

المؤلف لكتابه من الحديث عن بلده ، وسائر نواحي سوس المعروفة بالحصب
 الفكر ، والانتاج العلمي ، وما ينشأ عن ذلك بالطبع من ذيول فسى تراجم
 شخصيات علمية ، وحوادث أدبية ، سواء فى عصر لترجمين الموضوع فيهم
 الكتاب مبدئيا ، أو قبله وبعده كيفما كان الحال هو موضوع مهم، يكاد ينفرد
 به التنوير الاسلامى . وليس من السهل أن يدعى شخص خلاف هذا ، ويذهب
 الى أنه من قبيل التفاخر ، أو التحدث بثائر الابهاء والاجداد ، وأثرهم فى
 المجتمع ، بل نحن نرى الامر من زاوية أخرى لا يراها هؤلاء الناقون. ونذهب
 الى أن من العقوق للعلم والادب أن لا يتعرض الانسان لما كان عليه اسلافه
 ومواطنوه من المجد والعلم والنباعة . وهل تاريخ أمة من الامم الا مجموعة من
 قصص هؤلاء واولئك ، على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، وهل هؤلاء الافراد
 المترجمون الا خلية متينة من جسم كل أمة ينبض قلبها بالحياة ؟ وهل يتكون
 تاريخ أمة من الامم الا يعرض عام لكل ظروفها وملابساتها، وطريقة تفكيرها،
 واسلوب انتاجها ، وليس لذلك من سبيل الا طريق النشر ، وذكر السادة
 والفاذة من آثار الاسلاف .

لقد كان للمغاربة الفدح المعلن فى هذا الموضوع ، حتى اننا ربما نعتبر
 تدوين الطبقات والتراجم نوعا خاصا برز فيه مؤرخوهم ، وامتاوا به ، فكثيرا
 ما نجد المؤلفات ذوات المجلدات فى خصوص عائلة من العائلات ، أو بينت من
 البيوتات ، ممن كان له شغوف فى التاريخ المغربى ، بله ناحية من النواحي ،
 أو قطرا من الاقطار . وكان لهذا النوع من التأليف وقع كبير فى مجرى التدوين
 المغربى ، حتى صرنا اليوم نعتبره مصدرا من المصادر الصحيحة ، التى نلجا
 اليها فى كثير من الاحيان ، اذا أعيانا البحث ؛ وغمت علينا النتائج . نلجا
 اليها فى كثير من قضايا التاريخ المغربى بسبب ما تذكره هذه الكتب عرضا
 من استطرادات مدهشة ، لمسائل غامضة ، لا نجد لها أثرا فى مظانها الا قليلا،
 ولنضرب لك مثلا بكتاب (مِرآة المحاسن) المطبوع بفاس ، فرغما عن كون
 الكتاب فى موضوع خاص اختاره المؤلف ، وهو ترجمة والده الشيخ أبى
 المحاسن ، فقد ملاه بحونا وقضايا تاريخية ، يعز نظيرها ، ويصعب العثور
 عليها فى غيره ، وارجع ان شئت الى بحثه فى قضية ثورة أبى عبد الله الشيخ
 المامون على والده المنصور (ص 29) والى ذكر الخزانة العلمية المحدثنة فى
 قبلة جامع القرويين (ص 30) والى ذكر غزوة (تامدة) أو وقعة (وادى
 المخازن) (ص 34) والى البحث القيم فى محارِب فاس واختلافها (ص 41 43)
 وانظر (ص 142) فيها ذكر أسماء قواد وأشخاص لعبوا دورا مهما عندثورة
 القائد محمد القرطوسى بـ (مألقة) زمان أبى الحسن على بن سعد من بنى
 نصر ، مما لا يعرف فى غيره ، وانظر ص (145) فى موضوع التعريف
 بـ (القصر الكبير) المدينة الاثرية الواقعة على نهر (لوكس) فيه من الفوائد

الغريبة ما لا تجده في كتاب ، اثبت لك بهذا كنموذج لهذه الكتب المؤلفة في تراجم العلماء والصالحين ، من وضع أبنائهم وأحفادهم وغيرهم ، لأبرهن لك على أن هذا النوع من التأليف ، فيه اشياء وأشياء ، مما لا نعرفه في كتب التاريخ المكتوبة في خصوص مدينة أو قطر ، وكتاب (الروضة المقصودة) و (البدور الضاوية) لأبي الربيع سليمان الخوَّات خير مثال شاهد لا قرينه ، وان هؤلاء المؤلفين أو بعضهم حين أقدموا على هذا العمل ، كانوا من دون شك يشعرون بما يمكن أن يقوله المتفولون الجامدون ، ولكنهم رغم شعورهم هذا ، فانهم يشعرون في الوقت نفسه شعورا آخر كان الباعث القوي على قيامهم بهذا الواجب ، مهما كانت العراقيل ، ومهما كانت الانتقادات واستمع الى مؤلف المرأة يقول في ديباجة كتابه . وقد شعر بما يمكن أن يخطر ببال المتقاعسين (ولعل متتهورا يرى ما نشر من الخلق ، واثبت لمن يتصل به من المراتب العلى . فيتسرع الى اللام : ويقول مادح نفسه يقرئك السلام ، وعلى رسله فان المحاباة اذا كانت لا تحمد ، وليس يحسن في كل عين من تود) وشهادة الجار الى جاره تسقط في المرافعة وترد . ومادح نفسه هازل في الحقيقة وان جد . فانه لا يحمد العقوق ولا اضعاء الحقوق ولا الخروج عن العدل والمروق ، ولا بغض الناس اشياهم فانه فسوق ، (وكلا طرقتي قصد الامور ذميم) والعدل هو القسطاس المستقيم

بمثل هذا يتضح لك ان الاستاذ الكبير في كتابه (المعسول) لم يات ببدع في طريقته ، انما هي سنة العلماء الاقدمين في نشر العلم والادب من اى ناحية اتت ، وفي اى فصيلة نبتت ، لا يهمهم الا افادة العزوم وبث الاداب والعلوم ، ولو اردت ان اورد لك فهرسا عاما للذين كتبوا عن عائلاتهم وامجادها ؛ لطلال الحال . وغزر المقال ، والاوروبيون انفسهم اخذوا من هذه الطريقة بالنصيب الوافر ، بل ذهبوا الى ابعد من ذلك ، فنشروا تراجم انفسهم ، وشرح مذاهبيهم وما المذكرة المختلفة التي تنشر بين الحين والحين الا فصل من فصول حياة الكنايين لها ، والقائمين بتمثيل اهم ادوارها . وصديقنا الاستاذ لم يخرج عن هذه الدائرة ، فقد جعل محور تأليفه واساسه حياة علماء قبيلته كالاستاذين الكبيرين محمد وعلى ابني عبد الله ووالده الشيخ الامام الصوفي الكبير سيدنا الحاج علي . ثم اتبع ذلك فصولا ممتعة في تراجم تلاميذهم والمتصلين بهم من علماء وادباء واصحاب حيشيات ، وتبسط في الموضوع ؛ فكتب الصفحات المتوالي في كثير من حوادث بلاد (الخ) الجبلية ، ثم اتبع الكلام في كثير من القاليم (سوس) وعقد التراجم الواسعة لجمهرة من علمائها وادبائها ورؤسائها . لقد طالعت ما ظهر من كتاب (المعسول) مطالعة باحث منتقد مستفيد ، فصدقت الخبر الخبر . ووجدت الكتاب فوق ما يظن ويتحدث عنه بصفة يمكن للمغربي معها لا خصوص الالفى . او السوسى ان يرفع راسه عاليا بوجود

شخصية من أمثال (المختار) يظهر في هذا الوقت القريب ، حيث لم يبق من معالم التضلع في اللغة العربية الا الآثار والاطلال . ولست أستغرب هذه الظاهرة من صديقي اللفي ، فمنذ عرفته عرفت فيه الشاب النشيط الواصل لبله بنهاره في الكد والبحث والاستطلاع . عرفت فيه العبقريّة والشخصية والشيم الديني، والاخلاص للعقيدة،ومثلها العليا . عرفت فيه معنى التصوف في حياته البيئية ، وجميع مظاهره العادية ، عرفت فيه حب المزيد دائما من العلم ، والتفاني في طلبه ، والارتواء من مناخه ، والاقتداء، بناتج آباءه وسلفه .

وهل ينبت الحطى الا وشيجه وتفرس الافي منابتها النخل
وبالجملة فكتاب (العسول) مدونة جامعة، ومعلمة تاريخية أدبية ، لمجموع
عصور سوس ، على اختلاف مظاهر تلك العصور ، ارتقا وانخفا حسب
المؤثرات التي يتأثر بها مسيروا الحركة هناك ، وحسب المدرسة التي تخرجوا
منها وهي لاتتجاوز في الغالب الحاضرتين فاس ومراكش، وكثير منهم ممن اشتهر
بالطابع الحضري في الادب لم يرض بغير فاس بدلا ، وهذا شيء يقرره المؤلف
نفسه في كثير من المناسبات ، ويعترف به ، ولست في حاجة الى ايراد كثير
من تصريحاته ، فالكتاب مملوء بنصوص لا تقبل التشكك ، وان كنت لا أبرته
في بعض الاحيان من تغلب النزعة التي لا معيد للانسان(1)عنها، وربما حاول ان
يجتل شخصا او أشخاصا ممن عرفوا بالتبريز ، وحمل راية الادب ، متخرجين
من مدارس سوس، ومناهلها العرفانية، من دون أي اثر أدبي لغيرها ، وحينما
تشوق نفوسنا الى عناصر الدعوى وبراهينها ، نجدها سلسلة من الاحتمالات
والامكانيات مما لا يمكن ان يكون قاطعا في الموضوع ، واستسمح القارئ
فقد التزمت في الحديث ان أخرج على ذكر ملاحظاتي على المؤلف الاستاذ ، مما
يشبه ان يكون نقدا ، وسوف ادع ذلك الى رسالة خاصة ، اقدمها لصديقي
المخلص ، في صورة بحث علمي ، حبا في الاستفادة ، واستزادة من اطلاعاته
الواسعة واحاديثه العذبة ، وساجد فيه على العادة انصافا ونزاهة في الحكم،
وفصلا في القول ، واكتفي الآن بلفت انظار الشباب ، والطبقات الواعية في
هذه الامة ، الى ما حواه هذا الكتاب الثمين من ضروب الفوائد ، وجميل
العوائد ، ففيه يجد المؤرخ بغيته من الحديث عن عصور مختلفة ، وحوادث
بعلمها المنطقية ، ونتائجها الصحيحة ، وفيه يجد الاديب باقة ملونة من ازهار
الشعر القديم ، والجديد مما يبلغ في بعض الاحيان الدرجة الممتازة في البلاغة
والمثانة والخيال والابداع ، والتصوير الشعري ، والاحساس المرفه ، وفيه
يجد الاجتماعي مجالا واسعا للدراسة كثير من الاوضاع في اقليم احتفظ بطبيعته
وسجيته ، وصقلته روح الاسلام وتعاليمه ، وفيه يجد الفقيه دراسات واسعة

(I) حقيقة يا أخى العابد : لا يمكن طبيعة أن انسلخ من سوسيتي ، ولا
أن تنسلخ من فاسيتك بالكلية، ولكن نتحرى معا الحق حين نضع الموازين القسط.

عن تطور الفقه ، ومبلغ سمو الفكر السوسى فى تطبيق النصوص ، وتفهم القواعد العامة ، وفيه يجد السياسى مجالا خصبا ، ومرآة ناصعة ، لكثير من قادة البلاد، وزعماء الثورة السياسية ، وما قاموا به من محاولات لاصلاح سياسى فى نطاق ظروف خاصة ، واخيرا يجد الصوفى ما يشبع نهمه ، ويشلج فؤاده ، من سيرة اولئك الصالحين الذين عرفوا المقاصد ، وتفهموا الحقائق ، وتناولوا هذه الحياة الدنيا تناول قوم تفهموا اهدافهم ، وتبينوا طريقتهم . ولعمرى لقد ابدع المؤلف الاستاذ فى كل هذه الميادين ، ووزع القسمة على طريق العدل بين الروح والعقل . واى خير فى هذا الوجود لولا بصيص سن شعاع الروح يغمر قلوبنا ايمانا ، ويملا افئدتنا نورا ويقينا ، ونسال الله تعالى اعانة مؤلفنا حتى ينشر جميع بعوثه ، وانتاجه العلمى الغزير ، والى اللقاء فى سانحة اخرى .

1380/11/20

تقريظ العلامة النظار كاتب رابطة العلماء سيدي عبد الله كنون الفاسي ثم الطنجي

معالي الوزير الاثير العلامة الكبير اخينا سيدي الحاج المختار السوسى حفظكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته (وبعد) فقد وصلنى (الجزء التاسع) من كتابكم (المعسول) ، بل معلمتكم الكبرى عن (سوس) التى اصبحت بها هذا الاقليم من وطننا العزيز يجر ذيل الفخار عما سواه من الاقاليم ، بما ابرزتم من تميز له عظيم فى تاريخ (المغرب) ، وما سجلتم له من تاريخ ادبى حافل ، يكفى وحده لاستظهار هذا القطر بتراثه الفكرى الضخم . وما عرفتم به من تراجم رجاله الافذاذ ، وابنائنه النبغاء ، فضلا عما ضمنتموه من صور رائعة ، لطبيعته البديعة ، وحالته الاجتماعية ، وعواند اهله وتقاليدهم، وتفسير واضح لما انبهم من اقوالهم والفاظهم التى يعجز الكثير منها على السنة عموم المغاربة ، ولا يعرف اصله ولا مدلوله بالتدقيق ، فهو ولا تكران للحق مجهود طائل . ينوبه العصبة اولوا القوة . وهو مع ذلك منسوج على غير منوال سابق . فاذا كان غيركم يعمد الى مجهودات الناس فيهتضمها ، او الى كتابات الاجانب فيترجمها ، ثم ينسب ذلك الى نفسه مع انه ليس فيه الا النسخ بل المسخ ، فانكم برثتم من الخلتين اعنى الانتحال والتقصير . وجئتم بعمل تام مشكور ،

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

على ان كلمة الانصاف التى اقولها تقديرنا لعملكم الجليل (1) وليس فيها مبالغة ينبغي ان تتجنب عند التقدير والتحليل . هى ان من يرى (المعسول) ولم يكن يعرفكم لا يشك فى انه انتاج جيل من الباحثين ، ومشروع تضايف على انجازه غير واحد من العاملين . ولكننا نعرف انكم وحدكم ابو علمه فنقدركم قدركم بهذا ، ونحکم بانتم فى تاريخنا الثقافى بمثابة جيل كامل من العاملين فى ميدان البحث والانتاج ، والافراد من هذا القبيل ليسوا ممن تدفعهم الحالة العادية ، المنطوية فى المبالغة النواسية ؛ ولكنهم على كل حال قليل ؛ وقليل جدا . وكماكم ان تكونوا منهم . والغريب فى الامر هو تاليف موسوعة ك (المعسول) عن اقليم لا اقول انه لم يكن شيئا ، ولكنى اقول انه لم يكن عند الناس كل هذا الشيء الذى تحدثتم عنه . وقد الف العلماء موسوعات كثيرة ك (نهاية الارب) للنويرى و (صبح الانعشى) للقشندى وسواهما، ولكن فيما يتناول اقطار الاسلام ، وبلاد العرب وغيرها لا فى اقليم واحد من تلك الاقطار ، وناحية من نواحي هذه البلاد ، فسبحان الله الذى يوتى الحكمة

(1) الجليل يقال لمعنيين متناقضين ، عظيم وحقير ، والمقصود هنا الاول .

من يشاء . لهذا فاني اهنيئكم من صميم الفؤاد بهذا الفتح المبين ، بل اهنيء
البلاد بما أحرزت عليه من هذا الكنز الثمين . متمنيا لكم دوام العز والسلامة
حتى تخرجوا بقية أجزاء الكتاب لياخذ مكانه في الخزانة المغربية علقا نفيسا .
ومرجها رئيسيا ؛ لا غنى عنه لمؤرخ او كاتب ؛ وعلى خالص المودة والسلام .
طنجة 24 قعدة 1380 هـ .

تقريظ المؤرخ البجائة سيدى عبد السلام بن سودة مؤلف (دليل المؤرخ)

اذا كان اباحث في عصور ما قبل التاريخ يتطلب كثيرا من العناء ويبدل كثيرا من الجهد المستمر عشرات السنين والاعوام .

واذا كان الباحث عن الحقيقة التاريخية الضالة ينفق من زهرات شبابه بغير حساب ، متنقلا بين القارات والمحيطات مستطلعا الاحجار . ومستنطقا الرمم والاطلال؛ ليقدم للانسانية الظمأ وشلا من المعلومات ونزرا من الاخبار عن ماضى الانسانية القابِر .

فان الباحث فى تاريخ المغرب يتطلب مجهودا اشق وزمنا اطول وثقافة اوسع واطلاعا اشمل ، ذلك لان كثيرا من الآثار المغربية قد عملت على ابادتها عوامل الارض والسماء والنسر والخير والجهل والعلم . والاهمال والنسيان تارة . والتعصب والانتقام تارة اخرى .

فكثير منها أصبح فى خبر كان بينما يظن ان اكثرها فى خبر ليس من العلم المحض ، وما بقى من الوثائق والمستندات المكتوبة عبثت به ايدي الزمان فبعثرته بين المناحف ، والحزائن الخاصة والعامة والقتة الى من لا يستفيد ولا يفيد ليحسبه فى زاوية من زوايا المهملات فريسة للارضة واخوانها من الهوام الحشرات مع انه علم نفيس وكثر ثمين .

وعند ما هبت نسيمات النهضة المغربية على الشباب المغربى تدعوه الى العمل ابناء لتجديد شباب الامة الداليل وانعاش حطها العائر؟ ونشر دقائق الامجاد ومفاخر الاجداد وربط حلقات الماضى بالحاضر . كان بعث التاريخ المغربى فاتحة فى سفر العمل فنشطت الهمم . وشجذت العزائم وتضافرت الجهود وانكب كل فى ناحية باحثا منقبا ينشر ما طواه البلى ويبعث ما دفنه الاهمال ولسان حاله يقول نحن احفاد اولئك الاجداد وفروع تلك الاصول ؛ واعصان تلك الادواح . فلم لا نسود كما سادوا ولم لا نعتز كما اعتزوا ولم لا نبني كما بنوا ...

فظهرت المحاولات الاولى فى بواكير الاقلام . واسهم كثير من العاملين بمجهودات دلت فى معظمها على جهد منقطع النظير . وصبر عديم المشيل وأذكر انى نشرت سنة 1355 هـ . 1936 م . مقالا فى بعض الجرائد الوطنية ادعو فيه الى العمل على جمع الوثائق التاريخية وتكوين لجنة من المختصين لكتابة تاريخ المغرب . لكن المعركة السياسية التى كان المغرب يخوض غمارها شبابه وشيوخه وعلماءه وفادته جعلت الجهود تتكتل لمقاومة العدو وتحرير البلاد من قبضته فكانت البلاد لا تخرج من معركة حتى تجد نفسها امام اخرى ولا تنفض غبار شدة حتى تتلوها اخرى .

وفي غبار هاته المعارك استطاعت كثير من الهمم ان تقدم للخزانة المغربية مؤلفات وابحاثا ونشرت مخطوطات ومستندات قيمة غزيرة الفائدة . جليسة القدر تصلح لان تكون مادة للباحث ؛ ودليلا للمؤرخ . ومنارا يهدى الخائرين . ولندكر على سبيل التمثيل لا الاستقصاء . ما كتبه اخونا المأسوف عليه المرحوم محمد الكانوني عن (آسفى وما اليه) وما كتبه المؤرخ الواعية الشيخ مولانا عبد الرحمن ابن زيدان العلوي عن مكناس والاستاذ الاخ المطلع محمد داود عن تطوان والقاضي عباس بن ابراهيم عن مراكش ، والسيد الرجراجي عن الصويرة والاستاذ محمد ابي جندار ودينية عن الرباط ؛ والشيخ محمده ابن علي الدكالي عن مدينة سلا . والشيخ سكيرج عن مدينة طنجة فهؤلاء . وان كانوا قد بذلوا جهودا مشكورة . وأسهموا في حفظ تاريخ المغرب . وقدموا للباحثين مواد لكتابة التاريخ المغربي العام فان الفائدة من عملهم ظلت مقصورة محدودة في نطاق ضيق لم يشمل النواحي الاخرى . مثل سوس التسي ظلت محتفظة بسرها الودود الولود المخصب بالاعمال والرجال والربط والمدارس والزوايا والمدن والقرى .

وقد ظلت منذ فجر الاسلام هذه الديار معتزة بالعروبة والاسلام . يضرب ابناءؤها اباط الابل الى الشرق والاندلس ويرحلون الرحلات الواسعة في طلب العلم ، حتى اذا عادوا الى سوس كانوا مصاييح الدجي . وايمة الهدى . ولا تنسين الرؤساء والشعراء والفقهاء ورجال الحرب والسياسة ورجال التصوف من هؤلاء السادة غير ان الزمان وعوامل الاهمال العام جعلت الوصول الى اخبار هذا الجزء النشط من الوطن ، صعب المنال ، لعدم جمع الوثائق والمستندات في سفر من الاسفار ، حتى قال الناس عن اهل سوس انهم تجار اذكياء ، لا اقل ولا اكثر .

وقالوا عن سوس انها جزء فاحل شحيح التربة ، لا يسمن ولا يغنى من جوع . وكان الزمان كان يسخر من هؤلاء حين غاب عنهم ان (المسول) يكون احيرا فتتسى حلاوته ما تقدم من الطرف والفواكه ؛ وتمحو اشعته ما سبقه من الظلام الخالك . وذلك بفضل ما قام به مؤلفه اخونا العلامة الواعية الحجة مفخرة هذا الجيل وصاحب الذكر الجميل معالي وزير التساج الشيخ محمد المختار السوسي حفظه الله .

وقد كنت وانا اقرا الاسفار التي صدرت من (المسول) اشعر اننى امام دائرة معارف ادور فيها بين العلم والادب والدين والتاريخ واللفة والتصوف . لا اكاد احصي ما يمر امامي من اخبار خاصة وعامة تافهة أو جليية . ولا اكاد اودع موضوعا طريفا حتى يتلقانى ما هو اطرف واجمل . كل ذلك وقلم الشيخ محمد المختار قابض على الزمام ينتقل بك احببت ام كرهت الى رياضه الغناء لتقتنص الشوارد . وتفيد الاوابد . ولسان حاله يقول هذه سوس بقصها وقضيضها تلقى اليك بخبايا زواياها . واسرار خلاياها ، وكنوز

دفاعتها فان كنت من هواة الادب فاغرف من حياضها وان كنت من هواة اللغة فاشرب من معينها ، وان كنت من هواة التاريخ فاقرأ وادرس ، ثم استنتج فيها هي المادة الدسمة بين يديك . والشيخ محمد المختار في مؤلفاته (سوس العالة) و (خلال جزولة) و (الرسائل) البونعمانية والشوقية و (المعسول) وفي كل كتبه عن ذلك الاقليم هو الشيخ محمد المختار في احاديثه ومحاضراته ودروسه نصوف شرعى . وبحث علمي واطلاع موسوعي . وتواضع عمري ، وصراحة في القول واستقامة في السلوك ومحافظة على القديم واستفادة من الجديد المفيد . ولا نشك أن الاجزاء الباقية من (المعسول) ستكون هي الاخرى حافلة بكل شاذة وفاذة من اخبار (سوس) الادبية والاجتماعية والدينية والسياسية ، ولا نشك انها ستكون اصخم موسوعة تنشر لأول مرة تحت سماء المغرب المستقل، يملك صاحبها من الصراحة والشجاعة والصبر ما يجعله مثلاً يضرب ونموذجاً يحتذى وما أظن أنه يوجد بالمغرب من لا يجتو امام هذا المجهود الجليل ، وهذا الصبر العظيم ، وهذه الزئيمة القوية التي تحلو هنا المبقري الفد الى بناء هذا الصرح الشاهق من مجدنا التاريخي الذي هو أولا وقبل كل شيء مجد المغرب وابناء المغرب . لا فرق بين من ودعوا هذه الحياة ، وبين من لا يزالون في معركتها الصاخبة .

واما الاجيال القادمة فستعرف كيف ينقدرب ابناءؤها الشيخ المختار ويطاطنون رؤوسهم قائلين انه عمل ألف رجل لا عمل رجل واحد ، اما نحن الذين بلونا البحث في الاوراق وعرفنا اى جهد يمثل تحرير عشرين مجلدا في كتاب واحد لا يسعنا الا ان نفاخر بعمل اخينا ونهنئه ونقدر جهوده ونعتر به غاية الاعتراز:

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيتها

بارك الله في عمر اخينا العلامة الواعية الوزير الجليل واعانه على تميم مشاريعه العلمية حتى يحقق ما يصبو اليه من نفع لوطنه وخدمة للفته ودينه . وتخليد من الذكر لا تلوى زهرته، ولا تبلى جدته . وأنا له من الشاكرين والسلام

في 10 ذى الحجة الحرام 1380 هـ . 26 ماي 1961 م .

تقريظ الوطني الغيور السلفى سيدى ابراهيم الكتانى أبو المزاييا قيم المخطوطات فى الخزانة العامة

لم يتح لواحد منا أن يستفيد من سجنه ومنتفاه ما اتيح لصديقنا الحميم الوفى لأصدقائه . العلامة النفاع السيد المخنار السوسى . وذلك عند ما اخنظف سنة 1937 م . من مدرسته الحرة بـ (مراکش) حيث كانت دروسه نستغرق من وقته النهار كله . وطرفا مهما من الليل أيضا . ونفى الى مسقط رأسه قرية (الخ) باقليم سوس . وكان قد لمس اثناء طلبه للعلم معنا قبل ذلك بعشر سنوات ، بعاصمة العلم والثقافة والحضارة ، ومنبع الوعى الوطنى (فاس) الفيحاء مسيس حاجة المكتبة العربية المغربية لمجموعة من المؤلفات التى تسجل احوال مختلف الاقاليم المغربية فى جميع نواحي الحياة . وخصوصا الثقافية والدينية والاجتماعية منها .

وقد اشتدت هذه الحاجة عند ما جرؤ العدو المحتل على ان يتركز فى وقاحة منقطعة النظير عروبة البلاد المغربية واسلامها . وعما العاملان الفعالان على تكوين المجتمع المغربى ، وتكليفه وتماسكه واستصعابه على الغزاة والغاتحين . وشرع يعمل فى تنفيذ خطته الاجرامية الرامية لاقلاع جلور هذه العروبة وهذا الاسلام من البلاد . وذلك بتشجيع الرطنات الاعجمية ، واللهجات المحلية . واحلال الاعراف الجاهلية محل الشريعة الاسلامية ، وتشجيع الدعاية الصليبية وفرض اللغة الاجنبية ، وجعلها وحدها لغة الادارة ، مع مقاومة اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، واضطهاد أهلها ، والتنكيل بهم ، ومطاردتهم فى كل مكان . الا من قبل منهم أن يتخل عن رسالته ، ويعين العدو فى جريمته .

فلما تهيأ للصديق المخنار فرصة فنيه وفصله عن تلاميذه وطلبته وأصدقائه اغتمتها فرصة سانحة لتسجيل كل ما امكنه تسجيله من غث وسمين . من اخبار اقليمه وأحواله . مما شاهد بنفسه ، أو سمعه من أقوال الرجال والنساء والتقطه من ثنايا الوثائق والمستندات العائلية ، والتقايد الشخصية على ظهور الكتب الدراسية ، متصلا بكل من هب ودب ، الى أن رجع من منفاه بهذه المكتبة الضخمة ذات المجلدات العديدة التى استمر فى الزيادة فيها وتنقيحها ازيد من عشرين سنة ، التى لا يوجد فى موضوعها ما يقنى عنها .

وان قارئى هذه المؤلفات ليستطيع ان يتعرف منها الى مقدار استعراب هذه الاقليم ، ومدى انتشار الثقافة العربية ، والمدارس الاسلامية فيه . والجهود التى بذلها السكان لاحتضان هذه الثقافة . وتشجيعها وحمايتها بدافع من انفسهم ، وخصوصا لعقيدتهم الدينية التى نغلتت فى نفوسهم ، وسيطرت على حياتهم ، من غير أن تنبى أية حكومة من الحكومات المتعاقبة على البلاد ،

فرض هذا الاستعراب ، أو وضع تصميم عمل لرعايته وتسييره .
ولم يكتف المؤلف الجليل بما بذله من جهود ، وما صرفه من وقت طويل .
وما نعمله من تنقلات وأسفار في سبيل البحث والاستقصاء ، والتنقيب في
المكتبات العامة والخاصة ، والاتصال بكل من يتوقع من الاتصال به العنور على
ما يفيد في موضوعه . بل أضاف الى كل ذلك قيامه بطبع هذه المجلدات دفعة
واحدة على تفقته الخاصة . مستخدماً لذلك جل المطابع الأهلية الموجودة بمختلف
المدن المغربية ، الأمر الذي مكنتنا لحد الآن من الحصول على زهاء عشرة أجزاء
في أقل من عشرة أشهر . وهو أمر لم يسبق للنشر بالمغرب أن عرف له نظير
من قبل . وذلك في وقت تتعرض فيه الثقافة العربية لمحنة عنيفة قاسية ، بسبب
طغيان الاستعمار التعاقبي واللغوي ، الذي هو أشد خطراً على الأمة من الاستعمار
السياسي والعسكري والاقتصادي مجتمعاً . وهي صورة حية لايمان المؤلف
بمستقبل الثقافة العربية بهذه البلاد . وإن خانها اليوم وتآمر عليها ، وكاد
لها ، وتغلي عنها من أبنائها بعض من كانت تنتظر منهم حمايتها ورعايتها ،
والدفاع عنها (فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها فوما ليسوا بها بكافرين)
ودلك ان اليوم الذي تسترجع فيه الأمة وعيها ، وترجع الى نفسها ، وسنجه الى
ميدان التطور ، ومجاربة ما ترزح فيمن تخلف فكري وتغافى وتربوى واجتماعى
وصناعى واخلاقى وحضارى ، في نطاق حماية موهوماتها الأساسية ، من لغة
ونعافة ودين وحضارة واخلاق ، لهو يوم أت لا ريب فيه (ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله) .

ان صديقنا الاسناذ المختار قد ادى بعمله الجليل هذا خدمة مهمة للمكتبة
العربية المغربية ، وابلن عن مقدار مسؤولية التعفين باللغة العربية في بقية
الاقاليم الأخرى من أنحاء المغرب في التعريف باقاليمهم وأحوالها واخبارها
ورجالها ، فعسى أن يكون ظهور هذه المجلدات حافزاً لبعض بقية الاقاليم الأخرى
فياخلدوا انفسهم بمثل ما اخذ به المؤلف نفسه . ليمثلوا ما في مكتبتنا من
تراث في هذا الميدان .

كما نرجو أن يكون في ادباء الاقليم السوسى من له نصيب من علم المؤلف
واطلاعه وصبره واخلاصه . فيأخذ نفسه بدراسة هذه المجلدات ومحاولة
التعقيب على ما عساه أن يكون فات المؤلف من معلومات أو وقع فيه من أخطاء ،
كما يقترحه المؤلف دائماً في كل مناسبة أثناء كتابته .

جزى الله صديقنا المؤلف خير الجزاء ، على ما بذل من جهود ، وصرف من
زقت ، وأنفق من مال . واعانه على نشر بقية مؤلفاته لعلها تحفز لتأليف
مؤلفات اخرى أمثالها :

وكتب بالرباط يوم عيد الاضحى المبارك عام 1380 هـ .

تفريظ محيي (تطوان) بكتابه العظيم الاخ العلامة

سيدي الاستاذ محمد داود

الاستاذ المختار ومؤلفه (المعسول)

زارني احد التلاميذ النجباء منذ ايام ، وسلم لي بطاقة اتى بها من مدينة (سلا) فاذا فيها ان المجلد الاخير من كتاب (المعسول) على وشك الخروج من المطبعة . وان من المناسب ان اكتب فيه كلمة تضاف الى ما يكتبه اصدقاء (المعسول) من المعجبين بهذا الكتاب من روائعه . وفكرت وطال تفكيري ، لانني لم افكر في الموضوع من قبل . وجالت بذهني خواطر كان من جملتها ان مؤلف (المعسول) هو حقيقة اخ كريم ، وصديق حميم . الا انه وزير يقصده الطالبون لفضله الحاجات ، والراغبون في حل المسائل والازمات ، ومن كان كذلك فان من المنتظر ان تتقاطر عليه تقاريف من الذين يصطادون هذه المناسبات ، ليتوصلوا الى مختلف الغايات . وهنا تسالت النفس الامارة بالسوء ؟ استبعد يا داود ان تجد اسمك غدا مسطرا بين أسماء أولئك الطالبين الراغبين . ونحن يا عزيزي قوم اذا وصل الحال لمثل هذا السؤال نفث روحنا وترتبتنا ونفسيتنا موقفا يصعب معه اذعانها ، فضلا عن خضوعها وعدلت عن التفكير في الموضوع موقتا .

ثم بعد ذلك ببضعة ايام زارني علامة الشمال المغربي اخي الاستاذ عبد الله كنون صحبة بهجة الاخوان ، وتحفة تطوان ، اخي الاستاذ محمد بنونة . فسألني هل كتبت كلمة عن (المعسول) فاجبته بانني لم اعزم على ذلك . وهو لحسن ادبه ، ولطف اخلاقه ، ودراسته لنفسيتي : لم يلجح علي في الامر . ولم يسألني لماذا ؟ وعلى ماذا ؟ ثم بعد بضعة ايام جاتني من (الرباط) رسالة يقول كاتبها - وهو اخ عزيز ، وصديق محترم : انه لا يناسب ان لا تكون من بين تقاريف (المعسول) كلمة للاستاذ داود . الفه الذي يعرف ما يكتب وما يقول . واذا ذاك استأنفت تفكيري ، في الموضوع . ولم يحظر ببالي قط ان تكون تلك التزكية لكرشوة من احد المعجبين بالاستاذ المحنار وكتابه (المعسول) ، وما أترهم وانا منهم :

وتجاهلت الوظائف والموظفين . والالفاظ والملفيسن . ونسيت التملق والتملقين ، واصحاب الحاجات والراغبين . وانتقلت ما ينشده العازمون على الامور .

من راقب الناس مات غما وفاض باللدة الجسور
وزدت على ذلك ان من اكثر من التردد ، والخوف من الفيل والقال ، ضيع اصحابه
وعين افرانه وارتابه . وحملت العلم ، واطلعت له العنان . فاذا به يتلخس ويعجم
امام وصف الوزير الذي يف ببابه الظامون في تقلد الوظائف ، او تسنم

الدرجات . ثم يحزن ويتعثر حتى يكاد يتكسر في يدي ؛ وينزكنى وحدى في الميدان . واخيرا رايت ان لا معيد لي عن سلوك طريق السياسة والمنارات ، لاني رايت ان سوقها هي الرابحة في هذا العصر ، ونجارتها هي الرابحة في هذا العصر . ووقفت مسعاه ، واستطعت ان اقنع نفسي بأنه لا خوف عليها من الاتهام ، ولا تهمة تحوم حولها في هذا المقام . لان لنها ، الناس موازين ، يفرقون بها بين الغث والسمين . ولهم قوانين تجعل حدا بين الظامعين المتملقين ، والنزاهة المترفعين ، والانفس والاقلام يا عزيزي شأنها شأن بعض مناهير الرجال . تخدع بالنساء فتخدع ، وتوتسى من باب ضعفها فتسلس وتتضع .

(أما بعد) فلونك يا عزيزي هذه الخطرات التي كتبها هذا القلم المستعصى ، وأنا خائف من أن يحدث حادث ، أو يدس داس . فنعود لاستئناف المعركة من جديد بيني من جهة ، وبين نفسي وقلمي من جهة أخرى .

كنت منذ بضع سنين قرأت ، في كتاب : (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) لآخينا الاسناذ أبي محمد ابن سودة أسماء عدد وافر من الكتب . ذكر ان مؤلفها هو الاسناذ المختار السوسى . فتسائلت نفسي هل يمكن أن يكون هذا العدد العديد من هذه التنايف كلها لهذا الطالب السوسى الذى لم يدرس الا فى نفس المعهد الذى درست فيه ، وهو جامعة القرويين . اليس فى الامكان ان يكون هذا الشخص من ذلك الصنف الذى سمعنا وقرأنا عنه ، وراينا منه غير قليل ، هذا الصنف الذى يفكر الواحد منه فى موضوع من الموضوعات التى يؤلف فيها الناس . ويضع برنامجا مفصلا ، ثم يتوجه باسم لماع براق . ثم يسجل اسمه فى لائحة تآليفه التى كلها خيال فى خيال . وقد يتحدث عنها فى مجالسه بالاحاديث الطوال . والحال أنه لم يكتب منها الا الاسم والمفهمة والمشروع ان هذا الصنف من الناس موجود ، وقد عرفنا من أشخاصه من عرفنا ، وسجلنا اسماءهم فى لائحة الاغبياء والمغفلين .

ولكنى لم ألبث ان اجبتت نفسى بنفسى : ان شخصا لم يبلغنا عنه الا أنه مخلص فى دينه ، نزيه فى اخلاقه ، متين فى علمه . لا يمكن أن يصدر منه مثل هذا . وجزمت أو كلت اجزم بان للاستاذ المختار السوسى مؤلفات لا مشروعات فحسب . وزرت الاستاذ المختار بـ (مراكش) وزارنى بـ (نطوان) وتعارفنا من قريب ، بعد ان كان تعارفنا بالسماع من بعيد ، فوجدنا أنفسنا سائرين ، فى اتجاه واحد ، ثقافتنا اسلامية عربية . عواظنا تعتر برجال السلف الصالح ، وتحترم شيوخنا الابرار ، مبدؤنا الاعتزاز بالاسلام ثم بالعروبة ، ثم بالوطنية الاستقلالية الحرة الصادقة المخلصة . والافتخار بامجاد قومنا وماضى امتنا ، واحتقار الترتارين ، من انصاف المتعلمين . والقروء المغلدين للمتخلفين ، من جهال المستشرقين .

وذات يوم ناولنى الاستاذ المختار احد المجلدات من تأليفه وقال لى ، ان كان لديك فراغ ، فى الوقت فلك ان تطلع على هذه المعجزات (1) وتناولت من يده الكريمة ذلك المجلد بكامل الارتياح ، لان حبى للمطالعة ، وشغفى بالمعرفة ، اشد من ولوع بعض رجالنا بلعب الكارطة وشرب الراح ، وتصفحت الكتاب ثم قرأته . ثم تلوقته ، فاذا بى فى ذلك المجلد امام عذيب سلسبيل ، فى ارض اريض، وظل عريض . اسلوب بديع ؛ وادب رفيع . ونثر بارع ، وشعر رائع . فقلت سبحان الله : ايصدر مثل هذه الجواهر والدرر عن اناس يتكلمون فى اوساطهم العادية بغير لفتنا، ويتعاهمون بلهجة غير لهجتنا، آياني بهذا السحر الخلال من يصفهم بعض الناس بان فى كلامهم عجمه ، وفى لسانهم لكنة . ان هذا نسيء عجاب ، ولم يطل تعجيبى ، ولم يكثر تساؤلى اذ وجدت ان الواقع هو ما ارى وما اقرأ ، لا ما افهم ولا ما اسمع .

وتتابع اعجابى ، ولاحظ الاخ المختار ، وهو الذكى النجيب : الدقيق الملاحظة ، السريع الادراك ، بالرغم من نفاذله او تقاييه فى بعض الاحيان . انى انهم مؤلفاته وادابه النهاما ، فتابع امدادى بالمجلد تلو المجلد. فاذا بى امام نيف وتلائين (2) جزءا الفها هذا الطالب المدرسى البوى اتششاء ، اسداس بالفرويين ، عن بلده اقليم سوس ، ورجال سوس : وادب سوس (وحوادث سوس . فالنفت الى حبيبتى (فاس) سائلا ماذا عندك يا عزيزتى من هذا ؟ فاذا بها لا تمدنى ولا بعشر ما وجدته عن (سوس) فكبرت فى نفسى سوس وعظم فى عينى ابن سوس البار . واصبح فى نظرى هو بلبلها الصداح ، ونابقتها المختار . وللت الله اكبر (ذلك فضل الله يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

ورجعت ببصرى وبصيرتى الى عزيزتى (فاس) فاذا بها تميمس وتتقلم فحوى . وتضع راحتيها على منكبى وتهمس وقد خنقتها العبرات ، الا ترى الى ما حاق بى من اعراض واهمال ، وما صرت اليه من مرفعات واسمال . وفى صناديقى من الدرر واليواقيت مثل الجبال ، ولى من الثروة الدفينة ما لا يخطر لك ببال ؟ وارتمت فى احضانى وقد اجهشت فاعرورقت عيناي ورفعت طرفى الى السماء . وقلت يا رب يا رب اهد اخانا العابد الفاسى لتأليف (معسول) عن فاس ، التى شاع حبته لها بين الناس وسمعت عن يمينى آيينا فاذا بى اجد الاخت (سلا) وهى تستعطفنى فقلت يا رب يا رب اهد اخانا محمدا التطوانى لتأليف (معسول) عن (سلا) محل البرور والاحسان ، ومركز العطف والحنان ، ومرتع الاجاب والخلان .

(1) اصل الكلمة من المخمرشات ، وهذه عربية فصحة .

(2) يعنى من (المعسول) و (خلال جزولة) و (الالفيات) و (حول مائة الغداء) و (من افواه الرجال) وغيرها .

والتفت الى يسارى ، فاذا بغادة تتهادى وتجر وراءها الاذيال وقد اماطت
 عن محاسنها الخمار. ووقفت امامى وقد احمرت وجنتها . وتهدج صوتها تقول:
 ايكون جمالى سيبا لى حرمانى من عطف علمائنا الابرار ، واعتناء فقهاننا
 الاخيار ، خوفا فى الاتهام باخلاق الفجار . فاعضيت حياء وخوفا على نفسى
 وحسبى ، وقلت يا رب يا رب اهد اخانا ابن العباس ، لالهائنا عادة (الرباط)
 بـ (معسول) تطيبه معه الانفاس . ويوجب لفتتها عن الناس .

وعزمت على الانصراف لحال سبيل . فاذا بابنة اسماعيل تتادى الا يوجد
 الجمال الا عند جارتى ؟ الا يفتنك ايها الجميل الابيض (فاس) الا تتلوق ايها
 اللطيف حلوة سمره (مكناس) فقلت وقد تكاثرت على الظباء . وانا حديث
 العهد بالعودة من (قباء) . اللهم لا تفتنا ، اللهم اهد اخانا محمدا المنونى لشغل
 هذه الفتاة بـ (معسول) يتوج به (اتحاف اعلام الناس) (1)

وهرولت خوفا على نفسى من الفاتنات ، الكاسيات العاريت . فاذا بى امام
 شيخ وقور (الله اكبر) انه ابى (المغرب) العزيز ، فتقدمت اليه وقبلت يده اليمنى
 على عادتي مع اشياخى ، بالرغم من كونى اصبغت او كلت اصبح من الشيوخ (2)
 فقال لى بدون مقدمات ما هذا الكسل ؟ ما هذا الاهمال ؟ ما هذا الفتور ؟ الم
 يبق فى الدنيا اعتناء وبرور ؟ ما هذه العجرفة والانانية ؟ ما هذه العنصرية
 الاقليمية ؟ ما هذه الافكار الضيقة ؟ ما هذا التزامت المحل ؟ وخفت من
 استرساله فى ارسال هذا الشواظ من الاتهامات التى اعلم اننى ورفقائى منها
 براء ، فتراميت على يده اليمنى ، وقلت وانا اعلم ان الشيوخ تنحل
 عراهم عند ما يتواضع الثبان امامهم . ويقبلون ايديهم - عفوك ايها الاب
 الحنون - او منى ونحن نمثل ، فقال : اصحح ؟ قلت بحقك علينا . فقال اذن
 لتعاونوا جميعا على كتابة تاريخى الذى الى الآن لم يكتب . فقلت اطمئن ايها
 الاب العزيز ، وكن واثقا من اننا بتوازيخنا الاقليمية الخاصة المتواضعة ، انما
 نهمد لتاريخك العظيم تمهيدا ، ونسهل تسهيلا . فقال احقا ما تقول ؟ فقلت
 ذلك ما نعتقد . والله على ما نقول وكيل . فاذا ذلك تفترت حدته وسوتره
 وتلالا جبينه وجهته . وقال وقد سالت على تلج لحيته قطرات فضية : اللهم
 اهد ابناى الابرار ، اللهم ارض عنهم ، وكن لهم خير معين .

(و بعد) فهذا اقليم سوس قد حاز قصب السبق ، بتفوق ابنه البار ، اخينا
 الاستاذ الحاج المختار السوسى ابن الشيخ الصالح الربى الناصح . سيدى
 الحاج على الاثنى . فى كتابه (المعسول) الكتاب الذى ملاه علما وادبا وتاريخا

(1) اما تطوان فانها لو تكلمت ثلاث الجوز غاريد بما ظفرت به من (معسولات)

لا معسول واحد فى مؤلف الاستاذ الكبير الجامع الذى لا نظير له .

(2) محمد المختار ، والسادة : محمد دارد. والحاج محمد بنونة . والتطوانى

هم اليوم فى الرابعة والستين . او ليسوا بشيوخ يحال امتالهم على المعاش .

وحكما . الكتاب الذى يبحث فى الاصول والاعراق . وتدرس فيه العوائد والاخلاق ، ونجد فيه من تراجم اخوان لنا ، وتصوير حياتهم . وتسجيل لروائع ادبهم . ما يضيف الى صفحات تاريخنا ، وباقات ادبنا ، ثروة لا تقدر بشئ .

هذا الكتاب الذى لا تنتهى من قراءته ، الا وقد احطنا او كدنا نحيط بمعرفة الكنوز الثمينة التى يحتوى عليها هذا الاقليم من بين اقاليم هذا الوطن المغربى العزيز ان بعض الذين تعودوا قراءة نوع خاص من كتب التراجم والتاريخ ، قد يرون أن (المعسول) و امثال (المعسول) - ان كانت له امثال - فيه معلومات نافهة او تفصيلات دقيقة ليس لها فى نظرهم من الاهمية ما يدعو لتسجيلها وتخليد ذكرها . والذى ارى أن ذلك الراى قصر فى النظر ، وتأثر بار يستوقراطية فرضها بعض المؤرخين الذى كانوا خداما لبعض الولاة ، او ابواقا لاصحاب السلطة والجاه .

وان التاريخ الصحيح فى نظرى هو الذى يؤرخ للشعب كما يؤرخ للحكومات ويترجم للافراد فى الشعب كما يترجم لكبار الشخصيات ، ويصور مختلف الافكار والنفسيات والاتجاهات والحيثيات ، وخصوصا فى الأوساط التى يعيش فيها المؤرخ تصويرا يجعل قارئى الكتاب ، يشعر بأنه يكاد يعيش فى تلك الاوساط . وهذا المعنى يجده متجليا باكمل وضوح فى مؤلفات الاستاذ المختار . وخصوصا فى كتابه (المعسول) .

لقد كنت قبل اتصالى بالاخ المختار . لا اكاد اعرف شيئا عن سوس ، وادباء سوس . واتصلت أولا بأخيه الاديب النابغة الاستاذ ابراهيم اللفى ، الذى لضى زهرة شبابه عندنا بـ (تطوان) فوجدت فيه من علو الهمة ، ولطف الاخلاق ، وسمو الافكار ، وبارع الادب . ما اكبر فى عينى هذا الاقليم الذى يصدر مثل هذه الدررة اليتيمة . ثم اتصلت بالاستاذ المختار نفسه ، وهو مدرس حر بـ (مراكش) ثم فى (الدار البيضاء) فلذا بى فى بحر زاخر من العلم والادب . وجبل شامخ فى الدين المتين ، واخلق القويم ، والهدى النبوى والكرم الحاتمى ، الى باع طويل فى علوم اللغة العربية والادب الممتاز . واطلاع واسع على مجرى السياسة والاحداث فى الداخل والخارج ، مع سداد فى الراى واتزان فى الفكر ، وبراعة فى الاسلوب . ثم قرأت جل تآليفه عن سوس . فانتهيت الى نتيجة واية نتيجة ، وهى أن من الانتاج الادبى العربى بالمغرب ما يحق الافتخار به امام بقية اقطار العروبة فى القديم والحديث ، ولولا ابتعادى عن المبالغة . وكانت لى فى مجالس الاحكام كلمة - لا قدر الله - حكمت بأن الاخوين عبد الله كنون والمختار السوسى ، هما فى عصرنا هذا معجزتان من معجزات هذا المغرب العظيم .

(تطوان) فاتح محرم الحرام عام 1481 هـ .

تقرير الأديب الكبير الأخ شقيق الروح سعيد محمد بن العباس القباقي الرباطي

سعيد الأخ الكريم الأستاذ الكبير العلامة البجائة محمد المختار السوسي .
وتحية وتقديرا هذا كتابك (المسول) بين يدي الآن . وقد طويت آخر صفحة
منه بعد أن أنهيت مطالعته مطالعة المستوعب المتفهم وارتويت من موارده وتمليت
من فوائده ولا أكتفك أنني انتفض انتفاضة المأخوذ اعجابا وسرورا كلما
خرجت من ترجمة عالم الى حياة اديب ، وانتقلت من عرض اخبار حافلة الى
آثار ادبية تمثل في كل سطر من سطورها شخصيات اولئك الذين عاشوا
او يعيشون في جزء من المغرب مغمور كنا نحسب عن حسن نية انهم بمتناهي
عن اللغة العربية بعيدون عن اجواء الحضارة ومقومات العلم وفنون المعرفة .
وهكذا سيظل يترأى لمن لم ينحله الاطلاع على ما تضمنه (المسول) أن الحضريين
هم وحدهم الذين جباهم الله دون سواهم بنور العلم والعرفان .

ولمك وأنت تعكف على انجاز مؤلفك القيم (المسول) وتبدل في سبيله
جهدا وغناء تهدف الى الغرض السامي المحبب الى قلب كل غيور وتتشد الامنية
الغالية التي تجتمع في تعريف مواطنيك بأخبار وآثار اخوان لهم بتلك الجهة
التي ظلت احقبا في عزلة وانزواء وظل المواطنون انفسهم في انكماش وانعزال
لا يتطلعون اليها ولا يتحدثون عنها فيما يكتبون ويؤلفون وتود ان تصحح من
اخطائهم ونبت في روعهم أن بني عمك فيهم رماح ، وتضع امام انظارهم
سلسلة موصولة الحلقات عن مقومات سوس العالة وطائفة من رجالات الاسر
العلمية هناك ، وحتى لا يعود مفتر يقول: ان تلك الجهة لم تكن منذ الاجيال غير
صحراء قاحلة لم تتخللها دوحة عرفان . ولم تنفتح فيها براعم أدب . ولا
تفجرت فيها ينابيع الثقافة التي اصطلحوا على أنها وليدة الحضارة ومؤنثل
الحضريين . وكانى بك وانت تسمع ما تسمع من قول مفترى . او تقرا ما تقرا
من تحامل على الصقع السوسي الواعى تزداد وثوقا وایمانا أن الايام كفيلة بتوفر
الاسباب لوضع مؤلفات تتركز في التعريف بسوس واظهار مكانتها العلمية
والادبية . ولاهر ما احببت الانصراف الى شرع الاقلام والانقطاع الى المحابر .
وعزفت عن الادب والقريض ، الا عند من يجيش به صدرك وتحس بدافع قوى
الى لوك النظم وهكذا اشدت حرصك على ارتياد زوايا العلم المشهورة المنبثقة
بين شعاب سوس وهضابها تستقصى الوثائق الشخصية . وتستمد من
مراجعتها ومصادرها التي قلما تنهى لراغب الا في خبايا تلك الزوايا . ثم كانت
مشيئة القدر ان تمتحن بالنفى السياسى ، وما عهدتك الا الاديب المهتم والعالم
الباحث ، وكيف يهتبل بالسياسة ويمارسها من لا يفرغ من الدرس والافادة

الا عند انصرام الهزيع الاول من الليل ، ولا يكاد يستريح جنبه قليلا الا وقد
ابقظه داعي الفجر ليستأنف مهمته ويواصل في سبيل نشر العلم والدين
ماموريته . ولكن لله حكمة بالغة . فقد كتب في تديره لهذا القطر عائدتميمة
وفائدة جزيلة . فكان في نفيك الخير الموفور والبركة المذخورة .

خينر كله هذه المجموعة من التأليف التي تخرجها للناس تباعا مليئة باختيار
وسير علماء وادباء سوس وتراثهم الفكري وانتاجهم الادبي وبركة . حيث
هياك الله لصون ما الهمت اليه من عوامل الاندثار وحفظه من أن تمتد اليه
غوائل البوار. ولكن كان هناك فريق لا يرضيه هذا الضرب من التأليف .
ويقصر فهمه عن ادراك مرما، ويتساءل عن مبلغ ملاءمة هذه الموضوعات
لمقتضيات الحياة العصرية الجديدة الزاخرة بالوان الابداع والاختراع فانا لا
نقول أكثر من ان مجالات النشاطاتقف عند غاية وهي تختلف باختلاف الميول
وتتعدد بتعدد الاتجاهات . وكل يعمل على شاكلته ، وحسبك انك اديت امانة
لم يكن سواك قادرا على اداؤها بحثا وتدقيقا واستفاضة . وبينت لنا مبلغ
ازدهار اللسان العربي بين قوم شلحين بالرغم عن اللهجة السائدة في وسطهم
وبينتهم ومجتمعاتهم .

فليهن أخى الكريم بتوفيقه . وليسعد بما يتحف به المكتبة المغربية من
مؤلفات قيمة ومجهودات مشكورة .

8 محرم 1381 هـ .

تفريظ الاديب الكبير عبد القادر زمامة الفاسي

(المعسول)

بين الادب والتاريخ

بين يدى الآن اجزاء من هذه الموسوعة الكبرى التى تصافرت المطابع القريبة على اخراج الواحد منها تلو الآخر . وقد لبس كل جزء منها رداء واحداً فى العنوان ، والورق ، والحروف ؛ والحجم . مما يجعل القارئ يظن لاول وهلة ان المطبعة الواحدة لفظت هذا التراث الضخم فى وقت واحد ، ولكن هيهات فلو اشتغلت مطبعة مغربية واحدة بهذه الموسوعة لاحتاجت الى معونات ورجال وازمان .. والمؤلف - حفظه الله - كان موفقا كل التوفيق حين وزع الاجزاء بهذه الكيفية ، اختصارا للوقت ، مع المحافظة على الحلة الانيقة التى توخدها بين الاسفار ..

فاذا تخطينا هذا المظهر العام الى ما تضمنته تلك الاسفار من اخبار الاعصار والامصار . فاننا نجد انفسنا امام مؤرخ اديب رحالة ، يفرف من بحر وينفق من جم :: ويربط التاريخ بالادب :: والحاضر بالماضى ، ويقدم لكل الوانا من المعلومات . قد تكون انت بالذات فى غنى عنها ، ولكنها فى الوقت نفسه ضالة قارة غيرك وطلبة باحث سواك . والمؤلف فى كل ذلك يدهشك بتقيد الاوابد واقتناص الشوارد ، من اخبار سوس ، ورجال سوس على العموم ، و (الخ) ورجالها على الخصوص :: ويظهر ان المؤلف كان منذ الساعة الاولى التى فكر فيها فى انجاز مشروعه - حريصا كل الحرص على الانتقام :: من الاهمال والمهملين . حريصا كل الحرص على تسجيل ما اهمله التاريخ . وما زال يهمله الى الآن . فهناك حواضر فى المغرب ، وامصار وقرى ، ورباطات - وزوايا - كانت مصابيح متألثة فى سماء المغرب برجالها وعلومها ومدارسها ، اصبحت فى خبر لبس وكان . وما (نكور) و (البصرة) و (الدلاء) و (سجلماسة) و (اغمات) و (داي) و (تيط) و (تامكروت) و (زاوية العياشى) الامثلة لما جناه الاهمال على تاريخ المغرب الفكرى والسياسى . وقد حظيت (الخ) من ابنها البار بما لم تحظ به غيرها من ابنائها فى القديم والحديث ، مع العلم ان (الخ) ليست للالفين وحدهم . ومراكش ، ليست للمراكشيين وحدهم . وكذلك تطوان ومكناس وفاس وغيرها من مدن المغرب وقراه بل ان المغرب بجمبع اقاليمه للمغاربة اولا واخيرا . وتاريخه العام ليس الا عقدا نبيسه استهمت فيه كل ناحية من نواحيه بطائفة من العلماء والادباء ، ورجال الفكر والسياسة يكونون فرائده اللدنية اللامعة .

وأول ما تلاحظه في الجزء الأول من (المسول) هذه المعلومات الجغرافية التي تكون لأول مرة تاريخ المغرب بقلم خبير مختص، يكتب عن البيئة الطبيعية والاجتماعية، والحياة الاقتصادية والعلمية والأدبية؛ ومشاعر السكان في جدهم وهزلهم، وأفراحهم وأحزانهم وعلائقهم الشخصية والاجتماعية؛ الأمر الذي يجعلك محيطاً بظرف الزمان والمكان لهذه السلسلة من المعلومات التي يقدمها إليك هذا العلامة الخبير. وقد استغرقت هذه المقدمة الجغرافية خمسا وسبعين صفحة، أتى فيها المؤلف بكل طريف ممتع :: ولا يعوذها من عين الكمال إلا حرمانها من مصور جغرافي مفصل لأقليم سوس بالقبائل والمدن والقرى والمراكز المهمة.، والإعلام التاريخية. ولعل المؤلف آخر ذلك ليلاحظه ببعض الأجزاء التي لا تزال تحت الطبع.. إذ لا تخفى أهمية التخطيط الجغرافي لتتبع وقائع الأحداث، لاسيما عند الذين لم يسبق لهم أن تعرفوا عن ذلك الإقليم من المغاربة أو غيرهم.

ثم يأتي المؤلف بتقسيم الكتاب، فيقسمه إلى خمسة أقسام ذات فصول وفروع، وهذا التقسيم ليس إلا ترتيباً للأخبار والأحداث والشخصيات، والأسر السوسية التي لها شغوف واعتبار في الدين أو العلم أو الرياسة. وبذلك استغنى المؤلف عن ترتيب تراجم الإعلام على الحروف (1) الهجائية أو الإبجدية :: كما استغنى عن الترتيب الزمني بالترتيب المكاني. ولم يراع الزمان إلا في الفصلين الأول والثاني من (القسم الأول) وقد أحيا المؤلف سنة الروايات والأفادات والأنشادات والوجدات، فلا يترك مناسبة تمر دون أن يكشف لك سرا مكنونا. ولولا العلامة المختار لبقى مجهولاً في الجاهيل؛ أو نكرة في النكرات. وهكذا يرضى بعلمه المؤرخ البحاثة الذي لا يقنع بالمشاج، والأونشال، بل يتطلع دائماً إلى منابع الثرة والعيون الدافقة، ليحكم على الشخص أو العصر حكماً مستمداً من أدلة ومستندات وافية شافية.

فاذا تخطينا ناحية التاريخ - وهي بيت القصيد - إلى ناحية الأدب، وجدنا المعجزة الكبرى والآية العظمى. معجزة اللغة العربية، والأدب العربي بشعره ونثره وأمثاله وحكمه. فلا تخلو ترجمة من تراجم إعلام سوس من قصيدة أو مقطعة أو رسالة تريك مدى سيادة لغة الضاد في تلك الأجزاء الثاسعة :: فهي لغة العلم والعلماء. ولغة الأدب والأدباء - وهي لغة الدين.. عبادة ومعاملة. وهي لغة الحكم والإدارة، بها تعقد العقود. وبها تنفذ الأحكام. منذ عرفت سوس الإسلام إلى الآن. وكفى بذلك نعمة وخيراً وفخراً لهذا القطر المغربي المسلم.

ولا يعزبن عن البال أن أدبيات (المسول) هي الأدبيات التي تتضمنها عادة الكتب الموسوعة التي يكون هم مؤلفيها التدوين والتسجيل والجمع. فلا

(1) سيقوم بذلك الفهرس العام للكتاب كله إن شاء الله.

يفسرها ان تكون معرضا فيه المختار الجيد ، الى جانب الفاتر المتكلف . وقديما عرفنا شعر الفقهاء والنحاة . كما عرفنا شعر ذوى المواهب الحية ، والمواطف المشبوبة . وشعراء سوس فيهم ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين . والقراء هم المحظوظون الرابحون على كل حال ..حيث انهم يجنون المواد الاساسية للدراسة الادبية او التاريخية بجميع عناصرها .

- وفي يقيني ان هذا الكتاب سيسد فراغا ظل شاعرا الى الآن . وسيجد فيه الادبا والمؤرخون معينا لا ينضب ، وينبوعا لا يفيض ، وقبل ان اودع هذا الكتاب اود ان يتم الله نعمته على مؤلفه ، فيهبه من تمام العافية ، وجميل الصبر ، ما يتم به اخراج مؤلفاته الاخرى التى علمنا منها شيئا ، وغابت عنا اشياء

وما ذلك على همة هذا النايفة العبرى بعزير ... فما ضاعت اخبار ولا آثار ورائها علامة مختار
فاس ، 8 محرم الحرام 1381 هـ .

تقريظ الاديب الكبير سيدى عبد الكريم ابن الحسنى الرباطى (المعسول)

فى اعلام (الخ) ورؤسائها وشيوخهم وتلامذتهم وأصدقائهم السوسيين ومن
اليهم من الاقارب

سوس اقليم كبير فى المغرب يكتنفه البحر الاعظم ، والطود الاشهم .
والساقية الحمراء . والصحراء الفيحاء ، وفى تحديد رقبته وتميز اقصاه من
ادناه قد تتفاوت العبارات . وتختلف الاعتبارات ، فصاحب (الحلل الموشية)
يقول : (سوس الاقصى هو بلاد ماسة وهو على يمين القبلة من جبل (دَرَن)
الى أن يتصل بالصحراء) ويقتصر التادل الرباطى فى (المطلع) على قوله (سوس)
الاقصى اقليم عظيم فوق مراکش) ويقول السوسى المرغيتى فى (المتع(1)) وهو
(سوسان أدنى وأقصى ، فالادنى وادى العبيد الى سجلماسة ، الى وادى درعة ،
الى مراکش ، مع الجانب الذى يليه من جبل درن الى حاحة الى دكالة الى وادى
أم الربيع ، وسوس الاقصى هو ما بعد ذلك الى الساقية الحمراء ، من ناحية
الصحراء ، والى البحر من ناحية ماسة ، وجبل كنفيس ؛ ومدينة ودانة مع
الجانب الذى يليها من جبل درن) .

وكان الشيخ محمد بن عبا الله بن الحسين الدليمى الاصل . الدرعى النشأة
الورزازى الدار ، المكى الوفاة سنة 1174 هـ . لم يجل فيما حوله . ولم يستمتع
بهذا المتع ، فاحتاج - وهو من (ورزوات) التى قال بعضهم انها بنواحى
سوس - الى الفير وزبادى الشيرازى اليمنى ، للتعريف بسوس ؛ وراى
نفسه . فى شرحه المبيض سنة 1164 للمقنع مضطرا الى نقل قول القاموس ،
متصرخا فى نضه . الذى ذكر فيه سوس الاهواز وبلدا آخر بالمغرب ، وهو
سوس الاقصى . بينهما مسيرة شهرين) وكل ذلك ليرتب عليه قوله (ولهذا
نسب الناظم رحمه الله نفسه) .

اما معاصره عبد الله بن ابراهيم النيفسى فقد اتى البيوت من ابوابها ؛
فقال ملخصا كلام المرغيتى فى (رحلة الواقد) التى ألفها فى هجرة والده المتوفى
سنة 1134 (قلت : وبلاد السوس عندهم على قسمين :سوس الاقصى ، وسوس
الادنى ، فالاقصى من بلاد ماسة قرب مدينة (تارودانت) وهو على يمين القبلة
من جبل درن الى أن يتصل بارض الصحراء ، والادنى من وادى العبيد قرب
مراكش الى ماسة . نص عليه الشيخ سيدى محمد بن سعيد المرغيتى وصاحب

(٢) المطلع والمتع شرحان على رجز (المقنع)

ولم يزد الشيخ مرتضى في شرحه للقاموس على قوله في (التكملة) كانه لم يلق سوسيا ولا حدثه عن سوس أو سوسة أحد من أعلام المغرب الذين لفيهم ، فأخذ عنهم أو اخلوا عنه ، مع انه يوجد في نسيوخته باللغاء : على بن محمد السوسي ، وبالمراسلة أحمد بن عبد الله السوسي التونسي .

أما تلميذه الشيخ محمد أبو راس المسكري المتوفى سنة 1239 فقد قفى بكلمة سوس في أواخر قصيدته السينية (الخلل السندسية ، في شانزهران والجزيرة الاندلسية) المتضمنة للذكر ما ضاع من بلاد الاسلام وما استردمنها . وذلك عند تعرضه لتطهير السعديين لسواحل سوس من البرتقال . وقد نبه في شرحها الى التعريف بسوس (فأتى بحدود المرغيتي غير منسوبة اليه . وانما قال اثرها (وتلك اجبال هي بلاد محمد بن سعيد الذي اختصر نظم أبي مفرق النهور) . وذكر بعضهم أن (ابن سرتكاو) من (اداوتان) هو أول سوس (1) .

ولكل من سكان سوس ومكانه خصائص ومزايا معروفة ، يذكر بها في سائر المغرب، وتبرز فيها الاقليمية واضحة ، حتى كان بعض المؤلفين والكتاب يطلق عليه فطر سوس . واهله فيهم الذكاء والنبوغ والنشاط في الاعمال . وطبيعة جيلهم وبلادهم المختلفة الاحوال بين الخصب والجديب ، والعامر والغامر . يغلب عليهم الاجتهاد والكد والحرص والاقتصاد والاتحاد ، والاعتراب في طلب الرزق بالعمل والتجارة في سائر الجهات . ولهجتهم الشلحية مفايرة لباقي اللهجات غير العربية بالمغرب ، والمستعرب منهم يكون نطقه بمفردات العربية أفصح وأقوم من نطق العربي عندنا بها (2) .

وقد تكلم المؤرخون واصحاب المسالك قديما على حالة سوس الفلاحية والعمراية وذكروا ما كانت عليه من اتصال العمارة بالقرى والمزارع ، وانواع الاشجار والفواكه والثمار والمعادن ، واحوال المدن والسكان ، وخصب البلاد ؛ ورخص الاسعار ، ورفاهية العيش .

أما الناحية العلمية والدينية فقد كانت سوس على المعروف من تاريخها دار علم ودين وتصوف ، زاخرة بالقراء والفقهاء والادباء والصلحاء . كثيرة المساجد

(1) ابن سرتكاو قرية كبيرة ازاء أكادير .

(2) من الملاحظ أن نطق الشلحيين بالحروف هو نطق العرب بها حتى الضاء فانه شلحي فصيح الا ما كان من الثاء والذال والظاء فانها ليست في الشلحة . كما ليست أيضا اليوم في اللغة العربية الدارجة . وأما الكاف المعقودة فانها لهجة عربية فصيحة كما نبه عليه اللفيون ، كالسيوطي في (الزهر) .

والزوايا والمدارس والخزائن. عامرة القرى والمدامر بالايمة والمعلمين. ينصب اهل كل قرية قارنا فقيها يرتبون له ما يكفيه من المؤنة اليومية ويشترطون له عليهم غيرها من العطاء والحرائه واخصاد كل سنه . فيعتكف في مسجدهم على اقامة الصلوات والامامة بهم وتسجيل عقودهم وتعليم اولادهم الكتابية وتحفيظهم القرآن فمن ذلك كانت تفل فيهم الامية ، ويكثر الحفظة بينهم بنحو ربع غالب القرى . واذا ظهرت نجابة الابناء انتقلوا الى المدارس لحفظ متون العلم ودراستها والتمكن من العربية والفقه. وكان لكل قبيلة مدرسة او مدارس للعلوم اوللقرارات حتى زاد عندها على المائتين . ويقارب طلبة المدارس الزاخرة منها مائتين (1) ، او يبلغ ثلاثة ارباعها ، وكانت كل قبيلة تقوم بمدرستها فياتون الى خزينتها بثلت اعشارهم ، ويدفعون لها كل سنة غير ذلك ، مما تتوقف عليه لتموين طلبتها ، ومدرستها التي تكون له شروط على القبيلة ، ويكون فقيهاها يفصل نوازلهما، والقيم على المدرسة وهريها وطلبها الذين يجنون فيها ما يحتاجون اليه من الماوى والمائل والدراسةمجانا . فاذا حصلوا من العلم كفايتهم ، قاموا بمثل عمل شيوخهم . فانتصبوا للامامة والتعليم والتدريس والفتوى والشهادة والقسم للتركات والقضاء والارشاد والاصلاح وكان يغلب عليهم التمكن مما تعلموه ، فيكون علمهم معهم لا يغرب عنهم ولا يحتاجون عند التدريس الى مراجعة او مطالعة لانهم يمثلون ما يقولونه: العلم ذهب به الحفاظ ومنهم من كان يلزم كتب الادب والتاريخ حتى يصير مستحضرا لها ولما فيها من المفردات اللغوية والامثال والحكم ، ويستعمل ذلك في حديثه وكتابته ، ناسجا على التراكيب البليغة ، حافظا لشوارد الاسماء . وغريب الالفاظ التي قد تخفى على غيرهم ممن اصله عربى . ولا يكاد يرددها فى استعماله وقد يمهز بعضهم فى سائر العلوم الاسلامية ويتفوق فى علمه او ادبه او صلاحه . فتطير شهرته وينفذ به خارج اقليمه .

وتكلفهم للتعب - مع ما يستنفد ذلك منهم من جهد ، وما يقتضيه من وقت ، لم يقصر عملهم على القراءة والتدريس ، ولم يصددهم عن التأليف بالعربية والكتابة فيها ، وحوك الشعر والاجادة فيه. على اوزانه. فقد صنفوا بالعربية كتباً فى القراءات والتفسير والحديث والسيرة والفقه والعربية والادب والتوقيف والطب ، وكتبوا على الرسالة والتلقين والتنقيح والمدونة ومختصرى ابن الحاجب و خليل وجامعى خليل وبهرام ، والشفا، والاربعين والبردة والهمزية واللاميات والتسهيل والالفية وغير ذلك مما اشتهر بعضه عند الطلبة والفقهاء والمسندين حتى خارج اقليمهم. فكان يستعمل فى الدراسة والفتوى والمراجعة مثل شرح الرسومكى على جمل المجرادى ، ومقنع المرغيتى وشرحه ، ونوازل السكتانى والعباسى ، وصلة ابن سليمان الردانى ولوائد

(I) كما كانت عليه مدرسة ادرز وتيمكيدشت وبونعما حينا .

التامانارتي ، وقد نقلوا الى لهجتهم الشلجية بعض الكنب المشهورة في الاعتقاد والفقه والسيرة والقصص . نسهيلا على الذين فاتهم نعلم العربيه، وحرصا على ارشادهم لامور دينهم . فترجموا مختصر حليل ، ومرشد ابن عاشر ومجموع الامير . ورياض الصالحين للنووي ، واربعينه واردة البوصيري . وحكم ابن عطاء ونور اليقين والمنقح والفرائض وغيرها .

وكذلك اُنجبت سوس في مختلف مراحلها التاريخية طائفة من رجال الدين والعلم والادب والحرب والسياسة والحكم ، كان لهم اثر في تاريخ المغرب السياسي ، والعلم الديني ، من أشهرهم : وجاج بن زلوا اللمطي (نحو 445) تلميذ ابي عمران الفاسي ، صاحب دار المرابطين المؤسسة لطلبة العلم ، وقراء العروان وتلميذه عبد الله بن ياسين الجزولي التامانارتي (451 هـ) داعية الاسلام بالصحراء ومؤسس دولة المرابطين ، والمهدى بن تومرت الهرغي (485-524 هـ) مقيم دولة الموحدين تلميذ الغزالي ، ومحمد المهدي مؤسس الدولة السعدية الناشئ، في تلمسى هو وابوه قبله نحو (917) و اَبو موسى عيسى الجزولي (- 606) المراكشي النحوي صاحب المقدمة ، والشيخ محمد بن سليمان الجزولي وبركات التيدسي اللذان لهما ذكر في اقامة دولة السعديين بسوس (920) وفي تحريض القبائل على الاقباد اليهم ، لجهاد البرتغال ، والشيخ احمد بن موسى السمالي (- 971) و احمد بن علي البوسعيدي الهشتوتى دفين فاس (- 1046) صاحب بلبل المناصحة ، و وصلة الزلفي ، وعبد الرحمن التامانارتي (- 1060) قاضي تارودانت المحدث صاحب (الفوائد الجمة في اسناد علوم الامة) والشيخ محمد بن سعيد المرغيتي الاخصاصي (1007 - 1089) دفين مراكش صاحب الفهرسة ، والمنقح ، والمطلع ، ومحمد بن سليمان الرداني (1037 - 1094 هـ) نزيرل الحرمين دفين دمشق ، الحكيم المحدث الراوية ، صاحب مجمع الفوائد ، والفهرسة صلة الخلف بموصول السلف ، ومحمد بن احمد الحضيكي (1118 - 1189) الراوية . صاحب الطبقات ، والرحلة ومجتبى البخارى ، والشفاء ، ويحيى بن عبد الله الجرادي المعمر (نحو 1240) صاحب الفهرسة. ضوء المصباح. وعبد الرحمن الجشتيمي (1185 - 1269) و احمد بن محمد التيمكيدشتي (- 1274 هـ) ومحمد بن عبد الله الالفي (1265 - 1303 هـ) مؤسس مدرسة (الخ) ، ومحمد ابن العربي الادوزي المؤلف (1248 - 1325) والشيخان الحاجان الحسين الافرانجى التجاني (1275 - 1347) وسيدى الحاج على الالفي الدراواي (1268 - 1328) و احمد بن محمد التيمكيدشتي (1328 هـ .) والقاضى الاديب على بن عبد الله الالفي (1275 - 1347) والشاعر المجيد الطاهر الافرانجى (1285 - 1374) الى غيرهم من اعلام جزولة وسملالة ورسومكة وهوزالة وبعقيلة وهشتوكة ورجال الاسر التي تسلسل العلم فيها اجيالا .

واخيرا جاء صاحب (المعسول) الذى اغتنم تلك القرية التى كان فيها
منفاه الى مسقط رأسه فحرر ما يديه لينا اليوم ، وقد يكون الانسان غريبا
فى بلده واهله حوله هالة ، على نحو ما قاله فى المائة الرابعة ابو سليمان حمد
الخطابى صاحب معالم السنن ، وشرح البخارى ، وهو بستى كاخافظ ابن
حبان ، والاديب ابن الفتح .

وما غربة الانسان فى شقة النوى ولكنها والله فى عدم الشكل
وانى غريب بين بست واهلها وان كان فيها اسرتى وبها اهلى
وقال غيره فى سجستان التى ينسب لها ابو داود احد اصحاب الكتب
الست :

وليس اغترابى فى سجستان اننى فقدت بها الاخوان والدار والاهلا
ولكننى مالى بها من مشابه وان الغريب الفرد من يعلم التسكلا
واذا كان هذا حال الحر المطلق الارادة ، فكيف بحال سجين بيته : المنوع
من الاتصال بالناس ، يكون كالتائر المقتنص من الروض الاعن ، الموضوع فى
القفس الضيق فلذلك كان مثله لا يفتأ يحن الى بهجة مراکش ، وامسرته
الروحية فيها ، وينفث كذلك شعرا ونثرا مما ملا به مذكواته (الالفيات)
الا ان ظاهر هذه النعمة ، كان فى باطنه نعمة . وقد تكون مصائب قوم عند قوم
فوائد . فقد كان هذا النفى مباركا على تاريخ سوس . ميمونا على خزانة المغرب
اذ خلا فيه واعية تاريخ سوس الى نفسه . لما بان عن خلانه وعن عمله ، فبات
لايجد انيسا غير القلم والقرطاس . ولم يكن له بد من الاعتكاف على البحث والنسلى
بالتقييد . فشغل نفسه بالجمع والتدوين فى هذا الاغتراب الروحي ، وانصرف
الى التصنيف والتسجيل والتقسيم ، وامكنه من ذلك فى حالة العسر ما لم يمكنه
فى حالة اليسر .

وامره فى حاله هذا يشبه بعض الاعلام الذين اشتغلوا بالاملاء والتصنيف اثناء
الاعتقال ، وقد حبس الشمس ابو بكر محمد بن ابي سهل السرخسى الحنفى
(- 483) لنصيحة قالها فائق كتابه (المسبوط) فى الفقه ، املاء وهو باحبس
باوزجند (1) . واصحابه يكتبون فى اعلاه . وقد طبع فى ثلاثين جزءا . وجلد
فى نصفها . ولما سجن المستنجد العباسى (518 - 555 - 566) القضاة كان
منهم احمد بن على المعروف بابن المامون (509 - 586 هـ) فاقام فى الحبس احدى
عشرة سنة ، وكتب فيها ثمانين مجلدا ، وشرح الفصيح ، وجمع كتابه اسرار
الحروف الى ان ولى المستضى ، فافرج عنهم . وكذلك صنف التقي احمد بن تميمية
(661 - 728) فى السجن كتابه البحر المحيط فى التفسير فى نحو اربعين
مجلدا . والتمس منه صاحب سبته ان يجيز له بعض مروياته ، فكتب له لما كان
معتقلا بالاسكندرية - وكان ذلك بين سنين (709 - 712 هـ) جملة من ذلك .

(I) (اسم محل)

في عشره اوراق باسائيده من حفظه . بحيث يعجز ان يعمل بعضه من هو اكبر من يكون) ولما اعتقل بقلعة دمشق سنة 726 اقبل على التفسير ، وكتابة الرسائل في الرد على المخالفين ، والتصنيف فيما حبس بسببه . الى ان جرد من الكتب والاوراق والمداد . وقد ألف غيرهم من المعتقلين كتابا سماه (ما علق بالبال في زمن الاعتقال) وهكذا يتفجر العلماء في الحلا بما لا يتفجرون به في الماء ولما نفس ابن (الخ) اخذ يستكمل عمله ، ويجوس خلال الديار ، باحثا متقبا مستقصيا . رواية وتلقيا من الافواه . واخذ او وجادة من الاوراق ، حتى اجتمع لديه من احبار سوس ورجالها واحوالها . ما ملا عشرات الاجزاء (1) اخصت (الخ) وما حولها من ذلك بغمس المتحصل . فكانت بذاك (مجمع همومه . ومجال يراعه) وكان يتداوى منها بها .

وبعد عودته للحمراء ، وانتقاله الى البيضاء ، ثم الاعتقال الاخير بتينجداد وكردوس الذي اعقبه انفراج الازمة ، وزوال الغمة وتحصول النعمة لم يشغله ما يحوم حوله من المناصب العليا والمجالس التي يشارك فيها ، عن مجموعته التاريخية السوسية . فاقبل على تخريجها وهي خمسينية الاجزاء ، مختلفة العناوين والاسماء ، بحسب الموضوعات والمباحث . ثم اخذ يقدمها الى المطابع ، ثم يجلوها للباحثين متلاحقة الاجزاء ، ناعمة الغلاف ، صقيلة التراب ، مكتنزة الاطراف وقد ابرز (سوس العالة) مدخلا لتلك المجموعة ، وفاتحة لها ، مخلصا تلخيصا يشرف منه المطالع على احوال الثقافة العربية الاسلامية في (سوس) ويحصل منه على فذلك جامعة لما فصله تفصيلا في غيرها . وبعد بيانه فيها لما يعنيه بسوس في كل اجزائه التاريخية (وهو ما يقع من سفوح درن الجنوبية الى حدود الصحراء ، من وادي نول وقبائله من تكنة والركائب وما اليها الى حدود طاعة وسكنانة) (16) تكلم على حالة العلوم بسوس في عصرى الفموض والنهوض الواقع في المائة التاسعة . وازدهار القرون بعدها . وقد ذكر العلوم المعنى بها في سوس . فتاقت على عشرين علما . ملقيا نظرة على كل علم منها ومقدار انتشاره . وكيف كانوا يدرسونه ، ومن اشتهر أو الثف من اعلامهم فيه . ثم فصل القول في الادب العربى السوسى . مشيرا لازدهاره في الدولة السعدية . ودويلة (ايلخ) السملالية ، وخلافة المولى محمد العالم الردانية . ولما تلا ذلك من فتور وانتعاش وازدهار . وانبع ذلك بالكلام على الاسر العلمية بسوس . فذكر 157 بيتا ، من مختلف القبائل والقرى . تسلسل العلم فيها اجالا بما يقارب المائة عالم الى سبعين ، او خمسين الى اكثر من اربعة . ثم تكلم على بعض مدارس سوس الزائدة على ماتين ، فعد منها خمسين مدرسة كنماذج عما لم يذكر . ثم ذكر بعض خزائن الكتب السوسية لسمى منها اكثر من ثلاثين خزانة . ثم تعرض للمؤلفين السوسيين وبعض مؤلفاتهم . من القرن السادس الى الرابع عشر . وختم بذكر مراجع

(1) يعنى الخمسين التي كتبت كلها عن سوس

تاريخ سوس التي صنفها السوسيون انفسهم . مما سنح له . فبلغ ذلك 112
تماييا من موجودها او المظنون وجودها .

وقد تبين بهذا العرض ان هذا الجزء وحده - وان كان مهفوف الخصر - له
قيمته في تاريخ المغرب الثقافي ، ومنزلته في الخزانة العربية . وان سواحى
المغرب الاخرى نغبط فيه افليم سوس وتود ودادا لو ان لها مثله ، فيما
يخص بها .

اما (المعسول) فقد افرد مؤلفه اجزائه (العشرين) لذكر اعلام (الخ)
ومن اليهم . وقد صدره بوصفها الجغرافي ، وذكر قراها ، وبعض عاداتها في الاعياد
والحفلات ، وحررها والصنائع ، والحالة الدينية والعلمية والاخلاقية ؛ والاطعمة
والاشربة ، وانفلاحة والالبسة والفرش . والمساجد والدراسة والمرأة والامثال
والالعب وما قيل في وصفها .

ثم قسم الكتاب الى خمسة اقسام . اولها في المرابطين السعديين الالفين :
علمانهم ورؤسائهم امواتهم واحيانهم - وهذا القسم استغرق الجزئين الاول
والثاني - والقسم الثاني في غيرهم من الالفين الذين ساكنوهم في بسطهم -
وقد انفرد بالجزء الثالث - والقسم الثالث في شيوخ الالفين في القراءان
والعلم والتصوف - وقد ملأوا خمسة اجزاء من الرابع الى الثامن - والقسم
الرابع في تلامذتهم في العلم والتصوف - وقد شغلوا تسعة اجزاء من التاسع
الى السابع عشر - والقسم الخامس في اصدقائهم السوسيين (والمقصود
بسوس جنوب مراكش ، 1 ، 76) وقد استغرقوا ثلاثة اجزاء من الثامن عشر
الى العشرين . فان كان المترجم في تلك الاقسام من بيت علم او رياسة استنطرد
المؤلف ، فذكر معه جميع علماء او رؤساء ذلك البيت . الحاقا لهم بالمترجم
الاصيل . وجمعا للفوائد ، واسهابا في القول . وبذلك اتسعت دائرة الكتاب .
وقد كنت اشرت في الكلمة التي صدرت بها تاريخ مكناس من سنة 1348 هـ
الى استحسان الطريقة التي يسلكها بعض الافاضل الذين تفرغوا لجمع ما يتعلق
بتاريخ بعض المدن المغربية . وتقصى احوالها ، واستيعاب تراجم أهلها ،
والواردين عليها ، وابرار المكنون من ذلك . وقد كان في عملهم تسجيل
لحقائق من تاريخ المغرب . كان جلها من قبل غير مذكور ولا معروف . فكتشفوا
عن جوانب مهمة كانت مهملة . وقد يعسر على غيرهم الاهتداء اليها والوصول
الى وثائقها . فكان لعملهم اثر في تاريخ المغرب العام الذي يقوم هيكله بمثل
هذه التواريخ الخاصة . ولا يأتى للفرد الواحد القيام به مستقلا وان استغرق
فيه الاوقات . وجمع الوسائل . وبذ في ذلك الاواخر والاولى . وجل
المصنفات الموضوع في تاريخ البلاد والمدن والجهات . مما كتبه اعلام أهلها .
كان الناس يستقبلون اخبارها من اقلام ابنائها ، ويشكرون صنيعهم ولا ينكرون .
ولم يزل الابناء والاحفاد . يعتنون بتراجم الآباء والامهات والاجداد :

فيذكرونهم في مواضعهم من تواريخهم او يفردون لهم كتابا خاصا بهم ، ومن المؤرخين الذين جمعوا اباؤهم في كتبهم الخطيب البغدادي في تاريخه ، والناج ابن السبكي في طبقاته - وقد ترجم فيها ايضا لآخيه الحسين ولابن أخيه محمد ابن البها ، أحمد . وجمه عبد الكافي ، ولعم وانه يحيى ؛ ولخفيه محمد بن عبد الطيف بن يحيى - وابن فرحون في الديباج . والكسيوطي في البقية ، والشوكاني في البدر ، والسوداني في النيل ، وابن الموفى في (السعادة الابدية) وودية في (مجلس الانبساط) والاكرادى في (روضة الافئدة) ومن ترجم اسمه القاضي ابن عسكر في (دوحة الناصر) .

ومن الذين أفردوا اباؤهم بكتاب : القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض (- 395 هـ) وأبو حامد العربي الفاسي في (مرآة المحاسن) وأبو زيد عبد الرحمن الفاسي في تاليفين ، أحدهما (تحفة الاكابر) في أخبار الشيخ عبد القادر) والآخر (بسنان الازهر في أخبار الشيخ عبد القادر) ، والف في تلامذته (ابتهاج البصائر فيمن قرأ على الشيخ عبد القادر) ولولده محمد بن عبد الرحمن فيه (اللؤلؤ والمرجان . في مناقب الشيخ عبد الرحمن) والشيخ الطائيب ابن الحاج أفرد والده بـ (رياض الورد . فيما اتقى اليه هذا الجوهر أفرد) وابن الموقت بـ (اظهار المحامد في التعريف بمولانا الوالد) ومن الذين أفردوا اباؤهم بالكتابة: الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي . وضع كراسة في التعريف بوأئذاته السيدة حفصة الانصارية . وكذلك السيد محمد ابن الشيخ المختار الكنتي الف (الطارفة والثالثة . في مناقب الشيخ الوالد والشيخة الوالدة) والحسن التيمكيشتي (رسالة الانوار) في والده ، وللشيخ النعمة مؤلف في والده ، وكذلك مربيه ربه ، ووالدهما هو الشيخ ماء العينين الصحراوي . ومن أفرد جده الأدنى أو الأعلى أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أحمد ابن الشيخ ابي محمد صالح . أفرد جده ابيه بكتابه (المنهج الواضح ، في تحقيق كرامات ابي محمد صالح) وأبو زيد عبد الرحمن الفاسي بن عبد القادر بن علي ابن يوسف الف (ابتهاج القلوب ، بخير الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجلوب) وله في عم جده العارف (ازهار البستان في مناقب الشيخ ابي محمد عبد الرحمان) ولابن عمه محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف ، (روضة المحاسن الزاهية بمناظر ابي المحاسن) واخصرها في (الجواهر الصفية ، من المحاسن اليوسفية) وللسيد العربي ابن بنماود الشرقي (الفتح الوهبي . في مناقبه جده الشيخ العربي) ، ولدنية (النسمة الندية) ومن الف في اهل بيته وعشيرته ، السيد عبد السلام بن الطيب القادري الف (العرف العاطر فيمن يقاس من ابناء ، الشيخ عبد القادر) وعبد الله بن عمر العياشي ته (الاحياء والانتعاش في سادات زاوية ايت عياش) واحمد بن ابراهيم الدكالي ته (سلسلة النذهب المنعود . في دهر الاعلام من الاسلاف

(والجنود) والسيد الوليد العراقي . له (الدر النفيس فيمن بفاس من بنى محمد بن نفيس) ، والسيد أحمد بن خالد الناصري له (طلعة المشرى ، في النسب الجعفري) والسيد توفيق البكري الاديب المصري له (بيت الصديق) ومن العلماء من ترجم نفسه في كتابه كابن خلدون في آخر عبره : وصاحبه ابن الخطيب في آخر (الاحاطة) وابن حجر في (رفع الاصر) والسخاوى في (الضوء اللامع) والسيوطى في (حسن المحاضرة) وبعضهم أفرد نفسه بكتاب ذكر فيه نشاته وترجمته كالنقيب الحوثات في (ثمرة انسى في التعريف بنفسى) والقاضى البلغينى في (تحبير طرسى) وابو حامد البطاورى في (جزء) وطه حسين في (الايام) واحمد امين في (حياته) .

والاستاذ صاحب (المعسول) قد سلك هذه المذاهب فالف في احوال (الخ) وترجم اعلام ورؤساء اسرته السعيدية ، وترجم لهم والوالديه ولاحله ولم يخص نفسه فيه بترجمة . كانه اكتفى بما ذكر عن نفسه مفرقا في مواضع منه ومن غيره . او بما كتبه عنه مفردا في كتابه (على قمة الاربعين (1)) كما أفرد اباه بكتابه (الترياق المداوى) .

واذا كان موقع (الخ) في بسيط (أجرد بلقع مسطح) (- 1 . 26 -) وكانت أرضها (لا تخصب كثيرا . والجدب والاقلال هو الغالب على من فيها) (- 1 . 27 -) وكانت الخ (عبارة عن هذا البسيط الافيح المتسع الذى زويت عنه زهرة الحياة الدنيا) (فما هناك الا اعاصير شمالية او قبولية او دبورية تصرصر في هذا البسيط الاجرد فتثير زوابع تتدافع متتابعة وهى قائمة ممتدة من الغبراء الى القبة الزرقاء ، كأنها صفوف نخيل متدافع ، وصرير الجواء يصك الاذان، وتلاطم مختلف الرياح كأنه صفير الجنة فى اوديتها) (- 1 . 160 -) فلن يكون لذلك أثر يودى لاهمال شأنها ، والتفاضى عنها ، والتفريط فيها ؛ والتنكر لامومتها . من ابنها البار ، الذى كانت مثوى أسرته ، ومهد صباه ؛ ومسرح نشاته، ومبدأ شهرته . فلما اشار عليه اخوه مونسه فيها بتخصيصها ببعض ما يكتبه باور لذلك غير متجانف ولا متوان ولا مقصر . ولئن كانت (الخ) مهمها قفرا، وقرية ساذجة، فقد من الله عليها برجال فجرؤا فيها بزوع المعرفة والهدى ، فأخصب ربعا ، وأينعت ثمارها ؛ واصبحت مهد العلم والحكمة ، ومنتجع الطلاب ، ومحط رجال ايمة الدين والعلم والادب . فصار من حقوقها على نايقة ابناها ان يخصها بهذا الكتاب ، وان يطلع الناس على حقيقة امرها ، وما يجهلون من شأنها . وان ينوه بذكر الاعلام الذين نبغوا منها ، أو درجوا حوايلها ، والذين اثروا فيهم أو تأثروا بهم . فسرى أثر الجمع الى حيث انتهى به المسير . كما ان من حق المغرب عليه ان يكتشف للناس عن مواطن الفضل والخير فيه حيثما كانت . ومن حق التاريخ عليه ان يسجل

(1) رسالة صغيرة بين محنوبات (اللغيات) .

حقائق كما هي . غير متعمد اطرافه . ولا غمط أخرى . واذا كان حب الوطن من الايمان ، فمن حبه التعريف به . وحفظ مآثر اهله في عهد بدات فيه امارات الانقلاب . واخذت النفوس تتحول عن ممتاد ابانها ، وتنصرف الى غير وجهتهم . حتى لا تنطمس فيه المعالم . وتندثر بقايا المآثر ، وصالحوا الابناء اعرف بمزايا الاباء . وأولى بحفظ ذكراهم . وأهل مكة أدرك بشعابها ، وابصر بمواقع البحث عن رجالها .

وبالاستجابة لهذه الدواعي المتزاحمة ، واداء حقوق الاسرة والبلد والتاريخ صارت لقرية (الخ) المنة على اقليم سموس كله . ثم على المغرب اجمع . بما كتبه واعية ابانها في التعريف بسوس ورجاله واحواله ، وتسجيل حوادثه ، والاحتفاظ بتراته التاريخي .

وتلك تالق اسم (الخ) وسطع نجمها بما قام به المرابطون آل عبد الله ابن سعيد من نشر العلم والدين والادب فيها وفيما حولها بمدرستهم المثقفة للعقول ، ويزاويتهم المهذبة للنفوس . ثم بدائرة معارفهم التاريخية المتسعة الابحاث والارزاء ، الخمسينية الاجزاء .

وبذلك كله عظم شان هذه القرية الصغيرة المغمورة بسوس الاقصى . وطالت بتاريخها الحفيل (المعسول) الامصار الكبار ، وطاولت قواعد الملك العظام ، اذ جاء متبخترا يجر ذبوله الفنفاضة على (سلوة) فاس (واتحاف مكناس) و (اعلام) براكش وحلب . و (عمدة) تطوان و (احاطة) غرناطة و (معالم) الفيروان و (خطط) القاهرة ، وتاريخ بغداد وغيرها من البلاد التي لم يؤلف فيها كتاب مفرد يماثله جريما . أو يقاربه حجما ، فاذا صفت الصفوف واستعرضت الرفوف ، ظهر تفوق اجزائه (العشرين) على تواريخ البلدان الاخرى . حتى لا يكاد يذكر امامه الا ما يقال عن تاريخ الحافظ ابن عساكر الشهيق . الممدود في ثمانين مجلدا ، المسرود في اربعة وعشرين سفرا . وتاريخ الكمال عمر بن العديم حلب . المسمى (بغية الطلب) في نحو ثلاثين مجلدا أو اربعين . (1)

ولا استحضر الآن مقربيا ألف كتابا يقارب أو يماثل هذا (المعسول) في عدد اجزائه ، الا ما كان من رجلين ، أحدهما عمر بن علي بن يوسف بن محمد ابن هادي ، المعروف بابن الزهراء ، والوردي اعلى العثماني العمراني . فقد شرح (المطا) بكتابه المههد الكبير الجامع لمعاني السنن والاحكام وما تضمنه موطا مالك من الفقه والاثار في واحد وخمسين مجلدا . فرغ من آخرها عام 720 هـ . وفرغ من السفر الحادي والاربعين عام 709 هـ ومن الخمسين عام

(1) عننا انشد وأنا جامع (المسول) اذا ما ساقه هذا السد من هذه الموازنه التي فيها ما فيها .

أما الحيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسايتها

١10 هـ . ويوجدان بخطه في مجلدين ضخمين بجامع القرويين من فاس رسم
 40 - 178 -) بحبسا عام 766 هـ . من محمد بن ابي القاسم بن ابي محمد
 العثماني ، صاحب العلامة سنة 757 عند السلطان ابي عثمان المريني ، اما المؤلف
 الآخر فهو الشيخ محمد المعطى بن محمد الصالح بن محمد المعطى الشرقى
 النادى البجورى (- 1180 هـ .) فقد الف في السيرة النبوية (ذخيرة الفنى
 والمحتاج . فى الصلاة على صاحب اللوا . والتاج) فى نيف وسبعين مجلدا .
 من القالب الكبير ، توجد كاملة فى الخزنة السلطانية بفاس الجديد . ادخلها
 اليها السلطان المولى الحسن ولا توجد مجموعة فى غيرها . لكثرة اجزائها وعسر
 اجتماعها . وتوجد اجزاء منها منتشرة فى الخزائن ويوجد فى الواحدة ما لا
 يوجد فى الاخرى .

ومزية (المعسول) غير مفضورة على ناحية الدم . فكما امتاز بعدد اجزائه
 حتى يمكن علم الكتاب المغربى الثالث . كذلك يمتاز من جهة الكيف . بما افرد
 به من تراجم الرجال ، وحقائق الاخبار . وتفصيل الوفائع . وتاريخ الحوادث
 وايراد الاشعار ، وتسجيل ايام المقاومة . ومواقف الجهاد ، وتراجمه الكثيرة
 الجامعة لطائفة كبيرة ممن كانوا بسوس من العلماء والادباء والصالحين والرؤساء .
 وما كان يجرى بينهم فى زوايا العبادة . وحلق التدريس ، ومجالس الادب .
 ومعتكف النزاع فى مواسم الطلبة فى الانشادات . وفى المراسلات ما بين
 الناشئين من المبتدئين . فضلا عن الادباء الماهرين . وفى مجاذبة النوازل
 الفقهية ، كما فيه اخبار السياسة واخرى والعلم والارشاد والدين والزوايا
 والمدارس والخزائن ويوت العلم والرياسة . بحيث يكون مطالعه على علم ودراية
 حقيقة الاحوال فى اقليم كبير من ارض المغرب قل الاعتنا . بتدوين اخباره .
 ونشر انباء اجباره وهو شئ كل ذلك جم الفوائد . كثير الصلوات بالعوائد .
 مستعمل على تراجم وتفصيل ، لا توجد فى غيره ، ولم يتعرض لها سواه . وقد
 خلت الديار من وعاتها وغادرت الطيور وكثانها . وكاد كل ما هناك يدخل فى
 خبر كان .

وقد صور المؤلف فيه نبوغ السوسيين فى لغة العرب وعلوم الاسلام .
 وأوضح حرص اولئك البندوين المعجم الا مازيغ الشلحين على تفهم الدين
 وحفظه ، والتفقه فيه . والقيام بعلومه واركانه ، وبين ولوعهم القريب بتحصيل
 العربية وحذقها . ونشر علومها وآدابها ، واجادة القول فيها . واسهب اسهابا
 فى تفصيل وسائلهم الى التوصل لتلك المقاصد . واظهر ما كانوا يعانونه فى
 سبيلهم من جذب الارض ، وضيق المعيشة ، وقلة ذات اليد : وشرح كيف
 كانوا يكلفون انفسهم تعلم العربية تحت لهجهم الشلحية ، واتقان قواعدها ،
 وحفظ مفرداتها واستظهار كتابها . لياخذوا الدين من منبعه . وليتدروا قومه
 وبغيموا فيهم شعائره . ويحفظوا بينهم كتابه . ويلقنوه ابناءهم ، ويبشوا فيهم

دعوته مستسهلين كل صعب ، صابرين على القلة ، مكفين بالمضغة والجرعة :
مفتنين من العيش بالكفاف ، متلفين منه بالضرورة أو ما دونه . نجر عابئين
لا بتحصيل المراد ، واداء الواجب ، ودرء الزيف عن النفوس . وعلان كلمة الله
بين الناس ، واقامة شريعته في البلاد . ومنهم اناس جعلوا ذلك هجراهم .
فانفوا فيه حياتهم ، وبذلك صار العلم والدين في سوس غضا طريا .
وقد اتى في كتابه بما يعرفه أو ما بلغه كما هو . لا كما كان ينبغي أن يقع
فهو ورد الشيء كما عرفه أو سمعه ، ثم يعلق عليه بما قد يبدو له غير منزه
نفسه عن خطأ أو غلط . وقد نزل مترجميه أو من عرض له ذكرهم فيه منازلهم .
فلا يسمو بهم عن مستواهم . ولا ينحط بهم عن رتبتهم ، ولا يلبسهم من
الاصواف والحلي ما لا يناسبهم ، أو يخالف ما يراه فيهم ، وقد انكر المجازفة في
مثل ذلك . بقوله (قد صارت الاوصاف تثر يمينة ويسرة ، حتى صار من
يريد أن يضع الأشياء في مواضعها ، والاصواف ازا . مستحقها ، يستحي أن
يصف بأحد تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف أن يظن أنه القى
ايضا ذلك الوصف بغير تبصر أو أنه ممن يخبطون خبط عشواء ، ككثيرين
غيره) . 1 - 325 - وهو يذكر الرجل بما احسن فيه الى جانب ما ساء منه .
ولا تصرفه سيئات النسي ، عن ذكر حسناته . ولا حسنات المحسن عن الاشارة
لسيئاته . ولا اجلاله لشيخه ، ووقاؤه له ، ولا صلته بالقرب قرابته وبره لهم .
من التصريح بالواقع ، وذكر الزاة والعودة ولو بالابماء لخال من وقع منه ذلك
من بعيد بالطف تعبير . وهو - سده الله - في هذا كله يحافظ في كتابه على
التاريخ الهجري . محافظة أحمد تيمور عليه في كتابه (اعيان القرن الرابع عشر)
وهو فضيلة في عصر تفرنج التاريخ فيه ، واستعجمت الاذواق في التفكير
والتعبير وقد اضطر الى السنوذ عن ذلك في مواضع قليلة ، ابقى فيها بعض
ما جاء مخالفا لعادته على حاله . لأن هذا التاريخ الاجنبي قد غلب على الاستعمال
فيما تنطق به الالسن وتكتبه الافلام ، وتتصور عليه حوادث الايام ، حتى صار
يعلق في بعض المساجد ، وينقش على بعض القبور ، وذلك ماجعل بعض
المحافظين من فضلاء الباحثين ، مضطرين الى مسايرة الواقع . فصاروا يلترمون
الجع بين التاريخين في سائر الحوادث ، ويتكلفون عناء ذكر الموافقة . كلما
ذكروا الوقائع والسنين . وان الذي يسر الجلاء ، ووفق للشروع في التعريب
تأدر على سحب هذا التاريخ الدخيل . والرجوع بالناس الى تاريخهم الاصيل
ومن محاسن هذا (المعسول) اشتماله على بعض الرسائل النادرة . أدرجها
المؤلف فيه لعظيم فائدتها وغرايتها . مع حسن فائدتها) كذكره في (الفصل
الحامس) من (القسم الثاني) ترجمه الاديب محمد بن أحمد المانوزي بقلمه
فانها .. على اوهام له فيها - شيققة السرد . مشتملة على تفصيل اخباره .
وتصوير تغلاته ومشاهداته . وعوائد سوس واحوالها ، وحوادثها الاخيرة .

وما قام به صناديد الرجال ، من مكافحة الاحتلال . غير عابئين بما يكتنفهم من الخلاف والاختلال ، وكذكره في (القسم الخامس) لرسالة (نفعات الشباب) التي تصور مجالس الادب بـ (نارودانت) في العهد الاسماعيلي ، وكادخاله في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) ما كتبه احمد آذافال عن الشيخ احمد بن موسى . وكادخاله بعض مؤلف يتعلق بالشيخ يعزى وهدي في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) وكتلخيصه مؤلفات أخرى مثلها وادخلها في محلاتها . وهذا صنيع معروف من كبار المؤلفين ، فقد ادرج ابو العباس العزفي السبني في كتابه (الدر المنظم . في مولد النبي العظيم) رسالة ابن العربي (تبين الصحيح في تعيين الذبيح) وملا ابن رشيد السبتي (عيبته) بالفوائد الكثيرة ، وربما ينقل الجزء بتمامه . من اجزاء الخلعى . واورد التاج ابن السبكي في (الطبقات) كل رسالة القشيري (شكايه اهل السنة ، بحكاية ما نالهم من المحنة) قائلا انه يخشى على مثلها الضياع . فان هذا شان المستفاد للطاق) كما ادرج رسالة الفصيح احمد بن محمد بن عمر بن يوسف القرطبي (زجر المفترى ، عن أبي الحسن الاشعري) ورسالة الشهاب احمد ابن يحيى بن جبريل الكلابي في الرد على ابن تيمية في الجهة ، وكذلك ادرج ابو سالم العياشي في رحلته عدة رسائل كـ (التحفة المرسله) لمحمد بن فضل الله الهندي لوجازتها وغرابتها في مغربنا وكرتاسة الاسماء الادريسية، من خط شيخه الملا ابراهيم الكوراني ، وان كان فيها طول لاشتمالها على فوائد كثيرة قل ان توجد في غيرها و (منقذة الموهوم . من مزلة الوهوم) لسالم شيخان و (الاقماغ المحيط) في مسئلة الكسب، لشيخه الكوراني . ثم روى في الاخير عن شيخه ابي مهدي عيسى الثعالبي ، رسالة القشيري - الشكايه المذكورة عند السبكي - وذكرها باختصار . كما اورد ما سمعه منه من احاديث رسالة ابن حجر في (الحصول المكفرة للذنوب) وكذلك لخص صاحب (الاعلام) ترجمة المنصور الذهبي من (المنتقى المقصور) لابن القاضي ، اتيا بمقاصده كلها ، كما اختصر فيه ايضا رحلة العبدري الحاحي لغزتها . كما فعله صاحب (المسول) برحلة (العيني) الايكراري .

هذا ولو لم يكن من مزايا (المسول) الا ما ضمنه من خرائد السيد الطاهر الافراني لكفى. فقد كان فضله بابرزها عظيما على الادب المغربي، لا على خصوص ادب سوس . وقد كنت مولعا بهذا الشاعر السلس التعبير ، منذ لمحت احدي درره في اعقاب (الدرر الفاخرة) للشريف الرضي نقيب مكناس . فنبهتني (غريزته) الى صاحبها بحسن سبكها ، ومتخير لفظها ووزنها - كما نبهت قصيدة (حياك حياك رب العرش يا دار) الشيخ حمدون بن الحاج الى صاحبها ابن ادريس ، ونفسه الغريب اذ ذاك؛ فكان ذلك هو السبب حتى اشتهر (فجعلت اتبع نفاثه ؛ ولا اكتفى بالنتف التي عثرت عليها تقريبا في آخر (الابتهاج)

ومديحا او اوسط (عواطف الشعراء) وامثلة في (الادب العربي) وغير ذلك مما القطفه من بعض المذكرات الخاصة ، فلما تناولت (المعسول) وجدت خلال تراجمه واجزائه . من شعر الافراني ما حرك الساكن من اعجابي القديم . وزادني اعجابا بجيد من شعره المحكم الرصف . الرقيق النسج . المستعذب الالفاظ الفاني الاخاط .

ما ثغور الزهر في اكمامها ضاحكات من بكاء السحب
نظم الوسهى فيها لؤلؤا ثنايا الفيد او كاخيب
عند من يقضى بابهى منظرا من (لثاليه) التى تلعب بي
بسمت للنفس فاستهوت نهى مفرم الفضل وصب الادب
وقوافيه الجياد فى آل ماء العينين وغيرها . من منتخب شعره . تجعله فى طليعة شعراء المغرب ابن حبوس والكرأوى والملزوى والقشتمالى وابن ادريس . والفضل فى الامتاع بها لـ (المعسول) .

والمؤلف عليم بمواقع النقد من كتابه الضخم ، المشتمل - حسب تعبيره - على اللؤلؤ والصدف ، والذهب والحزف ، والسمين والفت . بحسب الواقع قليلا ، وبحسب اختلاف الانظار تنيرا . الا من كان مؤرخا فانه كله لؤلؤ وذهب سمين عنده . فالمؤلف يسبقك بعده . قبل أن تلاحظه بنفسك . ويقربان كتابه ككتب الناس غير منزه عن الخطا . ويعتذر للقارئ عما يكون فيه من تفاوت فى التفكير والتعبير ، بين اطناب الاديب اللغوى ، وتلميحاته . وبين ايجاز المستوفز الضيق العبارة (لان الكتاب كان يجمع من ازمان شتى . فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة ، او تمة ترجمة . كيفما يتيسر ! لئينا بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاة ، وحينما يحاول أن تكسى العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها اللوق . وحينما تغلب فيه فكرة الادباء ، وحينما فكرة الصوفية الاصفيا . وحينما اكون من هؤلاء العصريين الذين ، تدور أعينهم الا فى مجالتها المعادة)

- 1 . 25 -

كما يعتذر عن بعض ما اودعه فيه بالحرص على اقامة الدليل على الاستعراب والحافظة على آثارها واطهار ما يعانیه القوم فى التعرب فمنهم من يحلق فيسمو فيشكر . ومنهم من يطير فيقع فيعذر ويقول : (اننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وحدهم ، فليسامحونا فى سوقنا لامثال هذه الابيات . وما اكثر امثالها فى الكتاب) - 1 . 291 - (وحين كان مقصودنا نحن أن نشيد بآثار المستعربين من آلتنا كنا نسوق ذلك كيفما كان) - 4 . 252 - .

(وبعد) فان هذا (المعسول) جملة كتب لا كتاب واحد . وقد احتوى على تراجم عدة بيوت من بيوتات العلم والرياسة على حدة . بحيث تجى تراجم كل أسرة متناسقة فى موضع واحد . كأنها فى جزء مفرد قائم لتلك الاسرة بخصوصها . وقد ملأ فراغا عظيما فى تاريخ المغرب . وسجل ما لم يكن معروفا

وصور ما كان مجهولا . وجنه متلقى بالسمع مستمد من الافواه ، وهو مجهود فرد لا كالأفراد . استغل وحده بما نوء به الجماعة . ومزيتته تظهر واضحة اذا حاول الانسان معرفة بعض ما فيه عن غير طريقه . أو تذكر أن فيه ما لا يوجد في كتاب ، لأنه يستقى من الصدور لا من الكتب . فلذلك انفراد بكل ما فيه وحده . وإذا كان مؤرخو المغرب يهتمون سلبهم بالأهمال ، وبدئهم فضلا هم في قبري راب وإخمال ، ويقولون كم من فاضل نبيه . طوى ذكره عدم التنبيه . فصار اسمه مهجورا لأن لم يكن نسيما مدنورا (1) فالمؤلف - حفظه الله - قد حرج من نطاق تلك القولة المشهورة . والوصمة المتواترة المسطورة . مرفوع الرأس مؤدور الكرامه ، حتملا جوانب الزعامه والإمامه . اد قام بواجباته التاريخية . ووفى بما عليه منها بهذه المجموعة الكبرى . وتبرع بما لم يسبقه اليه سابق . والظن أنه لا يلحقه بمثله لاحق .

نم لا يقعن في نفسك استنكار كل هذه الاجزاء (العشرين) أو (الخمسين) عن صنف سوس . ولا تحسبن هذه المجموعة السوسية المختارة - على وفرة اجزائها . وتنوع مباحثها . وتقسيم موضوعاتها - قد جمعت كل أخبار سوس وإحوالها ، وتراجم رجالها . فجاءها يستصغر ما فيها بالنسبة لموضوعه ، ويستقل صنيعه على عظمه . ويأسف على ما فاته على كثرة ما حصله . ويصرح في مقدمه (سوس العالمه) بقوله : (لا تظنوا انني في كل ما سودته مما كتبت في مختلف تلك الاجزاء (الخمسين) مما خصص بالرجال او بالحوادث او بالرحلات اديت به حتى عشر العشار من الواجب عن سوسهم . فانني ما عدوت ان جمعت ما تيسر جمعها بسيطا ، كيفما اتفق . بقلم متعثر ؛ واسلوب لا يزال يتتبع خطأ اساليب القرون الوسطى . الا انني لا انكر انني حاولت فتح الباب فبذلت جهدي . وافرغت وسعي . فكلم من غلط لا بد ان يقع لي . وكلم من تحريف أو تصحيف اسم لا جرم واقع فيه ، ويقول في آخرها انني - وان بدلت من المجهود ما بذلت ما جمعت مما امكن جمعه الا قليلا ضئيلا . لا تسمع الرقعة . ولعدم تيسر الاتصال المطلوب مع كل احد ، حتى التاريخ العلمى للمهود الاخيرة فان كل ما حرصت على جمعه حوله . لن يبلغ الحد المطلوب ، ولا نصيغته ولا قاربه . لعدم حرية التجول امس . وللاشتغال بالوظيفة بعد استقلالنا اليوم . وكل ما تقمته هنا وهناك فانما خطفته كما يخطف الباشق من ذبذبات البستان الذي لا يفقر ناطوره) - 232 - .

أما نحن فنقول ليت لنا مثل هذه المجموعة ، أو مثل هذا الكتاب أو نصيفه وورده أو عشره - في تاريخ كل حاضرة أو قرية أو قبيلة أو ناحية من المغرب بذكر حدودها ومواقعها . ومجمل تقلبات الدهر بها ، وما اشتملت عليه من

(1) عمدا كلام بعض المؤرخين الذين يكونون على تضييع المغاربة لعضلائهم

بعد الاستنادة بهم .

السكان والامكنة والمعالم . ويصف ما قدم فيه من الاثار والمعاهد والمساجد والزوايا والخزائن والمكاتب والمساهد والحصون والجسور، وسائر المرافق . ومن نبغ ودرج فيها من رجال العلم والدين والسياسة والادارة . وما عليه اهلها من العوائد في جميع احوالهم .

وعسى الله ان يصرف الانظار الى هذه الوجهة . ويحول بعض الجهود المبذولة في غيرها الى ما هو اولى وانفع واجرى . فيلهم بعض النباء من تسل جهة الى القيام بهذا العمل المفيد المتأكد . ويرشدهم لابتكار الكتابة في الجهات التي لم يؤلف فيها شيء بالخصوص . أو التذليل والتهديب لما سبقهم السلف الى بعض الكتابة فيه . فيحتفظون بذلك للاجيال القادمة ، بصور واضحة من بقايا الماضي والحاضر . ويشاركون بحظ وافر في اعداد تاريخ المغرب للعام وترصيع أبوابه وفصوله .

واني لأهني الاستاذ الكبير مؤلف (المعسول) بظهور اثر عمله العظيم . وأقدر جهده الفائق، وصنعه الراق . وخطوه الشاسع ؛ وبذلكه الواسع وادعوه له بتمام التوفيق، وكامل الاعانة على موالاة ابراز هذه الذخائر التاريخية واتمنى حصول الانتفاع بها ، وتمام الاستفادة منها ، والسلام .

وقال البلبل الصداح مجاور سيدي الرسل محمد بن اليماني الناصري

أخي في الله ، منذ صباه ، من نظمه الله في سلك اللئالي . وحلاه بصاحب
المعال ؛ وأمدته في العلم والدين بالسند العالي ، وحماه على رفعة قدره من التعظيم
والنعال ، فازداد بذلك قدرا ، واطلع في سماء المجد بديرا . ورشحته نوازعه
الدينية لأن يكون على قدم الامام الطوسي وزير الناج العلامة الاديب السيد
محمد المختار السوسي . أيد الله بكم هذا الدين ، وأوضح بكم لهذا الشعب
سنن المهتدين .

أما بعد اهداء عاظر السلام وإدائه حق الاخوة على اللوام . فان كتابكم
(المعسول) غنى بفراره والحجول . وما اعتر به من أصالة الاصول ؛ ووجاهة
الابواب والافصول ، عن تقرظ الكتاب والشعراء الفحول :

تساب لو تأمله ضريبر لعادت مقلته بلا ارتياب
فلقد أنى منه جمال الاسلوب وبراعة البداهة . وكنت عند رؤية ديباجته
أن أعد نفسي من أهل الهي والفهاهة . ولولا لطف الله لخال الجريض ، دون
الريض . ولما جادت القريحة . بهذه الملحة المليحة :

أعدت لنفسي كل الأمل	بما شدته من ربيع العمل
فأصبحت أومن أن لنا	رجالا اذا عملت لا تمل
وان لأقلامهم أن جرت	مضأ . يقل الطبا والاسل
فتي (الخ) أطلعت في أفقنا	بمعسولكم كل نجم أقل
فأحييت تاريخ سوس وما	يمت لامجاده من ملل
وأخرجت منه لنا أمة	اساء لها من غفا أو غفل
تحررت صوب الصواب به	فأصلحت كم خطأ أو خطل
وأبدت آثاره بعد ما	تداعت عليها دواعي الهمل
وأبرزتها اليوم مجلوة	مرفلة في بديع الحلل
مديفك (معسول) أبكارها	لمى أدب يزدرى بالعسل
ويصبح (أمئلو) (١) بجانبه	على طيبه من قبيل الممل
وما ذاك الا جنى همة	تري عز أهل العلا في النقل
وتسمو بأفكار امتهما	فتزدان اجيادها من عطل
فله درك من كاتب	بهائوره تستنير المقل
ويزكو الحجى وينم الرجا	ويضرب بين الهداه المسل
تراه بهالاته يخفى	وعلم جديد به يخفعل

(١) أمئلو . طحين النور . ويوكل مع العسل عادة .

ورأى سديد به يستقى
وأدابه حولها راية
إذا ما تلوقها تمل
وأصبح نشوان من رشفها
فتى (الخ) لا زلت بين الورى
وخلد ذكرك مقترنا
ونلت المقاصد كاملة
تلازمها بهجة وجلد

(وبعد) فانك قد أصبحت أنت بنفسك تاريخ امتك فى الإجادة والافاده
والاشادة والتاريخ . اذ سقيت دوحه عزها بعزير علمك . حتى ترعرعت منها
الشماريخ . فأوفيت على الغاية ، وبلغت النهاية . جزاكم الله خير الجزاء ، فى
هذه الدار وفى دار الجزاء .

أمير أمين لا أرضى بواحد
حتى أضيف لها الف أمينا
فى أوائل ربيع الثانى عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف كتبه بقلمه محمد
المنى الناصرى عفا الله عنه أمين .

وفان شاعر العروبة اليوم على الاطلاق الزر نلى السفير الجليل مؤلف « كتاب الاعلام »

ام سطور نلى من (المعسول)؟
ومن الرشد بعض سحر المعسول
ح عذاب من سابع سنسبيس
ت ، وصيد لآبد من نفول
ت ، وكشف لعالم مجهول
ر ، وان شنتها اساطير جيل

بك ضوءا ينير كل سبيل
خبر النازلين حول النيل
س احاديث آل اسماعيل (1)
ة والبجترى والفضليل
سيف اخبار حاشد وبكيل (2)
صفت دنيا فروعهم والاصول
وتتير ومشد ومعول
ونكولا لانجم وشكول
من اب او عمومة او خوول
جمع الناس فى فناء ظليل
كان نسيا فعندك فى الماهول

الرباط ، فى 2 ذى الحجة 1380

انوس من السلاف الشمول؟
سكرت هذه وبلد عفولا
ما معسول (المعسول) الا يابيه
واقنص لسارد من روايا
وسجل خادسات وعادا
هى ان شنتها احاديث سمنًا

يا صديقى المحزان اطلعت معسو
انت اسيينا باخبار (الفخ)
وباخبار ال بربر فى اسو
وبمنظوم «ظاهر» شعر در الرء
وبهتسوكة وحاحه وانكر
كت اوفى الملا لاشباح فضس
رحت نحصى انارشم من نظيم
وضممت الاشبات منهم نجومًا
ثم لم تنس اهل قرباك فيهم
فكان (المعسول) سوق عكاظ
حقة دودنت ، فصينت ، وفطر

كلمة أخيرة للمؤلف

هذا كتاب يجب أن يعد ككتب القرون الوسطى. لأن مؤلفه وموضوعات الكتاب
وأساليبه وكل ما يضم عليه جنبه عما اصطلاح الناس أن يسموه بالقديم ،
فمن اراد ان ينظر اليه ككتاب عبرى فقد ظلم مؤلفه وظلم الكتاب من جميع
نواحيه . اقول قولى هذا واستغفر الله واتوب اليه من كل ما زل به القلم فى
جانب الله أو فى جانب عبد من عباده . (ان أريد الا الاصلاح ما استظفت)
والحمد لله رب العالمين .

(X) المقصود بنال اسمعيل ملوك مصر المتأخرون .

(*) حاشد وبكيل : قبيلتان مبروفتان من قديم الى الآن .

تنبیه

ان الاخطاء والتحريفات والالوهام من عادات كل مؤلف مؤلف.
فرحم الله من صحح نسخته على هذه التصحيحات التي في آخر
الكتاب ، ثم نبهنا على ما سيقع عليه بعد ذلك - ولا يكون
قليلا - لتستدرکه فيما بعد . كما نرجو من كل مطالع أن
ينبهنا الى الاخطاء والى كل ما يراه محرفا عن اصله . واننا لا
نبيع الكتاب على البراءة . وخصوصا امثالتنا الذين يعتمدون
على النقل من الالفواه غالبا. فالوهم قد يكون منا او من المخبرين
او منا معا . فكل من فيه غيرة فلينبهنا على ما يقع عليه من
الاطياء والالوهام . كما نبهنا الاديب سيدى أحمد بن سريان
البعهرانى على أن شيطانًا - وهو اسم اللص المعلوم - ككتاب
لا كسحاب . كما وقع فى رقم 337 من الجزء الثالث عشر .
ولو تتبع الكتاب لنبهنا على كثير . المؤلف

الفهارس خمسة

- الفهرس لاول في اسماء الذين تأسس عليهم الجزء
« الثانى فى محتويات الجزء المعنونات
« الثالث فى الاخطاء المطبعية
« الرابع فى الاسر
« الخامس فى الظهائر والرسائل الرسمية

= الفهرس الاول =

فى اسماء الدين اسس عليهم الجزء .

- 5 - القائد الناجم الاخصاصى
176 - القائد المدنى الاخصاصى
205 - القائد الحسن البنيرانى المجاطى
210 - مبارك أبو الطعام الرخاوى المجاطى
213 - أمقار محمد العلوى المجاطى
218 - على نبوهوش العلوى المجاطى
221 - الحسين الايدكورانى العلوى المجاطى
224 - أحمد أوبخيس الموسوى المجاطى
227 - الحسن أزكوك الموسوى المجاطى
228 - القائد الحاج أحمد التامانارتى

الفهرس الثانى العام

فى محتويات الجزء المعنونات

ولم نتبع غير المعنونات ، لترك للقارئ ما يكتشفه بمطالته .

- 5 - القائد الناجم الاخصاصى
6 - نسبه وسيرته
7 - منشأه
7 - فى دار القائد دحمان
8 - فى سوق النخاسة
8 - فى دار القائد بوهيا
10 - الافلات من الاسترقاق تانيا
10 - ملاقة القائد بوهيا بالسلطان
11 - اجنبى يدهم سوسا بتجارته فى ساحل ايت بوعمران
12 - فى وشك الاسترقاق ثالثا
13 - عند القائد محمد بن الطاهر الديلمى
15 - فى مراكس
15 - فى مرافعة السلطان
17 - صاحبا فى آيت باعمران
17 - فى التجارة
20 - فى قيادة الجند
21 - فى ملاقة السلطان
22 - فى الجيش الى سوس

- 25 - فى سكانة
 28 - رجوعه الى مراكش
 29 - فى رحلة أخرى الى سوس
 31 - فى مراكش أيضا
 32 - فى الجندية أيضا
 35 - الى بنى مستارة
 36 - فى حرب أبى حمارة الثائر المنهور - وهو فصل طويل -
 52 - فى مليلية
 53 - على وشك الاعتقال فى آسفى
 54 - فى اسبانية ثم فى مليلية
 55 - فى تطوان
 56 - فى جبالة
 57 - فى العقبة الحمراء
 58 - فى الاتنين بسيدى اليماني
 58 - فى وادى الدجاج
 60 - الى فاس
 61 - فى آيت يوسى
 63 - فى بنى مطير
 65 - مع أبى حمارة ثانيا - حتى اعتقله بيده - وهو فصل طويل
 75 - تعقيب ، وفيه نظرة على ما يحكيه الناجم
 76 - فى تفريم قبائل جبالة
 76 - فى حرب مع نكوشت
 77 - فى مناوأة المدنى الاكلوى - وهو فصل مهم أيضا
 81 - فى قيادة الكيش بمراكش - وهو أيضا فصل مهم -
 87 - مع الهيبة فى مراكش - وهو أيضا فصل مهم -
 101 - فى تارودانت - وفيه أخبار مهمة عن حروب
 106 - فى أسارسيف
 110 - قائد هشتوكة
 111 - فى أبى يكر
 114 - فى تيمكر
 117 - فى تاماشنت ببعقيلة
 121 - فى كردوس - وهو فصل مهم طويل -
 134 - فى أزاريف
 137 - فى أوزرب بالجبل

- 138 - فى آيت ولياىض
- 139 - الرجوع الى تونودى - وهو فصل طويل -
- 148 - القائد يرعى يخيس العهد
- 151 - فى اد جلولى بالاخصاص
- 152 - فى تيمولاي العليا بافران - وهو ايضا فصل طويل -
- 160 - طلائع الاحتلال لجمال جزولة
- 164 - فى آيت بعمران
- 166 - مع اسبانية
- 167 - بتفسيح فى اسبانية
- 168 - تحت الحراسة
- 169 - فى عهد الاستقلال
- 170 - يمثل امام الملك المحبوب
- 170 - فى مراکش
- 171 - حول أملاكه
- 174 - خاتمة لترجمة القائد الناجم
- 176 - القائد المدنى الاخصاصى
- 176 - نسبه
- 176 - الفقيه الحسين بن عبد الله
- 177 - أحمد بن عبد الله
- 178 - سعيد بن عبد الله
- 179 - عمر بن عبد الله
- 179 - القائد المدنى
- 180 - قيادة الاخصاص قبل المدنى ، وقيادة بوهيا وغيره
- 185 - كيف تولى القائد المدنى
- 187 - يرأس أيضا على ايت رخا
- 188 - جلازه الى فاصك
- 188 - مع المولى عبد الحفيظ
- 190 - مع الهيبة
- 190 - فى مراکش
- 191 - فى محاصرة تزنيث
- 191 - فى مقاومة حيدة
- 191 - كاتب القائد يتحدث عنه - وهو ماء العينين
- 192 - فى مصاحبة القائد المدنى

- 202 - أخريات إيامه
202 - من أخلاقه
202 - أولاده
203 - القائد الحنفى
204 - القائد الحسين
204 - القائد الطاهر
205 - القائد الحسن بن أحمد البنيرانى المجاطى - وهناك ترجمة القائد مبارك
البنيرانى والحاج ابراهيم
210 - مبارك الرخاوى المجاطى أبو الطمام .
أحمد وابن عمه سيدى الحسين بن على
213 - أمغار محمد العلوى المجاطى
218 - على ندبوهرش العلوى المجاطى
221 - الحسين بن الحاج الايدكورانى المجاطى
224 - أحمد اوبخيس المجاطى
227 - الحاج الحسن أزكوك الموسوى المجاطى
228 - القائد الحاج أحمد التامانارتى
228 - رئاسة أهله
229 - الشيخ محمد - فتحا -
229 - منصور بن محمد
229 - عبد الله بن منصور
230 - القائد محمد بن عبد الله
233 - القائد ابراهيم بن محمد
235 - ظهائر ورسائل رسمية وهى كثيرة
243 - أمور أخرى تتعلق بالقائد ابراهيم
244 - محمد بن ابراهيم
245 - أحمد بن ابراهيم
245 - عبد الرحمان بن أحمد
247 - عبد الله بن أحمد
247 - الشيخ حمو بن عبد الرحمان
249 - القائد محمد بن حمو
251 - ظهائر أخرى
256 - القائد الحاج أحمد
256 - ظهائر أخرى

266 -	قولة الرفاكي فيه
268 -	القائد البشير
270 -	القائد محمد بن البشير
273 -	الشيخ أحمد بن البشير
275 -	خاتمة
276 -	محتويات الكتاب
278 -	كيف احمرر التراجم
279 -	الشلحيون والعلوم العربية
285 -	تذييل
287 -	الغث والسمين في الكتاب
288 -	والآن
289 -	تقاريط الكتاب
290 -	تقريظ الاديب سيدي مصطفى الغربي الرباطي
294 -	» » المؤرخ الكبير المتطلع سيدي العايد الفاسي
299 -	» » العلامة النظار سيدي عبد الله كتون الفاسي
301 -	» » المؤرخ الجليل سيدي عبد السلام الفاسي
304 -	» » العلامة الفيور السلفي سيدي ابراهيم الكتاني
306 -	» » المؤرخ العلامة الفريد الاستاذ محمد داود التيطواني
311 -	» » اديب الرباط الكبير سيدي محمد بن العباس القباج
313 -	» » اديب فاس ومؤرخها الجديد النايفة سيدي عبد القادر زمامة
316 -	» » العلامة الاديب النقادة سيدي عبد الكريم بن الحسنى .
332 -	» » البلبل الصداح مجاور سيد الرسل محمد بن اليماني الناصري
334 -	» » شاعر العروبة اليوم على الاطلاق الزركلي السفير الجليل
	مؤلف « كتاب دليل الاعلام »
334 -	كلامه أخيرة للمؤلف

= الفهرس الثالث =

في الاخطاء المطبعية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
19	12	يسى	يسمى
30	31	الفائد سعيد بلخير	الفائد بلخير
62	27	فكا ان	فكان
77	23	هذا الدار	هذه الدار
97	1	في اhashية : كسكاب	سكاب
103	15	لا يردون	لا يريدون
183	5	فقال	فقالوا
192	14	دون	درن
202	19	متابة	مثابة
205	3	1304 وفاة	1306
205	5	هكذا سلسلة النسب	الحسن بن أحمد بن مبارك بن الحسن ابن أحمد بن منصور بن مسعود بن علي وذلك سنة 1280 هـ
206	10	وذلك قبل 1286	وذلك سنة 1280 هـ
206	14	ونشاطا	ونشاط
207	12	ولا يخلو مجمع	ولا يخلو منه مجمع
208	28	بعد 1360 هـ	12 - 3 1371 هـ .
208	6	ولسان حال	ولسان حاله
278	6	ايجاز	ايجازا
280	8	تبلع	تبلغ
282	16	تكشف	لو تكشف
287	24	كما	كل ما
311	4	وتحية	تحية
319	29	1325 - وفاة	1323 هـ .
319	30	(1275 - 1347 هـ)	(نحو 1259 - 1328 هـ)
319	31	وأحمد بن محمد التيمكيدشتي	1328 هـ) يسقط ذلك كله
321	17	مخلصة	ملخصة
325	29	(المطا)	(الموطا)

= الفهرس الرابع = في الأسر

228 - أسرة الرؤساء التامانارتيين

= الفهرس الخامس =

في الظواهر والرسائل الرسمية

في ترجمة القائد المدني الاخصاصى عدة : المبتدأ من 176 - الى - 203
في تراجم التامانارتيين المبتدأ كذلك عدة ، المبتدأ من 228 - الى - 274

طبع بمطبعة الجامعة = الدار البيضاء
المغرب الاقصى
عام 1381 هـ . = الموافق سنة 1961 م

